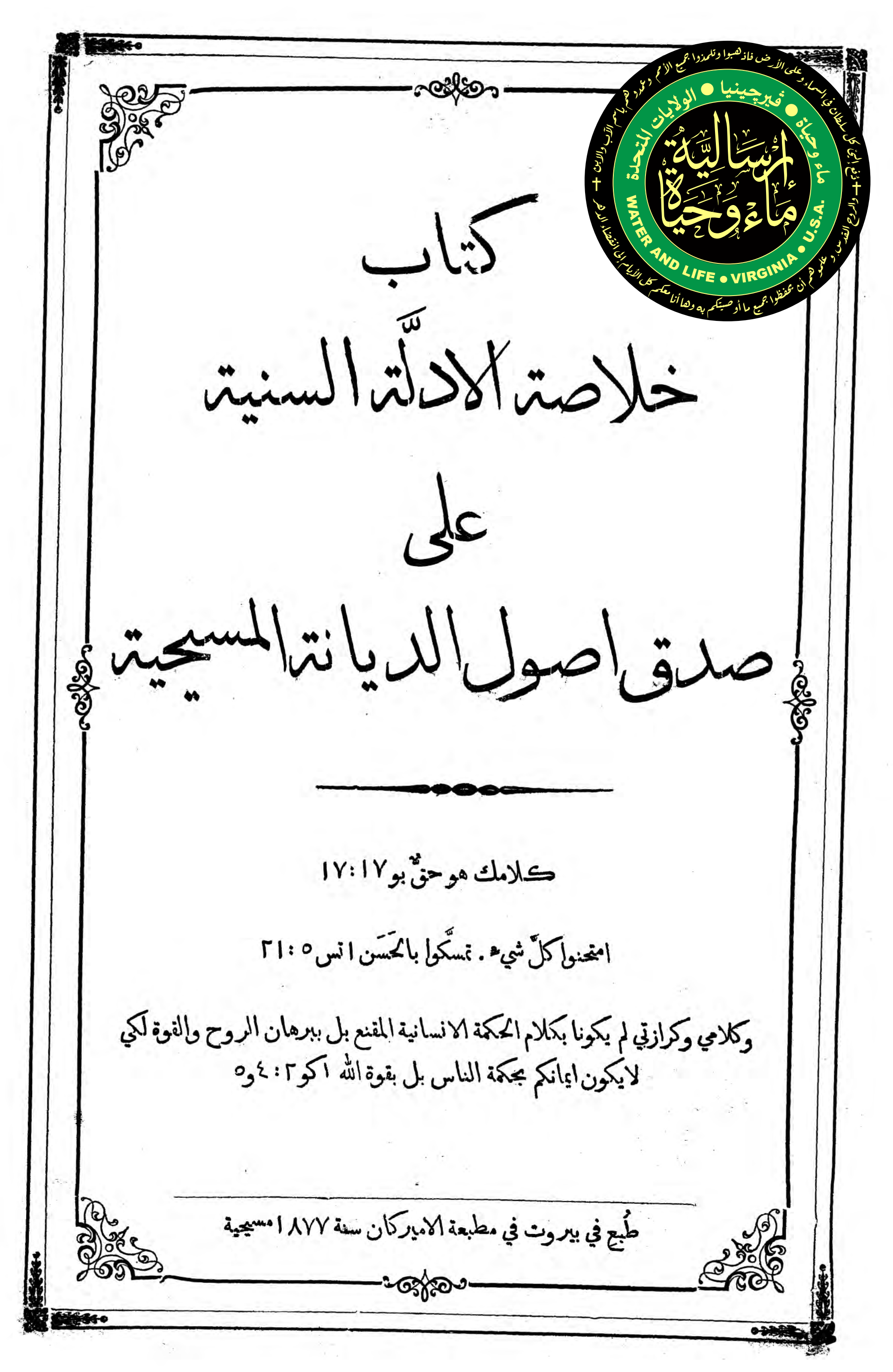


كتاب

خلاصة الادلَّة السنية

على

صدق اصول الديانة المسيحية

كلامك هو حقٌّ يو ١٧ : ١٧

امتحنوا كلَّ شيء . تمسَّكوا بالحسن ١ تس ٥ : ٢١

وكلامي وكرازتي لم يكونا بكلام الحكمة الانسانية المقنع بل ببرهان الروح والقوة لكي
لا يكون ايمانكم بحكمة الناس بل بقوة الله ١ كو ٢ : ٤ و٥

طُبع في بيروت في مطبعة الاميركان سنة ١٨٧٧ مسيحية



قال الرسول بطرس

لأَنَّنا لم نتبع خرافاتٍ مصنَّعة اذ عرَّفناكم بقوَّة ربنا يسوع المسيح ومجيئِهِ
بل قد كنا معاينين عظمتهُ
٢ بط ١: ١٦

مقدمة

بسم الله الهادي الى الصواب

الحمد لله الذي هدانا الى سواء السبيل . وانار عقولنا بنور الوحي وهو لنا اصدق دليل . واقام بيّنات راهنة وادلّة قاطعة على ما انزلهُ في التوراة والانجيل . لتكون سلاحًا نناضل بهِ اعداء الحقّ المرتدّين والماحكين. وترسًا نقي بهِ انفسنا من هجمات الكفرة والملحدين. الذين يرشقون بنبال الشكّ في قلب اليقين. ويحاولون تقويض دعائم الدين المتينة واركان الحق المبين . ويُعمِلون فيها ادوات حججهم ومشاغباتهم السقيمة في كلّ مكانٍ وحين * اما بعدُ فيقول العبد الفقير الى رحمة مولاهُ الغنيّ القس جيمس انس الاميركانيّ لا يخفى ان الديانة اهمّ الامور للبشر ومما يميل الانسان طبعًا الى الوقوف على كنههِ واستجلاء ما خفي منهُ وتحقُّق ما خامرهُ الريب فيهِ ليبني ايمانهُ ورجاءهُ على الحق المحقَّق . وان الديانة المسيحية مؤسَّسة على ما اعلنهُ الله للبشر بواسطة انبيائهِ ورسلهِ الاطهار الذين اصطفاهم وهداهم الى محجّة اليقين وعصمهم من الغلط والضلال بروحهِ القدوس في الانذار والتعليم واوحى اليهم بكتابة تلك الاعلانات الالهية والحوادث الرئيسة من تاريخ شعبهِ المختار واعمال ابنهِ الحبيب وكيفية تاسيس كنيستهِ الطاهرة ولاحظ ما كتبوهُ بعين عنايتهِ الالهية وصانهُ من الغلط والتحريف غير انها قد صارت هدفًا للمفترين ولا سيما في عصرنا الحاضر الذي ثار فيهِ طوائف الكفرة والملحدين وحملوا عليها بسفسطياتهم الفاسدة وحججهم الواهنة بكل جهدهم لاجل ايقاع الريب فيها على انهُ قد أُحبِطَت مساعيهم وآل اجتهادهم الى ظهور فضلها وسطوع نور حقها وصدقها ولذلك بادرت الى جمع ما اوردتهُ في هذا الكتاب من الادلة القاطعة والبينات الراهنة التي اعدّها الله المخبر بالمستقبلات ملتقطًا ذلك من فضلات افاضل العلماء الراسخين وتآليف المناضلين عن الحق والباحثين المدقّقين. وذلك لتسليح المومنين ولا سيما الراغبين في درس كتاب الله الثمين بما يدفعون بهِ الذين يحاولون تفنيد ايمانهم القويم . ولتوطيد ايمان المرتابين واقناع الكفرة والمرتدين والردّ على اشهر اعتراضاتهم التي يطعنون بها كتاب الله وديانتهُ المقدسة وايضاح فساد تلك الاعتراضات وبطلها . وقد سميتهُ بخلاصة الادلّة السنيّة . على صدق اصول الديانة المسيحية. فالتمس من القارىء ان ينظر الى ما اوردتهُ فيهِ بدون محاباة وبدقّق التأمُّل بخلو الغرض في قوة تلك البينات . متوسلاً اليهِ تعالى ان يجعلهُ مفيدًا للجميع وهو حسبي ونعمَ الوكيل

فهرس الكتاب

وهو يتضمن ما فيهِ من المواضيع الرئيسة

الفصل الاول

صفحة

الفصل الثاني

صفحة

الفصل الثالث

صفحة

الفصل الرابع

الفصل الخامس

صفحة

صفحة

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثامن

الفصل التاسع

صفحة

الفصل الاول

الاحتياج الى وحيٍ من الله

اولاً. عدم كفاءة النور الطبيعي للبشر الساقطين

اننا نتعلم من نور العقل والطبيعة ومن شهادة الضمير اموراً كثيرة عن الله ونستخرج ايضاً ادلةً تستحق الاعتبار على وجودهِ تعالى وصفاتهِ الكاملة وذلك ما يُسمَّى غالبًا بالتعاليم الدينية المستمدّة من الطبيعة دون الوحي . وقد اعتقد البعض من الكفرة وغيرهم كفاية ذلك فقالوا ان كتاب الطبيعة مفتوحٌ دائمًا وتعاليمهُ واضحة ووافية ولاحاجة لنا الى اكثر من ذلك . ومرادنا الآن ان نبين اننا لا نزال في احتياجٍ الى نورٍ اكثر وان نور الوحي الالهي ضروري لنا ويجب قبولهُ بالشكر القلبي لله. وذلك بدون احتقار وضوح النور المنبثق لنا من اعمالهِ تعالى وبدون انكار عظم قيمتهِ واعتبارهِ

وليس مرادنا بالحتم بضرورية الوحي ان النور الطبيعي اي المستمدّ من الضمير والعقل وشهادة الطبيعة غير كافٍ لاقتياد النفس الى السماء اذا استُعمِل افضل استعمال ممكن. لانهُ لاريب في كونهِ كافيًا لخليقةٍ طاهرة غير ساقطة اذ تستطيع ان تحصل بهِ على معرفة الله ومحبتهِ وعبادتهِ وتكون مستعدّةً للتمتع بهِ تعالى في زمانها الحاضر وفي الحياة العتيدة وذلك بدون وحيٍ فائق الطبيعة ولعلَّ هذا القول نفسهُ يصدق على خليقةٍ ساقطةٍ خاطئة. لان النفس الساقطة ربما تستطيع باستعمال تعاليم الطبيعة افضل استعمال ان تعرف الله ونواميسهُ الطاهرة وترى خطاياها فتتوب عنها وتلقي نفسها على مجرد الرحمة الالهية مع جهلها التام بكيفية معاملة الله لها بالرحمة . او يكون فيها جوهر الايمان بالمسيح بدون الصورة الخارجيّة اوما يتحوّل ايمانًا بالمسيح حالما تبلغها معرفتهُ فتخلص بهِ . وبالاختصار نقول انهُ يُحتمَل افتراض وجود تقيٍ وثنيٍ مصالح الله بواسطة التوبة ورفض البر الذاتي والاتكال على مجرد الرحمة الالهية حتى يصير مستعدًّا للسماء استعدادًا جوهريًّا . غير ان وجودهُ

فعلاً نظرًا الى رداءة القلب البشريّ وميلهِ الشديد الى الشر بعيد الاحتمال وضعيف الامل

اما امكانية وجود شخص كما تقدَّم في البلاد الوثنية فانما هو على فرض التصرُّف حسب نور الطبيعة وتعاليمها افضل تصرُّف . ولكن نعلم بالتاكيد ان نور الطبيعة قد حُرّف في كل مكانٍ واستُعمل شرَّ استعمال واننا نحتاج الى نورٍ اكثر واقوى ينحدر علينا راسًا من السماء لكي لا نهلك جميعنا الى الابد

ثانيًا . ما نحتاج لاجلهِ الى وحيٍ من الله

١ لتعليمنا ما لا يعلّمنا اياهُ النور الطبيعي من الحقائق المهمة . ومن ذلك كيفيَّة وجود الباري تعالى ثلاثة اقانيم في الهٍ واحد . والطريقة الصحيحة لعبادتهِ . وكيفية دخول الخطية الى العالم . والخلاص منها . والكفارة بموتهِ . وحلول الروح القدس وعملهُ . ونظام الانجيل ومطاليبهُ . وقيامة الاجساد . والدينونة العامة . والثواب والعقاب غير المتناهيين التابعين لها . فجميع هذه الحقائق مهمَّة الى غاية ما يكون ومع ذلك الطبيعة صامتة عنها كلَّ الصمت لا تعلّم شيئًا ضدها ولا عنها . ولا يمكن الوصول الى معرفتها الاَّ بالوحي الالهي كما يتضح ذلك مثلاً من النظر الى قصور النور الطبيعي عن تعليم كيفية مصالحة الخاطئ مع الله بواسطة كفارة المسيح الامر الذي يجهلهُ كل الجهل العقل الذي ليس لهُ سوى نور الطبيعة

٢ لتقرير ما يعلمنا اياهُ النور الطبيعي من الحقائق المهمة . ومن ذلك وجود الله وصفاتهُ الكاملة . ومطاليب شريعتهِ . وغاية الانسان العظمى وسعادتهُ . وخلود النفس . وحالة المثابين والمعاقبين في المستقبل . فان الطبيعة (وهي تشمل هنا الضمير والقوى العقلية في البشر) ليست بصامتةٍ عن هذه المواضيع وغيرها مما هو مقترنٌ بها بل لها صوت يجب ان يُصغَى اليهِ لكن تعاليمها ملتبسة غير يقينيَّة بعيدة عن الوضوح غير وافيةٍ ولا جازمةٍ . ولذلك ليس لها الاَّ قليل من القوة والتاثير والافادة حتى ان احكم الفلاسفة كان في ريب من جهتها ولم يُقَد بها في سلوكهِ . فان سقراط عند موتهِ قال لاصحابهِ ارجو اني منطلق الى اناسٍ صالحين ولكني لست اريد ان آخذ على نفسي تثبيت هذا الامر . وشيشرون لما تكلم عن الآراء المختلفة من جهة طبيعة النفس ودوامها قال الله وحدهُ يعلم الصحيح منها واما ايها الارجح فسوال عظيم . وكذلك قال حينما اقرا الحجج على خلود النفس اظن انني مقتنع ولكن حالما اترك الكتاب وابتدي بالافتكار بالامر في ذاتي يتلاشى اقتناعي . وهذا ما جعل سنيكا يقول ان الخلود شيءٌ مشتهى جدًّا ولكنهُ موعود بهِ اكثر مما هو مثبت . والحق في هذا ان اوضح تعاليم

الطبيعة عن الديانة (نظير وجوده تعالى وصفاته الكاملة . وخلود النفس . والثواب والعقاب في المستقبل) تحتاج الى ان تُعلَّم ثانيةً وتُثبَّت وان نتحقق ونتايد بوحي من السماء

٣ لحثنا على تتميم الواجبات المطلوبة منا . فان الذين النور الطبيعي ضعيف فيهم وليس لهم سواهُ يعرفون على الغالب اكثر كثيرًا مما يعملونهُ وسيُعاقبون في المستقبل ليس على عدم النور بل على سوء استعمالهِ لانهم يخطئون ضد النور الذي عندهم ويخالفون شريعة الله المكتوبة على قلوبهم ويتعدون على اقتناعهم بواجباتهم . وبالاختصار ما تنتجهُ التعاليم الطبيعية الدينية من الحاسيات وان يكن كافيًا حتى لا يبقى للوثني عذر قد وُجِد من جهة العمل ضعيفًا فيحتاجون الى حاسيات اعظم تاثيرًا والى قوة الانجيل التي تضعف تسلط الخطية حتى تصير تلك القوة بالبركة الالهية واسطة خلاصهم

ثالثًا . الادلة على صحة الاسباب الموردة آنفًا لاحتياجنا الى وحي من الله

١ اديان الوثنيين . فان تلك الاديان هي مجموع اكاذيب وخرافات ومفاسد . ولا يلزم لاثبات هذا القول غير الاشارة الى صفات الهتهم وطبيعة عبادتهم والقساوة والادناس المصنوعة بينهم في كل مكان الموافقة جميعها لتعاليمهم الدينية . ولا يخفى ان الوثنيين القدماء اقاموا هياكل ومذابح لجميع الاهواء والامراض والمخاوف والشرور المتسلطة على الجنس البشري . وكانت طقوسهم موافقة لطبيعة الهتهم . فبعض اولئك الآلهة كانوا يوصفون بانهم دمويون منتقمون وبعضهم اصحاب غيرة وسخط وغش وكلهم سفهاء ذوو دعارة وعهارة وكثيرون منهم فائقون في الرداءة ولذلك كانت عبادتهم اضحوكة وفسقًا وقساوة . وفي كثيرٍ من هياكل الوثنيين القديمة اماكن مخصصة للزواني فكانت ينبوعًا غزيرًا لمدخولهم . وكانت تُرتكَب فيها نجاسات وقساوات كثيرة تشمئز منها الطبيعة البشرية

وليست اديان الوثنيين في ايامنا افضل من اديان الوثنيين القدماء البتة . ففي اسيا وافريقيا وبراري اميركا وجزائر البحر تُعبَد ادنى الآلهة على جميع طرائق الفحش والقساوة

٢ فلسفة الوثنيين . وهي ليست افضل ولا انفع من ديانتهم وكلها لا قوة فيها لترقية صالحهم الروحي او الادبي . فالفلسفة الابيكورية بجعلها اللذات الحيوانية اعظم غاية لم تسمح فقط بجميع انواع الادناس بل كانت تغري بارتكابها . وفلسفة الرواقيين التي تعلّم بالقدر الاعمى لا تُعَدُّ افضل من الاولى الّا بقليل . واما البيرونيون فكانوا كافرين بكل شيء ينكرون نفس وجود الحق سبحانهُ . وافلاطون

مدح المشاركة في النساء والاولاد وقال بجواز قتل الاولاد المعوهين والناقصين . وارستيپوس قال انهُ يجوز للانسان الحكيم ان يسرق ويزني ويدنّس ما هو مقدس كلما سمحت لهُ الفرصة لانهُ لاشيء من هذه الاعمال قبيح في نفسهِ بل انما يحسبها هكذا الجهال العاميون . وسنيكا اجاز قتل الانسان نفسهُ بقولهِ اذا كانت نفسك في حزنٍ او شقاء فتستطيع حالاً ان تخلص من تلك الحال فحيثما تلتفت ترَ نهايةً لذلك . هل ترى ذلك المهوار فمن هناك تستطيع ان تحصل على حرية . هل ترى ذلك البحر او النهر او البئر فالعتق في قعرها . هل ترى تلك الشجرة الصغيرة فتحرُّرك متعلقٌ عليها . فعنقك وحنجرتك طرق انقاذ لك من عبودية كهذه وهكذا كل وريد في جسدك . غير انهُ كما نعلم لم تكن كل تعاليم القدماء على هذه الصفة المذكورة ولكن افضل آرائهم كانت تحت الريب ومتناقضة لا قوة فيها البتة على تاثيرٍ صالح فيهم ولا في تلاميذهم . وقد علَّموا تعاليمهم سرًّا او لقليلين اختاروهم ولم يطمعوا بانها تفيد الشعب عموماً . ولم يتعبوا انفسهم من جهتهِ اذ اعتبروهُ تكملة عدد ارفع من البهائم بقليل . وبالاختصار نقول ان احكم فلاسفة الوثنيين تاسف على حالتهم في الاحتياج الى نور وَيئِس من ان يرى العالم مصلحًا ما لم يُنعَم عليهِ بعلمٍ من السماء

٣ آداب الوثنيين . وهي كانت كما هي الآن في حالٍ يُرثَى لها ويتضح ذلك مما قلناهُ سابقًا . فكيف لا يكونون في حالٍ دنية فاسدة وتلك هي اديانهم وعوائدهم وشرائعهم واولئك هم معلموهم . وكيف يُرجَى ان يكون شعب افضل من آلهتهِ . واذ ذاك فلا بد من ان الوثنيين كانوا في نقصٍ كلي في سجاياهم

غير ان العالم مملوء من الادلة على حالة آداب الوثنيين في الازمنة القديمة . فكلُّ وصيةٍ من الوصايا العشر وكل مبدا ادبي صحيح تدنس منهم جهارًا بلا حياء . وغلبت بينهم الشراهة وعدم النزاهة على اقبح حال والنجاسة والسرقة والكذب وقتل الاطفال وقتل النفس وسفك الدم والاسترقاق واكل لحوم البشر وكل نوع من الرداءة . ولم يكن لاحد فرصة ان يعرف صفات الوثنيين القدماء احسن مما كانت لبولس الرسول . ووصف حالتهم المذكور في الاصحاح الاول من الرسالة الى اهل رومية ينطبق تمامًا على حالة الوثنيين الآن وهو قولهُ مملوئين من كل اثمٍ وزنًا وشرٍّ وطمعٍ وخبثٍ مشحونين حسدًا وقتلاً وخصامًا ومكرًا وسوءًا نمامين مفترين مبغضين لله ثالبين متعظمين مدَّعين مبتدعين شرورًا غير طائعين للوالدين بلا فهم ولا عهد ولا حنو ولا رضًى ولا رحمةٍ . فهل يلزم شرحٌ اكثر لبيان كون مثل اولئك يحتاجون الى تعليم فوق تعاليم الطبيعة لاصلاحهم وخلاصهم

٤ سجايا الكفرة . انهُ لا يلزمنا ان نذهب الى الوثنيين لنبين عدم كفاءة نور الطبيعة لان سجايا كفرة الاعصار المتاخرة تبرهن ما قلناهُ . فان الكفر قد ظهر على كيفيةٍ جديدة وشديدة في بلاد

الانكليز في القرن السابع عشر ومن هناك امتد الى فرنسا وجرمانيا واقسام اخر من العالم المسيحي . وماذا كانت سجايا اكثر اولئك الكفرة المشهورين . انهم بالاختصار كانوا دنسين ادنياء لعنة للهيئة الاجتماعية وبكتاباتهم وسيرتهم سجسوا العالم برداءتهم . وسجايا كفرة فرنسا في وقت الانقلاب كانت دنية بهيمية فوق الوصف . فنبذوا جهارًا عنهم الله والمسيح واجلسوا على العرش الاهة العقل بشخص زانية نجسة وتدرجوا بذلك حتى جعلوا بلادهم باسرها بيوت زوانٍ ومحل سفك الدم . وكذلك كون باريس القبيح في الحرب الاخيرة التي جرت بين فرنسا وجرمانيا ١٨٧٠ م يظهر لنا حالة الكفر ويرينا ميل الطبيعة البشرية حينما تنبذ عنها الله وكتابهُ

ثم لا يجوز ان ننسى في هذا المقام ان الوثنيين القدماء والكفرة الحدثاء لم يكونوا خالين بالكلية من بركة نور الوحي لان افضل كتابات الفلاسفة القدماء تلتحق بنبع غير بشري وهو معرفتهم اما بالاسفار المقدسة التي كانت عند اليهود راسًا او بمبادئها وتعاليمها وان كانت تلك المعرفة جزئية او بالوحي الاصلي المعطى للانسان المتصل اليهم بالتقليد والنقل . وكذلك افضل الكفرة الحديثين لولا تاثيرات المعاشرة المسيحية والتهذيب الديني لاختلفوا كثيرًا عما هم عليهِ الآن ومولفاتهم لولا تعاليم الكتاب المقدس وتاثيراتهُ الصالحة فيهم لكانت مغايرة كثيرًا لما هي عليهِ

رابعًا . الرد على الاعتراض على حصر الوحي في قسمٍ صغيرٍ من جنسنا

ولقائل اذا كان الوحي من السماء ضروريًّا للانسان بهذا المقدار فلماذا كان محصورًا في قسم صغير من جنسنا ولم يزل كذلك . ولِمَ لم يُعطَ لجميع البشر فنجيب

١ ان الله اعطى جميع البشر نورًا اكثر مما قبلوا . فدينونة الوثني هي ليست لعدم حصولهِ على نور بل لانهُ استعمل ما أُعطيهُ من ذلك استعمالاً غير جائز . لان ما اعطاهُ الله من النور لجميع البشر هو كافٍ بالبركة الالهية لاقتيادهم الى السماء اذا استعملوهُ على احسن سبيل

٢ لم يكن ملزومًا من قبل العدل ان يعطيهم من النور اكثر مما اعطاهم . نعم يستطيع ان يوحي اليهم بامورٍ بمقتضى رحمتهِ اذا شاء ولكن ان لم يكن ذلك مسرتهُ جاز لهُ ان يترك الخلائق الضالة في حالتهم التي اختاروها وذلك بدون تعييب صفاتهِ تعالى

٣ يحق لهُ ان يوحي بامورٍ الى قوم دون غيرهم . فاذا شاء ان يوحي بامورٍ الى جزءٍ من البشر ليس للآخرين سبب للتشكي لان لهم من النور اكثر مما استعملوهُ وهو كافٍ ليقتادهم الى السماء لو

احسنوا طريقة استعمالهِ . وايضاً الذين ليس لهم نور الوحي لاتبنى دينونتهم على رفض ذلك النور بل على رفضهم نور الطبيعة . وهذه الاجوبة ولئن كانت كافية في نفسها لدحض ما تقدم من الاعتراض فليست كل ما نتكل عليهِ خصوصاً ولذلك نقول ايضاً

٤ انهُ في البدء اظهر نفسهُ لجميع البشر على حدٍّ سوى . فالاعلانات التي اعطيت لوالدينا الاولين والذريتهما من بعدهما كانت عطايا عامة لانها مُنِحت للجنس البشريّ وقُصِد بها خيرهُ . ثم عند تعمير العالم ثانيةً بواسطة نوح عاد الله فاظهر نفسهُ للجميع سواءً ليس لذرية سام فقط بل لذريتي حام ويافث ايضاً ولذلك لايكون السوال لماذا لم يمنح الله وحياً لجميع البشر بل لماذا أُحتقِر الوحي وفُقِد الى كل هذا المقدار . لانهُ قد أُعطي اصلاً للجميع ولكن قسماً كبيراً من جنسنا الساقط لم يريدوا ان يبقوا الله في معرفتهم ففقدوهُ وغرقوا في جهل الوثنية وظلمتها

ما اعظم الاتعاب التي تُكبِّدت (اذا لاق هذا القول) لنشر المعرفة المهمة بين القبائل المحيطة بعائلة ابرهيم بعد ما فقدت معرفة الاله الحقيقي . فلهذا دُعي ابرهيم الى كنعان وأُنزل الاسرائيليون الى مصر وأُرسل يونان الى نينوى واليهود الى بابل . ولذلك ايضاً أُعطِيت نبوات وأُكملت وصُنِعت عجائب وأُجرِيَت احكام الهية وكما قال الكتاب لكي تعلم جميع شعوب الارض يدَ الرب انها قوية لكي تخافوا الرب الهكم كل الايام يش ٤:٢٤ . وكذلك الرب يسوع منذ نحو الفي سنة اوصى تلاميذهُ وصيةً جوهرية بقولهِ لهم اذهبوا الى العالم اجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها مر ١٦:١٥ .

فنتج مما تقدم ان الرب بري كل البراءة من اللوم على عدم بث الوحي اكثر مما فعل

ونختم الكلام في هذا الفصل بملاحظة اخرى وهي بما اننا راينا شدَّة احتياجنا الى وحي من الله يجب ان ننظر بقبول وشكر الى ما في الكتاب المقدس من ادلة الوحي والى البراهين الكافية على اصلهِ الالهي . وهذه الملاحظة لاتقودنا الى قبول الكتاب المقدس بدون فحص بل الى ان ننظر الى ادلتهِ بقبول ونفحصها باجتهاد واستقامة .

ومتى ظهر لنا صدقها وكفايتها نقبلها بكل
شكر وننظر اليها بجدٍّ واصغاء
كما الى سراج منير في
موضع مظلم .

الفصل الثاني

قانونية الكتاب المقدس

اولاً. لزوم الوقوف الصحيح على قانونية الاسفار المقدسة الحقيقية

ان الكتاب المقدس يتضمن اسفارًا عديدة قائمة بنفسها اشتهرت في قرون كثيرة تنيف على الف وخمس مئة سنة. وكان كلٌ منها كتابًا مجلدًا قائمًا بذاتهِ عند اشتهارهِ اولاً او اقل ما يكون كانت اسفار كل كاتبٍ ممتازة عما عداها يوم اشتهرت. ولو بقيت جميع الاسفار منفصلة بعضها عن بعض وتسلمناها بهذه الصورة اي غير مجموعة في مجلدٍ واحدٍ لما ضعف سلطانها من هذه الحيثية ولا نقصت فائدتها. فجمعها في مجلدٍ انما كان لمجرد الخفة او الموافقة واذا اراد البعض الآن ان يجلدوا كلاً منها بنفسهِ فلا يصح ان يُشكَى عليهم باحتقار كلام الله

ومن ذلك يظهر اننا نحتاج الى ادلةٍ عمومية على ان الكتاب المقدس يتضمن وحيًا من عند الله والى ادلةٍ خصوصية على ان لكلٍ من اسفارهِ المجموعة الآن معًا حقًا في كونهِ بين الاسفار المقدسة اي انهُ يتضمن بالحقيقة جزءًا من الوحي الذي انزلهُ الله

ولهذا اذا استطاع احدٌ ان يبرهن على ان سفرًا من الاسفار الموجودة الآن في الكتاب المقدس ليس بصحيح النسبة (وذلك من المستحيل) فالنتيجة انما تتعلق بذلك السفر وحدهُ. فلا نضيع قيمة جميع الكتاب ولو تبيّن ان نصف الاسفار التي يتضمنها فاسدة النسبة. فعلى الاخصام ان يعملوا اكثر مما يتوهمونهُ اذا ارادوا تكذيب كتاب الله. فلا يكفي ان يبرهنوا كذب هذا السفر او ذاك بل ينبغي ان يبرهنوا ان كلاً من هذه الاسفار خالٍ من البينة على انهُ كُتِب بالهامٍ من الله

والامر واضح من الطرف الآخر انهُ يجب على المؤمن بالوحي الالهي ان يحامي عن كل جزءٍ قائمٍ بنفسهِ من هذا الكتاب. او يرفض منهُ الجزء الذي لا بينة لهُ على كونهِ من عند الله. ومن اللازم ان يكون قادرًا على تقديم سببٍ كافٍ لقبولهِ كل سفرٍ على الخصوص بين الاسفار المُلهَم بها

نعم ان قدمية هذا المجموع تستحق الاعتبار الكلي ونقلهُ الينا من قرونٍ بعيدة متتابعة تحت اسم الكتاب المقدس مما يحملنا على قبول ما كان معتبرًا بهذا المقدار لقدميتهِ ويسهلهُ علينا ولكن

لا يُستدَلُّ من ذلك الاَّ التخمين على صحة كل سفرٍ منهُ .ولذلك لا يكون الفحص عن هذا الموضوع من باب الفضول او الشك

ولا يُستبعَد الظن في ان كتبًا لم تكتب بالهامٍ من الله قد تدخل عرضا او غلطًا بين الاسفار المقدسة . ولنا شاهد صريح على هذا الامر نفسهِ في الكتب المقدسة المكتوبة باللغة اليونانية واللغة اللاتينية المستعملة الآن والمقبولة عند كثيرين ممَّن يُدعَون مسيحيين على انها من عند الله. فهذه الكتب المكتوبة باللغتين المذكورتين تتضمن ما عدا الاسفار التي لها بينات على الوحي بها كتبًا اخرى ليس لها براهين شافية تثبت دعواها بالالهام . واذ ذاك لا يكون هذا البحث مما لا طائل تحتهُ وانما هو مما يتعلق بالسيرة البشرية وبضمير كل من يستطيع ان يفحص عنهُ. فاننا نتفق بالاجمال على ان الكتاب المقدس هو كلمة الله وقانون تجب الطاعة لهُ . فتكون المسئَلة العظمى ما هي اسفار الكتاب المقدس او باي اسفار يقوم هذا الكتاب العظيم .ولا يصح ان نقبلهُ كما وصل الينا من غير فحصٍ لانهُ قد جاءنا بصور مختلفة . فالكتاب المقدس اللاتيني المسمَّى بالفلكاتا اي العام وترجمة العهد القديم اليونانية (المعروفة بالسبعينية) فيهما اسفار لا توجد في النسخة الاصلية العبرانية . فالحكم على اي هذه النسخ يتضمن جميع الاسفار الملهمة المنزلة لليهود يحتاج الى نظرٍ وفحص دقيق. ومن ثمَّ لا تكون مسئَلة التحقيق هذه اختيارية وانما هي واجبة على كل من يراعي ضميرهُ . فكما انهُ لا يسوغ لاحد ان يرفض جملة واحدة من الكتاب المقدس بالاحرى لا يجوز ان يرفض سفرًا كاملاً . وكذلك لا يجوز لاحد ان يزيد شيئًا على كلام الله وبالضرورة لا يجوز لاحد ان يقبل ما اضافهُ البشر من غير سلطان الى الكتاب المقدس على انهُ من الله . ولذلك كل انسان بحسب سعتهِ وقدرتهِ ملزوم ادبيًّا ان يبذل جهدهُ لكي يتحقق الاسفار التي تختص بالكتاب المقدس حقيقةً والتي لها حق في ذلك. فالغلط في طرفٍ من الطرفين امرٌ خَطِر لاننا من الطرف الواحد اذا رفضنا جزءًا من الوحي الالهي نحتقر الله ونخسر الفائدة من ذلك الجزء ومن الطرف الآخر نذنب ذنبًا عظيمًا على الله . وقد يصيبنا ضرر بليغ من اضافة ما كان مزورًا الى الكتاب المقدس لاننا بذلك نفسد ونسم ينبوع الحياة ونخضع ضمائرنا الى سلطان البشر القابل الخطاء والفساد ولذلك تكون فائدة هذا البحث وكذلك لزومهُ ظاهرة لكل متامل

وقد ظن البعض ان هذا الامر مرسَّخ على اوطد الاركان من الزمان القديم فلا حاجة الى تحريك مسائل تميل الى وضع الشكوك والريب في عقول عامة المسيحيين عوضًا عن اثبات ايمانهم فجوابًا للجزء الاول من هذا الاعتراض نقول

اننا نسلم بان هذا الموضوع قد احتمل البحث الدقيق من الزمان القديم وفي اكثر الادوار

الى هذا الزمان والمقصود الآن هو ان نبسط امام الطالب الارشاد الذي لا تصل يدهُ الى المطولات خلاصة تلك الابحاث والبراهين التي يجب ان يعرفها كل مسيحي غير قاصد بن الاتيان بشيء جديد بل ان نجمع بالاختصار ما كتبهُ اهل الفضل والتحقيق في هذا الامر العظيم . واما القول بان من شان البحث القاء الشك والريب فهو غير لائق بالمسيحيين الذين يدعون بان ديانتهم مبنية على اقوى البراهين والذين قد أُمروا بان يعطوا لكل انسان جوابًا عن الرجاء الذي فيهم . فالايمان الذي يضعف من البحث انما هو وهم لا ايمان حقيقي والعقيدة التي يضعفها العلم تركها اولى . والذين يتسلمون اعظم عقائد ديانتهم من السلطان البشري معرضون دائمًا الى السقوط في الشك والطريقة الوحيدة لدفع هذا الشر انما هو الحفر العميق ووضع الاساس على الصخر . ولو كان هذا الاعتراض صحيحًا لنفى وجوب اثبات ديانتنا بالبراهين والتعرض لروح البحث عن كل امر ضروري . نعم ان التاثير الاول الذي يحصل من البحث العميق قد يكون ضعف الثقة غير المبنية على الحجة الراهنة والبرهان الصريح وانما العاقبة المفيدة هي احالة الاقتناع الذي لا اساس لهُ الاّ الوهم ايمانًا راسخًا على ركن البينة الوطيد

ثم ان لفظة قانون مشتقة من كلمة يونانية معناها قاعدة وقد أُستعملت في اماكن كثيرة من العهد الجديد منها غلاطية ٦: ١٦ وفيلبي ٣: ١٦ . ومن حيث ان الاسفار الملهمة هي القاعدة الملازمة بالطاعة في ارشاد عملنا فسماها الاباء الاولون بهذا الاسم فسميت جميع الاسفار الملهم بها قانونية وقد جرى عليها هذا الاسم من ذلك الوقت . وعلى ذلك ايريناوس سمى الاسفار المقدسة قانون الحق . واكليمنضوس الاسكندري سماها القانون الانجيلي الحقيقي واوسابيوس دعاها القانون الكنائسي واثناسيوس يذكر ثلثة انواع من الاسفار ما كان قانونيًا وما جاز قراءتهُ والابوكريفا . ورسم مجمع اللاذقية ان لا يقرا في الكنيسة الاّ الاسفار القانونية اي اسفار العهد القديم والعهد الجديد . وبمثل ذلك سمى بقية الاباء والمجامع الاسفار الموحى بها

وفي هذا الموضوع نبحث ان شاء الله عن حق كل سفر يقبلهُ الآن اليهود والمسيحيون سواء كانوا بروتستانت او رومًا او باباويين بالقانونية ولا حاجة الى اطالة الشرح في ما اتفق عليهِ جميع الذين يقبلون الاسفار المقدسة . اما ما وقع عليهِ الخلاف فيجب فيهِ التفصيل

ثانيًا . الاعتناء الذي حفظت بهِ اسفار العهد القديم

لا ريب ان السفر المكتتب بالهام الهي يحُفظ باعتناء عند كل نبي . وقد جاءنا صريح القول

بانهُ لما انتهى موسى من كتابة الشريعة اوصى اللاويين الذين كانوا يحملون تابوت عهد الرب قائلاً خذوا هذا الكتاب واجعلوهُ في جانب تابوت ميثاق الرب الهكم فتكون شهادة عليك ثمَّ (تث ٣١: ٢٥ و٢٦)

فوُضِعت اسفار موسى الخمسة في ذلك المكان المقدس وديعة مقدسة . والظاهر انها رُفعت من مكانها مرةً ووقعت في خطر لما غلبت عبادة الاصنام في ملك منسا وامون وانقطعت عبادة الله الحقيقية بين الاسرائيليين . وفي تلك المدة المظلمة طرِحت بين الرثث حيث وُجدت في ملك يوسيا الصالح . ولكن لما كانت نسخة موسى الاصلية موضوعة بجانب التابوت فلا بدَّ من وجود نسخ صحيحة بين ايدي الناس . وقد اخبرنا يوسيفوس المؤرخ اليهودي بانهُ أُعطي لكل سبط نسخة بامر موسى . ومن حيث انها تضمنت طريقة عبادة الله العمومية التي كانت طقوسها كثيرة جدًّا وتراتيبها دقيقة لا بد من وجود نسخ منهُ عند الكهنة واللاويين يستطيعون بها ان يعرفوا المطلوب منهم . واحتوت كل تلك الاسفار شريعة البلاد ايضًا وواجبات الملوك والمتسلطين . والملك امر صريحًا بانهُ لما يقوم ملك يكتب لنفسهِ نسخة تلك السنة في كتاب وياخذ نسختهُ من عند احبار سبط لاوي (تث ١٧: ١٨)

والامر مستحيل ان تبقى نسخة موسى الاصلية في الوجود الى الآن ولا نعلم ماذا كان من امرها . والمرجح انها فقدت مع التابوت لما خرب بختنصر الهيكل . وربما ذلك سبب حديث كان جاريًا بين اليهود على ان الكتب المقدسة فقدت بالكلية لما خرب الكلدانيون الهيكل ثم أُنزلت على عزرا بوحي الهي . فيحتمل ان النسخ الاصلية فقدت وان عزرا الكاتب الذي كان نبيًّا جمع النسخ المتفرقة من الكتب المقدسة واصلح غلطها وبذلك عادت الى منزلتها الاصلية . ولاجل هذا العمل العظيم ينسب اليهود ترتيب قانون العهد القديم الى عزرا ويشركون معهُ في المساعدة حسب تقليدهم رجال المجمع العظيم الذين كان بعضهم انبياء وبمساعدتهم تجددت الاسفار واشتهرت نسخة بين الناس . ولا ريب انهُ لم يشغل وقت انبياء الله وعقولهم عمل افضل من هذا . ولذلك يصح الظن بان كل الذين كانت لهم الاوصاف اللازمة للمساعدة في هذا العمل كانوا حاضرين لمساعدة عزرا في تصحيح الاسفار المقدسة وتهيئتها لاستعمال الجمهور

ثم انهُ لم تُفقَد جميع نسخ الشريعة لان دانيال اذ كان اسيرًا في بابل مع بني اسرائيل كانت عندهُ نبوات ارميا وعزرا نفسهُ كان كاتبًا في الشريعة . وفي الاصحاح السادس من سفر عزرا نقرا ان وظائف الكهنة ترتبت بعد كمال الهيكل الثاني بحسبما كُتب في كتاب موسى . وكان ذلك قبل مجيء عزرا الى القدس بسنين كثيرة . وقيل في الاصحاح الثامن من سفر نحميا ان عزرا اخرج

الشريعة امام الشعب وقرأ فيها من الصباح الى نصف النهار

واما سائر الاسفار فلم يُقل عنها الاّ قليل واضيف سفر يشوع وسفر القضاة الى خمس كتب موسى ومن المعلوم وُضعا معها بجانب التابوت . وكلما كتب نبي او من أُلهم بروح الله كتاباً لاستعمال الجمهور اضيف الى كتاب الشريعة وحُفِظ معها

ومن كثرة ذكر الحوادث المسجلة في اسفار موسى عند الذين كتبوا بعدهُ يتضح ان اسفار موسى كانت تقرا وتذكر بالتدقيق وعلى الخصوص عند الصالحين الذين كتبوا المزامير . وهذه المعرفة كانت موجودة ايضاً عند اكثر الذين لم يلهموا كما يتضح من جواب يفتاح الى ملك الاموريين الذي تكرر فيهِ التاريخ المدون في الشريعة بالكمال والضبط . واسفار الانبياء ايضاً مشحونة اشارات الى ما ذكر في شريعة موسى

واما المواد التي كتبت عليها الاسفار المقدسة ونوع الاحرف التي كتبت بها وتجليدها في مجلد واحد او في مجلدات وحفظها في الرق كما توجد في كنائس اليهود الآن او في هيئة الكتب الجارية في هذه الايام فمسائل تستحق نظر المحقق وانما لامدخل لها في ما نحن في صددهِ الآن

ولكن اعظم ما يقال في هذا الشان هو ان الرب يسوع المسيح ورسلهُ الملهمين قد شهدوا للاهام الاسفار المقدسة التي كانت بين ايديهم في تلك الايام وقرئت في مجامع اليهود . والمسيح لام الكتبة والفريسيين والناموسيين بجدة على تغافلهم عن اطاعتها وعلى تحريفهم اياها بشروحهم وعلى تبطيل شريعة الله بتقاليدهم الباطلة . ولكنهُ لم يقل ابداً انهم افسدوا النسخ المكتوبة بل بالعكس يشير الى الاسفار المقدسة التي كانت حينئذٍ بين اليهود بانها قانونٌ لا يقبل الغلط . ومن ذلك قولهُ فتشوا الكتب لانكم تظنون ان لكم فيها حيوة ابدية وهي التي تشهد لي يو ٥: ٣٩ . وايضاً قولهُ ضللتم اذ لا تعرفون الكتب مت ٢٢: ٢٩ . وثبت تعاليمهُ من الكتب المقدسة التي لا يمكن ان تُنقَض يو ١٠: ٣٥ وكثيراً ما قيل ان هذا الامر او ذاك حدث لكي تتم الكتب مر ١٤: ٤٩ . نعم والمسيح نفسهُ قال لا بد ان تتم مت ٢٦: ٥٤ وقال بولس كل الكتاب هو موحًى بهِ من الله ٢ تي ٣: ١٦ وقد دعاها هذا الرسول اقوال الله رو ٣: ٢ (راجع الكلمة اليونانية) وكلمة الله رو ٩: ٦ و ١٠: ١٧ واف ٦: ١٧ وكو ١: ٢٥ . وقال الرسول بطرس لانهُ لم تاتِ نبوة قط بمشيئة انسان بل تكلم اناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس رسالتهُ الثانية ١: ٢١ ويعقوب قال فاقبلوا بوداعة الكلمة المغروسة القادرة ان تخلّص نفوسكم ١: ٢١

ومما تقدم يظهر ان لنا اقوى البينات على ان الاسفار المقدسة الموجودة لما كان المسيح على الارض كانت كاملة صحيحة وقانوناً معصوماً من الغلط . ويظهر ايضاً ان الناس ضلوا لعدم معرفتهم

بها اي فهمهم اياها . واما كيفية انضمام هذه الاسفار في مجلد واحد اولاً فامرٌ لا طائل تحتهُ . وقد سمى الرب يسوع اسفار العهد القديم مرةً موسى والانبياء لو ١٦: ٢٩ و٣١ . والظاهر انها كانت منقسمة الى ثلثة اقسام سماها المخلص الناموس والانبياء والمزامير لو ٢٤: ٤٤ وهذا يطابق بالتمام تقسيمها القديم عند اليهود الى الناموس والانبياء والهاجيوكرافيا التي ذكرها يوسيفوس . اما وجودها في ثلثة مجلدات او مجلد واحد فامرٌ لا طائل تحتهُ كما انهُ لا فرق الآن بين جمع الاسفار القانونية ان كانت في مجلد او اثنين

ثالثًا . الاسفار القانونية

فلم يبقَ علينا الاَّ معرفة ماهية الاسفار التي كانت جارية في ذلك الزمان باسم الكتب المقدسة . واذا استطعنا ان نقف على حقيقة هذا الامر على طريق شافية يكمل البرهان على صحة قانون العهد القديم

واذ نقرر ذلك نقول اولاً انهُ قد اقتبس صريحًا في العهد الجديد من اهم اسفار العهد القديم . وقد سبق الكلام في ان الرب يسوع ذكر الناموس والانبياء والمزامير وكثيرون من الانبياء مذكورون باسمائهم واوردت شواهد من غيرهم . ولكن اذ كان هذا البرهان لا يثبت الاَّ قانونية الاسفار المذكورة والمقتبسة في العهد الجديد وفي العهد القديم اسفار عديدة لم تذكر في العهد الجديد ولم يُنقَل عنها فنحتاج في امر هذه الى بينة اخرى

البرهان الثاني ماخوذ من نسخ الكتاب المقدس العبرانية الموجودة بين ايدي اليهود . فان لم يكن القانون الذي عندنا مثل الذي كان جاريًا في زمان المسيح فلا بد ان يكون النصارى المفسدين اما باضافة بعض الاسفار او بنزع البعض . ولو صار ذلك لانكشفت حالاً الخديعة بمقابلة كتبنا بكتب اليهود اذ يستحيل ان يتحد اليهود مع النصارى على تحريف كتابهم او افسادهِ . فالعداوة التي انتشبت بين اليهود والنصارى منذ البدء منعت كلا الفريقين من افساد الاسفار المقدسة فلو اراد اليهود تحريف الكتاب لامتنعوا خوفًا من النصارى وبالعكس . ولذلك لا نحتاج في الوقوف على المسئلة الاَّ الى مقابلة كتبنا بالكتب العبرانية الموجودة بين ايدي اليهود . ونتيجة هذه المقابلة انما هي وجود المطابقة التامة من هذا القبيل بين اليهود والبروتستانتيين من النصارى فلا ندَّعي بقانونية سفرٍ لا يقرون بالهامهِ . وهم لا يشتكون علينا بافساد الكتاب برفع شيءٍ من اسفارهِ ولا فصولهِ

ثم ان يوسيفوس المورخ اليهودي الذي كان معاصرًا لبولس الرسول وكان كاهنًا مشهورًا بالعلم قد خلف لنا شهادة في كتبهِ شافية عند كل خالي الغرض فيقول عندنا اثنان وعشرون سفرًا يجب ان نعتقد بكونها من عند الله منها خمسة اسفار لموسى . ومن موت موسى الى ملك ارتزركسيس ملك فارس كتب الانبياء خلفاء موسى ثلثة عشر كتابًا والكتب الاربعة الباقية تتضمن تسابيح لله وتعاليم لسيرة البشر انتهى . وهذه الشهادة قد قبلت عند جمهور المدققين ككافية على ان قانون اليهود في زمان المخلص يطابق قانوننا مطابقة تامة

وعند النظر الاول يظهر بان عندنا اكثر من اثنين وعشرين سفرًا في العهد القديم فيبطل الاعتراض بعلمنا ان اليهود يحسبون نبوات اثني عشر نبيًّا سفرًا واحدًا ويحسبون سفر راعوث ملحقًا بسفر القضاة وسفر مراثي ارميا ملحقًا بنبواتهِ . وعلى ذلك يصير العدد اثنين وعشرين بالتمام

وفضلاً عن ذلك لنا شهادة كتّاب من المسيحيين الاولين . منهم مليتو اسقف ساردس وكان في القرن الثاني فسافر الى اليهودية ليفحص عن هذا الامر ومع ان كتابة قد فقد حفظ اوسابيوس قائمتهُ لاسفار العهد القديم . فمنها يظهر بان القانون المقدس كان يتضمن في ذلك الزمان الاسفار نفسها التي يتضمنها الآن

ولنا ايضًا شهادة اوريجانوس الذي صرف كثيرًا من حياتهِ بقرب من اليهودية وكان عالمًا محققًا باللغة العبرانية وقد ترك في كتبهِ قائمة اسفار العهد القديم وهي تطابق بالتمام القانون الذي بين ايدينا غير انهُ لم يذكر الانبياء الصغار الاثني عشر ولكنهُ يعدها في غير تلك القايمة جزءًا من الكتاب المقدس

وما عدا القوايم الواصلة الينا من آباء اخرين كثيرين لنا شهادة مجمع اللاذقية ومجمع قرطاجنة اللذين رتبا قوائم اسفار العهد القديم وهي تتفق اتفاقًا تامًّا مع القانون المقبول في هذه الايام

واذا احتجنا الى برهان اخر نجدهُ في توراة السمرة نظرًا الى اسفار موسى وفي الترجمة السبعينية التي تتضمن جميع الاسفار الموجودة الآن في العهد القديم في التوراة العبرانية . وتلك الترجمة كانت قبل ميلاد المسيح بثلاث مئة سنة تقريبًا واستعملها الجميع وكانت مشهورة لديهم في ارض اليهودية ايضًا . ولاريب ان تلك الترجمة الواصلة الينا كما هي الآن تتضمن جميع الاسفار الموجودة الآن في القانون مع اسفار الابوكريفا . ولذلك مع ان فيها برهانًا تامًّا على انهُ لم يزد شيء لا يمكننا ان نتخذ منها برهانًا على انهُ لم يُحذَف شيء . اما البحث عن اسفار الابوكريفا المضمومة الى القانون فياتي في محلهِ

ولنا برهان اخر لقانون العهد القديم ماخوذ من الترجمات القديمة التي كانت بعد ابتداء التاريخ المسيحي بمدة قصيرة وعلى الخصوص الترجمة السريانية والترجمة اللاتينية العمومية ومن اقتباسات

المسيحيين الاولين ومن النسخ التي تحتوي فحوى جميع كتب العهد القديم في الكلدانية . ويوجد ايضًا دليل واضح لذلك من التلمود المتضمن شريعة اليهود التقليدية ولكن بما ان ما قلناهُ يكفي لاثبات المراد فلا حاجة الى تكثير البراهين في قضية واضحة كهذه

واذ قد بينا بان قانون العهد القديم الموجود بين ايدينا الان هو القانون الذي كان في زمان المخلص واستصوبهُ غاية ما يكون فينتج ضرورةً انهُ لم يفقد سفر من الاسفار التي كانت جزءًا من العهد القديم . وهنا علينا اعتراض من نفس العهد القديم حيث يُذكر فيهِ بعض الكتب لاتوجد الان . مثلاً قيل عن سليمان بانهُ لفظ ثلثة الاف مثل وكانت تسابيحهُ الف تسبيحة وخمسُ تسابيح وتكلم في الشجر من الارز الذي في لبنان الى الزوفا الذي ينبت في الحائط ووصف البهائم والطيور والزحافة والسمك (ملوك اول ٤: ٣٢ و٣٣) ونقرا فيهِ ايضًا عن سفر صموئيل الرائي وسفرناثان النبي وسفر جاد الرائي (ايام اول ٢٩: ٢٩ و٣٠) . وسفر ياشر وسفر حروب الرب الخ

فجوابًا للاعتراض المذكور آنفًا نقول انهُ لا بينة على ان اقوال سليمان هذه كُتبت خطًّا لان الآية تقول بانهُ تكلم بهذه الاشياء ولا تقول انهُ كتبها ولكن على فرض انها كُتبت فلا بينة على انهُ قُصد بها ان تكون جزءًا من القانون اوانها كانت ملهمة . لانهُ لا يلزم ان نعتقد بانهُ كان للانبياء والرسل الهامٌ يلهمهم في جميع احوال السيرة الاعتيادية اوفي الكتابة عن امور تتعلق بالعلوم الطبيعية

واما من جهة اسفار بعض الانبياء والرائين فالاقرب انهم ساعدوا في كتابة اسفار صموئيل والملوك والايام وبذلك جاز ان تُنسَب اليهم

واما من جهة سفر ياشر وسفر حروب الرب فمن قلة المعرفة لا يسوغ لنا الظن بانها كانت جزءًا من القانون القديم ما لم نذهب الى انها موجودة في القانون المقبول عندنا في هذه الايام باسماء اخر . فالكلمة العبرانية للفظة سفر تعني ايضًا قائمة مطلقًا اوجدول النسب وعلى ذلك قد ذهب الشراح المحققون الى ان سفر حروب الرب انما كان قائمة اسماء العساكر . واما سفر ياشر (وهي كلمة عبرانية معناها البار او المستقيم) قد يمكن ان يكون مجموع قواعد ادبية ماخوذة من الاسفار المقدسة او كتابًا كتبهُ من غير الهام بعض اهل الصلاح لتهذيب السيرة . فمجرد ذكر سفر في الكتاب المقدس او اقتباس آيةٍ منهُ لا يجعلهُ من الاسفار القانونية

ولا يحتمل ان يفقد سفر من اسفار العهد القديم القانونية اذا اعتبرنا شدة الاعتناء الديني بل التمسك الزائد عند من حفظوها ونسخوها من كتبة اليهود . وعلماء اليهود يتفقون معنا ايضًا في هذا الامر فلا يشكون في صحة الكتاب المقدس ولا يلوح على كلامهم شيءٌ من ذلك

هذا وان شهادة المسيح ورسلهِ المطلقة في حق العهد القديم التي سبقت اليها الاشارة في كلامنا

يجب ان تكون كافية للوقوف على صحيح هذه المسئلة من غير دليل اخر

رابعًا. لاحق للاسفار المعروفة بالابوكريفا ان تكون بين اسفار العهد القديم القانونية

معنى كلمة ابوكريفا على الارجح ماكان مستورًا خفيًا اومن غير سلطان . وهي تستعمل للدلالة على الاسفار التي يدعي البعض بانها من القانون بدون بينات كافية على صحة هذه الدعوى. قيل ان اول من استعمل هذه الكلمة مليتواسقف ساردس في القرن الثاني. وتظهر فائدة هذه المسئلة اذا نظرنا الى انها كانت ولم تزل موضوع المناظرة الشديدة بين الباباويين والبروتستانتيين فالاسفار الواقع عليها الاختلاف ستة وهي طوبيا ويهوديت والحكمة وابن سيراخ وسفران للمكابيين وايضًا بعض الفصول المضافة الى استير لاتوجد في النسخ العبرانية وما زيد في اول سفر دانيال من قصة سوسنا وتسبيحة الفتيان الثلثة وما ألحق باخره من قصة بعل والتنين

والمجمع التريدنتيني الذي التأم في القرن السادس عشر حرر الاسفار القانونية وبينها الاسفار التي ذكرت وقد مزجتها الكنيسة الرومانية جميعًا في طبع النسخة اللاتينية العمومية والترجمات عنها. ويعتبرون جميع نسخ الكتاب المقدس التي لا توجد فيها هذه الاسفار ناقصة ومفسدة . فصار ذلك مانعًا عظيمًا لتوزيع الكتب المقدسة بين اتباع تلك الديانة لان الجمعيات البروتستانتية لطبع الكتاب المقدس قد اعتمدت ان لاتوزع نسخًا تتضمن الاسفار التي يعتقدون بانها ابوكريفية

ولنكتفِ بذكر البراهين الواردة على ان هذه الاسفار ليست قانونية بل ابوكريفية اولاً لانها لاتوجد في النسخ العبرانية ولم تكتب بتلك اللغة بل باليونانية او الكلدانية. والبرهان على ذلك شهادة ايرونيموس وهو ممن يوثق بشهادتهم اذ ترجم اكثرها الى اللاتينية . وتوجد ايضًا براهين تحمل على الظن بان هذه الاسفار كُتبت اولاً باليونانية التي كانت مجهولة عند اليهود الى حين اختتام قانون العهد القديم . وقد جرى المذهب العمومي بين اليهود والنصارى بان ملاخي هو اخر من كتبوا العهد القديم وبناء على ذلك لاحق للكتب التي لا يعرف من كتبها بعد نهاية الروح النبوي ان تحسب قانونية نعم اننا لانقدر ان نعين بالضبط زمان تصنيفها ولكنهُ امر لا يقبل الشك ان ذلك كان بعد عزرا وملاخي بزمان طويل

ثانيًا لان اليهود لا يعتقدون الآن ولاقبل بكون تلك الاسفار المختلف عليها عند النصارى من عند الله ولم يدخلوها في قانون العهد القديم وهم احسن قاضٍ بما يختص بكتابهم من الاسفار . فلو

كانت تلك الاسفار من وحي الهي لكان ذلك معروفاً عند اليهود الذين استؤمنوا على اقوال الله رو ٣: ٢ ولو دخلت بالقانون مرة لما امكن ان تحذف منهُ بعد ذلك

ومذهب الاولين من اليهود والمتاخرين واحدٌ من هذا القبيل ولا خلاف بينهم فيهِ . اخبرنا يوسيفوس في ما سبق ذكرهُ بان طائفة لم تقبل اكثر من اثنين وعشرين كتاباً مُلهَماً . ومع ان فيلون اليهودي كثيراً ما يتكلم عن العهد القديم ويشرح اقوالهُ في كتبهِ لم يذكر قط واحداً من تلك الاسفار المضافة

ولو اعتقد اليهود القدماء بان تلك الاسفار جزءٌ من القانون المقدس لوجدنا ذلك لا محالة في كتب التلمود المتسعة ولكن هذا المجموع العظيم في التقاليد اليهودية لا يقبل شيئاً منها بين الكتب القانونية . ولهذا ينتج بالضرورة ان القدماء من اليهود لم يعتبروها قانونية

واما المتاخرون من اليهود ما خلا انهم يرفضونها فشهاداتهم مضادة لها على الخط المستقيم فيقول الربي عزريا وهو من فحول علمائهم . وهذه الاسفار مقبولة عند النصارى لا عندنا يريد بالنصارى الرومانيين الذين يقبلونها كما تقدم . والربي جدليا بعد ان ذكر قائمة الاسفار الالهية المقبولة عند اليهود يقول . ويجب ان نعلم ان امم العالم قد كتبت كتباً اخر عديدة ووضعتها بين كتبها المقدسة ولكنها غير موجودة عندنا الى ان يقول قيل ان بعضها بالكلدانية وبعضها بالعبرانية وبعضها باليونانية انتهى

والربي عزريا المذكور آنفاً ينسب سفر حكمة سليمان الى فيلون والربي جدليا يقول اذا كان الكاتب سليمان فلا بد انهُ كتبهُ بالسريانية ليرسلهُ الى بعض ملوك اقاصي المشرق . ثم يقول واما عزرا فلم يضع يدهُ الاَّ على الكتب التي كتبها الانبياء بالهام من الروح القدس والتي كُتبت باللغة المقدسة وعلماؤُها اعتمدوا بكل تعمد وتعقل ان لا يقبلوا كتاباً لم يثبتهُ عزرا انتهى . قال العلامة بكستورف . قد حكم علماؤُهم على هذا السفر بانهُ من الابوكريفا

واما سفر ابن سيراخ فقد وُضع صريحاً في التلمود بين الكتب الابوكريفية حيث قيل ولا تجوز قراءة سفر ابن سيراخ . ومنسى بن اسرائيل احد فضلاء اليهود المتاخرين يقول . ان هذه الامور المبنية على آية من سفر ابن سيراخ لا تجدي نفعاً لان هذا السفر من الابوكريفا انتهى . وبمثل ذلك يتكلمون عن جميعها . واخبرنا ايرونيموس بانهُ سمع يهودياً يهزا بقصة سوسنا ويقول بانهُ لا يعلم مَن من اليونانيين اخترعها . ولا حاجة الى تكثير الشهادات لانهُ مسلم عند الجميع ان اليهود لم يقبلوا قط الابوكريفا جزءاً من قانونهم

ثالثاً لانهُ لم يقتبس من هذه الاسفار بل ولم تذكر في العهد الجديد على انها جزءٌ من الكتب

المقدسة . وفي هذه القضية نحن في خصام مع الرومانيين الذين يدعون بانهم يثبتون قانونيتها من اقتباسات يزعمون ان بولس اقتبسها منها . منها قولهُ فمن عرف فكر الرب او من كان لهُ مشيراً رو ١١: ٣٤ والاخرى ومن قبل ان ينقالهُ شُهد لهُ بانهُ قد ارضى الله عب ١١: ٥ والجواب ان هاتين الايتين ماخوذتان من اسفار العهد القديم القانونية ولامدخل للظن بان الرسول كان في بالهِ الابوكريفا لما اقتبسها

رابعًا لان الاباء المسيحيين لم يقبلوها بين الاسفار الملهمة بل رفضها من القانون المقدس باتفاق تام من كان في سعتهِ منهم ان يبحث عن دعواها . فلم تذكر في جميع القوائم التي وضعتها الاباء والمجامع لاجل مجرد تعيين الاسفار التي يجب قبولها على انها من عند الله . فيوستينيوس الشهيد واوريجانوس واثاناسيوس وهيلاريوس وغريغوريوس النازينزي وايرونيموس وابيفانيوس وكيرللس ومجمع اللاذقية ومجمع قرطاجنة خلفوا لنا قوائم اسماء اسفار العهد القديم القانونية ولم يذكروا سفرًا من الابوكريفا بين الاسفار القانونية . واكثرهم يعدون الاسفار بحسب عادة اليهود ويجعلون عددها اثنين وعشرين بحسب عدد حروف الهجاء العبرانية . وفضلاً عن ذلك كثيرون من الاباء العلماء يذكرون هذه الاسفار باسمائها ويرفضونها من القانون المقدس . وعلى الخصوص ايرونيموس الذي كتب مقدمات لاكثر اسفار العهد القديم وفيها يذكر الاسفار المختلف عليها الآن ويجعلها جميعها من الابوكريفا . وبقي ذلك راي جمهور اللاهوتيين المشهورين الى زمان الاصلاح

خامسًا كما ان البينات الخارجية لاتوافق قانونية هذه الكتب فكذلك البينات الدخلية تضادها على الخط المستقيم

فيستحيل ان تكون الكتب التي تتضمن كذبًا صريحًا المشحونة بالقصص المضحكة الفارغة التي تضاد تعاليم الكتاب الصريحة جزءًا من الكتاب المقدس . واذا امتحنا الكتب الواقع عليها البحث الان بحسب هذه المبادي فنراها ابوكريفية لامحالة

فنرى في سفر طوبيا ان ملاكًا من ملائكة الله يكذب كذبًا محضًا لما قال مرة بانهُ عزريا بن حنانيا واخرى في الكتاب نفسهِ بانهُ رافائيل واحد من الملائكة الاطهار السبعة الذين يقدمون صلوات القديسين ويدخلون ويخرجون امام مجد الاله الاقدس (حاشا ملائكة الله الاطهار ان يكونوا من الكاذبين)

ومع ان يهوديت مشهورة لتقواها العظيم والغرض من الكتاب الحامل اسمها ان تكون عبرة للمتقين فلا نقول شيئًا لهوليفرنيس الاَّ وهو على الغالب كذب . وما اقبح من ذلك الاَّ صلواتها لله لما تقول . اضرب بمكر شفتي الخادم مع الامير والامير مع الخادم . وهي ايضًا تمدح سيرة شمعون في قتلهِ

اهل شكيم مع ان الله قد ذم هذا العمل بطرق متنوعة . وفضلاً عما ذكر بوجد اعتراض اخر عظيم ناتج عن صعوبة وجود زمان في تاريخ اليهود لمثل الحوادث والاحوال المذكورة في هذا السفر ويتعسر ايضًا تعيين الاماكن المذكورة في هذا الكتاب . فهذه الصعوبات قد ساقت بعض المعتقدين بقانونيتهِ الى الذهاب الى ان جميع الكتاب من باب الاستعارة والرمز ويجب ان نفهم بشوليا كنيسة الله وبنبختنصر اعداء الكنيسة وبالنصرة الحاصلة من شجاعة يهوديت وحكمتها ان خلاص الكنيسة لا يكون بالقوة البشرية الخ . وربما كان هذا احسن الاوجه الذي بهِ ينظر الى هذه القضية الغريبة . وانما لا يجوز لاحد ان يدعي بوجوب كون هذا السفر من القانون المقدس

وفي الفصل الثاني من سفر المكابيين قد بولغ في مدح رازس احد روساء اورشليم لانهُ قتل نفسهُ لكي لايقع في يد اعدائهِ . حقًّا ان الله لايمدح قتل النفس

وبين الكتاب الاول والكتاب الثاني من المكابيين من التناقض الكثير ما لايمكن اصلاحهُ .

ولا ريب في ان بعض ما ذكر عن اخذ ارميا التابوت والمذبح الذهبي الى جبل الفسجة واخفائهما في كهف انما هو حكايات فارغة

وقد نُسب سفر الحكمة الى سليمان بن داود وفيهِ يتكلم عن كونهِ مفروزًا لبناء هيكل الرب . وقد اثبت ايرونيموس جليًا بانهُ من المستحيل ان يكون سليمان كاتب ذلك السفر

واما الخبرية المضحكة الموجودة في سفر طوبيا عن طرد الشيطان بواسطة دخان كبد السمكة التي لقطها من النهر وعن شفاء العمي بواسطة مرارتها فلا يمكن ان تكون انزلت بوحي من عند الله

وفي كتاب باروخ اشياء مغايرة لبعض ما يوجد في الكتاب المقدس . وما اخذ عن مار دوكيوس في الفصول الملحقة بسفر استير لايتفق مع ما قيل عن مردخاي في الفصول الصحيحة من ذلك السفر . وفي هذه الزيادة الملحقة قيل ان هامان كان ماقدونيًّا واما في سفر استير القانوني فقيل بانهُ اجاجي . وقيل فيها ان هامان هذا اراد ان يسلم مملكة فارس الى الماقدونيين وذلك من المستحيل لان مملكة ماقدونيا ان وجدت اذ ذاك فلا بد انها كانت حقيرة ومجهولة على الارجح لدى دولة فارس

خامسًا . اسفار العهد الجديد القانونية

قد اتبع الناس ثلاث طرق لتعيين اسفار العهد الجديد القانونية . الاولى سلطان الكنيسة اي كنيسة رومية التي تدعي هذا السلطان لنفسها . الثانية البينات الداخلية التي قد ظن البعض بانها كافية

من غير مساعدة الشهادة الخارجية . الثالثة الشهادة التاريخية التي قد اثبتنا بها قانون العهد القديم وقد زعم بعض مشاهير الرومانيين ان كل سلطان الاسفار المقدسة متوقف على الكنيسة بحيث اذا لم تشهد للاناجيل مثلاً فتفقد سلطانها وتصير كباقي مصنفات البشر. واما اذا سُئلوا كيف تثبت الكنيسة سلطانها فيجيبون بان ذلك مثبوت من شهادة الاسفار المقدسة . وهذا نوع من السفسطة يسميهِ ارباب المنطق الدور الملتوي . لانهم يثبتون سلطان الاسفار المقدسة من شهادة الكنيسة ثم يثبتون سلطان الكنيسة من شهادة الاسفار المقدسة . وبعض البروتستانتيين لكي يتجنبوا شهادة الكنيسة بالكلية افرطوا في الذهاب الى الطرف الاخر وزعموا بان البينات الداخلية كافية لتعرف بها الاسفار التي تختص بالقانون . وقد وضعت الكنيسة الانجيلية الفرنساوية هذه القضية بين عقائد قانون ايمانها الجمهوري فلا ريب ان البينات الداخلية على قانونية الاسفار المقدسة قوية جدًّا . لان عقل المطالع اذا كان متنورًا بالحقيقة من الروح القدس يتخذ من هذا المصدر بينات شافية غير متزعزعة على صحتها وسلطانها ولكننا لا نسلم بان كل مسيحي مخلص يستطيع ان يحكم من هذه البينة وحدها على قانونية كل سفر بمفردهِ مثلاً لو وُضع سفر ابن سيراخ وسفر الجامعة امام انسان بسيط عاقل فهل يُظَن بانهُ يستطيع ان يفرز القانوني منهما من مجرَّد البينة الداخلية . فاتخاذ هذا المبدا يلقي الشبهة على القانون ويرتفع التحقيق عن قاعدة ايماننا . ولذلك مع انهُ لا يجوز رفض البينات الداخلية يجب الاتكال ايضًا على الشهادة التاريخية والحمد لله الذي قد جعل ذلك كافيًا لاقناع كل من كان خالي الغرض فالمسئَلة تتعلق بالبحث عن حادثة قد حدثت وهو هل اسفار العهد الجديد كُتبت من اناس ملهمين اي من الذين نُسبت اليهم هذه الاسفار رسل الرب وتلاميذهِ الذين عاينوا القضايا التي كتبوها . والطريقة الواجبة للوقوف على الصحيح انما تكون بالفحص عن وجود اتفاق عمومي على هذه القضية بين الاباء الذين كانوا بقرب زمان الرسل . لانهُ لا يُظَن بوجود غلط عام في مثل هذه القضية . فالاتفاق العام بين الاباء الاولين وجميع الكنيسة المسيحية الممتدة في كل المملكة الرومانية وما يليها اقوى البينات الممكنة والحالة هذه . ولا يخفى ان مثل هذه البينة اسلم عاقبة من الكذب وقد وضع العلامة هيوت هذا الضابط في هذه المسئلة . كل كتاب يُحسَب صحيح النسبة اذا كان كذلك عند من كانوا بقرب من الزمان الذي كُتب فيهِ ذلك الكتاب وعند اهل العصور اللاحقة بتداول الزمان

وتظهر صحة هذا الضابط باجلى بيان اذا لاحظنا الاعتبار الكلي الذي كان لهذه الاسفار والرغبة الكلية التي كانت تُطلَب بها وكثرة مطالعتها بين الجمهور والاقتباسات منها حالما اشتهرت وترجمتها الى لغات كثيرة

فالمسيحيون الاولون لم يكونوا في هذا الامر من اهل الغفلة والتصديق من غير برهان . ولكنهم اتبعوا الطريقة الوحيدة الصحيحة للوقوف على صحيح الامر . ففتشوا في سجلات الكنائس ومن شهادة الجميع عرفوا الاسفار التي قُبلت في الكتاب المقدس من ازمنة الرسل وبعضهم سافروا الى اليهودية ليعرفوا بالضبط كل ما تعلق باصل تلك الاسفار ونقلها

وكثيرًا ما يسال عن زمان ترتيب قانون العهد الجديد وباي سلطان ترتب . فتوهم هذه المسائل انهُ لا يمكن ان يكون لهذه الاسفار سلطان ان لم يثبتها بعض المجامع او الاكليروس . مع ان سلطانها متصل مذ عُرِفت لما اشتهرت . فحقها ان تكون في القانون لا يتوقف على صوت مجمع ولا حكم اسقف وانما يتوقف على كونها قد أُنزلت بالهام وذلك يعرف من صفات الذين كتبوها ولذلك لا يكون رفع الدعوى الى الشهادة هو الوصول الى حكم الكنيسة بان هذه الاسفار قانونية وانما هو الوقوف على حقيقة كون هذه الاسفار اعمال الرسل الذين وعدهم الرب بالالهام التام . والكنيسة لا تمنح هذه الاسفار سلطانًا البتة ولكنها تشهد فقط بانها كُتِبت من الذين نُسِبت اليهم . ففي هذا الامر لا نستشهد اباء الكنيسة فقط بل اليهود والوثنيين والاراتقة ايضًا . فنستشهد سلسوس وبورفوريوس ويوليانوس الوثنيين ومارسيون ومانيس الاراتيكيين كما نستشهد ايريناوس وطرطوليانوس واوريجانوس واوسابيوس . ولذلك يكون فخر الرومانيين علينا باطلاً باننا ملزومون ان نتكل على سلطان الكنيسة للوصول الى اسفارنا المقدسة . فلا نعتبر هذا السلطان اصلاً ولكننا نرفع دعوانا الى شهادة اهل العلم والصدق الذين كانوا بقرب الازمنة التي كُتِبت فيها ومن هذه الشهادة نعلم من اين اتت هذه الاسفار . واما كون هولاء الشهود اعضاء الكنيسة فامرٌ عرضي واذا لم توجد علاقة بينهم وبين الكنيسة فلا تبطل شهادتهم من جهة اصل هذه الاسفار بل نقوى ونستدعي شهودًا من خارج الكنيسة حيثما نجدهم ونعتبر شهادتهم بالاعتبار الكلي لعدم تواطئهم . وان كان المراد من ترتيب القانون جمع اسفار العهد الجديد في مجلد واحد فالمسئلة امرٌ لا طائل تحتهُ لانهُ كان لكل من هذه الاسفار سلطان كامل قبل ان تجمع في مجلد . ولو بقيت متفرقة غير منضمة في مجلد واحد لما نقص ذلك شيئًا من اعتبارها وسلطانها . والظاهر من الاباء الاولين والنسخ القديمة ان في الازمنة الاولى لم تكن اسفار العهد الجديد مجموعة في مجلد بل في مجلدين سمي الواحد منهما الاناجيل والاخر الرسائل

فالزمان الذي كُتِبت فيهِ جميع الاسفار الملهمة واشتهرت هو الزمان الذي كمل فيهِ القانون مع قطع النظر عن وجود جميعهِ او جزءٍ منهُ في كنيسة من الكنائس وعن تجليدهِ في مجلد واحد او اثنين او بقاء كلٍّ منها منفردًا على حدتهِ

نعم ان الكنيسة او الانسان الذي يُخاطَب في سفر منها او الذي لاجلهِ كتب بعضها يحصل عليها اولاً ولكن لانهُ لم يُجز على تلك الاسفار كانت الكنائس الاقرب على الغالب تحصل اولاً على نسخة منها وعلى ذلك انتشرت الاسفار المقدسة في كل الكنيسة في زمان قصير. ولاريب ان كل كنيسة كانت ترغب في الحصول على نسخة صحيحة حالما استطاعت من كل رسالة معروفة بانها من اعمال بعض الرسل او الذين كانوا ملهمين . مثلاً اذا كانوا ممن سمعوا وعظ بولس فما كانت اشد رغبتهم في مطالعة رسائلهِ. واذا كانوا ممن لم يروا ذلك الرسول العظيم فتكون رغبتهم في قراءة كتاباتهِ ايضاً شديدة جداً

وقد يخطر ببال بعض الذين يطالعون هذه الرسالة بانهُ يمكن ان تكون الكنائس انخدعت برسائل نسبتها الى الرسل غير صحيحة . فاحتفاظاً من ذلك لرفع الشبهة عن صحة النسبة كان من عادة بولس ان لايسلم رسائلهُ الا الى من كانوا من اهل الصدق الذين على الغالب ذكر اسماءهم في الرسالة . ومع انهُ استخدم كاتباً في كتابة رسائلهِ كان يكتب السلام الاخير بيدهِ ولا بد ان تلك العلامة كانت معروفة جيداً عند جميع الكنائس الذين كان يكاتبهم . وعلى ذلك نقرا في الرسالة الى الرومانيين اناترتيوس كاتب هذه الرسالة وفي الرسالة الاولى الى كورنثوس. وكذلك في كولوسي السلام بيدي انا بولس . وفي تسالونيكي الثانية السلام بيدي انا بولس وهو علامة في كل رسالة. هكذا انا اكتب

فما يظهر عند النظر الاول انهُ نوع من التحية فقط قد وجدناهُ امراً عظيماً يشهد لصحة نسبة رسائلهِ بحيث لا يستطاع تزويرها

واذا سال احد ماذا كان من امر نسخة هذه الاسفار المقدسة بخط الذين كتبوها ولماذا لا يستطاع ان يؤتى بخط يد بولس الذي اثبت صحة نسبة رسائلهِ فالجواب انهُ لايستطاع ان يؤتى بكتاب بخط المصنف كُتب في زمان العهد الجديد ما لم يكن قد حنظ على طريقة غير اعتيادية كما صار ذلك في خطوط عديدة وُجدت في هركيولانيوم وهي مدينة وُجدت منذ سنين قليلة منطمرة تحت الرماد الساقط عليها من بركان بزوف وانما قلما يوجد منها ما تستطاع قراءتهُ . فلم يمكن ان يحفظ ما كان بخط الرسل الى هذه الايام من غير معجزة والحال لم يدعُ الى ذلك. ومع ان المسيحيين الاولين اعتبروا الحقائق الموجودة في تلك الاسفار كل الاعتبار لم يهتموا اهتماماً زائداً بالحبر والورق . فكانت عندهم النسخة الصحيحة تساوي النسخة الاصلية . ونظراً لميل الناس الى الخرافات ولتكريمهم بل عبادتهم كل ما زُعم بانهُ من ذخائر الرسل فالظاهر ان العناية الالهية رتبت بحكمة ان تهلك تلك النسخ الاصلية

ولا سبيل لنا الى معرفة حقيقية بمدة دوام تلك النسخ الاصلية وانما يظن كثيرون بان طرطوليانوس يشير اليها كانها موجودة في ايامهِ بقولهِ ان مكاتيب الرسل الصحيحة النسبة قد تشاهد في الكنائس التي كتبت اليها ممن يحمل ثقلة السفر. فلو كان مرادهُ النسخ الصحيحة النسبة لماذا يرسل الطالب الى الكنائس التي كتبت اليها تلك الرسائل اذ وُجدت نسخ في جميع الكنائس كالتي اشار اليها . وفضلاً عن ذلك يُستغرَب عدم وجودها يوم كتب طرطوليانوس الذي كان في اقل من مئة سنة بعد اخر الرسل . وعندنا الآن نسخ من العهد الجديد عمرها ليس اقل بكثير من الف واربع مئة سنة وربما اكثر. ولذلك يرجح الظن بانهُ لما كان طرطوليانوس حيًّا كانت عند الكنائس المشار اليها رسائل بولس نفسها التي ارسلها لها

ومن حيث انهُ لا خلاف بين النصارى مهما كان فريقهم في الاسفار التي تختص بقانون العهد الجديد فلا حاجة الى البحث عن الاسفار غير القانونية الكثيرة التي جرت مرةً باسماء الرسل او اصحابهم . فاكثرها قد هلكت من زمان طويل وحكمت عليها الكنيسة باتفاق بانها مزورة واما ما وصل الينا من الاناجيل واعمال الرسل وكتب الرؤيا المزورة فتبرهن على نفسها بانها غير قانونية

وقد يتخذ الدليل على قانونية اسفار العهد الجديد من القوائم التي تركتها الاباء والمجامع ومن الشهادة الصريحة ممن يستطيعون الشهادة . ولانها كانت تقرا في الكنائس الاولى بناءً على انها اسفار مقدسة. ومن الاقتباسات التي أُوردت عنها ورفع الدعاوي اليها على انها قانون يجب طاعتهُ في الايمان والعمل . ومن الترجمات القديمة عن العهد الجديد

فاولاً عندنا قوائم تلك الاسفار كتبها اوريجانس واوسابيوس واثناسيوس وكيرللس وابيفانيوس وغريغوريوس النازينزي وفيلاستريوس وايرونيموس وروفينوس واوغسطينوس والمولف القديم المعروف بديونيسيوس الاريوباغي . ويضاف الى ما ذُكِر قائمتا مجمع اللاذقية ومجمع قرطاجنة . ولم انستشهد القائمة الموجودة في الكتاب الموسوم بقوانين الرسل المنسوب الى اكليمنضوس من رومية وقائمة المجمع النيقاوي لاننا لا نظن بانهما صحيحا النسبة . ولكننا لا نحتاج الى اكثر من هذه البينة لان عندنا ثلاث عشرة قائمة في كتب العهد الجديد كتبها اشهر الناس وقد اعتنوا كثيرًا في ذلك. ومن هذه الثلاث عشرة قائمة سبعٌ تطابق قانوننا بالتمام واكثر ما بقي انما يختلف بحذف كتاب الرؤيا لانهُ لم يكن يقرا في الكنائس وكان قد قل اعتبارهُ لان بعض الاراتقة كانوا يعوجونهُ بتفاسيرهم . وقد تُرِك من قائمة اوريجانوس رسالة يعقوب ورسالة يهوذا وانما وقع ذلك بالعرض لانهُ يذكر هاتين الرسالتين في كتاباتهِ الاخر . واما قوائم ايرونيموس واوسابيوس وابيفانيوس واوغسطينوس

وروفينوس الذين كانوا يستطيعون الحكم في هذا الامر افضل ممن سواهم فطبق قانونا تامًا ومثلها قانون مجمع قرطاجنة واما مجمع اللادقية فيختلف بحذف الرؤيا وقد ذكرنا السبب في ذلك

ثانيًا لان تلك الاسفار كانت تُقرا دائمًا في الكنائس على انها اسفار مقدسة . فكان المسيحيون الاولون يماثلون اليهود في قراءة الكتب التي اعتقدوا بانها من عند الله جهرًا في اجتماعاتهم . والظاهر ان هذه العادة أُدخلت من ايام بولس الذي يقول لاهل كولوسي ومتى قُرِئَت عندكم هذه الرسالة فاجعلوها تقرأُ ايضًا في كنيسة اللاودكيين والتي من لاودكية تقراونها انتم ايضًا ص ٤: ١٦ . وبالحقيقة من حيث ان بولس كان يخاطب الجمهور في رسائلهِ فلا طريقة انسب لايصالها الى مسامع من أُرسلت اليهم من قراءتها عليهم جهرًا اذ يجتمع شعب الكنائس في اليوم الاول من الاسبوع . ولنا شهادة صريحة في ذلك . قال يوستينوس الشهيد الذي كان في بداءة القرن الثاني . في اليوم الذي يقال لهُ الاحد يجتمع جميع المسيحيين الذين يسكنون المدن او القرى وتتلى اخبار الرسل وكتاب الانبياء (كتاب ثاني في المعذرة وجه ٩٣) وشهادة طرطوليانوس صريحة مثلها لانهُ اذ يخبر عن اجتماع المسيحيين للعبادة يقول . يجتمعون لكي يقراوا الكتب المقدسة ويقدموا الصلاة . وفي مكان اخر يذكر بين الرياضات الروحية في ايام الرب قراءة الكتب المقدسة وترتيل المزامير الخ . ومثل ذلك شهادة كبريانوس وشهادة المؤَلف القديم المعروف باسم ديونيسيوس الاريوباغي وغيرهم . ولا يخفى انهُ لايمكننا ان نتصور طريقة احسن لمنع الخديعة بادخال كتب غير قانونية من هذه العادة في قراءة الكتب المقدسة كل اسبوع مرةً جهرًا لان بذلك يعرف الجمهور ما هي الاسفار القانونية

نعم ان كتابات بعض الذين كانوا رفاق الرسل كانت ايضًا تقرا في الكنائس لفائدة الجمهور وعلى الخصوص رسالة اكليمنضوس الى اهل كورنثوس وكتاب الراعي لهرماس ولكن لم يتغافل الاباء عن تمييزها عن الاسفار المقدسة القانونية . فكان من عادتهم ان يسموا الكتب التي كتبها اناس ملهمون قانونية وكتابات غيرهم من الانبياء مثل اكليمنضوس وبرنابا وهرماس كنائسية

ثالثًا لنا برهان اخر في حق الاسفار القانونية وهو ان علماء الكنيسة المسيحية في جميع العالم كانوا يقتبسون منها على انها كتب قاطعة الحكم . فما ذلك الاَّ برهان على انهم لم يعرفوا كتبًا اخر تدعى القانونية او انهم رفضوا مثل هذه الدعاوي وتمسكوا بالاسفار المتضمنة الآن في الكتاب المقدس على انها الاسفار الوحيدة التي كتبت بالهام من الله . فالنتيجة واضحة ان الكتب التي اقتبس منها وحدها للحكم القاطع في المسائل المتعلقة بالايمان والعمل والتي كان المولفون الاولون في الكنيسة المسيحية يرفعون دعاويهم اليها هي الاسفار القانونية . مثلاً الجميع يقرُّون بان رسالة بطرس الرسول الاولى هي تاليف ذلك الرسول وجميع الاباء يستشهدونها على انها قاطعة الحكم . واما الكتب الاخر باسمهِ

مثل رؤياهُ وانجيلهِ واعمالهِ فلم يقتبس منها احدٌ من الاباء على انها كتب مقدسة . واستند على هذا البرهان اوسابيوس وغيرهُ من القدماء الذين حاموا عن قانون العهد الجديد مرارًا كثيرة . فاذا كانت المقدمات صحيحة فالنتيجة لازمة لامحالة

ولذلك قد جدَّ جميع الذين ارادوا افساد القانون المقبول في هذه الايام كل الجد في ان يبرهنوا على ان الاباء اقتبسوا من كتب اخر تعتبر الآن من الابوكريفا بقدر ما اقتبسوا من الكتب المعدودة الآن قانونية وقد فحص المحققون ذلك جيدًا وبينوا ان الامر بالخلاف كما قد برهن على ذلك ناي ورتشاردصن من فحص جميع الايات التي اقتبسها الاباء من الكتب الاخر

رابعًا الترجمات القديمة عن العهد الجديد برهان اخر في حق قانونية اكثر الاسفار المقبولة الآن في الكتاب المقدس

طالما بقيت موهبة اللغات مع خدام الكنيسة بُشّر بالانجيل بين جميع القبائل بلغة اوطانهم. ولما انقطعت المواهب العجيبة صار احتياج كلي الى ان نترجم الكتب المقدسة الى لغات الشعوب الذين لم يفهموا اللغة اليونانية التي كُتِب بها العهد الجديد في الاصل . ولهذا اجتهد المعلمون باكرًا في هذا العمل ومع انهُ ليس لنا خبر اكيد عن الزمان الذي صارت فيهِ هذه الترجمات ولا الاشخاص الذين عملوا هذا العمل لنا بينات صريحة على انها صارت باكرًا جدًّا . فالمسيحيون الساكنون في سوريا وما بين النهرين الذين تكلموا باللغة المركبة من السريانية والكلدانية لم يبقوا زمانًا طويلاً من غير ترجمة سريانية اوارامية عن العهد الجديد ومن حيث ان كثيرين من العلماء في تلك البلاد كانوا يعرفون اليونانية معرفة صحيحة يرجَّح الظن بانهُ كانت ترجمة سريانية او اقلهُ شُرع فيها في بدء القرن الثاني وربما كان ذلك في نهاية القرن الاول . وحذف بعض الاسفار التي ارتاب فيها البعض الى مدة من الزمان من الترجمة السريانية المسماة فشيتو يؤيد الراي بان تلك الترجمة تمت باكرًا جدًّا وربما في بدء القرن الثاني . وكان مارشيون الاراتيكي في ذلك القرن وكان عارفًا بالعهد الجديد وكانت في ذلك الوقت ترجمة سريانية لغة وطنهِ . ولا شك انها كانت مع الكنائس الاولى ولا واحدة منها خالية من كل سفر من الاسفار المقدسة

واستُخرِج العهد الجديد باكرًا الى اللغة اللاتينية . ويظهر من الفضلات الباقية انهُ كانت جملة ترجمات تُستعمَل لما كانت اللغة اللاتينية كثيرة الاستعمال وعلى الخصوص في ايطاليا . وقد سمى اوغسطينس واحدة منها ايطالا وهي التي كانت عمومية قبل ان ترجم ايرونيموس ترجمتهُ المعروفة بالفلكاتا اي العمومية . ولم يمضِ زمان طويل قبل ان أُستخرج العهد الجديد الى لغات اخر متنوعة كالقبطية والحبشية والعربية والارمنية وغيرها فجميع هذه الترجمات تتضمن جميع الاسفار المقبولة

الآن في القانون ما عدا السريانية التي كانت على الارجح اقدمها كلها . والاسفار المحذوفة من تلك الترجمة هي الرؤيا وبعض الرسائل الصغيرة التي لم تكن معروفة عند الجمهور لما استُخرِجت الترجمة المذكورة . ومن حيث ان تلك الترجمة تتضمن الاسفار الباقية من العهد الجديد فهي برهان شافٍ على صحة قانونيتها . وقد ذهب المعلم ميكالس الى انها افضل ما ترجم من العهد الجديد وانها هي التي اشار اليها مليتو اسقف ساردس . وفي زمان ايرونيموس كانت تقرا الاسفار المقدسة بالسريانية في تلك البلاد وفي ما بين النهرين

ولما التام المجمع النيقاوي وغيرهُ من المجامع المسكونية لم يقع خلاف بين الاساقفة الذين حضروا في قانون الكتاب المقدس . فالظاهر انهُ كان في ذلك اتفاق تام بينهم والذين قاوموا الاسفار المقبولة عند الجمهور كانوا من الاراتقة . حتى من شهادة هولاء قد نتخذ كثيرًا من البينة على صحة قانونها فان اتباع اريوس وبيلاجيوس رفعوا دعواهم الى نفس الاسفار المقدسة التي كانت الكنيسة الارثوذكسية ترفع دعواها اليها . وكان من المستحيل ان يضاف الى الكتاب المقدس او ينزع منهُ سفرٌ بعد ان امتدت الكنيسة باتساع واُستخرج العهد الجديد الى لغات كثيرة . ولو صح هذا العمل في كنيسة واحدة لما امكن ان يكون عموميًا . وكانت مثل هذه الخديعة حالاً تنكشف وتحقق ولذلك لنا اليقين الذي لا يشوبهُ ريب في اننا حاصلون الآن على نفس الاسفار المقدسة التي اعطاها الرسل وغيرهم ممن اُلهموا للكنائس وقد حرَّك المعلم ميكالس من غير داعي مسئلة في صحة قانونية انجيلي مرقس ولوقا لانهما وحدهما بين كتبة العهد الجديد لم يحسبا من الرسل . وانما الكنيسة القديمة لم تشك قط في هذه القضية بل قبلت انجيليهما بالثقة والوقار كالبقية . وبالحقيقة يبين انهم كانوا يعتبرون انجيل لوقا كانهُ من قول بولس وانجيل مرقس من قول بطرس . واذا نظرنا الى ما يتضمنهُ هذان الانجيلان فلا نجد شيئًا من الضعف البشري او الغلط كما اننا لا نجد ذلك في انجيلي متى ويوحنا . ولا مانع من اجراء الضابط المذكور آنفًا في هذا الاخير وهو ان الاسفار المقبولة على انها ملهمة عند جميع من كانوا بقرب من الزمان الذي كُتِبت فيهِ يجب ان نقبلها نحن على انها قانونية . وبحسب هذا الضابط يكون لهذين الانجيلين من الحق في القانونية ما للباقي الاسفار الموجودة في الكتاب المقدس

وربما يرغب القاري في الوقوف على بعض شهادات الاباء المسيحيين في حق كل سفر او نوع من الاسفار التي يراها في الكتاب المقدس ولذلك قد جمعنا منها في القسم التالي ما يكفينا في هذا الباب

سادسًا . ما ورد من الشهادات في صحة قانونية اسفار العهد الجديد

ولئن كان نفس الزمان الذي كُتبت فيهِ تلك الاسفار مجهولاً فقد ذهب الجمهور الى ان انجيل متي من اقدمها . وقد اتفق الاباء في شهاداتهم على ان متي كتب بالعبرانية لغة اهل اليهودية . واما العلماء المتاخرون فاعترضوا على ذلك اعتراضات قوية قائلين لا بينة صريحة على وجود النسخة العبرانية ولا شيء فيهِ من البينة على كونهِ ترجمة وهذا المذهب يتعرض لثقتنا بصدق القانون المقدس لانهُ بوجهٍ فقد كتاب مُلهَم يختص بالقانون وعُوِّض عنهُ بترجمة لا يعلم احد من ترجمها . فلاجل هذه الاسباب وما شاكلها ذهب كثيرون من اعلم العلماء الى وجود نسخة يونانية اصلية . ولكن بما ان مجرد البرهان لا يقف امام كثير من الشهادات المتفقة يبقى الاعتقاد بوجود نسخة عبرانية اصلية وعلى الخصوص لان كثيرين ممن يذهبون الى ذلك من اهل العلم والتحقيق كاصحاب المذهب الاخر . فلتوفيق هذين المذهبين ارتاى البعض بان متي كتب انجيلهُ اولاً لليهود المومنين . ولكن من حيث ان غيرهم ممن لم يفهموا العبرانية كانوا راغبين طبعًا في الحصول على خبرٍ صحيح عن سيرة الرب من قلم رسول طلبوا منهُ ان يكتبهُ ايضًا باليونانية او يناظر على ترجمتهِ قبل ان رحل من اليهودية فاجابهم الى ذلك . وبما ان النسخة العبرانية لم تكن الاَّ عند الابيونيين والناصريين لم يمضِ كثير من الزمان حتى فقدت لما انقرضت جميع الكنائس العبرانية المسيحية . وعلى هذا الاسلوب يوفقون شهادة القدماء لمذهب من يذهب الى ان النسخة اليونانية مُلهَمة حقًّا ولذلك هي جزءٌ من القانون المقدس . ولهذا المذهب براهين داخلية تحمل على ترجيح صحتهِ ولكي نقبلهُ بالثقة لا نحتاج الى غير شهادة خارجية . ولنسمع ما يقولهُ الاباء في متي الانجيلي من حيث هو صاحب الانجيل المنسوب لهُ

پابياس اسقف هيرابوليس الذي راى يوحنا الرسول وتكلم معهُ يذكر انجيل متي ويقول . انهُ كتب الاقوال الالهية بالعبرانية ومن ذلك نعلم مقدار الاعتبار الذي كان في اقدم الازمان لكتابات الرسل . فدُعي هنا انجيل متى الاقوال الالهية من انسان كان معاصرًا ليوحنا والذي لا ريب انهُ عبَّر عن راي الكنيسة في يومهِ ويقول ابريناوس اسقف ليون الذي عرف بوليكاربوس تلميذ يوحنا . ان متي اذ كان بين اليهود كتب انجيلاً بلغتهم وكان بطرس وبولس اذ ذاك يكرزون في رومية (كتابهُ ضد الاراتقة ع ٣ راس اول) . وفي مكان اخر يقول ان انجيل متى أُعطي الى اليهود (اوسابيوس كتاب ٥ راس ٨) . ويقول اوريجانوس بحسب ما قبلت من التقليد الانجيل الاول كتبهُ

متى الذي كان عشارًا ثم تلميذًا ليسوع المسيح وسلمهُ الى اليهود المومنين مكتوبًا بلغتهم وكان اوريجانوس بعد موت يوحنا بنحو مئة سنة وصرف اكثر حياتهِ بقرب من اليهودية وكان مشهورًا بالعلوم المتعلقة بالكتاب المقدس

وكان اوسابيوس بعد اوريجانوس بنحو مئة سنة ولم يفُقهُ انسان في الفحص عن الامور الكنائسية القديمة وهذه شهادتهُ ان متى اذ كرز بالانجيل اولاً للعبرانيين وازمع ان يذهب الى قبائل اخر سلمهم الانجيل بلغتهم الذي كتبهُ بنفسهِ

وقيل في المختصر المنسوب الى اثناسيوس ان متى كتب انجيلهُ بالعبرانية واشهرهُ في اورشليم وكيرللس الاورشليمي ايضًا يشهد بان متى كتب بالعبرانية . ومثل ذلك يقول ابيفانيوس وغريغوريوس النازينزي وعبد يشوع

ويقول ايرونيموس في تفسيرهِ لهذا الانجيل ان متى العشار الملقب لاوي كتب انجيلهُ في اليهودية في اللغة العبرانية

واما من جهة الزمان الذي كُتب فيهِ هذا الانجيل ففيهِ خلاف. فذهب البعض الى ان ذلك كان في السنة الثامنة لصعود الرب واخرون في السنة الخامسة عشرة وغيرهم في السنة الاربع والستين للميلاد . وقد ذهب بعض المتاخرين من اهل التحقيق الى ان ذلك انما كان في السنة الثالثة او الرابعة للصعود

وقد ذكر بابياس انجيل مرقس ايضًا في آية وصلت الينا في كتب اوسابيوس. قال ان بطرس لما جاء الى رومية اشتعل اهلها بالمحبة لحقائق النصرانية بهذا المقدار حتى انهم طلبوا بكل رغبة من مرقس رفيق بطرس الذي عندنا انجيلهُ الآن ان يكتب لهم ويترك عندهم خبرًا عن التعاليم التي بُشّروا بها ولم يكفوا عن طلبهم الاَّ عند ما اجابهم الى ذلك وحصلوا على الكتابة المعروفة الان بانجيل مرقس. وان بطرس لما علم ذلك فرح بطلب القوم مهديًّا من الروح القدس وثبت الانجيل الذي كتب لاستعمال الكنائس انتهى . فبحسب شهادة هذا الاب الرسولي ثبت بطرس انجيل مرقس فيكون هذا الانجيل رسوليًا كما انهُ لو كتبهُ هذا الرسول بيدهِ. ومن حيث انهُ لم يكن الاَّ خلاصة تبشير بطرس فيكون كانهُ قد نصهُ هذا الرسول الى كاتب

اما قولهُ ان بطرس لما جاء الى رومية فخطا لان بطرس لم يذهب الى رومية قط كما تبرهن في الجدال الذي حدث في رومية نفسها بين الباباوية والانجيليين ولكن الرسول ذهب الى بابل وبما ان رومية قد سُمّيت بابل في الرويا زعم اوسابيوس ان بابياس اشار الى رومية فنقل عنهُ لفظة رومية عوضًا عن لفظة بابل . واهل رومية كان عندهم بولس فلم يحتاجوا الى بطرس حتى يكلفوا مرقس

لكتابة انجيل عن فيهِ

وانما قول ابريناوس في ذلك يختلف قليلاً من بعض الاوجه فيقول وبعد موتهما (اي بطرس وبولس) سلمنا تلميذ بطرس مرقس ايضاً الاشياء التي وعظ بها بطرس

واوغسطينوس سمى مرقس مختصر متى لانهُ يقص الاخبار على اسلوب كثير المشابهة باسلوب هذا الرسول وانما ليس هذا الانجيل مختصراً على الاصح لانهُ في بعض الاشياء يدقق ويتوسع اكثر من متى وفيهِ كثير من الاخبار لم يذكرها متى

وشهادة اكليمنضوس الاسكندري توافق ما ذكرنا من الشهادات . وذلك دليل على انهُ كان تقليد عمومي في هذا الامر . فيقول . لما كان بطرس يبشر جهراً في رومية (بابل) حرّك الروح القدس كثيرين من المومنين فطلبوا من مرقس لانهُ كان رفيقاً لبطرس مدة طويلة وكان يذكر جيداً ما كان يكرز بهِ ذلك الرسول ان يكتب اقوالهُ . وعند ذلك كتب انجيلهُ واعطاهُ للطالبين . ولما علم بطرس ذلك فلم يامر بقبولهِ ولم يتعرض لاشهارهِ

واخبرنا طرطوليانوس بان الانجيل الذي كتبهُ واشهرهُ مرقس قد يُعَدُّ لبطرس الذي كان مرقس ترجمانهُ . وشهادة اوريجانوس توافق الشهادات المتطابقة فيقول كتب مرقس انجيلهُ بحسب املاء بطرس عليهِ . وايرونيموس يقول ان مرقس تلميذ بطرس كتب انجيلاً مختصراً ما سمعهُ من بطرس بطلب الاخوة من رومية (بابل) ولما علم بطرس ذلك استصوبهُ واشهرهُ في كنائسنا وامر بمطالعتهِ بسلطانهِ الذاتي فذلك طبق ما اقتبسناهُ من بابياس . فها قد راينا كثرة الشهادات في حق هذا الانجيل وبناءً على ذلك لانسمع ابداً بوقوع الشك او الريب من جهة صحة قانونيتهِ في جميع الازمنة القديمة

والخبر الوحيد الذي يمكننا ان نعتمد عليهِ من جهة الزمان الذي كتب فيهِ انجيل لوقا هو ما قيل في الشهادات المذكورة انفاً انهُ كُتب بعد ان جاء بطرس وبشر في رومية (بابل) ومنهم واحد قال ان ذلك كان بعد موت بطرس . نعم عندنا بعض الاقوال في هذا الموضوع من مؤلفين قاموا في القرون المتوسطة وانما قلما تنفع شهاداتهم في ذلك

واما لوقا كاتب الانجيل الثالث فاختير من الكنائس ان يسافر مع بولس وكان رفيقهُ في اسرهِ في رومية . وذكر ايريناوس هذا الانجيلي حيث ذكر مرقس قال ان لوقا رفيق بولس كتب كتاب الانجيل الذي بشر بهِ . وفي مكان اخر قال ان لوقا لم يكن رفيقاً فقط للرسل بل كان يتعب معهم وعلى الخصوص مع بولس . وقال ايضاً والرسل اذ لم يحسدوا احداً سلموا الى الجميع ببساطة ماسمعوهُ من الرب وهكذا ايضاً لوقا اذ لم يحسد احداً سلّم الينا ما تعلمهُ منهم كما قال . كما سلمها الينا الذين

كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة انتهى . واوسابيوس اخبرنا بان اكليمنضوس الاسكندري في كتاب مفقود الآن شهد واضحاً لانجيل لوقا وللاناجيل الاخر. وذكر ايضاً تقليداً وصل اليهِ ممن اقدم منهُ بان الاناجيل التي فيها انساب كُتبت اولاً . وطرطوليانوس يتكلم عن مرقس ولوقا بانهما تلميذا الرسل وينسب الى انجيلهما ما ينسب الى غيرهما من السلطان ويقول ان مختصر لوقا كثيراً ما يُنسَب الى بولس . واوريجانس اذ تكلم عن الاناجيل الاربعة قال والثالث منسوب الى لوقا وهو الانجيل الذي مدحهُ بولس وكُتب لاجل الوثنيين المومنين

وشهادة اوسابيوس لانجيل لوقا كثيرة الاستيفاء . قال ولوقا الانطاكي الطبيب كان على الغالب رفيقاً لبولس ومعرفتهُ بالرسل الاخرين لم تكن بقليلة وهو قد ترك لنا في كتابين ملهمين من الله براهين على صناعة ابراء الانفس التي كان تعلمها منهم احدهما الانجيل الذي يقر انهُ كتبهُ كما سلمهُ اليهِ الذين عاينوا الكلمة وكانوا خدامها والذين كانت لهُ معرفة تامة بهم من البدء . وفي مكان اخر يقول وقد سلم الينا لوقا في انجيلهِ خبراً عمَّا تحققهُ بواسطة معرفتهِ الكلية ببولس ومصاحبتهِ اياهُ ومخاطبتهِ الرسل الاخرين وقيل في المختصر المنسوب الى اثناسيوس ان بولس الرسول املا انجيل لوقا وكتبهُ واشهرهُ لوقا الرسول المغبوط والطبيب . ولا حاجة الى اضافة شيء من الشهادات الى ما ذكر الاَّ شهادة ايرونيموس . قال ان لوقا الانطاكي الطبيب الذي لم يكن جاهلاً باللغة اليونانية وكان تلميذاً لبولس الرسول ورفيقاً دائماً لهُ في اسفارهِ كتب انجيلاً وكتاباً اخر عظيماً موسوماً باعمال الرسل انتهى فيظن ان لوقا لم يتعلم انجيلهُ من بولس فقط الذي لم يتكلم مع الرب بالجسد ولكن من الرسل الاخرين ايضاً وهو يقر بذلك في بداءة كتابهِ بقولهِ كما سلمها الينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة

وفي مكان اخر قال والانجيل الثالث هو لوقا الطبيب السرياني الانطاكي وكان تلميذاً لبولس الرسول واشهر انجيلهُ في بلاد اخائية وبيوطيا

وقد قُبل هذا الانجيل من وقت اشتهارهِ على انهُ قانوني عند كل الكنائس المسيحية وقُرِئَ بلا انقطاع في الكنائس على انهُ جزء من الكتب الملهمة من الله واقتبس آياتهِ جميع المسيحيين للحكم القاطع . ولهُ ذكر في كل قائمة من قوائم اسفار العهد الجديد التي كُتبت واشتهرت . ولذلك لا ريب في صحة قانونيتهِ

واما الانجيل الرابع أي الاخير فكتبهُ يوحنا التلميذ الحبيب الذي عاش بحسب شهادة القدماء العمومية بعد موت جميع الرسل ومات بقرب نهاية القرن الاول للتاريخ المسيحي . والشهادات على صحة نسبة هذا الانجيل وقانونيتهِ مستوفية شافية

قال ابريناوس ان يوحنا الانجيلي قصد بانجيلهِ الرد على الضلال الذي قررهُ كيرنثوس في عقول الناس والذي جاء اولاً من جماعة النيقولاويين ولكي يقنعهم بانهُ لا يوجد الاّ اله واحد قد خلق جميع الاشياء بكلمتهِ لا كما توهموا ان ابن الخالق كان واحدًا والمسيح الذي لا يقبل التالم كان اخر وحل على يسوع ابن الخالق . وابرونيموس يثبت شهادة ابريناوس هذه فيقول لما كان يوحنا في اسيا قامت هرطقات ابيون وكيرنثوس وغيرهم ممن انكروا مجيء المسيح بالجسد اي انهم انكروا طبيعتهُ الالهية وهم الذين يدعوهم في رسالتهِ اضداد المسيح والذين كثيرًا ما يذمهم بولس في رسائلهِ . فالتزم من طلب جميع اساقفة اسيا ورسل كنائس اخرى كثيرة ان يكتب بالتصريح عن لاهوت مخلصنا ويصعد في خطاب سامٍ عن الكلمة كثير الشجاعة والمناسبة انتهى . وفي مكان اخر قال وقد ذُكِر في التواريخ الكنائسية ان يوحنا لما التمست منهُ الاخوة ان يكتب اجاب انهُ لا يصنع ذلك ما لم يُفرَز يوم عمومي للصلاة والصوم لطلب مساعدة الله. واذ اجابوهُ الى ذلك وشرّف الله ذلك اليوم باعلان شافٍ نطق بالكلمات التي يبدا بها انجيلهُ وهي في البدء كان الكلمة الخ

وقال ايضًا هذا الاب المعلم في كتابهِ المعنون بمشاهير الانام ان يوحنا كتب انجيلاً بطلب اساقفة اسيا ضد كيرنثوس وغيرهِ من الهراطقة خصوصًا ضد تعليم الابيونيين الذين قاموا في ذلك الزمان وكانوا يقولون ان المسيح لم يكن قبل ولادتهِ من مريم . فلذلك التزم ان يعلن طبيعتهُ الالهية. وذكر سببًا اخر في كتابتهِ وهو انهُ اذ قرا كتب متى ومرقس ولوقا استصوب تاريخهم على انهُ صحيح ولكنهُ وجد انهم كتبوا تاريخ سنة واحدة فقط من خدمة ربنا وهي السنة الثانية لقبض يوحنا المعمدان ووضعهِ في السجن والتي تالم هو فيها . ولذلك اعرض عن تلك السنة على الغالب التي كتب تاريخها الثلاثة الاخرون واخبر بما وقع في الزمان الذي كان قبل سجن يوحنا كما يتضح للذين يقراون الاناجيل الاربعة وذلك يعلمنا السبب في ما يظهر من الاختلاف بين يوحنا والاخرين انتهى

وشهادة ابريناوس هذه كثيرة الاستيفاء وقد اثبتها اوغسطينوس الذي قال ان هذا الانجيلي كتب في لاهوت المسيح الازلي ضد الارانقة انتهى

وقد ارتاب بعض المعلمين في هذا الخبر عن الداعي الى كتابة يوحنا ولكن قلما يكون لفلسفة اهل العلم من القيمة اذا وُضعت بازاء الشهادة الصريحة من مثل الذين قالوا الخلاف . وقد اختلف العلماء في زمان كتابة هذا الانجيل فمنهم من قال كان ذلك قبل خراب اورشليم ومنهم من قال بل كان ذلك بعد وانما مذهب القدماء واكثر المتاخرين هو انهُ كتب بعد خرابها والبينة الداخلية توافقهُ اكثر من غيرهِ

ثم لا ريب في ان لوقا كتب اعمال الرسل لانهُ يخاطب فيهِ ثاوفيلس ذلك الفاضل الذي

خاطبهُ في انجيلهِ وفي هذه المخاطبة الاخيرة يشير الى كتابهِ الاول والامر مثبت ايضًا من شهادة جميع الكنائس المسيحية اذ لم يرتب في ذلك احد

وكان الاباء الاولون يعظمون هذا الكتاب فكثيرًا ما يذكرونهُ في كتاباتهم وينقلون عنهُ دائمًا على انهُ جزءٌ من الاسفار المقدسة الملهمة بروح الله

قال ايريناوس اعمال الرسل للوقا يجب ان يقبل مع الانجيل على حدٍ سوى وقال ايضًا قد سلمنا فيها (اي اعمال الرسل) الحق واعطانا قانونًا وطيدًا للخلاص ومثل ذلك يقول اكليمنضوس الاسكندري وطرطوليانوس واوريجانوس واوسابيوس وابرونيموس اذ جميعهم ينسبون اعمال الرسل الى لوقا

وفي الترجمة السريانية عن العهد الجديد اسم لوقا مذكور في اول هذا الكتاب . قيل والامر كذلك في بعض النسخ القديمة جدًّا

ولابد انهُ اشتهر بين الكنائس حالما كُتب لان اكليمنضوس الروماني رفيق بولس يشير اليهِ صريحًا وبوليكاربوس في رسالتهِ لاهل فيلبي قد اقتبس منهُ آية وايضًا يوستينوس الشهيد في رسالتهِ المعروفة بالنصيحة لليونانيين . وقد استشهدهُ صريحًا ايريناوس اكثر من ثلاثين مرة وسماهُ كتابًا مقدسًا وكل ذلك يقال عن طرطوليانوس

ومن حيث ان كتاب اعمال الرسل يوجد في جميع قوائم اسفار العهد الجديد وقد قُرِئَ دائمًا في الكنائس واقتُبس منهُ على انهُ من الاسفار المقدسة وفيهِ جميع البينات الداخلية على الالهام ولهُ شهادة الاباء الاولين الصريحة في حقهِ فلا ريب ان لهُ حقًا حقيقيًا ان يكون في كتاب الله

سابعًا . قانونية رسائل بولس

لا يخفى ان رسائل بولس الاربع عشرة جزءٌ عظيمٌ وضروري جدًّا من قانون العهد الجديد والبينة على قانونيتها في غاية ما يكون من الكمال . وبالحقيقة لم يشك احدٌ في شيءٍ منها . ولكن بما ان اسمهُ مذكور في اوائلها جميعها ما عدا الرسالة الى العبرانيين داخل البعض شك في كتابة بولس اياها بالحقيقة . وانما بعد فحص دقيق تحققت الكنيسة شرقًا وغربًا ان هذا الرسول هو الذي كتبها

واكليمنضوس الروماني في رسالتهِ الى اهل كورنثوس يشير صريحًا الى رسالة من رسائل بولس اليهم فيقول خذوا بين ايديكم رسالة بولس الرسول المغبوط فماذا كتب اليكم اولًا في بدء

الانجيل حقًّا قد انذركم بواسطة الروح من جهته وجهة صفا وابلوس لانكم حتى في ذلك الزمان كنتم تحزبون (انظر رسالتهُ الى كورنثوس) . وفي رسالة اكليمنضوس هذا آيات اخرى كثيرة اقتبسها من بولس ولكنهُ لم يُذكَر اسمهُ الاَّ في هذه فقط

وهرماس واغناطيوس يستشهدان كلمات من رسائل بولس ولكن من غير تعيين السفر الذي نقلاها عنهُ . وبوليكاربوس الشهيد تلميذ يوحنا لما حُكِم عليهِ بالموت كتب رسالةً الى اهل فيلبي فيها يذكر صريحًا رسالة بولس الاولى الى اهل كورنثوس ويقتبس كلمات الرسول الآتية ألستم تعلمون أن القديسين سيدينون العالم ١ كو ٦: ٢ كما يعلم بولس . وهذا الاب الجليل الذي كان معاصرًا للرسل يقتبس في تلك الرسالة نفسها آيةً من رسالة بولس الى اهل افسس على انها جزءٌ من الكتاب المقدس فيقول لاني ارجو انكم تمارسون مطالعة الاسفار المقدسة لانهُ قيل فيها اغضبوا ولا تخطئوا. لا تغرب الشمس على غيظكم اف ٤: ٢٦ وهو يقتبس آيات من الرسالة الثانية الى اهل كورنثوس ومن الرسالة الاولى والثانية الى اهل تسالونيكي ومن الرسالة الى العبرانيين ومن الرسالتين الى تيموثاوس ولكن بحسب جري العادة في ذلك الزمان لم يشر الى السفر الذي اقتبس منهُ

ويوستينوس الشهيد اقتبس آيات كثيرة من رسائل بولس بالفاظ الرسول نفسها غير انهُ لا يذكر اسمهُ ولا اسم الرسالة التي اقتبس منها . وايريناوس اقتبس آيات من جميع رسائل بولس ما عدا الرسالة القصيرة الى فليمون. ولا يسعنا ان نذكر جميع الآيات التي اقتبسها هذا الاب ولنكتفِ بما يأتي ماخوذًا من كتابهِ ضد الهراطقة وهو قولهُ . وقد شرح هذا الامر نفسهُ بولس لما كتب الى الرومانيين وقال بولس عبدٌ ليسوع المسيح المدعو رسولاً المفرز لانجيل الله رو ١: ١. وايضًا كتب الى الرومانيين وقال ولهم الآباء ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل الهًا مباركًا الى الابد امين رو ٩: ٥ . وايضًا يثبت ذلك بولس في رسالتهِ الى اهل كورنثوس اذ قال فاني لست اريد ايها الاخوة ان تجهلوا ان اباءنا جميعهم كانوا تحت السحابة وجميعهم اجتازوا في البحر ١ كو ١٠: ١ . وفي رسالتهِ الثانية قال الذين فيهم اله هذا الدهر قد اعمى اذهان غير المؤمنين ٢ كو ٤: ٤ . وقال في رسالتهِ الى اهل غلاطية فلماذا الناموس . قد زِيدَ بسبب التعديات الى ان ياتي النسل الذي قد وُعِدَ لهُ غل ٣: ١٩ . كما قال ايضًا بولس المغبوط في رسالتهِ الى اهل افسس لاننا اعضاء جسمهِ من لحمهِ ومن عظامهِ . كما قال بولس الى اهل فيلبي ولكني قد استوفيت كل شيء واستفضلتُ . قد امتلأتُ اذ قبلتُ من ابفرودِتُس الاشياء التي من عندكم نسيم رائحةٍ طيبة ذبيحةً مقبولة مرضية عند الله في ٤: ١٨ . وبولس قال في رسالتهِ الى اهل كولوسي يسلم عليكم لوقا الطبيب الحبيب كو ٤: ١٤ . والرسول في الرسالة الى اهل تسالونيكي قال واله السلام يقدسكم بالتمام ١ تس ٥: ٢٣.

وايضًا في الرسالة الثانية الى اهل تسالونيكي اذ تكلم عن ضد المسيح قال وحينئذٍ سيستعلن الاثيم الذي الرب يبيدهُ بنفخة فمهِ ويبطلهُ بظهور مجيئهِ ٢ تس ٢: ٨ انتهى. وفي بدء كتابهِ ضد الارتقات قال ولا يصغوا الى خرافاتٍ وانساب لا حد لها تسبّب مباحثات دون بنيان الله الذي في الايمان كما قال الرسول ا تي ١: ٤ وكثيرًا ما اقتبس من الرسالة الثانية الى تيموثاوس في الكتاب المذكور. واذ تكلم عن لينس قال ويذكر بولس لينس هذا في رسالتهِ الى تيموثاوس بقولهِ يسلم عليك افبولس وبوديس ولينس ٢ تي ٤: ٢١. وفي مكان اخر قال الرجل المبتدع بعد الانذار مرة ومرّتين اعرض عنهُ كما قال بولس تي ٣: ١٠

فنرى ايريناوس الذي كان في القرن الثاني بعد الرسل وتكلم مع اناس راوا بعضًا منهم يشير الى مصنفات بولس كثيرًا كانهُ كان مطالعًا عليها مثلنا في هذه الايام نعم انهُ لم يستشهد الرسالة الى العبرانيين في شيءٍ من كتاباتهِ الموجودة الآن ولكن قد اخبرنا اوسابيوس بانهُ راى كتابًا من تصانيفهِ اقتبس فيهِ من تلك الرسالة ولكنهُ لم يقل انهُ اقتبس ما اقتبسهُ من رسائل بولس . وربما كان مشاركًا للكنيسة الغربية في سوء ظنها في مؤَلف تلك الرسالة

وممن اقتبس من رسائل بولس اثيناغوارس وهو من اهل القرن الثاني. وايضًا كثيرًا ما اقتبس منها اكليمنضوس الاسكندري وهو من اباء القرن الثاني ايضًا . ولنكتفِ بذكر بعضها . فانهُ يقول قال الرسول في الرسالة الى العبرانيين كذ وكذا. وبولس المغبوط في الرسالة الاولى الى اهل كورنثوس يقول ايها الاخوة لا تكونوا اولادًا في اذهانكم بل كونوا اولادًا في الشر . واما في الاذهان فكونوا كاملين ا كو ١٤: ٢٠ . وقال ان الرسول يدعي تعليم الايمان العمومي رائحة معرفتهِ ٢ كو ٢: ١٤ وكذلك ايضًا قال بولس فاذ لنا هذه المواعيد ايها الاحباء لنطهر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح مكملين القداسة في خوف الله ٢ كو ٧: ١. وقال بولس لاهل غلاطية يا اولادي الذين اتمخّض بكم ايضًا الى ان يتصوّر المسيح فيكم غل ٤: ١٩ . وقال الرسول المغبوط فاقول هذا واشهد في الرب ان لا تسلكوا في ما بعد كما يسلك سائر الامم ايضًا ببطل ذهنهم اف ٤: ١٧ انتهى . وقد اقتبس ايضًا من الرسالة الى اهل فيلبي مصرحًا باسمها وفي مكان اخر اشار اليها بقولهِ ورسول الرب اذ ينصح اهل مكدونية قال الرب قريب انتهى . واقتبس ايضًا من رسالة بولس الى اهل كولوسي والى اهل تسالونيكي ونقل هذه الكلمات عن الرسالة الاولى الى تيموثاوس يا تيموثاوس احفظ الوديعة معرضًا عن الكلام الباطل الدنس ومخالفات العلم الكاذب الاسم الذي اذ تظاهر بهِ قومٌ زاغوا من جهة الايمان ا تي ٦: ٢٠ و ٢١ وقال عن هذه الآية ان الارانقة يرفضون الرسالتين الى تيموثاوس وقد اقتبسوا من الرسالة الى تيطس مرارًا عديدة . وقال في مكان اخر ان بولس قد اقتبس من ابيمنداس الكريتي في رسالتهِ الى تيطس بقولهِ قال واحد منهم وهو نبيٌّ لهم

خاص الكريتيون دائمًا كذابون تي ١: ١٢ . واقتبس صريحًا من الرسالة الى العبرانيين ونسبها الى بولس فقال . وكذلك اذ كتب بولس الى العبرانيين الذين كانوا يفترن في الايمان قال لانكم اذ كان ينبغي ان تكونوا معلّمين لسبب طول الزمان تحتاجون ان يعلمكم احدٌ ما هي اركان بداءة اقوال الله وصرتم محتاجين الى اللبن لا الى طعام قوي عب ٥: ١٢

واطرطوليانوس الذي كتب في القرن الثاني شهادات كثيرة في حق رسائل بولس بها اشار صريحًا الى الرسالة الى الرومانيين ٩: ٥ حيث دُعي المسيح الكائن على الكل الهًا مباركًا الى الابد وشرح هذه الآية كما نشرحها الآن . وفي رسالتهِ في التزوج بامراة واحدة فقط بحسب ان مئة وستين سنة قد مضت لكتابة بولس رسالتهُ الى اهل كورنثوس وتكلم ايضًا عن الرسالة الى اهل كورنثوس وعن راي البعض ان المغفورلهُ فيها هو الذي كان امرهم في الرسالة الاولى ان يسلموهُ الى الشيطان لهلاك الجسد ثم قال ولا حاجة الى زيادة الكلام في ذلك اذا كان بولس نفسهُ في كتابتهِ الى اهل غلاطية بحسب الازنقة من اعمال الجسد ويامر تيطس ان يرفض الرجل الذي يبقي هرطوقيًا بعد النصيحة الاولى فان من كان هكذا فهو منحرف خاطي محكومًا عليهِ من نفسهِ تي ٣: ١١ . وانتقل في كلامهِ الى رسالة اخرى فعنونها بالرسالة الى اهل افسس واما الارابقة فالى اهل اللاودكية . وبحسب الشهادة الصحيحة من الكنيسة نظن ان هذه الرسالة أُرسلت الى اهل افسس لا الى اهل اللاودكية . ولكن مارسيون قد اجتهد ان يغير هذا العنوان مدعيًا بانهُ قد فحص في هذا الامر اكثر من غيرهِ الى قولهِ ولا فائدة من العنوان لان الرسول كتب الى الجميع ما كتبهُ الى البعض . وقال قال بولس لاهل غلاطية فاننا بالروح من الايمان نتوقع رجاء برٍّ غل ٥: ٥ . ولاهل فيلبي قال لعلي ابلغ الى قيامة الاموات . ليس اني قد نلت اوصرت كاملاً في ٣: ١١ و١٢ . واذ كتب الى اهل كولوسي حذّرهم بالتصريح من الفلسفة بقولهِ انظروا ان لا يكون احدٌ يسبيكم بالفلسفة وبغرورٍ باطل حسب تقليد الناس حسب اركان العالم وليس حسب المسيح كو ٢: ٨ . وقال الرسول في رسالتهِ الى اهل تسالونيكي واما الازمنة والاوقات فلا حاجة لكم ايها الاخوة ان اكتب اليكم عنها . لانكم انتم تعلمون بالتحقيق ان يوم الرب كلص في الليل هكذا يجيءُ ١ تس ٥: ١ و٢ وفي رسالتهِ الثانية الى ذلك القوم نفسهِ كتب بمزيد الاهتمام وقال ثم نسالكم ايها الاخوة من جهة مجيء ربنا يسوع المسيح واجتماعنا اليهِ ان لا تتزعزعوا سريعًا عن ذهنكم ولا ترتاعوا ٢ تس ٢: ١ و٢ . وقد اوصى بولس تيموثاوس بهذه الوصية يا تيموثاوس احفظ الوديعة ١ تي ٦: ٢٠ . انتهى

ويصح هنا ان نستشهد العبارة الشهيرة لطرطوليانوس التي مر ذكرها والتي يظن انهُ تكلم فيها عن النسخ الاصلية لرسائل بولس . والمراد بذلك ان نبين انهُ قد كتب بالحقيقة الى الكنائس التي

رسائله الآن معنونة باسمها . قال . واذا اردت ان تشغل عقلك بما يفيدك في امر خلاصك فزر الكنائس الرسولية التي لا تزال كراسي الرسل باقية فيها والتي نقرا فيها مكاتيبهم الصحيحة النسبة بلا ريب. وان لم تكن بعيدًا من مكدونية فعندك فيلبي وتسالونيكي واذا امكنك السير الى اسيا فعندك افسس. واذا كنت قريبًا من ايطاليا فعندك رومية التي فيها ايضًا نصل الى مطلوبك بالسهولة. انتهى

واوريجانوس اقتبس من رسائل بولس بالصراحة والكثرة ككثيرين من المولفين المتاخرين وان اردنا ان نذكر جميع الشهادات التي قد تتخذ من هذا المولف فنشحن كتبًا ونلتزم ان نكتب اكثر مما يوجد في رسائل بولس . وفي آيةٍ من كتابهِ ضد كلسوس يشير الى جملة منها على هذا المنوال فاولاً اشرح رسائل الذي قال هذه الاشياء واذ طالعت ما في كلامها من المعاني بالرغبة والانتباه وعلى الخصوص الرسالة التي لاهل تسالونيكي والتي للرومانيين الخ انتهى . واعتقد اوريجانوس ان الرسالة الى اهل افسس خوطب بها كنيسة افسس لانهُ اقتبس منها بهذا الاسم وينسب دائمًا الرسالة الى العبرانيين الى بولس وقد اقتبس منها آيات كثيرة وهو في ذلك لا يقرر راي شخصهِ فقط ولكن المذهب الجاري الذي جاء من الاباء الذين سبقوهُ . وعلى ذلك قولهُ . لانهُ لم يسلمنا اياها القدماء على انها لبولس من غير دليل انتهى . واذا اعتبرنا قرب زمان اوريجانوس من ازمنة الرسل وانهُ كان مقيمًا بقرب من القوم الذين أُرسلت اليهم وربما في نفس مدينتهم وان معرفتهُ بالامور الكنائسية وبما يتعلق بالكتاب المقدس كانت اكثر اتساعًا من معرفة غيرهِ وجب ان تكون شهادتهُ على ان هذه الرسالة لبولس قاطعة الحكم وعلى الخصوص لان شهادة جميع الآباء الشرقيين تطابقها . نعم ان اوسابيوس اذ يسلم بصحة قانونيتها يرتاب قليلاً في من هو مولفها ولكنهُ في كتبهِ كثيرًا ما يقتبس منها على انها لبولس

وكبريانوس وفيكتورينوس وديونيسيوس الاسكندري ونوفاتس ومثوديوس الذين كانوا جميعهم في القرن الثالث كثيرًا ما يشيرون الى رسائل بولس وزيادة الشهادات في هذا الموضوع هو من باب الفضول غير انهُ لابد من ذكر شهادة ايرونيموس الكاملة القاطعة ولا يخفى انهُ كان من اقدر الشهود في ما شهد بهِ . واذ تكلم عن كتابات بولس قال . كتب تسع رسائل الى سبع كنائس الى الرومانيين واحدة والى اهل كورنثوس اثنتين والى اهل غلاطية واحدة والى اهل فيلبي واحدة والى اهل كولوسي واحدة والى اهل تسالونيكي اثنتين والى اهل افسس واحدة والى تيموثاوس اثنتين والى تيطس واحدة والى فليمون واحدة . واما الرسالة الى العبرانيين فيظن انها ليست لهُ لما فيها من اختلاف البراهين والنفس (عن كتاباتهِ المعهودة) ولكنها لبرنابا كما ظن طرطوليانوس او للوقا على قول غيرهِ او لاكليمنضوس الذي صار بعد ذلك اسقف رومية ولانهُ كان يجالس بولس كثيرًا

فكسا معاني بولس وزينها بكلام من عندهِ واما اذا كانت لبولس فلم يرضَ بان يضع اسمهُ في عنوانها لئلاَّ يشكك اليهود انتهى (انظر رسالتهُ الى باولينوس) . والظاهر انهُ اعتقد بان بولس كتب تلك الرسالة بالعبرانية ثم ترجمها الى اليونانية من كان اعلى نفساً منهُ لانهُ قال كتب العبراني الى العبرانيين لانها لغتهُ ولذلك لما استخرجت كانت في اليونانية انفس من رسائلهِ الاخرى قالوا هذا هو السبب في اختلافها عن باقي كتابات بولس وتوجد ايضاً رسالة للاودكيين ولكنها مرفوضة عند الجميع (من رسالتهِ الى باولينوس)

ومع ان ايرونيموس يرتاب احياناً في من كتب الرسالة الى العبرانيين التي اشتهرت من غير اسم المصنف اقتبس منها على الغالب على انها لبولس . وفي مكتوبهِ الى افانجيلا يوس قال ان جميع اليونانيين (اي الاباء الشرقيين) وبعض اللاتينيين قد قبلوا هذه الرسالة انتهى . يريد بذلك انهم قبلوها على انها لبولس لاننا لا نجد احداً يريد ان يرفضها من القانون بالكلية . وفي مكتوب الى دردانوس قال انها لم تكن مقبولة عند جميع الكنائس الشرقية فقط على انها لبولس ولكن عند جميع المولفين الكنائسيين ايضاً في الازمنة القديمة مع ان كثيرين ينسبونها الى برنابا او اكليمنضوس انتهى . ويشهد ايضاً بانها كانت تُقرَا كل يوم في الكنائس ولئن لم يقبل اللاتينيون هذه الرسالة كما لم يقبل اليونانيون رؤيا يوحنا فهو يقبل كلتيهما وانهُ لم يذهب الى ما ذهب اليهِ لما قيل في زمانهِ ولكن لحكم المولفين القدماء الذين اقتبسوا من اثنتيهما لا كما اقتبسوا من كتب الابوكريفا او كتب الوثنيين بل كان اقتباسهم منها على انها قانونية كنائسية

وقد قبل امبروسيوس واوغسطينوس الاربع عشرة رسالة لبولس كما نقبلها الآن ومن زمانهما الى الآن اجمع الجميع على ذلك غير ان بعض العلماء المتاخرين قد اعادوا المناظرة في مولف الرسالة الى العبرانيين . وقد اثبت نسبتها الى بولس كثيرون من اهل التحقيق احسن اثبات بالبراهين المقنعة بحيث يرجى نفي الريب في هذه المسئلة

واما الوقوف على الزمان الذي كُتبت فيهِ رسائل بولس فامرٌ لا يحتمل التحقيق الكلي وقد انقسم العلماء في ذلك كما يجري في مثل هذه الاحوال الى مذاهب وظنون كثيرة . وكان الاكثر يظنون ان الرسالتين الى تسالونيكي كتبتا اولاً وقام في هذه الايام من يقول لا بل الرسالة الى اهل غلاطية كُتِبت اولاً . ولا طائل تحت ذلك فلندعهُ الى ان يتفق عليهِ اهل التحقيق والله الموفق للصواب

ثامنًا. قانونية الرسائل السبع الكاثوليكية (الجامعة) وسفر الرؤيا

اختلفوا في سبب تسمية هذه الرسائل جامعةً ولا شيء مما قيل في ذلك يشفي غليلاً. فمنهم من قال انها سُميت بذلك لانها تتضمن التعليم الجامع الواحد الذي تسلمتهُ الكنائس واعطاهُ مخلصنا للرسل لكي تقراهُ الكنيسة الجامعة. ولكن لا يمكن ان يكون ذلك سببًا في تسمية هذه الرسائل السبع بهذا الاسم دون غيرها لان ما قيل في شانها يقال في شان الرسائل الاخر القانونية

وزعم آخرون انها تسمت بهذا الاسم لانهُ لم يخاطب بها كنائس ولا افراد خصوصية مثل رسائل بولس وانما خوطب بها الكنيسة الجامعة. فهذا الزعم غير صحيح لان جملة منها يخاطب بها افراد خصوصية

وذهب غيرهم الى ان هذا اللقب لُقب بهِ اولاً رسالة بطرس الاولى ورسالة يوحنا الاولى اللتان خوطب بهما المسيحيون على العموم وقبلتا بالاجماع ولهذا السبب الاخير تلقبتا في الاصل بالجامعة تمتازا عما لم تقبل بالاجماع ثم بعد ذلك لما قُبلت الخمس الباقية بالاجماع دخلت تحت هذا الاسم

والظاهر انهُ لم يمضِ زمان طويل لكتابة الرسالة الاولى لبطرس والرسالة الاولى ليوحنا قبل ان اشتهرت وقد اقتبس آياتٍ منها اغناطيوس وبوليكاربوس وباپياس الذين كانوا معاصرين للرسل ولكن من غير تعيين الكتب التي نقلوا عنها باسمائها

ويوستينوس الشهيد اقتبس آيةً لا توجد الاَّ في الرسالة الثانية لبطرس ونقل ضيا غنيطوس عدة آياتٍ عن الرسالة الاولى لبطرس والرسالة الاولى ليوحنا وايريناوس اقتبس من رسالة بطرس هذه الآية الذي وان لم تروهُ تحبونهُ وينسبها بالقول الصريح الى بطرس واقتبس ايضًا من الرسالة الثانية لبطرس والاولى والثانية ليوحنا وقد اقتبس عدة آيات من رسالة يعقوب ولكن من غير تعيين اسمهِ. وكثيرًا ما اقتبس اكليمنضوس الاسكندري من الرسالة الاولى لبطرس ومن الثانية احيانًا وايضًا من رسالة يهوذا. وكثيرًا ما اقتبس طرطوليانوس من الرسالة الاولى ليوحنا ومرةً واحدة من رسالة يهوذا ولم ياخذ شيئًا من غيرهما من هذه الرسائل

وقد شهد اوريجانوس لرسالة يعقوب شهادة شافية ويشير اليها بهذا الكلام. لانهُ وان سمي ايمانًا فاذا كان من غير اعمال فهو ميت كما نقرا في الرسالة المنسوبة الى يعقوب انتهى. وفي الترجمة اللاتينية عن تصانيفهِ التي استخرجها روفينوس ذُكرت هذه الرسالة على انها كتاب الهي ونسبت

الى يعقوب الرسول اخي يسوع . وهذا الاب العالم كثيرًا ما اقتبس من الرسالة الاولى لبطرس وانما لم يقتبس من الثانية الاَّ في تصانيفهِ باللاتينيَّة المستخرجة من النسخ اليونانية الاصلية المفقودة. وفي كتابهِ ضد سلسوس يقول كما يقول بطرس وانتم ايضًا فابنوا انفسكم عليهِ كالحجارة الحية بيتًا روحانيًا . ويقول ايضًا بطرس بروحهِ المستقيم يقول مماتًا بالجسد ومعاشًا بالروح . وشهادتهُ في حق يهوذا قوية ايضًا فيقول يهوذا كتب رسالةً نعم اسطرها قليلة ولكنها مملوة من الكلام الشديد والنعمة السماوية الذي يقول في بدئها يهوذا عبد يسوع المسيح واخو يعقوب انتهى . وكثيرًا ما يقتبس كبريانوس من الرسالة الاولى ليوحنا والرسالة الاولى لبطرس ولكنهُ لا يذكر غيرها من هذه الرسائل

وقد انفرد اوسابيوس في مذهبٍ من جهة رسالة يعقوب. فيسلم بان يعقوب تلميذ من تلاميذ المسيح كتبها وهو عندهُ غير يعقوب الرسول . وانما في مكان آخر يقتبس هذه الكلمات وان كان احدكم في حزن فليصلِ وان فرح فليرتل كما يقول الرسول الطاهر يع ٥: ١٣ وقد ناقض نفسهُ لانهُ لما قسم الكتب اقسامًا وضع رسالة يعقوب بين الكتب المشتبهة اي التي لم تكن قانونية. فالشهادة التي يعطيها في تاريخهِ ضرورية وهي قولهُ ورسالة واحدة لبطرس تُعرَف بالاولى لهُ مقبولة بالاجماع وقد اقتبس منها قسوس الازمنة القديمة في كتاباتهم على انهُ لا ريب في صحة نسبتها واما التي تسمى رسالتهُ الثانية فقيل انها لم تقبل بين اسفار العهد الجديد واذ لاح لكثيرين انها مفيدة فدرسوها بالانتباه مع باقي الاسفار المقدسة انتهى. وقال في مكانٍ آخر اما رسالة يوحنا الاولى ورسالة بطرس الاولى فيجب ان تعتبرا صحيحتي النسبة. واما التي وقع الخلاف فيها والتي يعرفها الاغلب ويستصوبونها فهي المعروفة برسالة يعقوب ورسالة يهوذا والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا وقد اختلفوا في من كتب هاتين الاخيرتين هل هو صاحب الانجيل او غيرهُ انتهى

وقد اقتبس اثناسيوس من رسالة يعقوب على انها تصنيف الرسول المعروف بهذا الاسم . واقتبس ايضًا آيات من الرسالة الاولى والثانية لبطرس ومن الرسالة الاولى والثانية ليوحنا وايضًا من رسالة يهوذا

وهذه شهادة ايرونيموس الكاملة في حق رسالة يعقوب . يعقوب المسمى باخي الرب الملقب يوسطوس يظن البعض انهُ ابن يوسف من امراتهِ الاولى ولكني اظن انهُ ابن مريم اخت ام الرب التي ذكرها يوحنا في انجيلهِ . رُسم اسقفًا على اورشليم بعد ما تالم الرب بزمان قصير وكتب رسالة من الرسائل السبع الجامعة وقيل انهُ كتبها آخر تحت اسمهِ . وبالتدريج مع تعاقب الايام صارت ذات سلطان . وهو الذي كتب عنهُ بولس في رسالتهِ الى الغلاطيين والذي يذكر كثيرًا في اعمال الرسل واحيانًا في الاناجيل التي ترجمتها من قريبٍ من اليونانية الى اللاتينية انتهى. واما اوغسطينوس فقبل

جميع الرسائل الجامعة . وقد اقتبس من رسالة يعقوب على انها تصنيف الرسول المعروف بهذا الاسم . واقتبس ايضاً من رسالتي بطرس ورسائل يوحنا الثلاث ورسالة يهوذا وسماهُ رسولاً

وكان افرام السرياني من اهل القرن الرابع ونجد في تصانيف كثيرة لهُ اقتباسات صريحة من رسالة يعقوب والثانية لبطرس والثانية والثالثة ليوحنا ومن رسالة يهوذا ونجد ايضاً شهادات كثيرة من رسالة بطرس الاولى ورسالة يوحنا الاولى . فكانت اذاً عندهُ الرسائل السبع الجامعة من الاسفار المقدسة

واما كتاب الرؤيا فلم تعتمد عليهِ الكنيسة القديمة الى مدة . وذلك خصوصاً لما فيهِ من الموافقة بحسب الظاهر لمذهب بعض الاراتقة الذين قالوا ان المسيح سوف ياتي ويحكم على الارض الف سنة حكماً ارضياً فلم يذكر في جملة من القوائم القديمة . وكان في ذلك سبب اخر ايضاً وهو ما فيهِ من السرائر العميقة فلم يقرا في الكنائس على الغالب وقد ارتاب بعض المتاخرين في حقهِ ان يكون بين الاسفار المقدسة في القانون . ولكن لما نفحص ما لهُ من البينة نجد من حيث الشهادة القديمة ان لهُ حقاً في ذلك كغيرهِ من اسفار العهد الجديد

فالظاهر ان هرماس وبابياس عرفوا هذا لان هرماس تبع ما فيهِ دون غيرهِ في بعض تصانيفهِ ويكرر ذكر سفر الحياة والذين كُتِبت اسماؤُهم فيهِ ولا يخفى ان ذلك انما يوجد في سفر الرؤيا . واما بابياس فالظاهر انهُ اتخذ بعض آرائهِ من استخراج بعض الاشياء من هذا السفر بولغَ في استخراجها الحرفي

واما يوستينوس الشهيد فهو اول من ذكر الرؤيا بالتصريح قال وقد تنبأ رجل منا اسمهُ يوحنا واحد من رسل المسيح في ما أُعطيهُ من الرؤيا بان المؤْمنين بمسيحنا سوف يحيون الف سنة في اورشليم وبعد ذلك تكون القيامة العمومية الابدية ودينونة جميع الناس

وفي رسالة الى كنيسة ليون وڤينا كُتِبت قبل نهاية القرن الثاني اقتباسٌ من هذا السفر في سياق الكلام عن ڤاتيوس اباغاتوس الشهيد وهو لانهُ كان شهيداً للمسيح مخلصاً يتبع الخروف حيثما ذهب رؤْ ١٤: ٤

وقد اقتبس ايريناوس من الرؤيا ونسبها الى يوحنا الرسول . قال ولم تُرَ رؤْيا هذا الكتاب قبل نهاية ملك دوميتيانوس بزمانٍ طويل انتهى . وفي آيةٍ لهُ حفظها اوسابيوس حكى عن نسخ هذا السفر القديمة الصحيحة المثبتة ايضاً من مطابقة شهادات الذين شاهدوا يوحنا نفسهُ

وحقق لنا اوسابيوس ان ثيوفيلوس الانطاكي استشهد بآياتٍ من الرؤيا في كتابهِ ضد

هرموجينيس واكليمنضس الاسكندري ايضًا اقتبس من هذا الكتاب فيقول في مكان مثل هذا ولئن لم يُشرَّف على الارض بالمجلس الاوَّل فسوف يجلس على الاربعة وعشرين كرسيًّا يدين الناس كما يقول يوحنا في الرؤيا . وفي مكان آخر يقتبس منهُ على انهُ تصنيف رسول . وظرطوليانوس ايضًا اقتبس اشياء كثيرة من هذا السفر والظاهر انهُ لم يرْتَبْ في كونهِ من تصنيف يوحنا الرسول

وهيبوليتوس من اهل القرن الثالث كان كثير الشهرة في الكنيسة الشرقية والغربية . وهو لم يقبل الرؤيا على انها تصنيف يوحنا الرسول فقط بل الظاهر انهُ شرحها كما يبين من كتابة وُجدت على تمثال لهذا الاب وُجد مردومًا تحت التراب برومية في سنة ١٥٥١ يتضمن قائمة جميع التصانيف التي ينسبها اليهِ اوسابيوس وايرونيموس وبعضًا منها لم يذكراها ومنها كتاب تفسير انجيل يوحنا والرؤيا

وكان اوريجانوس عارفًا بالرؤيا احسن معرفة وسمَّى مصنفها صاحب الانجيل ورسولاً وسمَّاهُ ايضًا نبيًّا لما فيها من النبوة . وكان مرادهُ ان يشرح هذا السفر فلا نعلم هل تم مرادهُ اولا لانهُ لم يصل الينا شيء من ذلك ولم يذكرهُ احدٌ من الذين كتبوا عن الامور الكنائسية ممن اتوا بعدهُ

وانما ديونيسيوس الاسكندري الذي كان من مشاهير عصرهِ قد اخبرنا عن صحة قانونية هذا السفر اكثر من غيرهِ . فمنهُ نعلم ما ذكرناهُ سابقًا انهُ اذ اوَّل هذا السفر بعض الارانقة سقطت قيمتهُ الى زمان عند الكنيسة . وكان هولاء الضالون كثيري العدد في بلاد ارصينو بمصر فذهب اليهم ديونيسيوس واجتهد كثيرًا في ان يردهم من ضلالهم ولم تذهب اتعابهُ عبثًا لان كثيرين بواسطتهِ رجعوا الى الايمان المستقيم . اخبرنا بان كثيرين قبل زمانهِ رفضوا هذا السفر بالكلية وكانوا ينسبونهُ الى كيرنثوس الاراتيكي . فكان يعتقد ديونيسيوس هذا بان الرؤيا سفر كتبهُ بالهام من الله رجل اسمهُ يوحنا ولكنه غير يوحنا الرسول . والسبب الوحيد الذي يذكرهُ لهذا الراي هو ان نفس هذا السفر مختلف عن نَفَس الرسول في تصانيفهِ الاخرى . فجوابًا لذلك يقول العلامة لاردنر انهُ لو فرضنا وجود الاختلاف فذلك لايدل على ان يوحنا الرسول لم يكن المصنف لان نَفَس النبوة يختلف اختلافًا كليًّا عن نفس القضية التاريخية ويختلف ايضًا عن نفس الرسائل . ثم لا يسلم هذا العلامة المدقق باختلاف النفس بما يدعوا الى هذا الاعتراض واثباتًا لقولهِ يبرهن على وجود مشابهة كلية من بعض الوجوه بين نفَس الرؤيا ونَفَس كتابات يوحنا الرسول المعهودة

وكان سفر الرؤيا مقبولاً عند كبريانوس ايضًا على انهُ من جملة الاسفار القانونية كما يظهر من اقتباساتهِ منهُ . فيقول اسمع صوت ربك وهو يوبخ مثل هولاء القوم لانك تقول اني انا غني وقد استغنيت ولا حاجة لي الى شيء ولست تعلم انك انت الشقي والبئس وفقير واعمى وعريان رو ٣: ١٧ وايضًا قولهُ هكذا وصفت المدينة الزانية في الاسفار المقدسة التي يريد الرب ان يعلمنا بها ويحذرنا

(ولا يخفى ان وصف المدينة الزانية انما يوجد في كتاب الرؤيا فوضعهُ بين الاسفار المقدسة) ويقول ايضًا والاسفار المقدسة تعلمنا في الرؤيا ان المياه تشير الى الناس

وانهُ لظاهر من جميع تصانيف لاكتنثيوس ان هذا السفر كان مقبولاً عندهُ وعلى الخصوص من التي قصد ان يخبر فيها من نبوات هذا السفر بما سيحصل للكنيسة . وفيكتورينوس ايضًا الذي كان في نهاية القرن الثالث كثيرًا ما يقتبس من هذا السفر وينسبهُ الى يوحنا الرسول وعلى ذلك يظهر ان سفر الرؤيا كان مقبولاً بالاجماع على انهُ قانوني الى اوائل القرن الرابع ولم يشك احدٌ في كون يوحنا الرسول المصنف الاَّ رجل واحد نسبهُ الى آخر بهذا الاسم كان تلميذًا للرب رجلاً ملهمًا. ومع ان في ذلك الوقت سقطت قيمتهُ لم يرفضهُ احد من فضلاء الكنيسة بالكلية . واوسابيوس بعد ان اعطى قائمة في الاسفار الاخرى يقول ويمكن ان يضاف الى هذا سفر الرؤيا التي اختلفت الاراء فيها اذا وجد مناسبًا

وهذه شهادة اثناسيوس ان دوميتيانوس في السنة الرابعة عشرة لملكهِ اثار الاضطهاد الثاني بعد اضطهاد نيرون ونفي يوحنا الى جزيرة بطمس حيث كتب الرؤيا التي شرحها ايريناوس ويوستينوس الشهيد

وكان هذا السفر مقبولاً عند اوغسطينوس وكثيرًا ما اقتبس منهُ . وهو ايضًا ينسبهُ الى يوحنا الذي كتب الانجيل والرسائل . واستخرجهُ ايرونيموس الى اللاتينية مع اسفار العهد الجديد الاخر

ومن ثمَّ تكون البينة على صحة قانونية هذه الرؤيا النبوية شافية كغيرها من البينات على باقي اسفار العهد الجديد . وليس بعيدًا الزمان الذي فيهِ تنفك الخواتم التي ختمت معاني هذا السفر هذه المدة الطويلة وعند ذلك يظهر سفر الرؤيا انهُ بالحقيقة رؤيا عجيبة لاعظم الحوادث التي هي لنا مستقبلة. فلا يجب التعرض لدرس هذا الجزء من الكتاب المقدس لانهُ اذ تتم مقاصد العناية الالهية فالصحائف السرية تنكشف رويدًا رويدًا والحوادث التي انبأ بوقوعها الكتاب تتم على اصرح ما يكون بحيث يرى صريحًا جميع من انعم عليهم بالفهم الروحاني ما سوف يتم ان الكتاب المختوم قد فتح وان مقاصد الله نحو كنيستهِ آخذة في النجاح التام السريع التي هي الآن والتي ينبغي ان تكون بعد هذه رؤ ١٩:١

ونختم كلامنا في هذا الموضوع ببعض الاقوال العامة . فنقول

اولاً ان ترتيب قانون العهد الجديد لم يحتج الى حكم او استصواب مجمع او كنيسة الاَّ الى شهادتها على ان الذين كتبوهُ كانوا اناسًا مشهورين بالالهام فكان لكل سفر كتبهُ رسول حق في ان يكون بين الاسفار القانونية حالما كُتب ولذلك كانت الاسفار المقدسة قانونية قبل ان جمعت في مجلد فكان لكل رسالة من رسائل بولس كل السلطان الممكن ان يكون لها حالما قبلتها الكنيسة التي أُرسلت

اليها تلك الرسالة وكان لها هذا السلطان سواءٌ كان عند تلك الكنيسة في ذلك الوقت كتاب اخر او لم يكن . وكان نجاز ترتيب القانون او جمعهِ عند ما كُتب السر الاخير الملهم من روح الله . ومن حيث ان يوحنا الرسول طالت حياتهُ اكثر من غيرهِ من الرسل وكتب بعدهم جميعهم فكان ختام القانون يوم كَتب اخر اسفارهِ ايًّا كان . وبما ان ذلك كان قبل موتهِ بالضرورة يقال بالتحقيق ان قانون العهد الجديد تم قبل موت يوحنا الرسول . ومن حيث ان جميع الاسفار انتشرت لما كان حيًّا بعد كان للكنيسة السعة التامة للوقوف على رائهِ المعصوم من الغلط من جهة سفر من هذه الاسفار او من جهتها جميعها . وذلك دليل كافٍ على الاتفاق الذي قبلت بهِ هذه الاسفار عند عموم الكنيسة . وكما استصوب الاناجيل الثلاثة لاريب انهُ استصوب ايضًا كل القانون المقدس . وعلى ذلك لانجد شيئًا من المناظرة في الاعصر الاولى للكنيسة من جهة القانون . نعم ارتاب البعض في قانونية بعض الاسفار الموجودة الآن في القانون فادَّى هذا الريب الى فحص خالي الغرض ثم الى الاجماع بقبولها . اما باقي الاسفار فقُبلت باتفاق عمومي

ثانيًا كانت اسفار العهد الجديد منذ البدء مميزة عمَّا عداها كل التمييز . فسموها الكتب والكتب المقدسة والكتب الموحى بها والاناجيل وكلام الرب والينابيع الالهية وما اشبه ذلك . ولم يسرع الآباء في التصديق بهذا الامر بل اجتهدوا كثيرًا في الفحص عن دعوى الاسفار التي نُسبت الى الرسل

ثالثًا لما كُتبت هذه الاسفار لم تُترَك في الخفا بل كانت تقرا في الكنائس جهرًا وطلبها الناس بكل رغبة وقراها بالاحترام ليس العلماء فقط بل عامة المسيحيين ايضًا لان الظاهر انهُ لم يخطر لاحد ان تمنع الكتب المقدسة عن الناس . والدليل على ان هذه الاسفار القانونية التي كانت تقرا في الكنائس جهرًا واضحٌ من شهادة يوستينوس الشهيد وطرطوليانوس واوسابيوس وكبريانوس واوغسطينوس ولم يكن لغيرها من الكتب ما لها من الاحترام والالتفات ولم يُقَل في غيرها انها كتب مقدسة موحى بها ولما قُرئت كتب اخر على الجمهور للتعليم اجتهد الآباء كل الاجتهاد على تمييزها عن الكتب القانونية

رابعًا في جميع المناظرات التي قامت في الكنيسة كانت جميع الفرق ترفع دعواها الى هذه الكتب على ان لها الحكم القاطع ما خلا بعض اشر الاراتقة الذين حفظًا لارائهم حرفوا الاسفار المقدسة ورفضوا منها ما ناقض تعاليمها الفاسدة على وجهٍ صريح . واكثر الاراتقة اجتهدوا ان يحاموا عن ارائهم بما كُتب في العهد الجديد منهم اصحاب راي فالنتيوس ومونتانوس وصابليوس وابرونيموس واريوس وبيلاجيوس وبريسكليانوس ولم يرتَبْ احد من هولاءِ في سلطان الاسفار المقدسة

خامسًا ان الذين اقرّوا بانهم اعداء الديانة المسيحية وكتبوا ضد الحق اشاروا الى الاسفار الموجودة الآن في القانون على انها هي التي قُبِلت عند المسيحيين على انها مقدسة . واعداء الانجيل هولاء يشيرون الى امور توجد في هذه الكتب وبعضهم يذكرون جملةً منها بالاسم

منهم كلسوس الذي قام بعد زمان الرسل بمئة سنة وكتب ضد الديانة المسيحية فيقول كما اقتبس اوريجانوس من كتابهِ الذي رد عليهِ . ويمكنني ان اقول اشياء كثيرة من جهة امور يسوع قولاً مخالفًا لما كتب عنهُ تلاميذهُ ولكني اتركها قصدًا انتهى . وفي مكان اخر يقول فقد حققنا لكم هذه الاشياء من كتبكم نفسها

والظاهر مما بقي من كتابات بورفوريوس انهُ ايضًا عرف الاناجيل الاربعة لان الاعتراضات التي ياتي بها ضد الديانة المسيحية متجهة ضد امور لا تزال موجودة في هذه الاناجيل

والامبراطور يوليانوس المعروف بالمرتد لانهُ كان نصرانيًّا ثم كفر يذكر متى ولوقا باسميهما ويقتبس اشياء مختلفة من الاناجيل . ويذكر ايضًا يوحنا ويقول لم ينسب احدٌ من تلاميذ المسيح خلق العالم اليهِ غيرهُ . وايضًا يقول لا متى ولا مرقس ولا لوقا تجاسران يدعو يسوع الهًا . وايضًا ان يوحنا كان آخر من كتب من اصحاب الاناجيل وكتب في زمان آمن فيهِ عدد كبير من بلاد اثينا وايطاليا انتهى . فلو لم تكن هذه الاسفار صحيحة النسبة فهل كان يجهل ذلك هولاء المضادون المشهورون بالعلم والباس واما كانوا يفضحون هذه الخديعة فنراهم بالعكس يقرون وهم صامتون بصحة نسبة الاناجيل ويتكلمون عنها كانها كتب تلاميذ المسيح من غير شك كالمسيحيين انفسهم

سادسا ان مجموع الشهادة الذي اوردناهُ ليس فقط كافيًا للبرهان على ان هذه الاسفار كتبهت اولاً من الذين نُسِبت اليهم دائمًا ولكن ايضًا ان الكتب التي كانت بين ايدي المسيحيين الاولين تتضمن نفس الاشياء التي توجد فيها الآن ماخلا خمس اوست آيات اختلف في صحة نسبتها لان النسخ القديمة والترجمات تختلف فيها . فبقدر ما نستطيع ان نحكم من الاقتباسات الكثيرة ومن الترجمات الاولى والنسخ القديمة التي وصلت الينا نقول انهُ لم يعرض على هذه الكتب تغيير جوهري . نعم يظهر ان الاباء في بعض الاحيان اقتبسوا متكلين على ذاكرتهم وبعض الاحيان استخرجوا كلام الاسفار المقدسة على غير ما نستخرجهُ الآن غير ان البينات كثيرة التي تدل على ان اسفار العهد الجديد قد وصلت الينا على ما كانت في الاصل ماخلا الخطا الذي دخل من عدم انتباه النساخ اوجهلهم وبخصوص هذا الخطا نقف غالبًا على الصحيح بواسطة كثرة النسخ اليونانية والترجمات القديمة مع مساعدة اقتباسات كثيرة اقتبسها اهل افريقيا واسيا واوروبا . وربما كانت كل جملة تقريبًا من بعض اسفار العهد الجديد مُقتبسَة اواشير اليها من الاباء . فلينظر من اراد الى جدول

الآيات التي اقتبسها كبريانوس واوريجانوس وطرطوليانوس اوغيرهم من اصحاب التصانيف الكثيرة فيرى حالاً انهُ قد يُجمع جزءٌ عظيم من العهد الجديد من تصانيفهم

ثم يليق بنا ان نسال الآن هل فُقِد يا ترى احد الاسفار القانونية . وجوابًا لذلك اقول اولاً . لو فرضنا انهُ فقد شيءٌ منها فذلك لا ينقض قيمة وسلطان الباقي بل يجب ان نشعر اكثر بقيمتهِ ونقبلهُ باكثر شكر

ثانيًا . ليس لنا سبب كافٍ للظن انهُ قد فقد احد الاسفار القانونية اي الكتابات الموحى بها التي قصد الله ان يجعلها من القانون الالهي نعم انهُ ذُكِر في العهد القديم بعض اسفار لا توجد الآن نظير كتاب ياشر يش ١٠: ١٣ .وكتاب حروب الرب عد ٢١: ١٤. ولكن لا دليل البتة على انهما حُسِبا من القانون الالهي عند اليهود اوكان لهما حق بذلك . وهكذا يمكن ان يقال عن كتاب اخبار الايام لملوك اسرائيل المشار اليهِ كثيرًا في سفر الملوك الاول .فليس هو سفر الايام الموجود في الكتاب المقدس بل هو اخبار مملكة اسرائيل كتبهُ مسجلو الملوك . والثلاثة آلاف مثل لسليمان ونشائدهُ التي كانت الفًا وخمسًا ومؤَلفاتهُ في النبات والحيوان او كان لنا نسخ صحيحة منها لكنا نقراها بلذةٍ غير انهُ لا دليل البتة على انهُ أُدعي لها بالوحي اوانها قُبِلت في القانون عند اليهود

واما السفران اللذان زعم البعض انهما مفقودان من العهد الجديد فهما رسالة من بولس الى الكورنثيين قيل انها كُتِبت قبل رسالتهِ الاولى الى الكورنثيين التي عندنا ورسالة اخرى منهُ الى اللاودكيين وذلك بناءً على ما ورد في ١ كو ٥: ٩ وكو ٤: ١٦ ولكن الرسالة المذكورة في ١ كو ٥: ٩ ربما هي ذات الرسالة التي كان يكتبها حينئذٍ اذ قال كتبت اليكم في الرسالة اي هذه الرسالة. واما الرسالة الى اللاودكيين فذهب الجمهور وذلك بالحق الى انها انما هي الرسالة الى افسس وذلك لان افسس كانت قصبة اسيا الصغرى فمن المحتمل ان هذه الرسالة أُرسلت الى جميع الكنائس في هذه المقاطعة التي كانت كنيسة لاودكية واحدة منها . وهذا هو الحلّ الوحيد الذي لا تحول دونهُ صعوبات كلية . نعم انهُ وجدت في الجيل الخامس رسالة من بولس الى اللاودكيين غير انهُ كان الامر واضحًا انها زور ولم تحسب البتة من القانون الالهي

ومتى قلنا ان الاسفار القانونية هي القانون الوحيد لايماننا كثيرًا ما يعترض البابا ويون اننا تسلمنا هذه الاسفار من الكنيسة الرومانية وبسلطانها وبالنتيجة ان سلطان تلك الكنيسة على الاقل يعادل سلطان الكتاب المقدس ولكن باي معنىً يمكن ان يقال اننا قبلنا الكتاب المقدس بسلطان كنيسة ما . هل اجتمعت الكنائس معًا في مجمع عام وحكمت بسلطانٍ اي اسفار نقبلها واي اسفار نرفضها . نعم انهُ كثيرًا ما قال الكفرة انهُ بعد جدالٍ طويل حُكِم بقبول الاسفار المقبولة بحسب اغلبية الصوت .

ولكن في اي وقت عُقِد هذا المجمع العام وفي اي مكان . وابن كان هذا العمل الكنائسي الاعظم ما يكون . فالجواب لم يكن في مكانٍ البتة . وهذا الامر كلهُ تلفيق . نعم ان بعض المجامع الصغيرة في الجيل الثالث والرابع ذكرت في اعمالها الاسفار المقبولة في الكنائس ولكن بدون ان تدَّعي بسلطان على تعيين الاسفار القانونية

فكما بينَّا سابقًا نحكم بما تدعيهِ اسفارنا المقدسة بحسب الادلة الخارجة والداخلة كما نحكم بالنظر الى اي كتب اخرى قديمة . فلا نقبلها البتة على سلطان الكنيسة كما يدَّعي البابابويون . ولكي يقدر البابابوي ان يثبت اعتراضهُ يجب ان يبين امرين . الاول ان الكنيسة الاولى كانت رومانية كاثوليكية اي بابوية . والثاني ان القانون الكتابي قُرِّر بحكم الكنيسة الاولى العام القطعي . ولكنهُ لا يقدر البتة على اثبات واحدٍ منها لانهُ ليس لهما ظل حق

ومن حيث ان كتب العهد الجديد غير القانونية قائمة بنفسها غير متعلقة بالكتاب المقدس ولئن كانت كثيرة ومن حيث انهُ لا يدعي احدٌ قانونية شيء منها فلا حاجة الى البحث عنها هنا . فمن اراد الوقوف على ماهيتها وصفاتها فليراجع مطولات العلماء

م

WATER AND LIFE ● VIRGINIA ● UNITED STATES
http://www.waterandlife.net

الفصل الثالث

صدق انتساب الكتاب المقدس

اذ قد اثبتنا قانونية الاسفار المتضمنة في كتابنا المقدس نتقدم للبحث عن صدق نسبتها الى كاتبيها . واعني بصدق النسبة ما يضاد كونها مزورة . فالمسائل الواقعة تحت الفحص الآن هي كهذه هل كتبت اسفار الكتاب المختلفة في الازمنة والامكنة التي قيل انها كتبت فيها . وهل هي بالحقيقة كتابات الناس المسماة باسمائهم والمنسوبة هي اليهم

ان هذا الموضوع واسع جدًّا يحتمل ان تُملأَ بهِ مجلدات كما هو واضح . ولذلك نقدم بعض الملاحظات العمومية فقط التي تبين صدق نسبة اسفارنا المقدسة وصحتها

١ لا بنية حقيقية ضد صدق نسبتها . بل عند المدققين ادلة بها يكشفون تزوير اي كتاب كان وذلك في الظروف الاعتيادية هين محقق . مثاله ما قالهُ ميخالس وهو عند اول ظهور كتاب اذا شُكَّ في كونهِ تاليف من نُسِب اليهِ فذلك يمنعنا عن قبول ذلك الانتساب . وكذلك اذا انكر اصحاب المولف الذين هم اقدر من غيرهم للحكم في هذا الامر ان ذلك التاليف لهُ او اذا مضت عدة سنين بعد موتهِ وكان الكتاب فيها غير معروف اذ لابد من ذكرهِ او الاشارة اليهِ لو كان موجودًا . او اذا كان النَفَس مخالفًا لنَفَس مولفاتهِ المعروفة او لما ينتظر منهُ ان لم يبقَ لهُ مولفات . او اذا ذكرت حوادث او اشير اليها حال كونها لم تحدث حتى بعد زمان المولف المزعوم . او اذا كان في التاليف اراء مضادة لاراء المولف المعروفة . وبالاختصار اذا كان غير مناسب للمولف المزعوم او للعصر والبلاد اللذين عاش فيهما انتهى . والامر واضح ان لاشيء من هذه الادلة المذكورة الموافقة للعقل يوتى بهِ ضد الاسفار المقدسة بل بالعكس تشهد لها وتثبت صدقها .
نعم في اسفارنا المقدسة وخصوصًا في الاسفار المنسوبة الى موسى بعض العبارات لا يمكن ان يكون موسى قد كتبها بل اضافها صموئيل او عزرا او اخر غيرهما . ولكن ذلك لا ينافي كون موسى مولف الاسفار . فمن يشك ان هوميروس هو مولف القصائد المنسوبة اليهِ ومع ذلك لا شك انهُ قد طرا عليها بعض التغييرات

٢ لنا اسباب للاعتقاد بصدق نسبة اسفارنا المقدسة اقوى مما لاي كتابٍ كان قديم. فاجمع الادلة المثبتة صدق نسبة تاليف احد القدماء المشاهير مثل خطب شيشرون اوموشحات هوراتيوس او اينيد فرجيليوس ونحن نقدم لك ادلة اقوى تثبت صدق نسبة اسفارنا المقدسة تقريبًا كلٍ بمفردهِ. ولنبتدئ في اسفار العهد الجديد . فنقول اننا نعلم بالتحقيق من ادلة مختلفة تاريخية ان تلك الاسفار كانت موجودة في العصر الذي نُسِبت اليهِ . ومؤلفو ذلك العصر لم يشيروا اليها فقط بل ذكروها صريحًا واقتبسوا منها كثيرًا جدًّا . ونعلم ايضًا ان الاصدقاء والاعداء نسبوها حينئذٍ الى الاشخاص الحاملة اسماءهم وبقيت منسوبة اليهم حتى يومنا هذا

واما اسفار العهد القديم فلا شك انها كانت موجودة لما كتبت اسفار العهد الجديد وقبل ذلك بزمان طويل فانها جُمِعت في جلد واحد وترجمت الى اليونانية قبل ميلاد المسيح باكثر من مئتي سنة . وفي عصر ترجمتها حُسِبت اسفارًا قديمة جدًّا . فان المسيحيين الاولين قبلوها من اليهود الذين جميعهم الاقدمون والمتاخرون يتفقون في نسبتهم اياها الى اولئك الاشخاص الاطهار المحترمين المنسوبة هي اليهم الآن

والمسيحيون الاولون كانت لهم الفرصة المناسبة لفحص صدق نسبة الاسفار التي قبلوها . ونعلم ايضًا انهم احتذروا جدًّا في هذا الامر ملاحظين جيدًا الادلة ومدققين فيها الى النهاية . شكوا حيثما لاق الشك ورفضوا كل ما لم تكن لهُ ادلة كافية . وما قد اقنعهم يكفينا نحن لاقناعنا

وبالاجمال لاشك ان عندنا براهين لتثبيت صدق اسفارنا المقدسة اقوى جدًّا مما لاي كتابٍ دينيٍّ كان . واذا كان اليسوعي هردُوِن قد استحق الازدراء بهِ على انكارهِ صدق مولفات اليونانيين والرومانيين البليغة ناسبًا اياها الى رهبان القرون المتوسطة فكم بالحري يستحق الازدراء الكفرة الحديثون الشاكون في صدق نسبة العهدين القديم والجديد

٣ ان لم تكن اسفارنا المقدسة تاليف الاشخاص الحاملة اسماءهم فهي اذن مزورة . فالمسئلة حينئذٍ هي متى زُوِّرت ومن زورها . من يستطيع ان يجيب هذين السوالين جوابًا محتمل صدقهُ . فاذا كانت هذه الاسفار مزورة كيف نعلل قبولها اولاً . فهل يمكن ان اليهود مثلاً يكونون قد قبلوا نواميسهم من غير يد موسى وهي منسوبة اليهِ . اوهل يمكن ان المسيحيين الاولين يكونون قد قبلوا اسفارهم المقدسة من غير ايدي الرسل والانجيليين مع انهم حالاً رفضوا كلما قُصد ان يُغَشُّوا بهِ . فلا شك انهم كانوا قد رفضوا اسفار العهد الجديد لولم يكونوا قد اقتنعوا تمامًا بصدق نسبتها

وما عدا ذلك هو امر واضح ان كتبة الاسفار المقدسة كانوا اناسًا صالحين . اناسًا حسب معرفتنا بهم اطهارًا . ومؤلفاتهم تضاد كل خطية وتامر بطهارة القلب والسيرة . ولكن ان لم تكن

الاسفار صحيحة النسبة فكتبتها كانوا مزورين غشاشين كذابين . وحينئذٍ نرى امرًا غريبًا . مزورين صالحين . غشاشين فاضلين كذابين اطهارًا . وكتبهم التي كل ميلها انما هو لمقاومة كل نوع من الغش والحكم عليهِ نراها تاليف اشر الغشاشين واشقاهم

٤ ثم لنا شهادة الوثنيين والاراتقة القدماء برهان على صدق نسبة اسفارنا المقدسة . فمن الوثنيين القدماء الذين كتبوا ضد الديانة المسيحية ووصل الينا بعض كتاباتهم كلسوس الذي كان فيلسوفًا في القرن الثاني . وفرفريون في الثالث . والامبراطور يوليانوس الذي كان مسيحيًّا اولاً ثم ارتد وصار من امرّ مقاومي الحق . اما كلسوس الذي كتب نحو ستين سنة بعد العصر الرسولي فلم ينكر البتة صدق نسبة الاناجيل بل بالعكس شدد في كونها صحيحة واراد ان يحج المسيحيين من اسفارهم المقربها . فانهُ اقتبس من كل اقسام الكتاب المقدس متكلمًا عنها كمجموع مولفات محسوبة عند مسيحيي ذلك العصر ذات سلطان اسى . وهكذا يقال عن فرفريون ويوليانوس مع اننا نعرف اقل عن كتاباتهما لانهُ لم يبقَ منها الاَّ القليل . فنرى ان كفرة تلك الاعصر لم تفتكر البتة بان تنكر صدق نسبة اسفارنا المقدسة . بل بالاحرى قبلوا صدقها وقصدوا ان يتخذوا من ذلك ادلة لمقاومة الحق الموجود فيها . وكذلك قد انزعجت الكنيسة قديمًا جدًّا من الهراطقة الذين انكروا تعاليم الانجيل وفرحوا بان يتخلصوا من كل قسم من الكتاب مبلغة فيهِ هذه التعاليم بالوضوح منهم اصحاب كيرنثوس وابيونيوس والناصريون وجميعهم انكروا رسولية بولس ورفضوا رسائلهُ عن ان تكون جزءًا من الكتاب المقدس . ومع ذلك لم يشكوا في صدق نسبة تلك الرسائل بل اقروا ان بولس قد كتبها بيدهِ . وعلى هذا السبيل ولاجل ذات السبب رفضوا اناجيل مرقس ولوقا ويوحنا وقبلوا نسخة محرفة من انجيل متى فقط . ومع ذلك لم ينكروا صدق نسبة الاناجيل الثلاثة التي رفضوها . ولكن ازدروا بها لسبب اخراي لانهم ابغضوا ما تحواهُ ولم يستطيعوا ان يجعلوها توافق معتقداتهم

٥ نَفَس الاسفار المقدسة هو ايضًا برهان على صدق نسبتها . فانهُ يناسب من كل الاوجه عصر الكتبة المنسوبة اليهم وظروفهم . فنفس موسى هو عين ما ننتظرهُ من موسى . واما نفس الانبياء الذين كتبوا مدة السبي وبعدهُ فمخالف جدًّا لنفس موسى ولكنهُ موافق الاحوال الكائنة . فان فيهِ كثرة من الكلمات الغريبة وذلك ما ينتظر. ونفس الاناجيل (الذي هو يوناني باصطلاحات عبرانية) يبرهن ضرورية كون كاتبيها يهودًا وانهم كتبوا في القرن الاول بعد المسيح اذ ليس من المحتمل ان تكون قد كُتِبت بذلك النفس الخصوصي وعلى تلك الطريقة الخصوصية لاقبل ولا بعد . وكذلك نفس بولس مختص بهِ ومع ذلك هو عين ما ينتظر من شخص تربى على تلك الكيفية ولهُ تلك

الخصوصيات وسعى ذلك السعي وسار تلك السيرة. وهكذا يقال عن نفس يوحنا فانهُ ممتاز بخصائص تحقق لهُ كل الاسفار الحاملة اسمهُ

ان اختلافات النَفَس الخصوصية بين كتبة اسفارنا المقدسة تبرهن بالتحقيق انها ليست تاليف شخص واحد بل اشخاص كثيرين. فاذا كانت تزويرًا فلا بد من ان يكون قد قام عدة مزورين بالتتابع وجميعهم انفقوا على نوع غريب بقصد واحد لايمكن البتة ان يعلل بهِ اتفاق هولاء غرضًا وعملاً

وفضلاً عما ذكر نَفَس الاسفار المقدسة بعيد عما يختارهُ الخداع لان فيهِ بساطة ووضوحًا واستقامة لانستطيع البتة جماعة غشاشين ان تقلدهُ اذ يذكر فيهِ بالعرض اشياء كثيرة لايتجاسر الغشاش البتة ان يذكرها ولا يريد ذكرها

٦ ومما يثبت صدق اسفارنا المقدسة الاشارات الكثيرة المدققة الى الحوادث المعاصرة. فما اشير اليهِ في اسفار موسى من الحوادث التاريخية الشتى يبرهن ان تلك الاسفار قد كُتبت في مثل عصر موسى لا محالة. لان معرفة كاتب متاخر بذلك الزمان لا تكون مدققة ومضبوطة بالكفاية. وهكذا يقال عن التلميحات في الاسفار الاخرى من الكتاب المقدس فانها عديدة وخصوصية والامر واضح انها غير مقصودة ومع ذلك (على قدر ما نستطيع ان نصل اليهِ من اصول اخرى) هي مدققة للنهاية. والاكتشافات الحديثة عوضًا عن ان تناقض ضبط اشارات الكتاب تثبتها دائمًا اكثر فاكثر

٧ ان بعض اسفار الكتاب المختلفة تثبت صدق البعض الاخر. مثال ذلك الاعتقاد الشائع بان العهد القديم سابق العهد الجديد بمدة طويلة. اليس ذلك كلي الوضوح من مقابلة العهدين. فكم مرة يشير كتبة العهد الجديد الى العهد القديم متكلمين عنهُ ومقتبسين منهُ على كونهِ مجموع مولفات قديمة لها السلطان الاسمى. وكم مرة طقوس وفرائض العهد القديم مشروحة ومفسرة في الجديد على كيفية تثبت الى غاية ما يكون ان القديم سبق الجديد بمدة طويلة. وكذلك الاعتقاد بان اسفار موسى اول جزء كتب من العهد القديم وانها وُجدت قبل اغلب ما يتلوها من الاسفار بمدة طويلة. ومَن من الذين يقراون بتمعنٍ العهد القديم يقدر ان يشك في صحة ذلك. فلا نذكر لهُ الأمثلا واحدًا وهو ان الاشارات في جميع اجزاء العهد القديم (ما عدا اسفار موسى) الى الاقسام المختلفة من الناموس اليهودي وخصوصًا الى الطقوس هي كثيرة وبالعرض كما هو واضح حتى تثبت ان الناموس كان موجودًا ولهُ سلطة يجب ان تطاع عندما كتبت الاسفار الاخر. وفوق ذلك الاعتقاد بان بعض الانبياء كانوا معاصرين للملوك يهوذا واسرائيل وان بعضهم كان في مدة السبي وبعضهم بعد السبي. واذا قابل انسان عاقل وخالي الغرض الاسفار التاريخية مع النبوية ليرى ان كانت بعض

التاسيحات العرضية تثبت البعض الاخر او تضادهُ فلا بد من استنتاجهِ ان اشعيا كان معاصرًا لحزقيا وارميا لصدقيا . ودانيال لنبوخذناصر . وحجي لزربابل . ولنذكر مثالاً اخر من العهد الجديد فان الاعتقاد بان بولس المذكورة سيرتهُ في سفر الاعمال هو مولف الرسائل الحاملة اسمهُ وان اغلب تلك الرسائل كتبت في مدة تاريخ هذا السفر تتضح صحتهُ من مقابلة سفر الاعمال مع تلك الرسائل

٨ الادلة على صحة نسبة الاسفار المقدسة هي على زيادة ابدًا . بما انهُ لا شيء في الكتاب المقدس يلاق كبرياء الانسان ولا ما ينفخ بطلهُ ولا ما يعلل اهواءهُ الجسدية ولا ما يمنحهُ سلامًا وهو في حال الخطية بل جميع تعاليمهِ تضاد ذلك على الخط المستقيم فلا عجب البتة من ان الكتاب المقدس عند الجنس البشري كتاب مجتنب ممقوت غالبًا . فانهُ على مدة نحو الفي سنة كان القصد الاقصى عند الناس الاشرار ان يتخلصوا منهُ اذا امكنهم بالازدراء او التعييرات او الشكوك او الريب . ومع ذلك كان كل هذه المدة يمتد في العالم جهارًا داعيًا الناس للتفتيش فيهِ حتى ان شهادة افضل علماء هذا العصر هي ان ادلة صدقهِ لم تضعف بل تتقوى دائمًا اكثر فاكثر . فكلما عُرِفت حالة الاقدمين وتواريخهم وعوائدهم وصنائعهم ولغاتهم وكلما فُحِصت النسخ القديمة والترجمات والاقتباسات وكلما اكتشفت الانصاب القديمة وما هو مكتوب عليها تثبت ان اسفار الكتاب المختلفة نسبت الى مولفيها الحقيقيين وانها لا بد ان تكون قد كتبت في تلك الاعصار القديمة وفي الاماكن التي قيل انها كتبت فيها . فزالت اكثر فاكثر الصعوبات التي احاطت بهذا الموضوع ودُحضت الاعتراضات . والادلة المبينة صدق نسبة الاسفار المقدسة تزداد قوة على الدوام

٩ اذا كانت اسفار الكتاب المقدس صادقة فلا شك في صدق نسبتها . وسنبين صدقها في ما ياتي . واما هنا فنقول انهُ اذا امكن اثبات صدقها فذلك يتضمن صحة وصدق نسبتها لانهُ في اغلب الاسفار يُذكَر مولفوها وعصر كتابتهم اياها ووقتها . فكثيرًا ما يذكر ان موسى هو كاتب اسفار الناموس وان يشوع كتب السفر المسمى باسمهِ . وان داود كتب اغلب المزامير . وسليمان كتب سفر الامثال . وان الانبيا كتبوا الكتب المنسوبة اليهم وكذلك بولس وبطرس ويعقوب ويهوذا هم كتبوا رسائلهم . فاذا كانت الاسفار صادقة فهذه الاقوال صادقة وتحقق الكتبة من هم

وبالاجمال نقول ان المسيحيين لهم اسباب كلية للاقتناع بصدق نسبة اسفار الكتاب المختلفة . وهذا كما يرى فيما ياتي امر مهم في البينات المثبتة حقيقة وحي الهي

الفصل الرابع

عدم تحريف الكتاب المقدس

قد بينا في الفصل السابق ان اسفار الكتاب المقدس منسوبة الى مولفيها الحقيقيين اي انها هي حقًا تاليف الاشخاص الحاملة اسماءهم . وربما قيل ولو سلمنا بان ذلك صحيح لاينتج ان الاسفار الاصلية الحقيقية انتهت الينا بدون تحريف وهي كتابات قديمة وصلت الينا بعد كرور سنين كثيرة وبعد ما تداولتها ايدي نسَّاخ كثيرين . فربما بعدم امانة بعضهم وبجهل البعض دخل عليها فساد جوهري . او اضيفت جمل اليها وحُذِفت اخرى منها سهوًا او عمدًا حتى ان الاسفار الآن ليست كما كانت في البداءة

فنجيب انهُ مسلم ان اسفار الكتاب قد دخلت تحت ايدي نساخ كثيرين ولذلك تُعد سلامتها من تغييرات زهيدة ضربًا من المحال . لانهُ في الطبع ليس سهلاً اجتناب الاغلاط بالتمام فكم بالحري كان ذلك عسرًا في الازمنة القديمة حينما كانت الواسطة الوحيدة لتكثير النسخ همة القلم البطيئة . ولذلك ليس قصدنا ان نبين عدم وجود قراءات مختلفة في الكتاب المقدس وان جميع النسخ هي متفقة لفظًا بالتمام ومطابقة للنسخة الاصلية بدون ادنى تغيير . كلا . بل القراءات المختلفة موجودة وهي عديدة جدًّا . ولم يكن منع ذلك ممكنًا الاَّ بمعجزة دائمة وملاحظة فائقة . واما ما نقصد اثباتهُ فهو ان اكثر هذه الاختلافات بل كلها تقريبًا قلما تعتبر من قبل المعنى وان الكتاب لم يطرا عليهِ تغيير جوهري بل لنا من جميع الاوجه المهمة الاسفار الالهية كما اعطيت من الله للعالم . ونقصد في هذا القول الاسفار في لغاتها الاصلية وفي الترجمات المقبولة عندنا . ولايضاح ذلك نقول

١ انهُ لم تقم بينة على انهُ قد طرا تغيير جوهري على ما تحواهُ اسفارنا الالهية . فهين على المائلين الى الكفران يلقوا الشكوك والتهم ويقولوا من المحتمل انهُ قد دخل على الكتاب تغيير جوهري . ولكن العالم لايهمهُ ان يعرف ما هو محتمل ولاما هو بعيد الاحتمال بل ان يعرف ما قد جرى بالفعل . فالكتاب المقدس امام الجميع فاين البرهان على حدوث تغيير جوهري فيهِ . ها المئات والالوف من النسخ والترجمات امام العالم فدع الذين يعتقدون ويصرون على ان الاسفار

قد تحرفت وتغيرت ان يجثوا في الامر هم لذواتهم . دعهم يتعمقون في ذلك الى اقصى ما يكون وينشرون امام العالم ما راوهُ . لانهُ لاخوف البتة عندنا من عواقب الفحص المدقق . فكما انهُ اكيد انهُ لم نقم بينة على تغيير جوهري هكذا ايضاً اكيد انهُ لن تقوم

٢ انهُ قريب من المحال ان يكون الكتاب المقدس قد تغير تغييرًا جوهريًا في اي زمان كان من وقت موسى الى يومنا هذا . فان اليهود الاقدمين كانت عندهم اشد رغبة في حفظ اسفارهم سالمة من التغيير . وان لم نقل شيئًا من جهة اعتبارهم اياها اعتبارًا دينيًا نقول ان فيها قوانين ايمانهم وشرائع ارضهم . وفيها حقوقهم لامتلاك ميراثهم الارضي والسماوي . فتحريفهم هذه المكتوبات المقدسة على الفرض انهم قدروا ان يحرفوها انما هو بمثابة هدمهم وقلبهم كل شيء في حياتهم هذه والعتيدة

وما عدا ذلك كان اسباط اسرائيل متعددة من ابتدا تاريخهم وجميعهم يهتم على حدٍ سوى حفظ اسفارهم الدينية فلا شك انهم كانوا يلاحظون بعضهم بعضاً اشد الملاحظة . ثم بعد مدة انقسموا مملكتين يهوذا واسرائيل . ولما زاغت مملكة اسرائيل قام بين اليهود شيع مختلفة وجميعها قبل اسفار العهد القديم كلها او بعضها ولا شك في انهم سهروا على الكتاب الالهي . ثم بعد ما دخلت الديانة المسيحية ازدادت كثيرًا صعوبات تحريف الكتاب . فلو تجاسر اليهودي ان يغير شيئًا لكان المسيحي عرف ذلك حالاً وبالعكس

ثم من صعوبات تغيير الكتاب كثرة النسخ وانتشارها لان الكهنة واللاويين كانت عندهم نسخ وكذلك القضاة والملوك . وكان من واجبات الكهنة ان يعلموا الشعب ويقرأوا لهم الناموس عند الاجتماعات العامة تث ٣١: ١١ . ثم بسبب تشتت اليهود واقامة المجامع في كل مكان وُجدوا فيهِ كثرت جدًا نسخ العهد القديم

وهكذا نقول من جهة نسخ العهد الجديد . لانهُ لما انتشرت الديانة المسيحية بسرعة تُرجم العهد الجديد الى لغات مختلفة وحُمِل الى جميع اقطار الارض . واذ ذاك فكيف يمكن ان يكون قد دخل على العهد القديم او الجديد تغيير جوهري . فجمع كل تلك النسخ وتحريفها حتى يكون التحريف واحدًا في الكل محال . وان حُرّفت نسخ قليلة فالباقية تبقى سالمة شهادةً على المحرفة

٣ ثم لاثبات عدم امكانية تغيير الاسفار المقدسة تغييرًا جوهريًا لنا برهان آخر مستند على الاعتناء الفائق بالاسفار عند اليهود والمسيحيين . فان النُسّاخ اليهود كانوا في بعض الاعصار مدققين الى غاية ما يمكن . فانهم لاحظوا الاعداد التي ظنوا انهُ تُرِك منها شيء . والكلمات التي اعتقدوا انها تغيرت والحروف التي حسبوها زائدة . وكذلك حسبوا الحرف الاوسط في الاسفار الخمسة . والجملة الوسطى والحرف الاوسط في جملة الاسفار وعدّوا كم مرة تكرر كل حرف من

حروف الهجاء في جميع الكتاب المقدس فيقولون ان الالف تكررت ٤٢٣٧٧ مرة . والباء ٣٨٢١٨ . الخ . وقد ذكرت هذه الدقائق تبييناً للاعتناء الفائق وخصوصاً عند النساخ الاقدمين وان امكان حدوث تغيير جوهري تحت ايديهم امرٌ بعيدٌ

نعم ان المسيحيين الاقدمين لم يكن عندهم هذا النوع من الاعتناء ومع ذلك ربما لم يكونوا اقل درساً ولاحرصاً على الكتاب . فاوريجانوس وايرونيموس وغيرهما من الاباء المسيحيين اعتنوا كثيراً في الاسفار المقدسة ولم يكلوا البتة في حفظها ونشرها سالمة من كل تغيير . فالهكسبلا (اي السادسيَّة) لاوريجانوس التي فيها ستة متون من العهد القديم في ستة اعمدة على كل وجه بست لغات مختلفة هي دليل ليس فقط على علمهِ بل على غيرتهِ وامانتهِ في هذا الامر المهم

٤ ان هذا الموضوع قد فُحص فحصاً مدققاً مقنعاً . ولُوحظت بكل حرص القراآت المختلفة في الاسفار المقدسة وعددها . والعلماء المسيحيون قد اثبتوا انهُ لم يحرَّف البتة . فمن اشهر مقابلي نسخ العهد القديم في هذه الاعصار الحديثة كنيكوت ودي روسّي . فالعلامة كنيكوت فحص ست مئة وخمسين نسخة واما دي روسي فزيادة على هذه قابل سبع مئة وواحدة وثلاثين نسخة فالمجتمع الف وثلاثماية وواحدة وثمانون

واما اشهر مقابلي العهد الجديد فهم اراسموس وبيزا وستيفانُس والاسقف فلّ والدكتور مِلّ وكستر وبنكل وونستين وكريسباخ ومتايي وشولتس وتيشندورف وتراجلّيس . فكريسباخ فحص ثلاثماية وخمساً وخمسين نسخة ما عدا الترجمات القديمة والاقتباسات من الاباء وعلاوةً على هذه قابل الدكتور شولتس ثلاثماية وواحدة وثلاثين نسخة فالمجموع ست مئة وست وثمانون . فهذه الحقائق تبين جدَّ العلماء المسيحيين الفائق في هذا الميدان الواسع من الدرس والشغل

فعدد القراآت كثير كما ينتظر . قال البعض انها ثلاثون الف قراءة مختلفة . وقال غيرهم اكثر من ذلك . ولكن اكثر هذه (تسعاً وتسعين من المائة) ليس لها اعتبار من قبيل المعنى . بل هي من جهة نقطة او حرف او تهجئة او كلمة صغيرة

واذا اعتبرنا العدد الوافر جداً من نسخ الكتاب المقدس لا نعجب من كثرة القراءات المتنوعة فيها . فاذا جمعنا مثلاً الف نسخة من العهد الجديد وكانت كل واحدةٍ منها تتضمن خمس مئة صفحة وكل صفحة ثلث مئة كلمة فيكون في النسخة الواحدة مئة وخمسين الف كلمة وفي الالف نسخة مئة وخمسين مليون كلمة . وجميعها قد كتبت بايادٍ بشرية ضعيفة قابلة الغلط في اوقاتٍ شتى فلا عجب اذاً من حدوث قراءات كثيرة فيها . واما طريقة اكتشاف ذلك والتحقيق على القراءة الصحيحة فيتم على هذه الكيفية . ناخذ مثلاً نسختين من هذه الالف ونقابلهما معاً فربما نجد بينهما فرقاً في مئة كلمة . ولكن

اذا قابلناها مع سائر النسخ اي التسع مئة والثماني والتسعين ربما نجد جميعها تشهد لصحة احداهما في خمسين من هذه المئة وللاخرى في الخمسين الباقية فنعرف من ذلك لا محالة ما هي القراءة الصحيحة لان شهادة ٩٩٩ كافية لتحقُّق القراءة الصحيحة في هذه المواضع في كلتا النسختين. وكذلك لو وُجد فرق بينهما في الف كلمة. لاننا نتحقق من شهادة التسع مئة والتسع والتسعين ان ما في النسخة الواحدة من الفرق انما هو خاصّ بها وناتج لا محالة من غفلة الناسخ او جهلهِ . وهكذا بمراجعة كل نسخة من هذه الالف ومقابلتها مع الباقي ينتج الوف من القراءات المتنوعة التي يمكننا ان نتحقق صحة كل واحدة منها بدون ادنى ريب

فحقًّا يجب علينا ان نعترف بعناية الله الخصوصية في حفظ كلمتهِ لنا الى الآن خالصة من كل عيب وان نشكرهُ على منحهِ ايانا وسائط كثيرة جدًّا للاكتشاف عن كل غلطة مهمةٍ او غش اذا حدث شيء من ذلك سهوًا او عمدًا . ونحمد اسمهُ العظيم على كثرة البراهين الراهنة لاقناعنا وتثبيت ايماننا في صحة الكتاب المقدس كما هو بين ايدينا

ولما فرغ كنيكوت من عملهِ العظيم في مقابلة النسخ العبرانية سالهُ الملك جرجس الثالث عن خلاصة تعبهِ هذا العظيم. فاجاب انهُ وجد اختلافات عديدة وبعض الغلطات النحوية ولكنهُ لم يجد واحدة لها ادنى تاثير في عقائد الايمان او في العمل

وفي هذا الموضوع يجب ان ننتبه الى مبدا مهم. وهو ان الله عند ما سر ان يعلن للانسان امر الفداء بموت المسيح استعمل النواميس العمومية لهذه الغاية وفعل ذلك بموجب المجرى الاعتيادي في حكم عنايتهِ على قدر مناسبة تلك النواميس في اظهار قصد رحمتهِ . نعم ان الاعلان من السماء في حد ذاتهِ يتضمن مداخلة فائقة الطبيعة ومع ذلك لا نرى في اعطاء العهد القديم ولا في الديانة المسيحية افراطًا في امر العجائب فحيثما وجدت لازمة لاقناع طالبي الحق بالخلاص أُعطيت لتلك الغاية ولكن حيثما وجدت المبادي التي بموجبها يجري البشر مناسبة لتلك الغاية لم تجرِ لذلك الوسائط الخارقة العادة التي تحسب الاقوى والاشد اقناعًا بل حسبت غير لازمة ولا نافعة . فان الذين لا يسمعون من موسى والانبياء ان قام واحد من الاموات لا يصدقونهُ

وما يصح على الادلة على اساس ايماننا يصدق ايضًا على الكتاب المقدس . لان الله اراد ان تتمتع كنيستهُ ببركات كلامهِ المكتتب قانونًا للايمان ومرشدًا للسيرة الطاهرة ولهذا السبب انار اذهان الرسل والبشيرين بروحهِ لكي يدونوا ما طبعهُ على افكارهم او ذكرهم بهِ بدون خطر الغلط في شيء جوهري في صحة الانجيل . وفي بقية الامور تركهم لنفوسهم . ويظهر ان العبارات والطلاوة واللغة ونسق الكتاب الخصوصي راجع الى ذوق الكتبة المختلفين وحكمهم

فلو اراد الله لاستطاع ان يطبع كلامهُ على وجه السماء لكي يقراهُ كل واحد . وكان ممكنًا ان تحفظ نسخ الرسل في الكنيسة لكي يصلح عليها ما لا يحصى من القراآت المختلفة في النسخ المتفرقة في العالم والحال ن تلك النسخ فقدت منذ القرون الاولى للديانة المسيحية . اواذا حسب احدان حفظ الله تلك النسخ الاصلية مما يصيب خلافها امرٌ مستبعد فكان ممكنًا ان يحفظ ايادي الكُتّاب وافكارهم في مدة الف واربعماية سنة اي قبل اختراع المطبعة ويحفظ كذلك ايادي وافكار الطباعين والمقابلين في الاجيال الاربعة الماضية لكي لا يتغير حرف ولانقطة مما كتب فيها . وهذا ممكن في اجراء العناية وانما لا يمكن اتمامهُ بدون عجيبة دائمة غير منقطعة . فاذا ثبت اتفاق جميع نسخ الكتاب المقدس على هذه الكيفية وتبرهن من ذلك صدقهُ يجب علينا ان نقبلهُ كذلك وننسبهُ الى مسببهِ الوحيد على اننا نقول واثنين ان ذلك ليس مما ينتظرهُ العقل ولا يوافق الطريقة العمومية في معاملة الله ايانا ولا حدث كما هو واضح

فقد تسهل الآن ادراك القصد في علم مقابلة المتون في العهد الجديد اليوناني . فانهُ بواسطة جمع النسخ المختلفة التي وصلت الينا ومقابلتها واعتبارها معًا يُحاوَل ترجيع المتن بقدر الامكان الى الصورة التي كان عليها في النسخ الاصلية المقدسة وازالة كل زائدة مهما كانت جزئية في النسخ الحاضرة المطبوعة وترجيع ما حذف او تغير منها في مدة الالف والثمان مئة السنة الماضية . ولا يلزم ان نطيل الكلام في البرهان على قيمة هذا العلم الشريف

ولا يصح الاعتراض على علم مقابلة المتون بكونهِ يفضي الى الاشتباه ولا بانهُ يؤُول الى تشويش متن الكتاب . وعلى الاقل يقال ان المقابلين لم يحدثوا القراءات التي اكتشفوا وجودها في النسخ والترجمات بل انما علمونا كيفية النظر الى امور محققة كما هي والاجتهاد في التعليل عنها . وغرضهم هو ان يجعلونا ننظر بدقة الى القراءات المختلفة بنسبة بعضها الى بعض لكي نحكم على الصحيح اذا كان ممكنًا ولا ريب ان الصحيح هو الثمين والمرغوب عند كل محبٍّ للكتاب المقدس

هذا واننا نقر بان البشر لم يزالوا ناقصين كثيرًا في معرفة الكتاب المقدس ولكننا مع ذلك نقول انهُ بواسطة اجتهادات علماء القرن الماضي والحاضر على الخصوص قد تضايقت دائرة الاعتراضات بالتدريج وفضت مشاكل كثيرة على كيفيات موافقة ومع ان امورًا جديدة تظهر دائمًا في هذا العلم من همة معلميهِ واجتهادهم في التفتيش والمقابلة فالمدققون من الذين لهم مشارب مختلفة يتفقون في الطريقة الصحيحة للنظر اليها وترتيبها . وفوق ذلك لا تنكر حقيقة عظيمة مسلمة وهي سلامة الكتاب تمامًا من كل تحريف متعمد واتفاق شهادة كل النسخ المعروفة في ما يختص بالتعليم والروح والقصد في كل برهان وكل اية في الكتاب من اولهِ الى اخرهِ . وما احسن قول

العلامة بنتلي وهو من اشهر مدققي الانكليز وهو ان متن الكتبة الاطهار الصحيح ليس موجودًا الآن (بعد فقد المتون الاصلية بزمان طويل بهذا المقدار) في نسخة او ترجمة بل متفرق في كل النسخ والترجمات . واذا اخذنا احقر النسخ وارداها فالمتن مضبوط على قدر ما يكفي لتتميم غاية الكتاب وليس شيء من المبادي الادبية ولا من قواعد الايمان مفقودًا منها ولا محرفًا . وقال ايضًا . هات جميع القراءات المختلفة فذلك مما يسر الدارس الحاذق المتعمق لانهُ يحصل من ذلك على وسائط اكثر لاختيار ما يراهُ اصح . اوسلم هذه الاختلافات بجملتها الى ايدي احمق جاهل ودعهُ ينتخب اعظمها فانهُ مع ذلك لا يستطيع ان يطفي نور فصل من الكتاب ولا يثلم الديانة المسيحية بل تبقى كل حقائقها ومباديها كما هي انتهى . الى هذا المقدار حفظت عناية الله كلامهُ المكتتب على قدر ما هو لازم لاقناع كنيستهِ وشعبهِ

والآن نذكر للقاري بعض الملاحظات العمومية بشان ماهية القراءات التي وجدت في النسخ او الترجمات في متن العهد الجديد وكيفية وقوعها

١ ما نتج من عدم وجود آيات شاملة جزءًا كاملاً من اصحاح في بعض النسخ . وهذا النوع منحصر في موضعين فقط من العهد الجديد (ولله الحمد ان الاسباب للريب فيهما ضعيفة لا راهنة) وهما يتضمنان فوائد مهمة . وهما مر ١٦: ٩-٢٠ [1] ويو ٧: ٥٣-٨: ١١ [2] . على اننا نقدر ان نبين صحة وجود اولها بيانًا قاطعًا وثانيهما بيانًا مرجحًا حتى يمكننا ان نعتبرهما جزءين اصليين في محليهما

---

(١) ان هذه الاعداد من مرقس موجودة في جميع النسخ اليونانية ما عدا النسختين الاقدم وهما السينائية والفاتيكانية . اما تركها في الفاتيكانية فواضح من خلو محلها لان ما بين ع ٨ وع ٢١ من هذا الاصحاح عمودًا كاملاً متروكًا فارغًا وهو العمود الوحيد المتروك هكذا في كل هذه النسخة . وقد اقتبس ايريناوس من هذه الاعداد في القرن الثاني وايضًا هيبوليتوس في القرن الثالث وكيرلس الاورشليمي وامبروسيوس واوغسطينوس في القرن الرابع . وهي موجودة ايضًا في النسخة الاسكندرية التي هي احدث من النسختين المذكورتين انفًا بمدة وجيزة فقط . وايضًا في جميع الترجمات القديمة كالسريانية المعروفة بالباشيتو اي البسيطة والمصرية والغوثية والفولكاتا وفي جميع نسخ الترجمة اللاتينية القديمة سوى واحدةٍ منها . ولا ريب في ان هذه الشهادة الكلية القوة كافية لاثبات حقيقية وجود هذه الاعداد اصلاً . وليس ما يناقضها الا عدم وجود هذه الاعداد في النسخة السينائية وخلو محلها في الفاتيكانية ووجود علامات الريب فيها على حواشي عددٍ قليلٍ من نسخٍ اخرى وشهادة اوسابيوس وايرونيموس في القرن الرابع اللذين انكرا حقيقية وجودها في محلها بزعمهما ان انجيل مرقس ينتهي عند العدد الثامن من الاصحاح السادس عشر . ولا يخفى ان نسبة الشهادة لوجودها الى الشهادة عليهِ كنسبة ٩٩ الى ١

(٢) ان البراهين الخارجية على حقيقية وجود هذه الاعداد هي اقل قوة من البراهين الخارجية على حقيقية وجود الآية من مرقس المذكورة انفًا غير انها كافية لتقوية اعتقاد كل مسيحي بوجودها وايصالهِ الى درجة اليقين تقريبًا وعلى الخصوص اذا لاحظنا البراهين الداخلية الراهنة على صحة وجودها . وسنذكر اولاً البينات على عدم وجودها . وثانيًا البينات على وجودها

اولاً البينات على عدم وجودها . وهي عدم وجودها في النسخ الاربع الاقدم وهي السينائية التي اكتشفت حديثًا

٣ ما نتج من كتابة بعض الآيات المختصرة او الجمل اولاً على الحاشية ثم نقلها الى المتن بسبب جهل الناسخ او غفلتهِ . ومن هذا النوع اية ١ يو ٥: ٧ عن الشهود الثلثة في السماء التي كانت اولاً تعتبر صحيحة ولكنها الآن عند اكثر المدققين تحسب زائدة

٤ ما نتج من فقد جملة صحيحة من النسخة . وذلك بسبب تشابه اواخر جملتين بحيث يتسبب من ذلك التسطير اي انتقال الناسخ من الاولى الى الثانية تاركًا الجملة المتوسطة . وهذا النوع من الغلط يعلمهُ جيدًا كل من يتعاطى النسخ خلافًا لما يظن قبل الاختبار . مثالهُ في ١ يو ٢: ٢٣

والاسكندرية والفاتيكانية والافرائمية . وفي اربع نسخ اخرى معتبرة من الحرف الثلث القديم غير ان اثنتين منها تتضمن في مكان هذه الاعداد محلاً خاليًا كانهُ قد تُرِك منهاشيءٌ . وكذلك في اكثر من خمسين نسخة من الحرف النسخي . اما في الترجمات القديمة فهي غير موجودة في السريانية المعتبرة المعروفة بالباشيتو وفي واحدة من الترجمات المصرية وهي الثيبتية (نسبةً الى بلاد ثيبت في مصر) وفي بعض النسخ من الترجمة الممفيسية (نسبة الى ممفيس في مصر) وفي الترجمة الغوثية وفي بعض النسخ من الترجمة الارمينية وفي نسختين او ثلاث من الترجمة اللاتينية القديمة . والبعض من الاباء كاوريجانوس وطرطوليانوس وكبريانوس وكيرلس وفم الذهب لم يذكروها . وهي ايضًا غير موجودة في اقدم جداول فصول الاناجيل (حسب تقسيم البعض) غير انها قد ادرجت فيها في ما بعد كفصلٍ مضافٍ . وفضلاً عن ذلك الاختلافات في هذه الاعداد بين النسخ المدرجة فيها تفوق عددًا ومقدارًا ما بينها من الاختلافات في اي جزء كان من العهد الجديد . ومن النسخ المدرجة فيها اربع من الحرف الثلث القديم واكثر من خمسين من الحرف النسخي الدارج معلق عليها علامة تدل على الريب فيها اولزوم البحث عنها

واما البينة الداخلية الموردة ضدها فهي انها تقطع سياق القصة على اسلوب غير طبيعي وانهُ لو عقب الاصحاح ٨: ١٢ الاصحاح ٧: ٥٢ لكان ذلك امرًا طبيعيًا وان لغة هذه الاعداد غير مشابهة ولا سيما في استعمال حروف المعاني للغة انجيل يوحنا وان الكلام في ص ٨: ١ عن صعود يسوع الى جبل الزيتون من اقوى الاسباب للريب لان جبل الزيتون لا يُذكر في مكانٍ اخر من هذا الانجيل البتة . وصرف مخلصنا الليل هناك لا يوافق غير العقبة الاخيرة من مدة خدمتهِ . فلا يقدر قاضٍ عاقل وخالي الغرض ان ينكر ان قوة هذه البينات على عدم وجود هذه الاعداد اصلاً ليست بقليلة

ثانيًا البينات على وجودها . فلننظر الآن الى الجهة الاخرى من هذه القضية . ان النسخ الاربع الاقدم المفقود منها هذه القصة مقطوع بعض الاوجه من اثنتين منها في مكان هذه الاعداد . اما النسخة الاسكندرية فالمفقود منها من ص ٦: ٥٠ الى ص ٨: ٥٢ . والافرائمية من ص ٧: ٣ الى ص ٨: ٣٤. فلا نعلم يقينًا هل كانت هذه الاعداد غير موجودة اصلاً في هاتين النسختين ام لا . ثم ان هذه الاعداد توجد في سبع نسخ من الحرف الثلث القديم وفي اكثر من ثلث مئة نسخة من الحرف النسخي الدارج بدون علامة للاستفهام او الريب وفي اكثر من خمسين ايضًا مع علامة الريب

ومن الترجمات الموجودة فيها اللاتينية القديمة وهذا يعادل عدم وجودها في السريانية الباشيتو لانهُ يظهر ان الواحدة ترجمت قديمًا للكنائس الغربية تقريبًا في الوقت الذي ترجمت فيهِ الاخرى للكنائس الشرقية. وهي توجد ايضًا في الفولكاتا وايرونيموس الذي نحن مديونون لهُ بمراجعة تلك الترجمة اللاتينية القديمة المعتبرة يقرّ انهُ في وقتهِ اي القرن الرابع (ليس عندنا نسخة مكتوبة قبل هذا القرن) كان هذا الفصل موجودًا في نسخ كثيرة يونانية ولاتينية

قولهُ ومن يعترف بالابن فلهُ الاب ايضًا محذوف من نسخ كثيرة لان اخر هذه الجملة يشابه اخر الجملة التي قبلها. ونفس ذلك ايضًا قد يحدث عند تشابه اوائل الجمل كما في مت ٢٣: ١٤-١٦ فان اوائل الاعداد الثلاثة متشابهة ولذلك واحد منها مفقود في بعض النسخ

٤ ما نتج من مخالفة ترتيب الكلمات بحيث يتغير المعنى قليلاً اولا يتغير اصلاً كما في رو ١٢: ١٦ نجد في بعض النسخ باردًا ولا حارًا وفي اخرى حارًا ولا باردًا وايضًا احيانًا نجد في اع ١٢: ٩ اسمهُ حنانيا واحيانًا حنانيا اسمهُ

واما البينات الداخلية لاثبات وجود هذه الاعداد اصلاً فيظهر لنا انها تقريبًا قاطعة. فلنسال اليست علامات اصليتها انظير جزء من التاريخ مطبوعة على وجهها. واذا سلمنا بامكان اختراع حادثة تشبه هذه فلا يحتمل ان تكون هذه نفسها مع دقائقها الخصوصية والغريبة الأحقيقية. واذا فرضنا وجودها اصلاً وسالنا هل كانت مقاصد قوية لتركها وهل كانت هذه المقاصد لتركها اقوى جدًا من المقاصد لادراجها لو كانت مزوَّرة. نجيب انهُ لا احد ممن يعرف شيئًا عن امور الكنائس الاولى الخصوصية يرتاب في ذلك. لان اراء تلك الكنائس على مواضيع كهذه كانت صارمة جدًا وهذه القصة كلها لا بد انها كانت مدهشة لها. وعلى ذلك قال اوغسطينوس ان البعض من ذوي الايمان الضعيف او بالحري ناقصي الايمان الحقيقي قد نزعوها من نسخهم خائفين كما اظن من اتخاذ دليل منها على جواز هذه الخطية. ولم ينفرد اوغسطينوس وحدهُ في نسبة تركها الى هذا السبب. وهذا كافٍ لتعليل عدم قراءتها البتة جهرًا مع ما يتقدمها ويتلوها من الاعداد في الكنائس الاولى وحفظها لبعض الاعياد غير المهمة وتركها ايضًا بالكلية كما يظهر في بعض كتب العبادة. وبالاختصار يظهر ان تعليل تركها اذا كان حقيقيًا هيّن جدًا. واما تعليل ادراجها اذا كانت مزوَّرة فقريب من المحال وبالاجمال بينما نسلم بالصعوبات المحيطة بهذه المسئلة نقول ان حمل هذه القصة ذاتها علامة الاصلية والصدق والنقاوة برهان على صحة وجودها اصلاً. ولا يظهر لنا البتة انها تقطع سياق القصة بل هي مرتبطة بها ارتباطًا تامًا

وهذه القصة التي تتضمن المغفرة لجرم باهظ والصفح عن المجرم بسهولة لا يمكن ان تكون مخترعة ولا سيما لانها مخالفة لاميال الكنيسة القديمة النسكية والناموسية الصارمة التي كانت لم تزل على نوع ما تحت تسلط الروح اليهودي وهي موافقة لروح المسيح ومملوَّة من التعزية للمرفوضين التائبين. ومنها ينفح روح المخلص روح القداسة والرحمة الذي يدين الخطية ويخلص الخاطىء. وهي تشبه مثل الابن الشاطر وقصة مريم المجدلية والمراة السامرية وتوافق نصوصًا كثيرة صريحة عن المسيح على انهُ اتى ليس ليدين بل ليخلص ما قد هلك (قابل يو ٣: ١٧ و١٢: ٤٧ ولو ٩: ٥٦ و١٩: ١٠ مع يو ١٤: ٥ ولو ٧: ٣٧-٤٨). وعدم قبول المخلص ان يقضي بهذه الدعوى يوافق ماورد في لوقا ١٢: ١٣-١٥. واما سيرة الكتبة والفريسيين في تجربة يسوع بمسائل صعبة فهي ذاتية فيهم ويؤيد ذلك امثلة كثيرة من الاناجيل

اما حدوث خطية كالمذكورة هنا في عيد المظال فمما ينتظر. لان هذا العيد كان من ابهج الاعياد عند اليهود وكان يحتفل بهِ جميع الشعب لانهُ كان يقع في افضل فصول السنة

وكتابة يسوع على الارض كانت امرًا غريبًا حتى لا يكاد يظن انها مخترعة من انسان. وكذلك قولهُ لهم. من كان منكم بلا خطية فليرمها اولاً بحجر الخ. وكلمتهُ الاخيرة للمراة

ولا يخفى انهُ كان موافقًا ذكر دعوى واحدة في الاناجيل عن جرم فعلي مشهور وحكم المسيح عليهِ مع ذكر ما قُدّم لهُ لكي يقضي بهِ من الدعاوي الوافرة الفرضية المقدمة للضمير

٥ ما نتج من وضع الكتّاب بالغلط كلمة عوضًا عن اخرى اذ لا تختلفان الاّ في حرف او اثنين. وهذا حدث غالبًا عند تشابه حرف باخر في قاعدة خط الثلث الذي هو خط النسخ القديمة

٦ وقد ذكر المدققون نوعًا اخر من الغلط وهو ما حدث عند ما كان يكتب الكاتب بدون ان يرى النسخة التي ينقل عنها بل يكتب كما يُملي عليهِ اخر غير انهُ امر بعيد الامكان ان تكون نسخ كثيره قد كتبت على هذه الكيفية من الاهمال وعدم الاعتناء

٧ وقد نتج نوع اخر من القراءات المختلفة الكثيرة الوجود في البشائر وعلى الخصوص الثلاث الاولى من ادخال عبارات او جمل كاملة من بشارة او اثنتين الى الثالثة . ولا شك ان هذا الميل لجعل الاناجيل متشابهة قد نتج من اجتهاد المعلمين في تبيين اتفاق البشيرين الذي ابتدا بهِ تاتيانس في القرن الثاني . و بعض هذه الاختلافات ربما كانت اصلاً حواشي

٨ ما نتج من قصد النساخ ان يجعلوا الاقتباسات من العهد القديم في الجديد مضبوطة اكثر مما راى الكتبة الاطهار ان الضبط في ذلك لازمٌ لمقصودهم

٩ ما نتج من استبدال بعض الجمل بغيرها . وذلك ان البعض علقوا في الحواشي جملاً تفسيرية لعبارات مبهمة او ناقصة او غير فصيحة ثم استبدل بها بعض النساخ عبارة المتن ذاتها

١٠ ما نتج من استبدال بعض الالفاظ الاصطلاحية القديمة بغيرها من اللغة الدارجة في زمن الناسخ بدون تغيير المعنى كما يتضح من مقابلة بعض النسخ الحديثة مع القديمة

١١ ما نتج من زيادة او حذف كلمات تحدث تغييرًا طفيفًا في المعنى لا يشعر بهِ

١٢ ما نتج من تغافل بعض النساخ عن الضبط التام في وضع او ترك اداة التعريف . وهذا الامر وان ظهر انهُ في ذاتهِ طفيف يحصل منهُ احيانًا اختلاف عظيم في المعنى

فالامر واضح ان جميع ما تقدم ذكرهُ من انواع الاختلاف ناتج اصلاً من مجرد الغفلة او الضعف البشري ولا يصح ان ينسب الى القصد التعمدي في الكاتب لاجل تحريف الكتاب. ولكن في بعض آيات قليلة (الحمد لله) وفي بعض النسخ فقط وجدت علامات التغيير بالقصد وذلك نتج من تداخل الناسخ في ما لا يعنيهِ واتخاذ وظيفة مقابل او مصلح لنفسهِ فكان يحذف ما لا يفهمهُ او بقصد ازالة مشكل من الكتاب بزيادات او تغييرات اخرى غير ان شهادة نسخ اخرى على عدم اصليتها تجعل الوقوف على الحقيقة هينًا. ووجود هذا النوع نادر كما ذكرنا والناسخون غالبًا اجتنبوا هذا التجاسر كل الاجتناب

وربما لا تدخل بعض القراآت المتفرقة تحت الانواع المتقدم ذكرها ولكن ما قلناهُ كافٍ لتدريب الطالب في ما يختص بهذا الموضوع .ومن المحتمل ان علة جزء من هذه الاختلافات ادخال

المؤلفين انفسهم بعض التغييرات في كتاباتهم بعد شيوع نسخ منها فلم يعد في مكنتهم الوصول الى النسخة الاصلية او النسخ التي كُتِبت عنها لاجل ادخال تلك التغييرات فيها . فالنسخ التي ادخلوا فيها التغييرات انتشرت مستقلة عن النسخ التي انتشرت قبلها بدون تغيير وصارت اصولاً لنوع جديد من النسخ اختلافاتها عن النسخ الاخرى الماخوذة عن الاصل لا دخل للنساخ فيها

اما الترجمة العربية المترجمة والمطبوعة حديثًا في مدينة بيروت عن يد المرسلين الاميركانيين فنوكّد للقاري انهُ ليس في العالم ترجمة اصح ولا اضبط منها . اما العهد الجديد منها فهو مترجم باعتناء كلي عن المتن الشهير المنسوب الى روبرت استيفانْس المطبوع في سنة ١٥٥٠ الذي هو نتيجة اجتهاد ايراسموس وبيزا واستيفانس المذكور الذين كانوا من اشهر دارسي العهد الجديد في اللغة الاصلية المدققين الذين فضلاً عمَّا استفادوهُ من اتعاب سابقيهم في هذا المشروع جمعوا لانفسهم مئات من النسخ وبذلوا غاية جهدهم في الوقوف على متن صحيح سالم من كل غلط وعيب ونجحوا جدًّا في هذا الامر حتى ان المتن المطبوع عن يدهم باقٍ الى هذا الوقت حاملاً اللقب الذي أُعطي لهُ وقتئذٍ وهو المتن المقبول . وهذا المتن قد قبلتهُ الجمعيتان الاميركانية والبريطانية المشهورتان وغيرهما وجُعل اساسًا للترجمات الكثيرة العدد التي تُرجمت على نفقتهما في لغات شتى . وجميع ابحاث العلماء ذوي الشهرة والامانة والتقوى في جميع الاجيال منذ اشتهارهِ الى الآن تثبت صحتهُ من كل وجه في جميع الامور الجوهرية . وقد اجمع راي الجميع على ان ما فيهِ من الخلل زهيدٌ جدًّا لا يعتدُّ بهِ ولا يليق ان يُحسب اقل مانع لوصول نور الاعلان الالهي الينا كما أُعطي اصلاً للعالم . واما العهد القديم منها فهو مترجم عن المتن المسوريّ (نسبةً الى علماء اليهود الذين اعتنوا بصحة المتن العبراني وقسموهُ آياتٍ وفصولاً) الذي لا ريب في انهُ هو المتن الصحيح المحفوظ من ايام عزرا الى الآن باعتناء الامة اليهودية الكلي الغريب. وهذا المتن قد تُرجم الى اللغة اليونانية واللاتينية وغيرهما ومقابلة هذه الترجمات عليهِ تثبت صحة ذلك

غير اننا لا نتجاسر ان نقول ان من المستحيل وجود خطا في هذه الترجمة كما اننا لا نتجاسر ان نقول ذلك عن اية ترجمةٍ اخرى في العالم . ولكن كما نعلم لا توجد ترجمة في لغةٍ اخرى اضبط ولا افضل منها . وما عدا ذلك قد عُلّق على حواشيها جميع القراءات المهمة وكل راي يستحق الاعتبار عن معنى عبارة ما غير المعنى المدوّن في المتن تنبيهًا للقاري على ذلك

فليفرح القاري بوجود كتاب الله بين يديهِ خالصًا ومضبوطًا بهذا المقدار

وليطرح من عقلهِ كل ريبٍ وخوف من

هذا القبيل

الفصل الخامس

صدق الكتاب المقدس

من المسائل المهمة التي يجب ان يُلتفَت اليها بتمعن وتُجاوَب بصراحة ووضوح هي هل الكتاب المقدس صادق او كاذب وهل يستحق ثقتنا وايماننا او يضلنا ويخدعنا . اما صدقهُ فيتبرهن مما ياتي

اولاً . من اثبات صدق نسبتهِ

ثانيًا . من شهادة اعداء الديانة النصرانية الاولين

ثالثًا . من شهادة الرسل

رابعًا . من شهادة مولفي القرون الاربعة الاولى بعد المسيح

خامسًا . مما فيهِ من التدقيق والضبط في الاشارات الى حوادث معاصرة والى العوائد والاصطلاحات الجارية في وقت كتابتهِ

سادسًا . من شهادة التاريخ العالمي القديم وتقاليد عديدة وامور كثيرة باقية الى يومنا هذا

سابعًا . من وحدة المعنى مع التقدم في ايضاح الموضوع

ثامنًا . من اتفاق الكتبة على كثرة عددهم واختلاف ازمنتهم والمطابقة غير المقصودة في كتاباتهم

تاسعًا . مما يتضمنهُ من التعاليم الروحية الادبية وعلى الخصوص من سجايا المسيح المبينة فيهِ

عاشرًا . من النجاح العظيم المرافق لانتشاره

حادي عشر . من نتائجهِ الروحية وتاريخهِ نظير كتاب ديني

ثاني عشر . من الصعوبات الكلية في نسبتهِ الى التزوير

ثالث عشر . من شهادة النبوة

رابع عشر . من شهادة العجائب

ولنتقدم الآن الى بيان هذه المواضيع بالتفصيل فنقول

اولاً . يتبرهن صدق الكتاب المقدس من اثبات صدق نسبتهِ

فاذا افترضنا تاريخًا صادق النسبة كُتب وانتشر بنفس ظروف كتابة اسفار الكتاب المقدس وانتشارها لحكمنا بانهُ صادق لانهُ انتشر بين قوم معاصرين مخنبرين الحوادث المذكورة فيهِ جيدًا فلو كانت اخبارهُ كاذبة لرفضوهُ ولم يقبلوهُ . فموسى نشر بين معاصريهِ خبرًا عن نجاة الاسرائيليين من عبودية مصر وعن سفرهم وتمردهم وتاديباتهم في البرية . فلو تجاسر تحت تلك الظروف ان يذكر اخبارًا غير صحيحة كانها صادقة لقام ضدهُ الوف من المضادين المكذبين . او لو فرضنا ان موسى قصد تعمدًا ان يكتب اخبارًا كاذبة فهل يمكن ان يقبل ذلك من معاصريهِ الاَّ من كان عديم الادراك منهم

كذلك البشيرون كتبوا بين معاصريهم اصدقاء واعداء اخبارًا واضحة عن تعاليم المسيح واعمالهِ وآلامهِ وموتهِ وقيامتهِ. فهل يمكن ان يشيعوا في مثل تلك الظروف ما عرفوا كذبهُ وما يصرّح بكذبهِ حالاً كل قارئ وما ياخذهُ اعداؤهم اليهود حالاً ويكذبونهُ فيعود ذلك وبالاً عليهم . واذا فرضناهم على درجة هذا مقدارها من الجهالة والغباوة حتى فعلوا ذلك افيصح ان ننسب لمعاصريهم نفس تلك الجهالة والغباوة والاَّ فكيف نعلل قبولهم تلك الكتب وتصديقهم اخبارها

ثم ان موسى كثيرًا ما اشهد حواس الذين كتب اليهم تث ١١: ٧ لان اعينكم هي التي ابصرت كل صنائع الرب العظيمة التي عملها. ومثل ذلك فعل كتبة العهد الجديد . فاذا سلمنا بما برهناهُ في فصل سابق اي صدق نسبة الكتاب فهل يبقى محل للظن بانهُ يُقبَل وهو كذب وهل لا يعلم الذين تسلمت لهم تلك الكتابات اذا كانوا قد راوا حقًّا بعيونهم تلك الاخبار المدونة فيها ام لا . وهل يمكن ان يقبلوها بدون ان يكونوا قد راوها بعيونهم . لذلك نقول ان اثبات صدق نسبة الاسفار المقدسة حال كونها قُبلت عند معاصري الكتبة ككتابات صادقة هو نظير برهان يرجّح صدقها كل الترجيح

ثانيًا . يتبرهن صدق الكتاب المقدس من شهادة اعداء الديانة النصرانية الاولين

فان اكثر الحوادث الشهيرة المذكورة في العهد القديم والجديد مثبتة من تاريخ يوسيفوس والتلمود وتاسياتوس وافلينيوس وكلسوس وفورنفيربون وبوليانوس ومورخين اخرين من الوثنيين

اما شهادة يوسيفوس اليهودي الذي كان معاصرًا للرسل فكما ياتي . قال في التاريخ القديم كتاب ١٨ فصل ٣ راس ٣ ونحو هذا الوقت نشأ يسوع انسان حكيم اذا صح ان ندعوهُ انسانًا لانهُ عمل امورًا عجيبة وكان معلمًا لجماعة قبلوا الحق بسرور وصار لهُ مصدقون كثيرون من اليهود واليونانيين . وادعى انهُ المسيح وعند ما حكم عليهِ بيلاطس بالصلب بسبب شكاية وجوه امتنا عليهِ بقي الذين كانوا قبلاً يعتبرونهُ يفعلون هكذا لانهُ عاد فظهر لهم حيًّا في اليوم الثالث كما اخبر انبياء الله عن هذه الاشياء وامور اخرى عجيبة بخصوصهِ . وشيعة المسيحيين الذين اخذوا اسمهم منهُ هم باقون الى نفس هذا اليوم انتهى . ففي هذه الاقوال نرى ان يوسيفوس الذي كان غيورًا في ديانة اليهود قد شهد ان يسوع نشأ في نفس الوقت الذي ذكرهُ الكتبة الاطهار وانهُ كان رجلاً حكيمًا وعجيبًا واجترح عجائب كثيرة وكان لهُ تابعون كثيرون وانهُ صُلب على عهد بيلاطس البنطي وقام من الاموات في اليوم الثالث وفقًا لما اخبر الانبياء سابقًا وان طائفة المسيحيين التي دعيت هكذا نسبةً اليهِ بقيت وقتًا طويلاً بعد ان تركهم معلمهم

نعم ان البعض قد انكروا نسبة ما ذكر الى يوسيفوس ولكن انكارهم هذا بلا برهان كافٍ . وعدا ذلك يوسيفوس في موضع اخر لم تُنكَر نسبتهُ اليهِ تكلم عن يوحنا المعمدان وصفاتهِ واعمالهِ وعن قتل هيرودس اياه وعن استشهاد يعقوب الرسول وعن المصائب التي اتت على اليهود من جراء ذلك (انظر كتابهُ التاريخ القديم كتاب ١٨ فصل ٥ راس ٢ وكتاب ٢٠ فصل ٩)

واما التلمود فمع ان فيهِ اكاذيب كثيرة واقاويل ضد يسوع المسيح فقد ذكر طفوليتهُ واشار الى سفرهِ الى مصر ولم ينكر انهُ عمل عجائب كثيرة شهيرة غير انهُ نسب كل عجائبهِ الى معرفتهِ التلفظ الصحيح باسم الله الذي قالوا انهُ سرقهُ سرًّا من الهيكل ونسبوا في موضع اخر قدرتهُ على العجائب الى صناعة السحر التي تعلمها في مصر وبحذاقة عظيمة فعل ما لم يسبقهُ اليهِ غاش قبلهُ . ويدعونهُ يسوع الناصري ابن مريم ابنة هالي وانهُ كان ابنًا لها بدون معرفة رجلها . وبعد ذلك يقولون انهُ هرب الى مصر وتعلم هناك صناعة السحر التي عمل بها كل اياتهِ . واقر كتبة التلمود بان تلاميذ يسوع كان لهم قوة على عمل ايات وشفا المرضى باسم معلمهم وذكروا ان حفيد الحاخام يشوع بن لاوي وقع في خطر الموت فاتى احد التلاميذ وشفاهُ باسم يسوع واقروا بهذه القوة ايضًا في مسئلة ابن ضاما حفيد اسمعيل احد حاخامي اليهود الذي كان مشرفًا على الموت من لسعة حية فاتى يعقوب لكي يشفيهُ غير ان جدهُ لم يرضَ فمات . وفي كتاب اخر لليهود بعد التلمود يدعى تواليد يسوع وهو مشحون باشنع ما يكون مما قيل ضد المسيح اقروا بقوتهِ على اقامة الموتى وشفاء البرص ومما يجعلنا نعتبر هذه الشهادة اعظم اعتبار هو انهُ في ذات الموضع الذي فيهِ اقر هولاء بقوتهِ على عمل المعجزات

وذكروا تبشيرهُ والامة كمذنب اتهموهُ باشنع الذنوب جالبين العار على اسمهِ وامهِ مريم وكل المسيحيين

وكان عند الرومانيين القدماء عادة ان يعتنوا كثيرًا بحفظ تذكار كل الحوادث المهمة التي تصير في المدينة . وكانوا يدونون ذلك اما في وقائع المجلس الكبير او في وقائع الشعب اليومية وكانت هذه تكتب وتحفظ بعناية في رومية . وكانت عادة الولاة ان يرسلوا الى الامبراطور اخبارًا عن اشهر الحوادث التي تصير في ولاياتهم لتحفظ هناك . فبحسب هذه العادة كتب بيلاطس اخبار اليهود في مدة حكمهِ ودعيت اعمال بيلاطس . واشار اوسابيوس الى هذه العادة اذ قال لما شاع خبر قيامة مخلصنا في كل فلسطين اخبر بيلاطس الامبراطور عنها وعن معجزاتهِ التي سمع عنها وانهُ اذ قام بعد ان قتل آمن بهِ كثيرون بانهُ الله (انظر تاريخ الكنيسة لاوسابيوس كتاب ٢ فصل ٢) وهذه الاخبار لم يكن مسموحًا للجمهور ان يقراوها بل حُفظت بين سجلات المملكة لكي ينقل عنها اصحاب التواريخ . فمن ذلك نجد قبيل عصر اوسابيوس بزمان طويل ان المسيحيين الاولين في مجادلاتهم مع الوثنيين كانوا يُشهدون اعمال بيلاطس المشار اليها كانها شهادة لايشك في صدقها فان يوستينوس الشهيد في محاماتهِ الاولى عن المسيحيين التي تقدمت للامبراطور انطونيوس بيوس ومجلس رومية نحو سنة ١٤٠ بعد ما ذكر صلب يسوع المسيح وبعض الامور المتعلقة بذلك قال وتعلمون ان هذه الامور صارت هكذا من الاعمال التي كتبت في زمان بيلاطس البنطي انتهى (فصل ٣٥) . وفي تلك المحاماة ايضًا بعد ان ذكر بعض معجزات المسيح كشفاء المرضى واقامة الموتى قال وتعلمون انهُ فعل هذه الامور من الاعمال التي كتبت في زمان بيلاطس البنطي انتهى (فصل ٤٨)

وطرطوليانوس العالم في محاماتهِ عن النصرانية نحو سنة ٢٠٠ بعد ما تكلم عن صلب مخلصنا وقيامتهِ وظهورهِ لتلاميذهِ وصعودهِ الى السماء امام عيون نفس اولئك التلاميذ الذين امرهم ان يبشروا بالانجيل في العالم قال وعن كل هذه الامور بخصوص المسيح ارسل خبرًا بيلاطس الذي صار مسيحيًا في قلبهِ الى طيباريوس الامبراطور وقتئذٍ (راس ٢١) . وفي نفس تلك المحاماة اخبر طرطوليانوس عما فعل طيباريوس عند ما وصلت اليهِ اخبار المسيح فقال وُجد قانون من قديم الزمان بانهُ لا يحسب احدٌ الهًا ان لم يصدقهُ السناتوس الروماني (اي مجلس الشيوخ او الاعيان) فطيباريوس الذي نشا في ايامهِ الاسم المسيحي اذ وصل لهُ من فلسطين في سوريا خبر عن الامور التي برهنت حقيقة لاهوتهِ (اي لاهوت المسيح) قال للسناتوس بانهُ يجب ان يضعوا اسمهُ في قائمة الهة الرومانيين واعطى صوتهُ اولاً في ايجاب قبولهِ. غير ان السناتوس رفض ذلك لان الامبراطور نفسهُ كان قد رفض قبول هذا الاكرام لنفسهِ على ان الامبراطور اصرَّ على رايهِ وتهدد كل من يشتكي على المسيحيين . فتشوا تفاسيركم (او كتاباتكم الجمهورية) تجدوا ان نيرون هو اول من

اهاج بغضب السيف الملكي على هذا المذهب عند ما انتشر كثيرًا في رومية انتهى . وزاد اوسابيوس على خبر طرطوليانوس قولهُ ان طيباريوس تهدد بالقتل كل المشتكين على المسيحيين واعتبر (اي اوسابيوس) مداخلة الامبراطور هذه نوعًا من العناية بقصد امتداد الانجيل في بدايتهِ بدون ازعاج . وهو وثم الذهب اعتبرا رفض السناتوس الروماني ان يُؤلّهوا المسيح من تدبير العناية الالهية حتى لايكون لاهوتهُ مستندًا على قوة الناس بل على قوة الله العظيمة وحتى لا يحسب المسيح بين الذين الّهم الرومانيون (اوسابيوس تاريخ الكنيسة كتاب ٢ فصل ٢) . فما تقدم من شهادات يوستينوس الشهيد وطرطوليانوس واوسابيوس ماخوذ من محاماة شهيرة عن الديانة المسيحية تقدمت الى الامبراطور والسناتوس الروماني او الى حكام مشهورين في المملكة الرومانية . واذ ذاك فبعيد عن التصديق ان هولاء المولفين يدلون على تلك الكتابات الذين كانت تلك الكتابات عندهم ان لم يكونوا على يقين من جهة وجودها ومضامينها

ونحو سنة ٦٥ م ابتدا الاضطهاد النيروني على المسيحيين فهذا الملك الشرير امر باحراق رومية لكي يتنزه ابصارهُ بمنظر اللهيب . ولكي يصرف عنهُ غضب الشعب التي تهمة الحريق على المسيحيين وابتدا بقتلهم بدون شفقة . حكى تاشيتوس عن المسيحيين وهو مورخ وثني كان في ذلك العصر وقال . ان المسيح موسس هذه الطائفة حكم عليهِ بالموت في ملك طيباريوس الوالي بيلاطس البنطي فهذه الخرافة المهلكة بعد ان أُطفئت مدة عادت فهاجت ليس في اليهودية فقط منشا هذا الشر بل في رومية ايضًا حيث يتجمع كل ما هو مكروه ودني ويحوز القبول والمديح انتهى . (لاردنر في شهادات الوثنيين فصل ٥) ففي قولهِ هذا شهد ان المسيح كان في اليهودية في نفس الوقت الذي يذكرهُ البشيرون وانهُ حكم عليهِ بالموت في عهد بيلاطس البنطي وانهُ حالاً بعد موتهِ تكاثر عدد تابعيهِ جدًّا ليس في اليهودية فقط بل في رومية ايضًا . ثم انهُ بعد ذلك يقول ان جمهورًا عظيمًا من المسيحيين احتملوا افظع العذابات والميتات من نيرون

ثم بعد هذا بنحو اربعين سنة (١٠٥ م) حصل اضطهاد في ملك الامبراطور تراجانوس وكان افلينيوس حينئذٍ والي بيثينية . وكان يوتى اليهِ بجماهير من المسيحيين لكي يفحصهم ويحكم عليهم حتى انهُ اخيرًا احتار في امرهم فبعث يستفهم عن ذلك من الامبراطور . وهنا لا نذكر كل مكتوبهِ لانهُ طويل (انظر دليل الصواب فصل ٨ وجه ١١١—١١٤) . وقد شرح فيهِ حال ديانة المسيحيين واجتماعاتهم وطقوسهم وعاداتهم في العبادة وشهد بطهارتهم وخلوهم من العيب وذكر انهُ وضع امراتين منهم تحت العذاب ولكنهُ قال انني لم استطع ان اسمع منهما غير خرافة بليغة مفسدة

فنرى من هنا ايضًا الديانة المسيحية مزهرة بقوتها وجماهير كثيرة تعتنقها في بداية القرن الثاني

بعد موت المسيح بسبعين سنة

ثم ان كلسوس امرّ مقاومي الديانة المسيحية الذي كتب تاريخهُ في اخر القرن الثاني ذكران موسس الديانة المسيحية كان قبلهُ بسنين قليلة وذكر اشهر الحوادث في تاريخ الانجيل منسوبة الى يسوع المسيح وقال انهُ نقل الخبر عن كتابات البشيرين . وقد اقتبس من هذه الكتب ونقل عنها ناسبًا اياها الى تلاميذ يسوع او رسلهِ ولنفس الاشخاص الذين تنسب اليهم الآن . وذكر على الخصوص تجسدهُ وولادتهُ من عذراء وسجود المجوس لهُ وهربهُ الى مصر وقتل الاطفال . وتكلم عن اعتمادهِ من يوحنا ونزول الروح القدس بهيئة حمامة والصوت الذي صار من السماء داعيًا اياهُ ابن الله . وعن كون تلاميذهِ حسبوهُ نبيًّا وعن انبائهِ بمن يسلمهُ وبظروف موتهِ وقيامتهِ . واقر بان تلاميذ المسيح حسبوهُ شخصًا الهيًا وعبدوهُ . وذكر كل الظروف التي رافقت صلبهُ وظهورهُ لتلاميذهِ بعد ذلك . وكثيرًا ما اشار الى الروح القدس وذكر الله باسم العلي وتكلم بوجه العموم عن الآب والابن والروح القدس . واقر بالعجائب التي عملها المسيح وانهُ اجتذب بواسطتها جماهير اليهِ وهم يحسبونهُ مسيًا . ولم ينكر قط ان تلك العجائب جرت بالفعل ولكنهُ نسبها الى صناعة سحرية تعلمها من مصر (انظر كتاب لاردنر في شهادات الوثنيين فصل ١٨)

كذلك فورفيريون وهو عدو الدّ للديانة المسيحية نشا بعد كلسوس بنحو قرنٍ قد شهد لصدق نسبة الاسفار المقبولة عند النصارى . فهذا لم يقر بانهُ كان شخص اسمهُ المسيح فقط بل قال عنهُ ايضًا انهُ رجل تقي صعد الى السماء لانهُ كان محبوبًا عند الالهة (انظر كتاب لاردنر فصل ٣٧)

ونحو اواسط القرن الرابع ارتقى الى العرش الامبراطور يوليانوس . ومما يستحق الاعتبار ان هذا العدو الثابت العالم الذي بغض الديانة المسيحية لم يستطع على تقديم برهان لدحض صحة تاريخ الانجيل وشهد بصدق نسبة البشائر وقدمينها ولم ينكر عجائب المسيح قط . فقال ان يسوع لم يفعل شيئًا يستحق بهِ الشهرة الّا اذا زعم احد ان شفاء الاعرج والاعمى واخراج الارواح النجسة في قرية بيت صيدا هي من الاعمال العظيمة . وقد اقر بان يسوع كان لهُ سلطان على الارواح النجسة وانهُ مشى على البحر واخرج الشياطين . وبذل جهدهُ في ان يخفض قيمة هذه الاعمال العجيبة ولكن بدون ان يبلغ اربهُ فالنتيجة واضحة ان هذه الاعمال براهين على ارسالية الهية (شهادات الوثنيين فصل ٤٤)

فشهادة تاشيتوس المذكورة اعلاهُ التي اثبتناها من مولفات المورخين المعاصرين هي شديدة الاعتبار في اثبات تاريخ الاناجيل وهي تتضمن (١) ان يسوع المسيح حُكِمَ عليهِ بالموت كفاعل شر من قبل بيلاطس البنطي الوالي في ايام طيباريوس (٢) ان المسيحيين اخذوا اسمهم واعتقادهم

من المسيح (٣) ان هذه الديانة (التي يدعوها خرافة) نشأت في اليهودية حيث امتدت اولاً مع ان موسسها مات شر ميتة واتباعهُ ذاقوا اشد المقاومات من اهل بلادهم (٤) انها امتدت من اليهودية الى جهات اخري من العالم حتى الى رومية لانهُ في السنة العاشرة او الحادية عشرة من ملك نيرون وقبل ذلك كان المسيحيون كثيرين جدًّا (٥) ان معلمي هذه الديانة كانوا محتقرين ومبغضين واحتملوا عذابات كثيرة ثقيلة

فقد راينا ان الدّ اعداء النصرانية من اول ظهورها الى تاصلها التام في العالم المعروف حينئذٍ في القرن الرابع شهدوا جميعًا شهادة معتبرة لصفات المسيح وحقيقية ايانهِ ولصدق نسبة اسفار العهد الجديد وحقها ولسرعة تقدم وامتداد الديانة المسيحية ولوحدة المسيحيين في ايمانهم وعبادتهم ولطهارتهم وتمسكهم الثابت في اعتقادهم بدون تزعزع غير مبالين بالعذابات الدموية التي قاسوها

نعم انهُ لاينكران حوادث كثيرة مهمة في تاريخ الانجيل لم يذكرها المورخون من اليونانيين واللاتينيين وعلى ذلك هم البعض باقامة برهان على تكذيب هذا التاريخ غيرانا نقدران نعلل عدم ذكرهم تلك الحوادث بانهم جهلوها كل الجهل او بسبب حدوثها قبلهم بزمان طويل او بانهم احتقروا كثيرًا اليهود والمسيحيين بسبب مغايرة عوائدهم وطقوسهم . وفوق ذلك يعلل عدم ذكر تلك الحوادث وعلى الخصوص الحوادث المهمة في حياة المسيح بالاسباب الآتية

١ لانهُ قد فقدت لا محالة كتب كثيرة من تلك الاجيال القديمة ربما كانت هذه الحوادث مذكورة فيها

٢ لان الاناجيل كما لا يخفى هي تاريخ شخص وليست تاريخًا سياسيًّا والحوادث المتعلقة بتاسيس الديانة المسيحية تخص اشخاصًا قليلي العدد غير معروفين في العالم الروماني فلذلك يرجح ان اصحاب التواريخ العالمية لا يعتبرونها . وكان ميدان اعمال المسيح بعيدًا عن بلاد اليونان وايطاليا ولم يكن ممكنًا ان تصل اليهم اخبار صحيحة عن عجائبهِ فلذلك علماء اليونانيين والرومانيين اعتبروا تلك الاخبار عند اول وصولها كذبًا لا يُصدَّق . وفوق ذلك كان بعيدًا جدًّا عن المولفين الذين كتبوا تواريخ سلاطين رومية واخبار الحروب الشهيرة او تاريخ بلاد معتبرة ان يذكروا بالتفصيل تاريخ طائفة دينية انشاها في اليهودية رجل تهمهُ اهل بلادهِ بالخداع ورفضوهُ . واذا استدعى المقام ان كاتبًا يذكر النصرانية وتعاليمها ومعجزاتها ومعلميها فبالضرورة كان ذكرهُ اياها بمقدار اعتبارهِ لها ونعلم ان المسيحيين الاولين كانوا محتقرين جدًّا عند كل اصحاب التواريخ الوثنية من الاقوال التي ذكرنا بعضها من مؤلفاتهم . ناهيك عن ان تعاليم النصرانية ومطاليبها الادبية كانت مضادة لمبادي الوثنيين وارائهم حتى اننا لا نستغرب عدم مبالاتهم بادلتها وحوادثها . ومايستحق ان نلاحظهُ هنا

كل الملاحظة هو ان كل الذين اعتبروا ذلك وفتشوا عنهُ تنصروا ولذلك لا نذكر شهاداتهم هنا بين الاعداء بل في موضع اخر

٣ لان موَّلفي ذلك العصر الوثنيين الذين بحثوا عن سيرة المسيح واعمالهِ تاثروا من تلك الحوادث فتنصروا كما ذكرنا فلذلك صارت شهاداتهم شهادات موَّلفين نصارى لا وثنيين

غير انهُ لاشك في وجود مصنفات وثنية ذُكِر فيها المسيح واعمالهُ ولم تبقَ الى الآن ونجد شهادة واضحة على ذلك في موَّلفات طرطوليانوس الذي في كتاب يحامي فيهِ عن المسيحيين قال موجهًا قولهُ الى اعداء الديانة المسيحية ما ياتي. في اللحظة التي مات فيها المسيح فقدت الشمس نورها واظلمت وقت الظهر وهذه العجيبة مذكورة في وقائعكم محفوظة في سجلاتكم الى هذا اليوم . (مجلد ١ وجه ٩٤ طبع كلارك في ايدنبرج) فلو لم يكن هذا الخبر مدونًا كما قال لكان جلب على نفسهِ تهمة الكذب (التي لم يتهم بها قط) وعلى دينهِ هزء اعدائهِ وتهكمهم . ومما يستحق الذكر ان الظلمة والزلزلة في وقت الصلب ذكرها صريحًا كلسوس عدو النصرانية ولو قدر على انكار ذلك لما اقرَّ بهِ

ان عدم انكار الاعداء من الوثنيين واليهود صدق اخبار الاناجيل ليس الَّا مصادقةً لها. ومما يستحق الاعتبار ان العجائب المذكورة في الاناجيل لم ينكرها موَّلف وثني ولا يهودي في القرون الاربعة الاولى . فاذ ذاك نقول ان للنصرانية كل شهادة يسوغ ان ننتظرها طبعًا من اعدائها . لاجرم انهُ يظهر ضد العقل ان ننتظر ان وثنيًا او يهوديًا يظهر للعيان مقرًّا بالحوادث التي ذكرها البشيرون . نعم انهُ ليس لنا مثل هذه الشهادة ولكن لنا اعظم منها اي لنا على نوعٍ مقنع اقرار كل امة اليهود وكل الوثنيين بذلك فانهُ لم يتجاسر احد ان ينكر جهارًا اخبار البشيرين وما هذا الَّا اقرار بصدقها. افتظن انهم ما فعلوا ذلك لو امكنهم

مثلاً عندما كتب لوقا في اورشليم ان الاعرج منذ ولادتهِ شفاهُ بطرس ويوحنا وهو جالس على باب الهيكل يستعطي وانهُ اجتمع جمهور عظيم بسبب العجيبة افتظن ان عداوة اليهود الاليمة وبغضتهم المضطهدة تسمح لهم بالسكوت عن هذا الخبر لو كان ممكنًا لهم انكارهُ . ولا يجب ان ننسى ان تاريخ الانجيل انتشر في نفس الاماكن التي فيها حدثت الحوادث المذكورة فيهِ واذ كان كثيرون احياء من اعداء الانجيل الذين قيل فيهِ انهم شاهدوها . ومع ذلك لا يخفى انهُ لا احد مطلقًا من المقاومين في اليهودية ولا بلاد اليونان ولا رومية بنوا مضادتهم للانجيل على انكار تلك الحوادث . وما سبب ذلك الَّا انهم لم يستطيعوا الانكار . وما سكوتهم هذا الَّا شهادة عمومية من كل من كان لهم ادنى معرفة بذلك من اليهود والوثنيين لصدق هذه الامور

ثم بعد الصلب بنحو ٣٢ سنة اهاج نيرون على المسيحيين الاضطهاد الاول الروماني والمسيحيون

الذين وجدوا في مدينة رومية وحكم عليهم كانوا كثيرين قال عنهم تاشيتوس انهم جمهور غفير فلا شك ان عددهم حينئذٍ في كل الاماكن كاد لا يحصى . وهولاء كانوا من مدة سنين قليلة يهوداً ووثنيين . وسكن منهم كثيرون في القدس وكفرناحوم وانطاكية وفيلبي وافسس وكورنثوس وهلمّ جرّا . وفي وقت الاضطهاد المذكور كان قد كُتِب ثلثة من الاناجيل واعمال الرسل . وقيل في تلك الاسفار ان الحوادث المذكورة فيها صارت امام عيون اهالي المدن المذكورة . فكان سهلاً على اهالي تلك المدن ان يحققوا هل هم اوجيرانهم او اهلهم راوا حقًّا تلك الامور . وماذا عملوا . نرى انهم اتوا جماهير عظيمة ورفضوا ديانة اليهود وديانة الوثنيين واعتنقوا الانجيل واحتملوا اعذابات حتى الموت ولم يتركوهُ . وهذا لم يكن بعد الحوادث المذكورة عن المسيح الأ بثلث وثلاثين سنة اي في حياة بولس . فاقول اذًا ان كل مسيحي في تلك الايام هو شاهد عدل واشهادتهِ فعل اكثر من كل ما يمكن ان يشهد بهِ الوثنيون لصدق تاريخ البشير بن المنير . فاذًا نحن محاطون بسحابة عظيمة من الشهود . شهود ما اقروا بهذه الامور وبقوا كما كانوا بل قد اضافوا الى اقرارهم شهادة تنصُّرهم بالفعل وبرهان حياتهم التي كرسوها بجملتها لتلك التعاليم وشهداء لا يحصون ماتوا على ايمانهم بسبب تاكيدهم تلك الامور . فليتامل المطالع بعين الانصاف ويحكم هل ممكن ان الانجيل يذيع بهذا المقدار ولو الى سنة واحدة لو لم يكن صدقهُ كنارًا على علم . وليلاحظ القاري ايضاً ان تنصُّر هذا الجمهور تم عن يد اناس غير معتبرين وباستعمال وسائط بسيطة وحقيرة

ثم بعد الصلب بنحو ثمان سنين اشهر متى انجيلهُ بين اليهود فيهِ ذكر لسكان اورشليم انهُ قبل ذلك بثمان سنين اذ كان كثيرون منهم معاينين لصلب الرب يسوع صارت ظلمة على كل الارض من الساعة السادسة الى الساعة التاسعة وانشق حجاب الهيكل الى اثنين وتزلزلت الارض وانشقت الصخور . واذا فحصنا جميع مولفات الوثنيين لا نجد فيها البتة ما ينفي صحة هذه الاخبار فلو فرضنا ان هذا لم يكن صحيحًا هل كان ممكنًا ان اهل اورشليم والمؤرخين الوثنيين يتقاعدون عن تكذيبهِ وهل يبقى كتاب متضمن هذه الاكاذيب ساعة واحدة . فعدم وجود انكار لهذه الاخبار هو برهان قوي على صحتها

ثم ان سفر اعمال الرسل كُتِب بعد المسيح بثلاثين سنة واشتهر حالاً بين الكنائس واطلع عليهِ اعداء الديانة المسيحية . ومما قيل فيهِ ص ٢ انهُ في يوم الخمسين بعد موت المسيح اذ كان جمهور عظيم من كل بلدان العالم مجتمعين في اورشليم حصل تعجب عظيم عند عموم الناس بسبب خبر حدوث عجيبة بين الرسل حتى اجتمع الجمهور وتحيروا لان كل واحد كان يسمعهم يتكلمون بلغتهِ فرتيين وماديين وعيلاميين وكريتيين وعرب من كل البلدان والالسنة وتحيروا لانهم سمعوا اولئك

الجليليين الذين لم يتعلموا غير لغتهم يتكلمون بكل اللغات الاجنبية بعظائم الله . فكيف استطاع مولف صحيح العقل ان يذكر هذا الخبر ويقدمهُ للمطالعين لولم تكن هذه الامور قد حدثت حقيقةً على هذه الصورة . فان مرور ثلاثين سنة لم يكن كافيًا لكي ينسي الناس ذكر ذلك اليوم او يطوي من العالم جميع الذين شاهدوا الحادثة فلذلك نتاكد انهُ حيثما توجه هذا الكتاب صادف اشخاصًا قادرين ان يتذكروا او يتحققوا من غيرهم هل هذه الامور هكذا . فلو لم تكن حادثة تكلُّم الرسل بالسنة غريبة امام الوف امرًا لاينكر لكان شهود لا يحصون يقاومون الكتاب المتضمنة فيهِ . ولولم تحدث هذه الحادثة لكان حيثما توجه هذا السفر صادف اناسًا يقولون انهم كانوا في ذلك العيد المشار اليهِ ولم يروا ولا سمعوا شيئًا من الامور العجيبة التي ذكرها كاتبهُ . ولايمكن ان نعلل عدم انكار العالم هذه الاخبار الأبكونها صحيحة ولايمكن جحودها . نعم ان اعداء الديانة المسيحية قاموا واعترضوا ولكن على اية صورة هل بانكار صحة الاخبار عن اصل الديانة . كلا . بل سلموا بصدقها ورتبوا اعتراضاتهم على صورة اخرى . ولذلك من عدم وجود انكار لهذه الامور في مؤلفاتهم نستخرج برهانا ايجابيًا على تسليمهم بصحتها

وقد تثبتت صحة تاريخ العهد القديم اثباتًا عجيبًا ملذًا من الاكتشافات الحديثة ومن الكتابات القديمة على الانصاب والالواح ومن سجلات اشور وبابل . فان ذكر كثيرين من ملوك اشور في الكتاب المقدس مثبت من السجلات المكتوبة على بعض الاحجار باسم الملوك . وقد أُخرجت هذه حديثًا من تحت الارض لتخاطبنا كما بصوت من الازمنة الغابرة شاهدةً لصحة تاريخ الكتاب . وربما ياتي وقت فيهِ اكتشاف سجلات كاملة من مصر واشور وبابل يجعلنا نحصل على توضيح كل التاريخ المقدس كما حصلنا على توضيح وتاكيد اجزاء منهُ . وربما الباري سبحانهُ الذي يعمل كل شيء حسب راي مشيئتهِ وقد اظهر لعصرنا خزائن المعرفة المدفونة منذ زمان عندهُ ايضاً امور اعظم مخزونة لجنسنا وهو مستعد ان يظهرها عند ما تشاء ارادتهُ . نعم انهُ عند ما تضعف اصوات البشر وتنخفض حينئذٍ يجعل الله الحجارة تصرخ . ليكن اسم الله مباركًا من الازل والى الابد لان لهُ الحكمة والجبروت يكشف العمائق والاسرار يعلم ما هو في الظلمة وعندهُ يسكن النور دا ٢ : ٢٠ و٢٢

ثالثًا . يتبرهن صدق الكتاب المقدس من شهادة البشيرين والرسل

فان من جملة المقاصد التي لاجلها عين الله الرسل هي ان يشهدوا للعالم عما راوا وسمعوا ولا شك

في ان ايمان المسيحيين موسس على نوع خصوصي على شهادتهم. فيليق بنا ان نفحص شهادتهم جيدًا لنرى هل تستحق التصديق ام لا

لا يخفى ان الشهادة البشرية في بعض الظروف يتكون منها برهان عظيم جدًا لاثبات امرٍ ما. ولنا قوانين نلتزم بموجبها بتصديق الشهادة اذا كانت لاتناقضها وهي

١ يجب ان يكون عدد الشهود كافيًا

٢ يجب ان يكون لاولئك الشهود اقتدار ووسائط تمكنهم من الحكم الصحيح

٣ يجب ان تكون صفاتهم الادبية خالية من العيب

٤ يجب ان يكونوا خالين من الغرض في ما يشهدون به

٥ يجب ان تكون شهادتهم واضحة العبارات وان تتفق في كل الامور الرئيسية

٦ يجب ان تكون على كيفية ينكشف بها تزويرهم بسهولة اذا كانوا مزورين

٧ يجب ان لاتناقض براهين اخرى بل تطابقها والى حدٍ ما تثبتها

٨ يجب ان توافق اعمالهم

فهذه بالاختصار قوانين الشهادة المعتمد عليها والشروط والظروف التي تجعل برهان الشهادة قويًا ومقبولاً

ولا نقول ان كل هذه القوانين متساوية اعتبارًا ولا ان كل شهادة لاتوافق هذه القوانين جميعها يجب رفضها بل ان الشهادة التي تصدق عليها كل هذه الشروط يجب قبولها فانها تكون اذ ذاك كافية لتثبيت الحقيقة ولجري الاعمال عليها بدون ادنى تاخر في كل الامور. ولا يمكن رفضها الأ بناء على مبادئ تفضي الى الكفر العام

وهذا الكلام قوي ولكن نتضح مناسبته من هذا المثال . فان اكثرنا لم نرَ مدينة لندرا ومع ذلك لا نشك في وجود مدينة بهذا الاسم في بلاد الانكليز. وقد تاكدنا وجودها من بينة الشهادة كما يمكننا ان نتاكدهُ من بينة الحواس. وبعد تفكر قليل نرى ان الشهادة التي بني عليها يقيننا بوجود لندرا توافق كل قوانين الشهادة المذكورة انفًا . وانها هي السبب الوحيد لذلك . فلو اختلفت الشهادة في هذا الامر او لم توافق بعض قوانين الشهادة الصادقة كما لو كان الشهود قلائل لا يركن اليهم او كانوا ارديا اصحاب غرض او كانت شهادتهم ليس لها اثبات من برهان اخر او ظهر من تصرفهم انهم انفسهم لا يصدقون ذلك او خالفوا في شهادتهم قانونًا اخر من القوانين المذكورة انفًا لضعف ايقاننا بوجود المدينة المذكورة وارتبنا فيهِ . ولكن اذا صدقت عليها جميع القوانين لا يمكن الشك فيها

ان كل ما تقدم من المبادئ يوافق لايضاح موضوعنا الآن وهو شهادة البشيرين والرسل للحقائق الانجيلية وللبحث عن هذه الشهادة هل تتفق مع شروط الشهادة الصادقة ام لا

فنرى اولاً ان الشهود لصحة التاريخ الانجيلي كثيرون وهذا امر لايشك فيهِ احد . وهولاء كان لهم احسن الوسائط لكي يتحققوا صحة الحوادث التي شهدوا لها ويحكموا فيها الحكم الصحيح . لانهم كانوا في بلاد الحوادث وزمانها وشهدوا بما راوا وسمعوا . وكذلك على قدر ما نعلمهُ عن كتبة الاناجيل يتضح لنا انهم كانوا ذوي صفات ادبية جيدة . ولم يكن لهم صالح عالمي يحملهم على ان يلفقوا مثل هذه الاخبار ويشهروها للعالم بل كان الامر بالعكس من كل الوجوه فانهم نالوا مجازاة على نشرهم الانجيل خسارة كل شيء وقد عرفوا ذلك قبلاً . ثم ان شهادة اولئك الاشخاص هي بغاية البساطة والوضوح ومطابقة بعضها بعضًا بدون تناقض (نعم بينها اختلافات جزئية ولكن مع اتفاق عام اذ ليس كل الذين يشهدون لامرٍ ما يتفقون تمامًا في جميع الدقائق ولا ينتظر ذلك منهم . بل يحسب سببًا للريب في صدقهم لالقاء التهمة عليهم بالتواطوء على الغش) . وليعلم ايضًا بانهُ لو لم تكن شهادتهم صادقة لكانت مقاومتهم سهلة . مثلاً لو لم يشبع المسيح الوفًا بقليل من الخبز والسمك او لم يشفِ المرضى ولا اقام الموتى ولا حوكم ولا قضي عليهِ بالموت ولا صلب ولا دفن ولا قام في اليوم الثالث لكان تكذيب شهادتهم حال ظهورها سهلاً جدًا . ولكن لم يصر ذلك لانهُ لم يكن ممكنًا بل بالعكس تثبتت شهادتهم بالوف من البينات . وفوق ذلك عاش الشهود الاصليون مظهرين بسلوكهم ان شهادتهم صحيحة وخرجوا ينادون في كل مكان تحت الاتعاب والاخطار والالام والموت بانها صادقة وفي الغالب ختموا شهادتهم بدمائهم

فقد ثبت من هذا البرهان بكل تاكيد ان الشهادة المثبتة تاريخ الاناجيل توافقها كل قوانين الشهادة الصادقة ولذلك هي صادقة لا ترد ولا يمكن رفضها الاَّ بوضع مبادي تجعل الشهادة غير كافية لبرهان امر من الامور

اما بخصوص كتبة اسفار العهد القديم فاذا اخذنا اسفار موسى الخمسة نرى ان الامر واضح من الاربعة الاخيرة منها ان موسى كان لهُ دخل عظيم في كل الحوادث المذكورة فيها نظير مشترع اليهود وحاكمهم . فعُمل كل شيء امام عينيهِ وتحت ملاحظتهِ حتى ان هذا الجزء من تاريخ العهد القديم الاَّ الاصحاح الاخير من التثنية (الذي ربما كتبهُ غيرهُ بعدهُ) يسوغ ان يدعى بالحق تاريخ حياة كاتبهِ موسى وزمانهِ غير ان عزرا او غيرهُ زاد عددين او ثلاثة . نعم انهُ يذكر شخصهُ بضمير الغائب احيانًا على ان هذا ليس سببًا لرفض صدق نسبة التاريخ اليهِ ولا لرفض صدق الكتاب . فان اكزنيفون وقيصر ويوسيفوس وغيرهم استعملوا هذه العادة ومع ذلك لا يشك احد في صدق نسبة تواريخهم ولا في صحتها

وعلى هذه الكيفية يذكر كاتبو الاسفار التاريخية التابعة الحوادث التي شاهدوها كيشوع وصموئيل وعزرا ونحميا . وعند ما ذكروا الحوادث السابقة عصرهم او التي لم يشتركوا فيها اخذوا اخبارهم من كتابات قديمة معاصرة وكان دأبهم الاجتهاد في حفظ نفس الكلمات والجمل من الكتب التي نقلوا عنها وفي الغالب اشاروا الى الكتب التي اقتبسوا منها . ونشروا كتبهم والكتابات التي نقلوا عنها باقية في الوجود وللناس فرصة لمراجعتها ومع ذلك قبلوا كتبهم وسلموها الى نسلهم حتى حفظت باعتناء اكثر مما حفظت به الكتب الاصلية التي اندثرت على تمادي السنين . وكذلك الانبياء اشعيا وارميا وحزقيال ودانيال واخرون عندما ذكروا حوادث جرت قبل عصرهم نقلوها من الكتابات الصحيحة المشار اليها ولكنهم كانوا معاصرين ومشاهدين للحوادث التي جرت في عصرهم مما يخص فساد اهل بلادهم وسقوطهم في عبادة الاوثان ووبخوهم لاجل تلك الشرور ودعوهم الى التوبة . وعلى افتراض ان مؤلفي بعض تلك الاسفار مجهولين كمولف سفر يشوع وسفري صموئيل لا ينتج من ذلك انها ليست ذات سلطان . وكون اليهود قد قبلوها وحسبوها صادقة هو اساس كافٍ لايماننا ولو لم نعرف اسم الكاتب فلذلك الاسفار المذكورة هي ذات سلطان ولو سلمنا انهُ ربما لم يكتبها الاشخاص المنسوبة اليهم الآن

رابعًا . يتبرهن صدق الكتاب المقدس من شهادة مؤلفي القرون الاربعة الاولى بعد المسيح

لنا في القرون الاربعة الاولى ما ينوف عن خمسين مولفًا شهدوا لصحة الحوادث التي ذكرت في الاناجيل وبقي من مصنفاتهم اما كتب كاملة او اجزاء منها . وعدا ذلك قد فقدت كتب اكثر من خمسين مولفًا اشار اليهم ابرونيموس (سنة ٣٩٢) والجميع اكثر من مئة شخص وهم من كل اقطار العالم من حدود الفرات الى اقاصي اوروبا ومن شمالي جرمانيا الى صحراء افريقيا ولغاتهم السريانية واليونانية واللاتينية . فلنا في كتاباتهم بيان ايمان جمهور المسيحيين العظيم وايضًا شهادات عديدة توضح مصادقة غير المسيحيين عليهِ . وجميعهم يتفقون في اقتباسهم من الكتاب المقدس وفي اعتقادهم بصحتهِ . وكانوا يشيرون اليهِ كما الى كتاب معروف ومقبول عمومًا . وجانب عظيم منهم كتبوا عليهِ شروحًا وتفاسير اذ اعتبروهُ كتابًا الهيًا وشهدوا لصحة الحوادث المذكورة فيهِ

وقد وضعنا هذا الجدول الذي يتضمن اشهر المؤلفين المسيحيين في القرون الاربعة الاولى الذين

يتأيد من كتاباتهم صدق الكتاب المقدس وصدق نسبته واكثرهم قد فسروا آيات كثيرة منه. وقد ذكرنا فيه ايضاً اشهر الهراطقة واعداء الديانة المسيحية الذين شهدوا لصحة الانجيل باتفاقهم معهُ في ذكرهم ما ورد فيه من الحوادث او اشارتهم اليها

القرن الاول

اشهر المؤلفين المسيحيين الذين يتأيد من مؤلفاتهم صدق الكتاب المقدس وصدق نسبته وسلطانه		سنة م
اكليمنضوس الروماني	مات	١٠١
اغناطيوس	"	١١٦
بوليكاربوس	"	١٦٦

اشهر الهراطقة واعداء الديانة المسيحية الذين شهدوا لصحة الانجيل باتفاقهم معهُ في ذكر ما ورد فيه من الحوادث او اشارتهم الى ذلك		سنة م
بيلاطس البنطي كان والي اليهودية من ٢٦-٣٦		
يوسيفوس المؤرخ اليهودي	مات	٩٥
افلينيوس	مات نحو	١١٨
تاشيتوس المؤرخ الوثني	" "	١٢٠
سويتونيوس	" "	١٢٠

القرن الثاني

اشهر المؤلفين المسيحيين الذين يتأيد الخ		سنة م
الرسالة الى ديوغنيتوس	نُشِرت نحو	١١٧
الرسالة باسم برنابا	" "	١٢٠
كوادراتوس	مات نحو	١٢٠
هرماس	كُتِبَ "	١٤٠
بابياس	مات "	١٦٣

اشهر الهراطقة واعداء الديانة المسيحية الخ		سنة م
باسيليديس الاسكندري	مات نحو	١٣٠
كربوكراتيس الاسكندري	" "	١٣٠
سانورنينوس الانطاكي	" "	١٣٥
مركيون الروماني	" "	١٤٥
فالنتينيانوس الروماني	" "	١٦٠

		سنة م			سنة م
يوستينوس الشهيد	مات نحو	١٦٦	كلسوس	مات نحو	١٧٠
ابوليناريوس (اسقف هيرابوليس)	" "	١٧٥	مونتانوس	" "	١٨٠
تاتيانوس	" "	١٧٦	پراكسيوس	" "	١٩٥
ديونيسيوس الكورنثي	" "	١٧٦	لوكيانوس المورّخ (من سُميساط)	" "	٢٠٠
مليتو	" "	١٧٧	ثاودوتوس	" "	٢٠٨
رسالة كنيستي ليون وڤينّا (في فرانسا)	كُتبت نحو	١٨٠	نويتوس	" "	٢١٥
هجيسبّوس	مات نحو	١٨٠	ارتيمون	" "	٢٢٠
اثيناغورَس	" "	١٨٠			
ثاوفيلوس (اسقف انطاكية)	" "	١٨١			
ابريناوس	" "	٢٠٢			

القرن الثالث

اشهر المؤلفين المسيحيين الذين يتايد الخ		سنة م	اشهر الهراطقة واعداء الديانة المسيحية الخ		سنة م
اكليمنضوس الاسكندري	مات	٢٢٠	برلّوس	مات نحو	٢٦٠
مينوشيوس فيلكس	"	٢٣٠	نوڤاتيانوس القرطاجنّي	" "	٢٦٥
يوليوس افريكانوس	"	٢٣٢	سابلّيوس في مصر	" "	٢٧٠
طرطوليانوس	"	٢٤٠	بولس من سُميساط	"	٢٧٢
هيپوليتوس	مات نحو	٢٤٠	منيكيانوس الفارسي	" "	٢٧٧
امونيوس	" "	٢٤٢	فورفيريون الروماني	"	٣٠٤
اوريجانوس	"	٢٥٤	هيروكليس	" "	٣١٥
كبريانوس	"	٢٥٨	دوناتوس	" "	٣٢٥
نوڤاتيانوس الروماني	" "	٢٦٠	ميليتيوس المصري	" "	٣٣٠
ديونيسيوس (اسقف اسكندرية)	"	٢٦٥	آريوس	" "	٣٣٦

سنة م		سنة م	
غريغوريوس (الملقب ثاقموطرجوس)	مات نحو ٢٧٠	اوسابيوس (اسقف نيكوميديا)	مات نحو ٣٤٢
كوموديانوس	" " ٢٧٠	ماكيدونيوس	" " ٣٦١
ارخيلاوس (اسقف كسكار)	" " ٢٨٥	يوليانوس الامبراطور (الملقب المرتدّ)	" " ٣٦٣
ڤكتورينوس	" ٣٠٣		
لوكيانوس الانطاكي	" ٣١١		
مثوديوس (اسقف صور)	" ٣١٣		
ارنوبيوس	" " ٣٢٥		
لكتنتيوس	" ٣٣٥		

القرن الرابع

اشهر المؤلفين المسيحيين الذين يتايد الخ		اشهر الهراطقة واعداء الديانة المسيحية الخ	
	سنة م		سنة م
اوسابيوس المورّخ (اسقف قيصرية)	مات نحو ٣٤٠	فوتينوس (اسقف سرميوم)	مات نحو ٣٧٢
		ڤالنس	" " ٣٧٨
هيلاريوس	" ٣٦٦	مركوس	" " ٣٨٠
اوسابيوس (اسقف ڤرسلّي)	" " ٣٧١	ابوليناريوس (اسقف اللاذقية في براناضول)	" " ٣٨٨
اثناسيوس (اسقف اسكندرية)	" " ٣٧٣		
افرام السرياني	" " ٣٧٩	بريسكليان	" " ٣٩٠
باسيليوس الكبير (اسقف قيصرية)	" " ٣٧٩	اونوميوس	" " ٣٩٦
كيرلّس الاورشليمي	" " ٣٨٦	مركلّوس	" " ٤١٥
داماسوس الروماني	" " ٣٨٨	فيلسطرجيوس	" " ٤٢٥
غريغوريوس النازيانزي	" " ٣٨٩	بيلاجيوس	" " ٤٣٦
امفيلوخيوس (اسقف ايقونية)	" " ٣٩٥	نسطوريوس	" " ٤٣٩
امبروسيوس (اسقف ميلان)	" " ٣٩٦	افتيخس	" " ٤٦٥

		سنة م
غريغوريوس النسّي	مات نحو	٣٩٦
ابيفانيوس (اسقف سلاميس)	"	٤٠٣
يوحنا فم الذهب (اسقف قسطنطينية)	"	٤٠٧
روفينوس .	"	٤١٠
ثاوفيلوس (اسقف اسكندرية)	" "	٤١٢
ايرونيموس	"	٤٢٠
ثاودوروس الموبسويستياني	" "	٤٢٨
اوغسطينوس	"	٤٣٠
كيرلُّس (اسقف اسكندرية)	"	٤٤٤
ثاودوريتوس المورّخ	"	٤٥٧
كيلستيوس	مات نحو	٤٨٠

اذا كانت الادلة الماخوذة من شهادات الوثنيين على صدق الحوادث المذكورة في الانجيل الطاهر قليلةً فقد ورد في كتابات المسيحيين الاولين الباقية الى الآن كما بيّنا في الجدول السابق اقاويل وافية تثبت حدوث كل ما ذُكِر في العهد الجديد . ولقد كان من عادة المحامين عن الديانة المسيحية في الاجيال الماضية ان يعتمدوا على شهادات الوثنيين وان تكن قليلة العدد لدحض الكفر اكثر مما يعتمدون على شهادات المسيحيين وما ذلك الا لريب في شهادة المسيحيين لانهم كالشاهد لنفسهِ . الا ان مخلصنا لهُ المجد قد قال ما معناه ُ ان شهادة الانسان لنفسهِ قد تكون صحيحة وان لم يقتنع بها الخصم . واذا اقر الانسان بصدق الديانة المسيحية واعتنقها فلماذا تكون شهادتهُ اقل قيمة من شهادة انسان اخر سلَّم بها ومع ذلك عاش وثنيًّا او يهوديًّا . مثلاً لماذا تُعتبَر شهادة يوستينوس الشهيد لو اقرَّ بصدق الديانة المسيحية ولم يعتنقها بل مات وثنيًّا اكثر من شهادتهِ وقد اعتنقها وترك كل شيء لاجل المسيح وختم شهادتهُ بدمهِ . فاذا لم يعتبر الخصم شهادة المسيحيين الاولين لا يليق ان تحط بذلك قيمتها في اعين المومنين بل يجب ان يعتبروها اكثر من شهادة اليهود والوثنيين ويدرجوها بين الادلة التاريخية الراهنة الشاهدة لصدق ديانتهم

وقد قام من المسيحيين الاولين عدد ليس بقليل من المولفين الذين يُعَدُّون من افضل رجال عصرهم عقلاً واكثرهم علماً منهم يوستينوس الشهيد واثيناغورس وطرطوليانوس واوريجانوس واكليمنضوس ولو لم يكونوا من الاباء المسيحيين لعدَّهم الكفرة من افضل مولفي عصرهم وقبلوا شهاداتهم

للحوادث التاريخية التي حدثت في عصرهم او قبله بقليل كما يقبلون شهادة تاشيتوس وسويتونيوس وديون كشوس. وقصدنا الآن ان نورد بالاختصار بعض ما في كتابات البعض من اولئك المؤلفين من الشهادات لصدق الكتاب المقدس التي يتبين منها قيمة هذا النوع من البينات لصدق الكتاب

فالرسالة التي نسبها اكليمنضوس الاسكندري واوريجانوس الى برنابا هي من اقدم الكتابات التي لم تُدرَج بين كتب الوحي. وقد كتبت في اوائل القرن الثاني سواءٌ كانت لبرنابا او لغيره. ويظهر ان مؤلفها قصد بها شرح معنى العهد القديم الروحي. وقد ذكر في سياق كلامه عجائب المسيح وانتخابهُ تلاميذهُ الاثني عشر وجلدهُ ولطمهُ على وجههِ والاستهزاء بهِ والاقتراع على لباسهِ وقيامته في اول الاسبوع وصعودهُ الى السماء وقد جُمعت كل هذه الحوادث في نحو اثنتي عشرة صفحة وكان الداعي الى ذكرها ما لها من العلاقة بما ذكرهُ عن العهد القديم

والرسالة التي كتبها اكليمنضوس اسقف رومية الى الكورنثيين لا يرتاب في صحتها. وكانت كتابتها في القرن الاول قبلما كتب يوحنا شيئاً من مولفاتهِ. ولابد ان مولفها اكليمنضوس العامل مع بولس قد نقل عن الذين راوا عياناً ما حدث في اليهودية من الامور التي صارت اساساً لديانة المسيح. والقصد بهذه الرسالة اخماد ما نشأ من الانشقاق في كنيسة كورنثوس. وفيها كثير من التعليم والانذار. واما الامور التاريخية فلا تُذكر فيها الَّا على سبيل العرض ومع ذلك نرى فيها كلاماً واضحاً عن اتيان المسيح من نسل يعقوب وعن قوتهِ العظيمة وجلالهِ الملكي واتضاعهِ الاختياري وآلامهِ ونوع تعليمهِ وموتهِ لاجل البشر وقيامتهِ وارسالهِ تلاميذهُ وحلول الروح القدس عليهم وكرازتهم في بلدان كثيرة واقامتهم شيوخاً في كل مدينة وآلام بطرس واتعاب بولس واسفارهِ البعيدة وحبسهِ وفرارهِ ورجمهِ وقيودهِ وشهادتهِ امام الحكام وكتابتهِ رسالة الى اهل كورنثوس وفيها ايضاً اشارات الى ما قاساهُ ذلك الرسول منهم عند ما انقسموا احزاباً لبولس ولابلس ولصفا وللمسيح

وبوليكاربوس اسقف سميرنا وتلميذ يوحنا ومعاصر اغناطيوس ابقى لنا رسالة كتبها الى اهل فيلبي ولم تزل موجودة في الاصل اليوناني ماعدا فصلين او ثلاثة منها اصلها اليوناني مفقود ولكن ترجمتها اللاتينية موجودة. وهذه الرسالة كغيرها من كتابات المسيحيين الاولين مفعمة من الوعظ والانذار وفيها اشارات كثيرة الى اتضاع المسيح وخدمتهِ للذين حولهُ وكرازتهِ وآلامهِ وموتهِ على الصليب وقيامتهِ وصعودهِ الى السماء ووعدهِ تلاميذهُ باقامتهم في اليوم الاخير. وفيها اشارات اخرى الى آلام بولس وغيرهِ من الرسل الاطهار وكرازة بولس في فيلبي وكتابتهِ لهم رسالة. قال ايريناوس ان بوليكاربوس كان يتكلم عن تعليم المسيح وعجائبهِ نقلاً عن يوحنا وغيرهِ من الذين راوا الرب

ان المولفين المسيحيين لم يعتنوا بتدوين اخبار الديانة المسيحية الأعند ماراوا انفسهم مضطرين لافحام الاخصام او المحاماة عن الديانة . ويظهر ان كوادرانس اسقف اثينا هو اول من كتب محاميًا عن الديانة المسيحية واهدى كتابهُ للامبراطور ادريانوس نحو سنة ١٢٢ م ولسوء الحظ فقد هذا الكتاب وبقي فصل منهُ فقط في موَّلف لاوسابيوس ومنهُ يفهم نسق الكتاب . قال في هذا الفصل ان اعمال مخلصنا كانت تُعمل دائمًا علانيةً لانها كانت حقيقية . والذين شفوا من الامراض والذين قاموا من الموت عاشوا مدة طويلة ورآهم كثيرون في مدة بقاء المخلص على الارض وبعد انطلاقهِ حتى ان منهم من بقي الى يومنا هذا (ك ٤ ف ٣)

وبعد ان قدم كوادرانس كتابهُ لادريانوس بخمس وعشرين سنة قام يوستينوس وكتب كتابًا نظير كتاب كوادرانس اهداهُ لانطونينوس الاول نحو سنة ١٤٨ م . ثم بعد قليل اشهر محاوراتهِ مع تريفون التي كانت كتابًا بديعًا يدافع بهِ عن الديانة المسيحية . وفي سنة ١٦٥ م او قبل ذلك بقليل كتب كتابًا ثانيًا في المحاماة عن الديانة المسيحية اهداهُ لمرقس اوريليوس ومجلس رومية . ويمكنا ان نجد في مولفات هذا الاب الفاضل اخبارًا عن حياة المسيح تتفق مع كل ما ذُكر في الانجيل الطاهر وفيها كلام صريح عن اقتران مريم بيوسف وتسلسلها من داود الملك والحبل بالمسيح العجيب وقصد يوسف تخليتها سرًّا وظهور ملاك نهاهُ عن ذلك وتسمية الملائكة الطفل يسوع وانطلاق يوسف وامرأتهِ من الناصرة الى بيت لحم وولادة الرب هناك في مذودٍ وظهور النجم ومجيء المجوس واستخبارهم هيرودس عن مولد المسيح وسجودهم لهُ وتقديم الهدايا وتحذيرهم من الرجوع الى هيرودس . والنزول الى مصر وقتل الاطفال وموت هيرودس وقيام ارخيلاوس والرجوع من مصر وعيشة المسيح عيشة المسكنة واحترافهِ النجارة واعتمادهِ من يوحنا المعمدان في نهر الاردن وحلول الروح عليهِ بهيئة حمامة وشهادة يوحنا لهُ وتجربة ابليس لهُ ونوع كرازتهِ وافحامهِ الاخصام وعجائبهِ وانبائهِ تلاميذهُ بما سيصادفونهُ من البلايا والمحن واستبدالهِ اسم سمعان ببطرس وتلقيبهِ ابني زَبدي ببوانرجس ودخولهِ الى اورشليم بالتهليل راكبًا على اتان ورسمهِ العشاء الرباني وترتيلهِ مع التلاميذ وانطلاقهِ الى جبل الزيتون قبل صلبهِ بليلة وانطلاق الرسل الثلاثة معهُ وصلاتهِ هناك . وصمتهِ امام بيلاطس وارسال بيلاطس اياهُ الى هيرودس والامهِ وصلبهِ واستهزاء الواقفين حولهُ بهِ والقاء القرعة على ثيابهِ وهرب التلاميذ وكلامهِ عند ما اسلم الروح ودفنهِ عند المساء وقيامتهِ في اليوم الثالث وظهورهِ للتلاميذ وتفسيرهِ النبوات لهم وصعودهِ الى السماء وهم ناظرون اليهِ وكرازة التلاميذ بعد ذلك وحلول الروح القدس عليهم واعتناق الامم الديانة المسيحية وامتداد الانجيل السريع في كل مكان . فيا ليت شعري من يستطيع ان يرتاب في ان هذه القضايا كانت مصدَّقة عند عموم المسيحيين الذين كتب هذا الاحتجاج عن لسانهم

وقُدِّم لقياصرة الرومانيين

ولا حاجة الى اطالة الكلام في هذا الصدد ولا الى استشهاد مولفات اثيناغورس وطرطوليانوس وايريناوس واوريجانوس وغيرهم . ونرى في الكنيسة المسيحية منذ عهد يوستينوس سلسلةً من المولفين الذين اعتقدوا صدق كل القضايا المذكورة في العهد الجديد وشهدوا ان ذلك هو اعتقاد المسيحيين قاطبةً وشهاداتهم لها عندنا الدرجة الاولى من الاعتبار كيف لا وقد ختموها بدمهم

فاذا كانت الشرائع المدنية تعتبر شهادة من يتوقع الموت اعتبارًا عظيمًا فبالحري يجب علينا ان نعتبر شهادة المسيحيين الاولين لانهم كانوا دائمًا متوقعين الموت لاجل ديانتهم وكانوا يعلمون بها والسيف والصليب والوحوش المفترسة والوتد امام اعينهم . واكثر الشاهدين للحق استشهدوا لاجلهِ فان اغناطيوس وبوليكاربوس وبابياس وكوادراتس ويوستينوس وايريناوس جميعهم ماتوا شهادة للحق وما من واحد من المسيحيين الاولين حامى عن الحق الاَّ عرّض نفسهُ للموت . فاذا كان في الديانة موت وحياة لا يعتنقها الناس بغير تروٍّ بل لا يعتنقوها ما لم يقتنعوا بصدقها كل الاقتناع . ولا يُنكَر انهُ كان للمسيحيين الاولين وسائط يمكنهم ان يتأكدوا بها صدق القضايا المذكورة في الانجيل الطاهر اكثر مما لنا . فكانوا يستطيعون ان يفحصوا الشهود ويقابلوا رواية الواحد برواية الاخر ويروا ما بينهما من الخلاف اذا وجِد ويستعينوا بشهادة الوثنيين على نقض ما داخلهم فيهِ ريب او تثبيتهِ . فان كانوا لم يفعلوا ذلك والامر مهمٌ بهذا المقدار اي ان اعتناق هذه الديانة يجلب عليهم العار والاهانة والظلم والقهر وقطع العلاقات العائلية والدينية وفقد الاصدقاء والمناصب ويجعلهم عرضةً للهزء والجلد والموت حرقًا او صلبًا او طعمًا للوحوش او تمزيقًا بالدهق يكونون عديمي العقل وخالين من محبة الحياة التي هي صفة غريزية في كل البشر . وهذا الحُمق او بالحري الجنون لم يُسمَع قط بانهُ اصاب طائفة كبيرة من الناس المتمدنين . واذا عتقدنا ان المسيحيين الاولين كانوا كغيرهم من بني البشر عقلاً وعلمًا وجب ان نحسب شهاداتهم ذات قيمة عظيمة كشهادة قوم لا يسلمون بامرٍ لهُ عندهم اهمية كبيرة ما لم يفحصوا عن صحتهِ فحصًا مدققًا

خامسًا . يتبرهن صدق الكتاب المقدس مما فيهِ من التدقيق والضبط في الاشارات الى حوادث معاصرة والى العوائد والاصطلاحات الجارية في وقت كتابتهِ

لا يخفى ان كل من يشرع في تزوير كتابات وينسبها الى اشخاص كانوا في عصر قبلهُ يلقي نفسهُ في

خطر مخالفة تاريخ ذلك العصر وعوائدهِ. وهذا الخطر يزداد بالنسبة الى ذكر امور ليست مذكورة في التاريخ العمومي بل تخص فقط مدينة خصوصية او طائفة او مذهب او جماعة. فلو كان العهد الجديد تزويرًا لكان عرضة لهذا الخطر اكثر من كل ما أُلّف من الكتب. فان مكان الحوادث فيهِ ليس محصورًا في بلاد واحدة فقط بل عامًّا كل المدن العظمى في مملكة الرومانيين . وفيهِ اشارات الى عوائد مختلفة بين اليونانيين والرومانيين واليهود وذكر عوائد اليهود بالتدقيق حتى الى امورهم الطفيفة وخرافاتهم الدينية. فالذي صار مسيحيًّا من اليونانيين او الرومانيين في القرن الثاني او الثالث بعد المسيح ولو كان متعمقًا في كتب القدماء كان لم يزل ناقصًا في علوم اليهود. والذي صار مسيحيًّا من اليهود في تلك الاعصر ولو كان من الحاخامين العلماء فهو ناقص في ما يختص باليونانيين والرومانيين في القرن الاول . فاذا كان العهد الجديد وهو معرض هكذا للانتقاد قد وجد بعد ادق التفتيش موافقًا لتاريخ القرن الاول وعوائدهِ واعتقاداتهِ وكلما دققنا البحث وجدنا الاتفاق اكمل ينتج انهُ فوق امكان البشر ان يزوروا تزويرًا عجيبًا كهذا . وهذه الاقوال تصدق ايضًا على العهد القديم لأن فيهِ ذكر امور تاريخية عديدة واشارات كثيرة الى عوائد واصطلاحات الازمنة التي كُتبت فيها اسفارهُ

وقد اخترنا لايضاح هذا البرهان اسفار موسى الخمسة من العهد القديم والاناجيل الاربعة وسفر الاعمال من العهد الجديد

١ . نبرهن صدق الاسفار الخمسة ممَّا في اشاراتها الى الحوادث والعوائد والاصطلاحات التي كانت جارية في زمان ومكان كتابتها من الدقة والصحة

ولاجرم ان موسى هو كاتب الاسفار الخمسة ويؤيّد ذلك اجماع كل جمهور القدماء عليهِ وشهادة كتبة الاسفار المقدسة لهُ وشهادة المسيح نفسهِ . وتعذر تعيين زمان اخر لكتابتها غير زمانهِ لان كتب جميع انبياء اليهود ومؤرّخيهم وشعرائهم من ايامهِ الى ايام ملاخي النبي مشحونة بآيات واخبار مختصرة منها وتلميحات اليها . فوجود هذه الآيات والاخبار والاشارات في مولفاتهم دليل قاطع على انهُ كانت محسوبة عندهم تاريخًا مُثبتًا يركنون اليهِ منذ نشأُوا وانتظموا بين الشعوب امةً . لانهُ لولا ذلك لكان من المحال ان يتفقوا جميعًا في توارد الخواطر في كل ما اودعوهُ في كتاباتهم من النصوص الكثيرة المقتبسة والحوادث الملخصة من الاسفار الخمسة . فتسليم التآليف المختلفة والاقوال المتعددة المتغايرة في غاياتها والمتفاوتة في اوقاتها بوجود الاسفار الخمسة وشهاداتها لصحتها واستشهادها منها واقتباسها اقوالها حاسبةً اياها وحدها تاريخ اليهود القديم المثبت

وشريعتهم الحقيقية برهان قاطع على صدقها . ومما ينفي كل ريب من ذلك انهُ لم يبدُ من واحد من اصحاب تلك التاليف ادنى اشارة الى شريعة اخرى اوتاريخ اخر غير شريعة موسى وتاريخهِ

فمما تقدم من الادلة التاريخية الخارجية تتبرهن صحة هذه الاسفار وصدق نسبتها الى كاتبها المنسوبة اليهِ . وبالاجمال هذه الاسفار لا تخلو من ان تكون قد كُتِبت اما بعد رجوع اليهود من السبي او في زمان رجوعهم او قبلهُ . اما كونها لم تكتب بعد رجوع اليهود من السبي فمما لا خلاف فيهِ . واما كونها لم تكتب حين رجوعهم من السبي فظاهر من انها هي عين الاسفار التي كانت معروفة عندهم بشريعة موسى قبل السبي والدليل على انها كانت قبل السبي هو ان اليهود والامم كانوا يعرفونها في زمان السبي . فان ما فرضهُ عزرا على الشعب من تقديم الذبائح لو لم يكن مفروضاً في شريعة اصلية ثابتة لما اطاعهُ الشعب عليهِ . وكذلك كثيرون ممن شاهدوا وضع اساس الهيكل الثاني كانوا قد نظروا الهيكل الاول وبالتالي لم يجهلوا الشريعة التي كانت في ايامهِ فلو كانت قد زُورت حينئذٍ لما صمتوا عنها اذ ليس لهم غاية في ذلك (اي في الصمت عنها) . ثم ان الباحثين قد توصلوا بالاستقراء الى ثلاث نسخ اصلية ممتازة من نسخ الشريعة وكلها متوافقة وعدم نسخ الواحدة عن الاخرى مثبت وظاهر فيها . والسامريون كانوا قبل السبي وبعدهُ يقرُّون بان هذه الشريعة صدرت من مصدر الهي مع انهم كانوا اشد الناس عداوةً لليهود

فثبت اذًا ان هذه الاسفار كُتبت قبل السبي وبقي علينا ان نبرهن على انها كُتبت في زمان موسى . فنقول انهُ لابد انها كانت موجودة قبل انقسام الاسباط الاثني عشر الى مملكتي اسرائيل ويهوذا . لان ملوك اسرائيل كانوا كملوك يهوذا يسلمون انها الشريعة الثابتة التي كانت شريعة كل اليهود قبل الانقسام ولو لم توافق مصالحهم ولا تنفذ سياستهم التي جروا عليها جميعًا

ولابد انها كانت موجودة ايضًا قبل اقامة ملك في اسرائيل لانها لا تحوي شيئًا من شرائع الحكومة الملكية بل تضادُّ اقامتها وما يستفاد منها عنها انها انقلاب يطرأُ على الشعب بكرور الاجيال فوُضعت لهم هذه الشريعة اصلاً لمنع الطغيان والظلم المصاحبين لهذا النوع من السياسة . ولا ريب ايضًا ان هذه الاسفار كانت موجودة عند اول انتظام العبرانيين امةً لانهُ من ذلك الوقت الى زمان تمليك الملوك عليهم لم يتغير عندهم شيء في هيئة السياسة ولم يحاول احدٌ اجراء شرائع مزوَّرة ولا كان فيهم من يرقي صوالحهُ بامر كذلك ولا كان يتهيأُ لفرد منهم ولا لجماعة ان يزوّروا الشرائع ويجروها لعدم سطوتهم واقتدارهم . وفضلاً عن ذلك لنا قائمة طويلة من اليهود المؤلفين من زمان موسى الى المسيح وجميعهم يعترفون باسفار موسى وقد اوردوا منها كثيرًا في كتاباتهم وابانوا للعالم اعتقادهم بانها هي شريعة امتهم الصحيحة وان موسى هو كاتبها . ولم يكن بين اليهود ادنى خلاف

في كون موسى كاتب هذه الاسفار وفي صحتها مع كثرة اختلافهم وتعداد مذاهبهم في غير ذلك . حتى الصدوقيون المشهورون بالعلم وحرية الفكر كانوا يعترفون بصحتها وبصدق نسبتها الى موسى وانزالها عليهِ حال كونهم رفضوا سائر الكتب التي تمسك بها اخوانهم من اليهود . فان لم تكن هذه الادلة كافية لاثبات صحة هذه الاسفار ونسبتها الى موسى فليس في العالم ادلة تكفي لاثبات نسبة اي كتاب اخر قديم الى صاحبهِ

ولنرجع الآن الى اقامة البرهان على صحة الاسفار الخمسة مما فيها من الدقة والضبط في الاشارة الى الحوادث والعوائد والاخبار التي كانت جاريةً في زمان كتابتها فنقول

ان من اشهر الذين اشتهروا في البحث عن ذلك العلامة هنكستنبرج الذي قد اودع معارفهُ الغزيرة في كتابهِ المسمى مصر واسفار موسى فمن شاء اجتناء ها فعليهِ بمطالعتهِ . واما الآن فسنورد بعض القضايا الاشهر بالاختصار نظرًا الى ضيق المقام

قال هذا العلامة ان كاتب الاسفار الخمسة يقول ان المصريين مرّروا حياة العبرانيين بعبودية قاسية في الطين واللبن خر ١٤:١ . فخطَّأهُ في ذلك البعض ونسبوهُ الى الجهل زاعمين انهُ خص بوادي النيل من الاعمال والعوائد ما كان مختصًّا بمملكة بابل والحال انهم بجهلهم جهَّلوهُ وصدق قولهِ قد ثبت من الاثار المصرية المستخرجة حديثًا . فان شامپوليون يتكلم عن قبر من اللبن في سايس وعن هيكل منهُ في وادي حلفا . وقال روسلّيني ان في بلاد مصر كلها خرائب بنايات عظيمة من اللبن واهرامًا كاملة منهُ في داشور . وقال ولكنسن وكان اللبن يُجفَّف في الشمس بمصر العليا والسفلى ثم تُبنى منهُ الابنية للعموم والخصوص انتهى

وقال ايضًا ان كاتب الاسفار الخمسة يقول ان فرعون اهدى ابرهيم غنمًا واتنًا وجمالاً وغير ذلك تك ١٢: ١٦ . قال البعض ان هذه المواشي لم تكن في مصر وانكروا على صاحب الاسفار قولهُ ان فرعون اهداها لابرهيم والحال انهم لسقامة فهمهم عابوا قولهُ السليم فقد ظهر على الاثار التي وُجدت في مصر صور غنم واتن وذلك يدلُّ على وجودها حينئذٍ بكثرة . واما صور الجمال فلم توجد الى الآن غير ان ذلك لا ينفي كونها قد وُجدت حينئذٍ فان الخنزير البرّي وحمار الوحش لم تكتشف لها صور على الاثار مع انهما كانا موجودين بمصر في القديم وايضًا صور الدجاج والحمام لم توجد البتة مع انها كانت كثيرة هناك فجل ما يستفاد من عدم وجود صور الجمال على الاثار انها لم تكن كثيرة بمصر على انهُ ربما كانت كثيرة ولكنهُ لم تنقش لها صور لسبب ما كما لم تنقش صور للدجاج والحمام

وقد اعترض البعض على ماذكرهُ صاحب الاسفار الخمسة من حلم رئيس السقاة تك ٤٠:

١٠ الخ زاعمين انهُ يجهل مزروعات مصر فلذلك ظنوا كلامهُ زورًا وبهتانًا . قالوا انهُ يظهر من الحلم ان الكرم كان يُغرَس بمصر وهيرودوتس المورّخ يقول ان الكرم لا ينبت فيها وفلوطرخس ان المصريين لم يشربوا الخمر ولا قدموهُ في نقدماتهم الى زمان ابساماتيخوس معاصر يوشيا الملك. فهذان القولان على ما يُظَنّ يبينان فساد قول صاحب الاسفار الخمسة . ولكن هيهات ان تُصدَّق اقوال المورّخين وتكذَّب اقوال الوحي اذا تخالفت ولو لم يوجد دليل على اثبات الصدق للوحي وتكذيب اقوال سائر المورّخين لان الاقوال المنزلة معصومة عن الخطإِ بخلاف تلك . ولحسن الحظ لنا من الشواهد على هذا الموضوع ما يثبت الوحي ويظهر فساد شهادة تلك التواريخ العالمية في هذا الباب . وهي ما رواهُ هلاّنيكوس ودبودوروس من ان الكرم كان يُغرس في مصر وما هو ابلغ من ذلك قولهما ان المصريين هم اول من غرس الكرم . وهيرودوتس نفسهُ يضاد قولهُ بقولهِ فانهُ يُستنتَج من مولفاتهِ في محلات مختلفة ان الكرم كان يُغرس في مصر في قديم الزمان . ومهما تكن تلك الشواهد عظيمة الاعتبار في بعض الاحوال فقلما يحتاج اليها الآن على الخصوص لانهُ قد تبين من الاثار ان الكرم كان يُغرس في مصر وان الخمر كانت تُعصَر في ارض الفراعنة . وقد ثبت ذلك بمساعي العلاّمة شامپوليون وروسليني وولكنسن . فان شامپوليون يقول وفي كهوف بني حسن نقوش صور الكرم وكيفية قطف العنب وعصرهِ وصب الخمر في ازقةٍ ونقلها الى سراديب ونحوها . وقد افرد روسليني فصلاً كاملاً لقطف العنب وعصر الخمر عند المصريين . ورسم ولكنسن صورة كرم عند المصريين ووصفهُ وصفًا مستوفيًا مع كل ما يتعلق بهِ من الاعمال التي كانوا يعملونها فيهِ (مجلّد ١ فصل ١)

وقال صاحب الاسفار الخمسة ايضًا ان فوطيفار وكّل يوسف على كل ما كان لهُ في بيتهِ وفي الحقل تك ٣٩: ٤و٥ . وان يوسف لماعظم وكّل على بيتهِ رجلًا ايضًا تك ٤٣: ١٦-١٩ وايضًا ٤٤: ١ . فتلك عادة مصرية محضة كما تشهد لها النقوش القديمة

ثم ان مراودة امراة فوطيفار ليوسف كما ورد في الاسفار الخمسة تك ٣٩: ٧ الخ تظهر عوائد المصريين في تلك الايام وسوء اخلاقهم . فانهُ لم يكن بين كل الشعوب من لا يراعي شروط الزيجة كالمصريين . وقد روى هيرودوتس في كتابهِ الثاني والوجه المئة والحادي عشر ان ملكًا من ملوك مصر خانتهُ امرأتهُ فاراد ابدالها بغيرها فجعل يفتش في مملكتهِ عن امراة لم تخن زوجها فلم يجد الاَّ بعد زمان طويل ولما وجدها اقترن بها حالاً . ولهيرودوتس ايضًا كلام طويل عن فساد المصريين في امور الزيجة . و يستدلُّ من الآثار ايضًا على طياشة النساء المصريات وفساد اخلاقهنَّ فان صورهنَّ تدلُّ على انهنَّ كنَّ مدمنات الخمر وكنَّ يشربنَ حتى لا يعدنَ يستطعنَ على المشي او

الوقوف وحدهنَّ من سورة المسكر

واعترض البعض على قول صاحب الاسفار ان يوسف كان يدخل الى حضرة امراة فوطيفار تك ٣٩: ١١ مع انها كانت من النساء المخدرات بانهُ لم يكن يدخل الى دار الحريم الَّا الخصيان . ولكن اعتراضهم هذا مردود ولا يظهر الَّا جهلهم امام معارف صاحب الاسفار لانهم يخلطون عوائد الشرق بعوائد مصر واما هو فلا يتكلم في مصر الَّا عن عوائدها مبينًا بذلك حسن معرفتهِ بموضوع كتابتهِ وقلَّما يمكن لمزوّر ان يبلغ ذلك المقدار من الدقة والصحة . قال ولكنسن ويظهر من الآثار ان النساء لم يكنَّ مقيدات بالتحجب في مصر كما كنَّ في الشرق او في بلاد اليونان نفسها فان صور الرجال والنساء منقوشة معًا على الآثار ويظهر انهم كانوا يخالطون معًا في افراحهم وولائمهم

وقيل ايضًا في الاسفار الخمسة لما اراد يوسف الدخول على فرعون حلق تك ٤١: ١٤ وهذه كانت عادة مصرية ايضًا كذا ذكرها هيرودوتس وكذا ثبت من النقوش على الآثار. قال ولكنسن وكان المصريون يعيبون كثيرًا من يهمل الحلاقة حتى كان مهملها عرضةً للهزء والهوان عندهم واذا اراد المصريون ان يصوّروا رجلاً دني الحال او غير مرتب اللباس صوَّروهُ ملتحيًا ايضًا

وقيل ايضًا ان يوسف بنى مخازن لخزن الحنطة استعدادًا لايام الجوع تك ٤١: ٤٨ و٤٩ . وذلك محقق من الصور المصوَّرة على الآثار التي منها يستدلُّ ايضًا على كثرة هذه المخازن في مصر واتساع استعمالها وعلى انهم كانوا يحسبون ما فيها من الاكيال المخزونة فانهم وجدوا على جانب شبابيك مخزن حروفًا تتضمن حساب كمية الحنطة التي كانت مخزونة هناك . وهذا يوافق ما قيل عن يوسف انهُ خزن قمحًا كرمل البحر كثيرًا جدًّا حتى ترك العدد اذ لم يكن لهُ عدد تك ٤١: ٤٩

وايضا ان يوسف واخوتهُ والمصريين جلسوا لمناولة الطعام تك ٤٣: ٣٢ . وتلك عادة مصرية ايضًا فان اهالي المشرق واليهود من جملتهم كانوا يتناولون الطعام متكئين واما المصريون فجالسين كما ظهر على الآثار . وقال روسليني في وصف صورة ان كلاًّ من المدعوين جالس على كرسي . فان الكرسي كانت عند المصريين كالاريكة عند غيرهم

وايضًا ان الذي على بيت يوسف عين الطاس الذي كان في فم عدل بنيامين بانهُ هو الذي يتفاءل بهِ سيدهُ تك ٤٤: ٥ . وقد ذكر يمبليكوس ان التفاؤُل بالطاس كان من خرافات المصريين

ثم ان اشارات صاحب الاسفار الخمسة الى تخطيط بلاد مصر وتقسيمها تشهد لهُ بكمال المعرفة في رسم تلك البلاد وان تكن نادرة وغير مقصودة ومتفرقة في اماكن مختلفة من اسفارهِ فان ذلك كلهُ يبرهن لنا انهُ لم يتعمد تحصيل تلك المعارف لاتمام غايتهِ في كتابة تلك الاسفار وان ما ذكر من هذا

القبيل كان من علمهِ الخاص لانقلاً عن غيرهِ . وبما ان كل ما كتبهُ مضبوط ومطابق لوقائع تلك الاعصار وقد كتبهُ من مجرَّد علمهِ وملاحظاتهِ الشخصية ليس محل للريب في صحة تاريخهِ . هذا ولا يحتمل المقام ايراد كل ما لنا من الادلة على اثبات ذلك ومن اراد الوقوف عليها يجدها مطولة مستوفية المطلوب في كتاب للعلاَّمة هكستنبرج المسمى مصر واسفار موسى من وجه ٤٢—٦١

وذُكر في الاسفار الخمسة ايضًا ان ارض مصر بيعت كلها لفرعون ما عدا اراضي الكهنة فانها بقيت لهم لان فرعون وهبهم الطعام هبةً فلم يلتزموا بيعها . وان يوسف ردَّ الى الشعب اراضيهم بعد زمان الجوع على شرط ان يدفعوا لفرعون خمس الغلة تك ٤٧: ١٣—٢٦ . هذا ما جاء في الاسفار الخمسة وهاك ما ورد من اقوال المورّخين في هذا الشان . قال هيرودوتس ان ملكًا من الملوك القدماء قسم كل ارض مصر على المصريين فاعطى لكل واحد قسمًا مربعًا على التساوي وفرض عليهِ مبلغًا سنويًّا يدفعهُ لهُ عوضًا عن قسمهِ . وقال ديودوروس وكانت كل ارض مصر اما للملوك او للكهنة او للجند . وقال سترابو وكان الفلاحون المصريون ياخذون الاراضي من الملوك ويدفعون عليها مبلغًا مرتبًا . ونُقِل عن الآثار ما رواهُ ولكنسن ان اصحاب الاراضي كانوا الملوك والكهنة والجند فقط فهولاء جميعهم يوافقون صاحب الاسفار بان الفلاحين لم يكونوا اصحاب الاراضي

وفيها ايضًا ان تحنيط يعقوب دام اربعين يومًا وان المصريين بكوهُ سبعين يومًا تك ٥٠: ٣ . وذلك يوافق ماذكرهُ ديودوروس وهيرودوتس وغيرهما من المورّخين عن التحنيط والنياحة عند المصريين . وايضًا انهُ صعد مع يوسف لدفن يعقوب فرسان ومركبات جيش كبير واتوا الى بيدر اطاد عبر الاردن وصنعوا هناك مناحة عظيمة ليعقوب تك ٥٠: ٥ او ١١ . فهذه من عوائد المصريين الشهيرة كما يظهر من غير صاحب الاسفار الخمسة من المورّخين ايضًا فقد جاء في التواريخ ان المصريين كانوا يعظمون المناحة لموتاهم ولا سيما لذوي القيمة والشان بينهم . ومما نتاكد بهِ معرفة صاحب الاسفار الخمسة قولهُ عن يوسف انهُ كلم بيت فرعون قائلاً ان كنت قد وجدت نعمةً في عيونكم فتكلموا في مسامع فرعون الخ تك ٥٠: ٤ . فلو كان مزوّرًا لما خطر لهُ على بال ان يقول هذا الكلام هنا وقد ذكر سابقًا ان يوسف كان ثاني فرعون بل كان الأولى ان يقول ان يوسف ذهب بنفسهِ لمواجهة فرعون . والسبب في عدم دخول يوسف على فرعون حينئذٍ هو انهُ لم يكن يسمح لاحد بالدخول على فرعون الآحالقًا تك ٤١: ١٤ . ولما كان لايليق بالنائح ان يحلق في ايام النياحة لم يستطع يوسف ان يواجه فرعون حينئذٍ فطلب الى غيرهِ ان ينوبوا عنهُ في ذلك كما ذكر صاحب الاسفار الخمسة غير متعمدٍ شيئًا بل في سياق الكلام عن الحوادث

ثم ان صاحب الاسفار الخمسة يميز في هذه القصة بين شيوخ بيت فرعون وشيوخ ارض مصر

تك ٥٠ : ٧ اعني بين اهل بلاطهِ ورؤساء دولتهِ . فبين الفريقين فرق وقد ذكرهُ سائر المؤرّخين لان اهل البلاط كانوا من اولاد اكابر الكهنة واما رؤساء الدولة فكانوا من الرعايا على اختلاف مراتبهم . فذكر مثل هذه الامور الدقيقة الصحيحة اتفاقًا لا عمدًا ولا قصدًا لتنفيذ مآرب بل على سبيل تقرير الوقائع حسبما جرت لا يمكن لمن يطلع عليهِ ان يتجاوزهُ غير متأكد صحة اقوال من ذكرهُ . ولو قام مزوّر بعد تلك الاجيال وتكلّف الكتابة كما كتب موسى لم يقدر البتة ان يضمّن في كتبهِ كل تلك الحقائق والدقائق وان يوردها في سياق الكلام هذا المورد البسيط وان يعصمها عن الخطإِ كما هو الحال في اسفار موسى النبي . فهذه الاسفار كُتبت في الزمان الذي جرت فيهِ تلك الحوادث وكاتبها هو موسى لا محالة لانها كُتبت في جيلهِ ولم يكن حينئذٍ من هو ادرى بمواضيعها ولا اكثر موافقة لوضعها واجرائها منهُ ولا نُسِبت الى غيرهِ مطلقًا

وفيها ايضًا ان فرعون مرّر حياة بني اسرائيل بعبودية قاسية في الطين واللبن وان التبن كان من جملة ما يضاف الى اللبن خر ١ : ١٤ و٥ : ٧ . وهذا قد ظهر من الاكتشافات الحديثة في مصر فانهم وجدوا هناك تبنًا في اللبن القديم . قال روسليني انهم كانوا يضيفون التبن الى اللبن ليزداد متانةً وتطول مدة ثبوتهِ لانهم كانوا يجففونهُ في الشمس فقط ولا يشوونهُ على النار . وقال ايضًا في وصف صورة وُجدَت في قبر في ثيبت ونقل رسمها انها صورة جماعة من العبرانيين يصنعون لبنًا وبعضهم ينقل الطين باوعية وبعضهم يخلطهُ بالتبن وبعضهم يخرجهُ من القوالب ويصفّهُ صفوفًا وبعضهم يحملهُ مشويًّا او مجففًا بالواحٍ على ظهورهم وحبال على جوانبهم . وان بينهم وبين المصريين فرقًا يظهر من اول وهلة والدليل على انهم عبرانيون لون بشرتهم وهيئة وجوههم ولحاهم وبينهم اربعة اشخاص مصريين يختلفون عنهم بالسحنة واللون والقامة وغير ذلك . ومن اشهر ما يستحق الاعتبار في هذه الصورة اختلاط المصريين والعبرانيين في اعمال العبودية التي كانوا يعملونها فانهُ يوافق ما ذكرهُ صاحب الاسفار الخمسة في خروج بني اسرائيل انهُ صعد معهم لفيف كثير من المصريين خر ١٢ : ٣٨ . ويستفاد من قولهِ انهم كانوا من الرعاع البائسي الاحوال كقطّاعين الحطب ومستقين الماء . فمن اطلع على اقوال المؤرّخين والاكتشافات يعلم ان المصريين كانوا رتبًا متنوعة من العالي الى الدون وان الدون كانوا كثيرين وكانوا يحسبون رعاعًا ولا يجوز لهم ان يعاشروا سائر الرتب ولا يدخلوا الهياكل ولذلك ترى صورهم مع الاجانب المكروهين المحتقرين محسوبين اسواءً لهم في المنزلة . ويقرب من العقل جدًّا انهم هم الذين اشار اليهم صاحب الاسفار بقولهِ وصعد معهم لفيف كثير لانهم كانوا مهانين ومحتقرين بين اخوتهم ومخصصين للتعب والشقاء فاختاروا الرحيل مع الاسرائيليين على الاقامة في وطنهم

وفيها ايضًا ان ام موسى اخذت سفطًا من البردي وطلته بالحمر والزفت ووضعت الولد فيهِ بين الحلفاء على جانب النهر خر ٢: ٣ . فذكر البردي والحمر والزفت دليل واضح على معرفة الكاتب بمعادن ارض مصر ونباتاتها . وقد وجدوا الحمر في اقدم مصنوعاتها وكان الزفت من اشهر المواد في التحنيط وكان البردي يستعمل لامور مختلفة كالحصر والسلال والاحذية والقوارب ايضًا كما يظهر من الآثار القديمة

وقيل ايضًا ان موسى كان يحمل عصا خر ٤: ٢ وكذلك كل واحد من السحرة خر ٧: ١٢ . وهذا يوافق ما ظهر من الآثار ان اعيان الكهنة والاشراف كانوا يحملون العصي اذا خرجوا

وايضًا انهُ طُلِب من الاسرائيليين ان يقيموا حجارة كبيرة عند دخولهم ارض الميعاد ويكتبوا عليها جميع كلمات الناموس بعد ما يشيدونها بالشيد تث ٢٧: ٢ . فذلك يوافق ما كان جاريًا عند المصريين . قال ولكنسن ان المصريين كانوا يشيدون الحجارة الرملية والصماء ايضًا قبل ما يكتبون او يصوّرون عليها

وايضًا انهم اذا ارادوا ضرب مذنب حسب الشريعة يطرحونهُ ويضربونهُ تث ٢٥: ٢ . وهذا يوافق عادة المصريين قال ولكنسن في وصف صورة الفَلَق ان المذنبين فيها مطروحون على الارض رجالاً واولادًا يُضرَبون

وهذه الاسفار ايضًا تصف كبرياء قلب فرعون واصرارهِ على عنادهِ بنفس قولهِ من هو الرب حتى اسمع لقولهِ وانهُ اختار الهلاك هو وقومهُ على الاذعان لامر الرب والتسليم لارادتهِ خر ٥ الخ . وهذا يستفاد جيدًا من الاثار القديمة بطرق مختلفة تبيّن ما كان عند الفراعنة من تشامخ النفس والافتخار الباطل حتى كانوا يلقبون نفوسهم بملوك العالم وزادوا تيهًا حتى صاروا يدّعون الالوهية

ويقال في سفر الخروج ص ٧: ١٩ ان الرب قال لموسى ان يامر هرون فيمد عصاهُ على مياه المصريين على انهارهم وعلى سواقيهم وعلى آجامهم وعلى كل مجتمعات مياههم الخ . فهذا يتضمّن تقسيم مياه مصر الى كل اقسامها فان الانهار هي الشعاب المتفرّعة من النيل والسواقي الاقنية المصطنعة اصطناعًا وكانت كثيرة في مصر والآجام هي المياه التي كانت تستنقع بعد رجوع مياه النيل وسائر مجتمعات المياه هي البرك والأنقُع التي تحدث عن مياه النيل بعيدة عنهُ

وايضًا ان الرب امر موسى بالذهاب الى فرعون في الصباح عند خروجهِ الى الماء وبملاقاتهِ على حافة النيل خر ٧: ١٥ و٨: ٢٠ . فهذا الكلام العجيب في مطابقتهِ للواقع يشير الى خروج المصريين لعبادة النيل فانهم كانوا يعبدونهُ في قديم الزمان . قال هيرودوتس انهُ كان للنيل كهنة وقال فلوطرخوس ان النيل هو اوسيرس وقال لوكيانوس ان النيل كان معبودًا عامًا لجميع المصريين .

وسماهُ هليودوروس زفس المصريين وتؤيد الآثار اقوالهم كلهم اذ قد وجدوا عليها صورة رعمسيس الثاني يقدم خمراً للنيل المكني عنهُ في الكتابة النقشية بالاب المحيي لجميع الموجودات

ولا يخفى ان العبرانيين كانوا يسكنون ما تاخم البحر الاحمر من مصر السفلى ويظهر من الاسفار الخمسة ان فرعون لو اراد لقدر ان يجمع كل جيشهِ الى تلك الناحية في زمان يسير خر ١٤ . فمن لا يعرف كيفية نظام الجنود في الزمان القديم يستغرب قول صاحب الاسفار الخمسة وربما كذَّبهُ حالة كونهِ يثبت صدق سائر اقوالهِ . فان البلاد التي كان يسكنها العبرانيون كانت عرضة للغزو وشن الاغارة اكثر مما سواها من بلاد مصر ولذلك كانت محلاً لاكثر الجنود . قال هيرودوتس انهُ كان للجنود ستة عشر مقاماً في الارض التي ضمن الدلتا ولم يكن لهم الاَّ مقامان في مصر الوسطى ومصر العليا

ان العلامة هكستنبرج بعد مطالعة الاسفار الخمسة باعتناء حكم ان كل الجيش الذي سار في طلب الاسرائيليين كان مركبات وجنوداً مركبية وانهُ لم يكن بينهم فرسان كالفرسان المصطلح عليها عندنا الآن ولا مشاة لان المشاة لا يصلحون للسير في طلب الهاربين كما كان العبرانيون حينئذٍ . فانظر الآن الى الموافقة الغريبة التي بين قول صاحب الاسفار الخمسة واقوال غيرهِ من المورخين والاكتشافات الحديثة . فمن اقوال هوميروس يُستنتَج ان معظم مجد الجيوش المصرية كان في المركبات (انظر الياذ هوميروس ك ٩ سطر ٣٨٢) وقال شامبوليون وقد فحص الآثار القديمة واستوعب اخبار الاكتشافات ان المركبات الحربية كانت فرسان ذلك العصر واما الفرسان المعروفة عندنا فلم توجد بمصر حينئذٍ . وقال روسليني كل ما اكتُشِف من صور الجيوش المصرية على الآثار انما هو صور مشاة وصفوف مركبات . واما ولكنسن فخالفهم وقال بوجود فرسان عند المصريين ولكنهُ وافق روسليني بان اكثر جيوشهم كانت مركبات

وقد ورد ايضاً في الاسفار الخمسة انهُ بعد ما رنم موسى وبنو اسرائيل تسبيحة للرب على خلاصهم من المصريين اخذت مريم دفاً بيدها وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص . واجبنَ الرجال قائلات رنموا للرب فانهُ قد تعظَّم الخ . وهذا يطابق تماماً ما ظهر على الآثار من صور رجال ونساء يغنون ويجاوبون بعضهم بعضاً فرقاً فرقاً والدف بايدي النساء والمزمار بايدي الرجال . وحيثما وُجدت صور الدفوف وحدها كان غناء ورقص كما ذكر عن مريم والنساء . ويظهر عدا ذلك ان الاغاني والمعازف كانت تستعمل في العبادة المصرية وان الدف على الخصوص كان يختصُّ بالامور المقدسة وان الرقص كان يمارس في عبادة اوسيروس

هذا ما احتملهُ المقام من البينات التي تشهد بصحة الاسفار الخمسة وبصدق نسبتها الى موسى كاتبها وهي وان تكن قليلاً من كثير كافية لايضاح ما نحن في صددهِ الآن واثباتهِ ولا بد من

غضّ النظر عما بقي من البينات الكثيرة ولو مهما كانت مهمّة . وقد كانت كلها خفية عن معارف الناس حتى تطرّق العلاّمة هكستنبرج سبيلاً للوصول اليها وابان كثيرًا من خفياتها . وكلها مما ذُكِر هنا وما لم يُذكَر تشهد بكمال معرفة صاحب الاسفار ببلاد مصر من حيث تخطيطها وهوائها وتربتها وزراعتها ومحصولاتها وحيواناتها ومعادنها وصنائعها وخرافاتها وشرائعها وعوائدها واصطلاحاتها وتمدنها. وقد انسعت كثيرًا وتوضحت بهمة اولي الجد من العلماء الانكليز والفرنساويين والايطاليين والجرمانيين ومن العجيب ان كل ما كشفوهُ لا يخالف ما ذكرهُ صاحب الاسفار الخمسة ادنى مخالفة كما قال احدهم العلامة السركارد نر ولكنسن وهو من اغزرهم علمًا واسماهم فهمًا وادقهم انتقادًا واكثرهم حذرًا . لم نجد شيئًا على الاطلاق مضادًا لما ذكر في الاسفار الخمسة انتهى . والخلاصة ان كل ما جاء في الاسفار الخمسة من الاشارات الى الحوادث والعوائد والاصطلاحات المصرية حقيقي موّكد يثبتهُ التاريخ والاكتشاف بحيث لا يصدّق العقل السليم ان كاتبهُ يمكن ان يكون قد عاش بعد حوادثهِ باجيال في بلاد بعيدة عن مصر . ومع ان معرفة كاتبهِ التامة ببلاد مصر وضبط كتاباتهِ يشهدان لصحة اقوالهِ وبوجبان تصديقهُ ايراد تلك الاشارات والحقائق على نسقٍ بسيط بلا تكلّف ولا تعمّد يُتخذ دليلاً اثبت على صدقهِ وصحة قولهِ . فمَن من اصحاب الاقوال المزوّرة والاحاديث المستظرفة الملفقة يقتصر على تلك الاشارات الخفية الى الحوادث والحقائق المصرية ولا يتطرّق الى شرحها وتفصيلها اشعارًا بغزارة علمهِ ووسع فهمهِ . ومَن غير موسى كان يكتفي بذكر ما تلزم معرفتهُ لقرّاء اسفارهِ ويورد الحوادث في سياق كلامهِ خاليةً من التكلّف والتعمّد . فلنا ما تقدم برهان داخلي قاطع على صحة هذه الاسفار وتعيين زمان كتابتها في عصر موسى وبالتالي على نسبة اصلها اليهِ . ومن لم يقنعهُ ذلك فهيهات ان يقتنع ببرهان بل ليس هو من ذوي العقل السليم الذين يذعنون للحق ويقرّون بقوتهِ

٢ . نبرهن صدق الاناجيل الاربعة وسفر اعمال الرسل من نفس التدقيق والضبط في اشارتها الى الحوادث المعاصرة والى العوائد والاصطلاحات الجارية في زمان كتابتها

مثلاً ذكر في الانجيل ان مخلصنا ولد في ملك الامبراطور اوغسطس وانهُ ابتدا في خدمتهِ في السنة الخامسة عشرة من ملك طيباريوس وانهُ بعد ذلك بثلث سنين ونصف حكم عليهِ بيلاطس البنطي الحاكم الروماني بالموت وانهُ مات بموجب ذلك الحكم. وفي سفر اعمال الرسل يُذكَر ان بولس الرسول حامى عن نفسهِ امام الواليين الرومانيين فيلكس وفستوس وامام اغريباس الملك اليهودي.

فهل يكتب المزورون عن امور تاريخية بضبط مثل هذا

وايضاً قد ذُكِر في العهد الجديد امور تاريخية بخصوص احوال العالم السياسية توافق ما ذكرهُ كتبة التواريخ العالمية الذين كانوا معاصرين للحوادث ومن تلك الامور يُعرَف بدون خطاء زمان كتابة تلك الاسفار

ولاجل ايضاح هذا الاتفاق بين كتبة الاناجيل وشهادات اخرى تاريخية مستقلة نقابل اخبار كتبة العهد الجديد مع تاريخ يوسيفوس ومولفين آخرين معاصرين

اما يوسيفوس فقد وُلد في اورشليم بعد صعود المسيح باربع سنين وكتب تاريخهُ المسمى حروب اليهود مدة وجيزة بعد خراب اورشليم الذي حدث في سنة ٧٠م اي بعد صعود مخلصنا بسبع وثلاثين سنة واكمل كتابهُ المسمَّى التاريخ القديم لليهود في سنة ٩٢م اي بعد الصعود بستين سنة

واما الامور التاريخية في الاناجيل التي نقتصر الآن على مقابلتها مع تاريخ يوسيفوس فهي

١ قيل في مت ٢: ٢٢ ولكن لما سمع ان ارخيلاوس يملك على اليهودية عوضاً عن هيرودس ابيهِ خاف ان يذهب الى هناك . واذ اوحي اليهِ في حلم انصرف الى نواحي الجليل

اي ان ارخيلاوس خلف هيرودس في الملك على اليهودية وان سلطانهُ لم يمتد الى الجليل . ونعرف من يوسيفوس ان هيرودس الكبير الذي كان ملكاً على كل ارض اسرائيل عيَّن ابنهُ ارخيلاوس خليفةً لهُ في اليهودية وقسم بقية ملكهِ على اولادهِ الاخرين وان الامبراطور الروماني اثبت هذا التقسيم (التاريخ القديم كتاب ١٧ فصل ٨ راس ١)

قال متى ان ارخيلاوس يملك اي انهُ كان ملكاً على اليهودية . وذلك مثبت من يوسيفوس لانهُ قال ان هيرودس لم يعين ارخيلاوس خليفة لهُ فقط في اليهودية بل اعطاهُ لقب ملك (اخبار حروب اليهود كتاب ١ فصل ٣٣ ر٨) غير ان اوغسطس لم يصادق على اعطائهِ هذا اللقب بل وعدهُ بهِ اذا وجدهُ مستحقًّا اياهُ (التاريخ القديم ك١٧ ف١١ ر٤)

كذلك في متى اشارة واضحة الى قساوة ارخيلاوس وذلك يوافق بعض صفاتهِ التي ذكرها يوسيفوس قال في السنة العاشرة من ملكهِ اذ لم يعد روساء اليهود والسامريون قادرين على احتمال قساوتهِ وظلمهِ قدموا تشكيات عليهِ الى قيصر (التاريخ القديم ك١٧ ف١٣ ر١)

٢ قيل في لو٣: ١ وفي السنة الخامسة عشرة من سلطنة طيباريوس قيصر اذ كان بيلاطس البنطي والياً على اليهودية وهيرودس رئيس ربع على الجليل وفيلبس اخوهُ رئيس ربع على ايطورية وكورة تراخونيتس الخ

قال يوسيفوس انهُ بحسب وصية هيرودس الكبير وامر اوغسطس تعين ابنا هيرودس

الواحد (هيرودس انتيباس) رئيس ربع على الجليل وبيريا والآخر (فيلبس) رئيس ربع على تراخونيتس والبلدان المجاورة (انظر التاريخ القديم ك١٧ ف ٨ ر١) . فيتفق يوسيفوس مع لوقا الانجيلي في تعيين حكم الاخوين وايضًا في انهما كانا في هذين المركزين في السنة الخامسة عشرة من ملك طيباريوس وانهُ بقي عليهما لقباهما وهما متسلطان على مقاطعاتهما الى ذلك الوقت. وبعد ذلك يظهر من قول يوسيفوس عند كلامهِ عن هيرودس ان كليغولا خليفة طيباريوس عزلهُ (ك ١٨ ف ٧ ر٢) وعن فيلبس انهُ مات في السنة العشرين من ملك طيباريوس بعد ان حكم على تراخونيتس وباتانيا والجولان سبعًا وثلاثين سنة (ك١٨ ف٤ ر٦)

٣ قيل في مر ٦: ١٧ (انظر ايضًا مت ١٤: ١-١٢ ولو ٣: ١٩) لان هيرودس نفسهُ كان قد ارسل وامسك يوحنا واوثقهُ في السجن من اجل هيروديا امراة فيلبس اخيهِ اذ كان قد تزوج بها

قال يوسيفوس (التاريخ القديم ك١٨ ف٥ ر١) انهُ (هيرودس رئيس الربع) زار اخاهُ هيرودس وبينما هو هناك عشق هيروديا امراتهُ وعرض عليها ان يتزوج بها . فالمشابهة بين الخبرين واضحة ولكن بينهما فرق في اسم زوج هيروديا الاول قال الانجيلي اسمهُ فيلبس وقال يوسيفوس اسمهُ هيرودس .على ان هذه الصعوبة قليلة الاعتبار بالنظر الى انهُ كان دارجًا حينئذٍ ان يكون لشخصٍ واحد اسمان مختلفان. فان سمعان دُعي بطرس ايضًا ولباوس لُقّب تداوس وتوما قيل لهُ التوام وسمعان دعي نيجر اع ١٣: ١ وشاول دعي ايضًا بولس. وهكذا يحل هذا المشكل اذا اعتبرنا ان هيرودس الكبير كان لهُ اولاد من سبع او ثمان نساء وان يوسيفوس يذكر ثلاثة من بنيهِ باسم هيرودس وانهُ من المحتمل ان هولاء الاخوة كان لهم اسماء اخرى امتاز بها الواحد عن الآخر

وايضًا قيل في مر ٦: ٢٢ دخلت ابنة هيروديا ورقصت

وقال يوسيفوس (التاريخ القديم ك ١٨ ف ٥ ر٤) ان هيروديا تزوجها هيرودس ابن هيرودس الكبير وولد لها ابنة اسمها سالومة فبعد ولادتها تركت هيروديا زوجها الذي لم يزل حيًّا ضد شرائع البلاد وتزوجت هيرودس رئيس ربع الجليل وهو اخو زوجها من ابيهِ

٤ قيل في اع ١٢: ١ وفي ذلك الوقت مد هيرودس الملك يديهِ ليسيء الى اناس من الكنيسة. وفي اخر هذا الاصحاح ذُكرت ميتة هيرودس انها حدثت حالًا بعد هذا الاضطهاد. ومما يستحق الاعتبار التدقيق والضبط اللذان في هذا الخبر . فانهُ لم يكن قبل هذه الحادثة بثلاثين سنة ولا بعدها ملك في اورشليم في يدهِ ذلك السلطان على اليهودية او من لُقّب ذلك اللقب الا في مدة السنين الثلاث الاخيرة من حياة هيرودس هذا التي في غضونها صارت هذه الحادثة المذكورة في سفر الاعمال. فهذا الحاكم هو حفيد هيرودس الكبير . وقد دعاهُ لوقا هيرودس باسم عائلتهِ ودعاهُ يوسيفوس

اغريباس . ويتبرهن انهُ كان ملكًا من شهادة يوسيفوس الواضحة. قال ان كليغولا طلبهُ الى قصرهِ ووضع اكليلاً على راسهِ واقامهُ ملكًا على ربع فيلبس قاصدًا ايضًا ان يعطيهُ ربع ليسانيوس (التاريخ القديم ك١٨ ف٦ ر١٠)

ويظهر ايضًا من يوسيفوس ان اليهودية انضمت اخيرًا الى ملكهِ فانهُ قال بعد ذلك (اي في آخر حياتهِ) ان كلوديوس اثبت بواسطة امر لاغريباس الملك الذي اعطاهُ اياهُ كليغولا واضاف الى ملكهِ ايضًا اليهودية والسامرة وامتد ملكهُ الى حدود ملك جدهِ هيرودس الكبير (انظر ك١٩ ف٥ ر١)

٥ قيل في اع ١٢: ١٩-٢٣ ثم نزل من اليهودية الى قيصرية واقام هناك. ففي يوم معين لبس هيرودس الحلة الملوكية وجلس على كرسي الملك وجعل يخاطبهم . فصرخ الشعب هذا صوت اله لا صوت انسان. ففي الحال ضربهُ ملاك الرب لانهُ لم يعطِ المجد لله . فصار يأكلهُ الدود ومات

قال يوسيفوس (التاريخ القديم ك١٩ ف٨ ر٢) نزل الى مدينة قيصرية وعمل هناك احتفالات اكرامًا لقيصر وفي غد نهار الاحتفالات باكرًا في الصباح حضر الى المرسح لابسًا ثيابًا مدبجة بالفضة غريبة وزاد منظرهُ رونقًا وعظمة ومجدًا اشعة الشمس المنعكسة عن ذلك الثوب البهيج . فدعاهُ الجمهور الهًا وتضرعوا اليهِ لكي يرحمهم قائلين الى حد هذه الساعة حسبناك انسانًا واما الآن فقد عرفنا انك اعظم من البشر . اما هو فلم يوبخهم على ذلك ولا رفض تلك التمليقات الكفرية . فاعتراهُ حالاً الم شديد في امعائهِ فحُمِل للوقت الى قصرهِ وبقي معذبًا بلا انقطاع من هذه الآلام الى ان قضى نحبهُ بعد خمسة ايام انتهى

فالمشابهة بين الخبرين في امور كثيرة اي في المكان (قيصرية) واليوم المعين واللباس الفاخر ونداء الجمهور وروح التمليق وقبولهِ اياهُ واصابة المرض اياهُ بغتة ظاهرة للجميع . غير ان يوسيفوس لم يذكر الدود الذي ذكرهُ لوقا ولكن ظهورهُ ليس غريبًا في المرض الذي ذكرهُ يوسيفوس واما لوقا فقد نسب العلة الى سبب يوافق الاعراض التي ذكرها يوسيفوس وهذا التشخيص ما ينتظر منهُ لانهُ كان طبيبًا

٦ قيل في اع ٢٤: ٢٤ ثم بعد ايام جاء فيلكس مع دروسلاّ امراتهِ وهي يهودية فاستحضر بولس

قال يوسيفوس (التاريخ القديم ك٢٠ ف٧ ر١ و٢) اعطى اغريباس اختهُ دروسلا زوجة لعزيزوس ملك الاماسيين بعد ان اختتن اما اقتران دروسلا بعزيزوس فصار انفصالهُ على هذه الكيفية وهي ان فيلكس والي اليهودية عند ما نظرها علِق بها فارتضت اذ ذاك ان تتعدى شرائع البلاد وتركت زوجها وتزوجت بفيلكس . انتهى

فهذا الخبر يوافق خبر لوقا بهذه الامور وهي رتبة فيلكس واسم امرأته ودينها

٧ قيل في اع ١٣: ٦ و٧ ولما اجتازا الجزيرة (قبرس) الى بافوس وجدا رجلاً ساحراً نبياً كذاباً يهودياً اسمهُ باريشوع . كان مع الوالي سرجيوس بولس وهو رجل فهيم

ان الكلمة التي تُرجمت هنا بوالي معناها نائب قنصل وبناء على ذلك نقول كانت ولايات المملكة الرومانية على نوعين الاول الولايات الخاصة الامبراطور ولُقب حكامها ولاة والثاني الولايات التي تخص السناتوس وأُلقب حكامها نواب قناصل وهذا قياس في التمييز بين الولايات وحكامها . والظاهر من ديون كاسيوس (ك ٥٤) ان ولاية قبرس التي في القسمة الاولى كانت تابعة للامبراطور انتقلت الى السناتوس واخذ الامبراطور عوضاً عنها ولايات اخرى وانهُ بعد هذه المبادلة صار لقب الحاكم الروماني فيها نائب قنصل

وقيل ايضاً في اع ١٨: ١٢ ولما كان غاليون يتولى (نائب قنصل) اخائية

ان لفظة نائب قنصل في هذا المحل تدل على تدقيق كلي . لان ولاية اخائية بعد ان انتقلت من السناتوس الى الامبراطور عاد ايضاً الامبراطور كلوديوس فارجعها للسناتوس (ولذلك صار حكامها نواب قناصل) قبل وقوع هذه الحادثة المذكورة في الاعمال بست او سبع سنين فقط . ومما يجدد الاشارة الى الوقت بتدقيق هو ان اخائية في مدة الحاكم التالي بطلت عن ان تكون ولاية رومانية (انظر تاريخ القياصرة لسويتونيوس والاخبار عن كلوديوس فصل ٢٥)

٨ يظهر مما نعرفهُ عن نظام عموم الولايات الرومانية ومما قالهُ يوسيفوس عن اليهودية خصوصاً (التاريخ القديم ك ٢٠ ف ٨ ر ٥) انهُ كان في يد الحكام الرومانيين سلطان الحياة والموت غير ان اليهود كان لهم قضاة ومجمع لهُ سلطان ثانوي . وهذا يوافق كل ما قيل في الاناجيل في قصة صلب المسيح

٩ قيل في اع ٢١: ٣٠-٣٥ وامسكوا بولس وجرُّوهُ خارج الهيكل وللوقت أُغلقت الابواب . وبينما هم يطلبون ان يقتلوهُ نما خبر الى امير الكتيبة ان اورشليم كلها قد اضطربت . فللوقت اخذ عسكراً وقواد مئات وركض اليهم . فلما راوا الامير والعسكر كفُّوا عن ضرب بولس . حينئذٍ اقترب الامير وامسكهُ وامر ان يُقيَّد بسلسلتين وطفق يستخبر ترى من يكون وماذا فعل . وكان البعض يصرخون بشيء والبعض بشيء اخر في الجمع . ولما لم يقدر ان يعلم اليقين لسبب الشغب امر ان يُذهب بهِ الى المعسكر . ولما صار على الدرج اتفق ان العسكر حملهُ بسبب عنف الجمع

وهذه العبارات تدل على وجود عسكر روماني في اورشليم وان وظيفتهم كانت تسكين الشغب وعلى وجود قشلة لهم (المعسكر) وان الدرج كان ملاصقاً للهيكل ونرى ما يثبت هذه الامور في

اخبار اخرى عن ذلك المكان حينئذٍ

قال يوسيفوس (تاريخ الحروب ك٥ ف٥ ر٨) كان موقع حصن انطونيوس عند ملتقى الرواق الغربي والشمالي للهيكل الخارجي وكان مبنيًا على صخر محدَّد من كل الجهات علوهُ خمسون ذراعًا وعند ذلك الجانب حيث يتصل برواق الهيكل كان درج يتصل بكلٍّ من الرواقين لنزول العسكر عليهِ لانهُ كان هناك على الدوام فرقة من العسكر الروماني وهم مستعدون بسلاحهم في اماكن مختلفة في الاروقة لمنع الشعب في ايام الاعياد من احداث الفتن لانهُ كما كان الهيكل حافظًا للمدينة كذلك كان حصن انطونيوس حافظًا للهيكل انتهى

١٠ قيل في اع ٤: ١ وبينما هما يخاطبان الشعب اقبل عليهما الكهنة وقائد جند الهيكل والصدوقيون اي كان هناك متوظف عام يُعرَف باسم قائد جند الهيكل والارجح انهُ يهودي لانهُ كان مع الكهنة والصدوقيين اذ القوا الايادي على الرسل

قال يوسيفوس (تاريخ الحروب ك ٢ ف١٧ ار٢) وفي الهيكل اليعازر بن حنانيا رئيس الكهنة شاب شجاع وثابت العزم كان حينئذٍ رئيس الجند اقنع الموكلين على خدمات القدس ان لا يقبلوا تقدمات او ذبائح من الغرباء

١١ قيل في اع ١٦: ١٣ وفي يوم السبت خرجنا الى خارج المدينة (فيلبي) عند نهر حيث جرت العادة ان تكون صلوة . فالامر الذي نبحث عنهُ الآن هو موقع المكان الذي جرت العادة ان تصير فيهِ الصلوة اي جانب النهر

حكى فيلون عن عادة يهود اسكندرية في وقت احتفال عمومي قال انهم باكرًا في الصباح يزدحمون خارج ابواب المدينة ويذهبون الى الشطوط القريبة (لان محل عبادتهم كان قد خرب) ويجتمعون في محل نظيف ويرفعون اصواتهم معًا

وذكر يوسيفوس صورة امر من مدينة هاليكارناسوس ياذن لليهود ببناء محلات للخطب وهذه ترجمة بعض ذلك الامر . واننا ناذن لكل من يشاء من اليهود رجال ونساء ان يحفظوا السبوت ويتمموا الطقوس المقدسة بموجب الناموس اليهودي ويبنوا محلات للخطب بجانب البحر (التاريخ القديم ك١٤ ف١٠ ر٢٣)

وطرطوليانوس ذكر طقوس اليهود وعوائدهم كالاعياد والسبوت والاصوام والفصح وذكر من جملتها ما دعاهُ الصلاة بجانب النهر (الرسالة الى الامم ك١ ر١٣)

١٢ قيل في اع ٢٣: ٨ لان الصدوقيين يقولون انهُ ليس قيامة ولا ملاك ولا روح . واما الفريسيون فيقرُّون بكل ذلك

قال يوسيفوس عن الفريسيين (تاريخ الحروب ك٢ ف٨ ر١٤) انهم يعتقدون بان كل النفوس خالدة غير ان نفوس الصالحين فقط تنتقل الى اجساد اخرى واما نفوس الاشرار فتعذب عذابًا ابديًا . وقال عن الصدوقيين (التاريخ القديم ك ١٨ ف ١ ر٤) ان اعتقاد الصدوقيين ان النفوس تتلاشى بتلاشي الاجساد

١٣ قيل في مت ٣:٢٦ حينئذٍ اجتمع روساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب الى دار رئيس الكهنة الذي يدعى قيافا

فلنا دليل على ان قيافا كان رئيس الكهنة وانهُ كان كذلك في كل مدة تولي بيلاطس البنطي وبالنتيجة في الوقت المذكور هنا . فان ڤالاريوس غراتوس الذي كان واليًا قبل بيلاطس جعلهُ رئيس كهنة وعزلهُ من وظيفتهِ ڤيتاليوس حاكم سوريا بعد ان عزل بيلاطس من ولاية اليهودية . وقد شرح يوسيفوس تقدم قيافا في وظيفة رياسة الكهنة على هذه الكيفية قال وهب غراتوس وظيفة رياسة الكهنة الى سمعان بن كميثوس واذ لم يكن قد حصل على هذا الشرف اكثر من سنة خلفهُ يوسف الذي يدعى ايضًا قيافا (التاريخ القديم ك ١٨ ف ٢ ر٢)

وقال ايضًا وبعد ذلك ذهب غراتوس الى رومية بعد ان اقام في اليهودية احدى عشرة سنة وخلفهُ بيلاطس البنطي انتهى . واما عزل قيافا من وظيفتهِ فقد اخبر يوسيفوس عنهُ على كيفية تعينهُ بعد تولي بيلاطس البنطي قال اماڤيتاليوس فامر بيلاطس ان يذهب الى رومية وبعد ذلك صعد هو بنفسهِ الى اورشليم واصدر اوامر بخصوص اشياء كثيرة . وبعد ان فعل ذلك عزل يوسف رئيس الكهنة الذي يدعى ايضًا قيافا من وظيفتهِ (التاريخ القديم ك ١٨ ف ٤ ر٢و٣)

١٤ قيل في لو ٣:١ وفي السنة الخامسة عشرة من سلطنة طيباريوس قيصر اذ كان بيلاطس البنطي واليًا على اليهودية وهيرودس رئيس ربع على الجليل في ايام رئيس الكهنة حنان وقيافا كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا

وفي تاريخ يوسيفوس جملة تقارب هذه وهي على الاقل كافية لدفع الاعتراض عن الانجيلي في استعمالهِ لقب رئيس الكهنة لاثنين في وقت واحد قال فارسل كوادراتوس اثنين آخرين من اقوى رجال اليهود ورئيس الكهنة يوناثان وحنانيا (تاريخ الحروب ك ٢ ف ١٢ ر٦) . ويظهر من انجيل يوحنا ١٨: ١٣ حيث ذكر ان العسكر اخذ يسوع الى حنان اولاً . ان حنان كان في منزلة رفيعة وكان في السلطة مثل رئيس الكهنة او ثانيًا لهُ . وما ذلك بين لوقا و يوحنا الاَّ اتفاق غير مقصود ومن جملة البراهين على صدقهما

ثم في اع ٤: ٦ دُعي حنان رئيس الكهنة مع ان قيافا كان صاحب تلك الوظيفة . ومثل

ذلك في يوسيفوس (تاريخ الحروب ك ٢ ف ٢٠ ر٣) فانهُ قال ان يوسف بن غوريون وحنان رئيس الكهنة انتُخِبا حاكمين على كل ما يجري في المدينة . فحنان الذي دعاهُ رئيس الكهنة لم يكن حينئذٍ في تلك الوظيفة. والحق هو انهُ ليس في الاناجيل تدقيق في استعمال هذا اللقب فينسب احيانًا الى الشخص الذي في يدهِ الوظيفة واحيانًا الى آخر او اخرين اشتركوا معهُ في قضاء بعض المصالح واوقاتًا الى بعض الكهنة المشهورين في رتبتهم او اوصافهم (انظر مر ١٤: ٥٣) . وعدم التدقيق هذا نفسهُ موجود في يوسيفوس

١٥ قيل في مت ٢٧: ٢٦ واما يسوع فجلدهُ واسلمهُ ليصلب

ونجد في مؤلفات يوسيفوس هذه الاقوال الآتية . وبعد ما ضربوهم صلبوهم مقابل القلعة . الذين صلبهم بعد ان جلدهم بالسياط . وبعد ان جُلد أُحرق حيًّا . فهذه الجمل مما يبين لنا وجود عادة الجلد حينئذٍ كامرٍ يسبق الحكم باجراء الموت

١٦ قيل في ٢كو ١١: ٢٤ من اليهود خمس مرات قبلت اربعين جلدة الاَّ واحدة

وقال يوسيفوس (التاريخ القديم ك ٤ ف ٨ ر ٢١) ومن يعمل بخلاف هذا فليجلد اربعين جلدة الاَّ واحدة من الحكام

فالاتفاق هنا امر غريب لان الناموس يامر باربعين جلدة كما قيل في تث ٢٥: ٣ اربعين يجلدهُ لا يزد . ويتضح من هذا الامر ان كاتب الرسالة الى اهل كورنثوس لم يتبع في قولهِ الكتاب بل ذكر الحوادث كما صارت لان كلامهُ يوافق العادة الجارية بالفعل ولو خالفت تلك العادة الناموس المكتوب او ما نعلمهُ من درس الشرائع اليهودية التي في العهد القديم

١٧ قيل في اع ١٧: ٢٢ فوقف بولس في وسط اريوس باغوس وقال ايها الرجال الاثينويُّون اراكم من كل وجه كانكم متدينون كثيرًا . لانني بينما كنت اجتاز وانظر الى معبوداتكم وجدت ايضًا مذبحًا مكتوبًا عليهِ . لاله مجهول . فالذي تتقونهُ وانتم تجهلونهُ هذا انا انادي لكم بهِ

ان بوسانيوس وهو مورّخ نبغ في اواخر القرن الثاني كتب عن اثينا و بعد ان ذكر مذبح زفس أُولمبيوس قال هذه الجملة وبجانبهِ مذابح لالهة تدعى مجهولة

وذكر ذلك فيلوستراتوس الذي كتب في اول القرن الثالث قال انهُ يليق ان نمدح كل الالهة وعلى الخصوص في اثينا حيث اقيمت مذابح لشياطين مجهولة

ثم ان مولف المحاورة المسماة فيلوباتريس الذي زعم الاكثرون انهُ لوكيانوس الذي كتب نحو سنة ١٧٠ م واخرون انهُ مولف وثني مجهول في القرن الرابع قال ان كريتياس اقسم بالاه اثينا المجهول . وفي اواخر المحاورة هذه العبارة وهي ولكن دعنا نجد الاه اثينا المجهول ونرفع ايادينا الى

السماء ونقدم لهُ تسبيحاتنا وتشكراتنا

فهذا الاتفاق عظيم ومهم . فانهُ يظهر من ذلك جليًّا انهُ كان في اثينا مذابح عليها هذه الكتابة في العصر المظنون ان بولس كان فيهِ هناك ويظهر ايضًا وهو ما يستحق الاعتبار ان هذه الكتابة على المذابح كانت مختصة باثينا ولا برهان على وجود مذابح في بلدان اخرى مكتوب عليها لاله مجهول . فاذا فرضنا ان تاريخ بولس الرسول حكاية فكيف يكون ممكنًا لمثل كاتب سفر الاعمال ان يصيب في كلامهِ عن امر مثل هذا لا يوجد الاَّ في اثينا و يذكرهُ في معرض اشارة مناسبة ومطابقة لوظيفة بولس الرسول وصفاتهِ

فيظهر لنا مما تقدم ان السياسة في فلسطين كانت في اثناء المدة التي يحيط بها تاريخ العهد الجديد مشوَّشة وفي احوال خصوصية الى الغاية . لان هذه البلاد قد حفظت تحت كل ما كابدتهُ من التقلبات الكثيرة بعض الخصائص التي جعلت مركزها فريدًا بين الولايات الخاضعة لرومية . وبما ان الدولة الرومانية لم تخضعها عنوةً كغيرها بل بالتسليم وبمساعدة قسمٍ عظيم من سكانها قد رخَّصت لها بان تبقى مدَّةً ما كنصف مستقلةٍ . فنتج من ذلك مزج السلطان الروماني مع سلطان البلاد واحيانًا معاقبة احدهما الآخر وبالتالي تشويش في الاحوال السياسية جعل معرفتها تمامًا بغاية الصعوبة على غريب البلاد او من نبغ في عصر اخر . ونتج من ذلك طبعًا نظامان للجزية وشريعتان للقضاء وطريقتان للضابطية واستعمال عوائد وكلمات يهودية ورومانية في وقتٍ واحد فكانت الاحوال مملوَّة من امور متضادة جدًّا وتشويشات غريبة وانقلابات فجائية . وقد صارت فلسطين في اثناء مدة خمسين سنة مملكة واحدة متحدة معًا تحت يد رئيس وطني . ثم مجموع مقاطعات خاضعة لولاةٍ ورؤساء ربع وطنيين ثم صارت من جهة تحت يد رؤساء كهولاء ومن جهة اخرى ولاية رومانية . ثم عادت مملكة متحدة ايضًا تحت يد ملك وطني . ثم بلادًا خاضعة بالكلية لرومية وتحت حكم وكلاء متعلقين برئيس سوريا غير انهم خاضعون ايضًا في بعض الامور للوالي اليهودي الذي كان على الولاية المجاورة

فالاشخاص المشهورون الذين ورد ذكرهم في اقوال الكتبة المقدسين في اثناء هذه المدة هم ستة من بيت هيرودس واربعة ولاة رومانيين على اليهودية . اما الذين من بيت هيرودس فخمسة منهم قبضوا على زمام الحكم غير ان ولاياتهم واحكامهم كانت ممتازة بعضها عن البعض ولم يخالف احدهم الآخر في الرتبة ولا في الزمان . اما هيرودس الكبير فملك برضى اوغسطس على كل فلسطين وعند موتهِ انقسمت ولايات سلطنتهِ الى ثلاثة اقسام . فارخيلاوس ابنهُ ملك على اليهودية والسامرة وادوم تحت لقب ملكٍ من ابيهِ غير ان اوغسطس لقبهُ واليًا . وانتيباس صار رئيس ربع على

الجليل وبيريا . وفيلبس رئيس ربع على تراخونيتس والكور المجاورة لها . غير ان هذه الحكومات الثلاث لم تدم جميعها الى وقت واحد . فان سلطان ارخيلاوس انتهى سريعاً واليهودية صارت ولاية رومانية تحت حكم ولاة قام اربعة منهم قبل بيلاطس البنطي ثم اتحدت ايضاً برهة ما ولايات هيرودس الكبير تحت يد ابن ابنهِ اغريباس ولكن عند موتهِ عادت ايضاً ولاية رومانية . وبعد ذلك قام حالاً ملك اخر باسم اغريباس ولكن لم يكن لهُ سلطان في اليهودية . فمع كل هذا التشويش في الاحوال ليس في نصوص الكتاب المقدس على ما يتعلق بذلك غلط ولا اشتباه البتة لا من جهة الشخص ولا من جهة المكان ولا الزمان . فصحة تلك النصوص وانعصامها من الغلط من اعجب ما يكون لانها لم تخرج من قلم كاتبٍ واحدٍ بل اربعة كتبة وهم ليسوا من ذوي الرتب السامية من البشر ولا من ذوي الخبرة بالانقلابات السياسية

وهذه النصوص تتضمن فضلاً عن حفظ ترتيب الحوادث التاريخي ما تمتاز بهِ سجية كل واحدٍ من الاشخاص المشار اليهم بغاية الضبط . فانها تشخص كلاً منهم بموجب علاقتهِ بتلك الحوادث تماماً ويتبيَّن لنا منها ان اعمال كلٍّ منهم انما هي موافقة لسجيتهِ ولاحوالهِ فقط دون غيره ممن ذُكِر قبلهُ او بعدهُ

فالشخص الاول المذكور هو هيرودس الكبير وهو يوصف بانهُ غيور وكثير الاوهام وغدَّار وقاسي الطبع جداً حتى ان واحداً من اوليائهِ الرومانيين قال انهُ يفضل ان يكون كلب هيرودس على ان يكون ابنهُ . ثم يرد ذكر ارخيلاوس ويوصف بانهُ ذو طبع مخيف حتى ان يوسف رجل مريم لما سمع انهُ يملك على اليهودية خاف ان يذهب الى هناك مت ٢ : ٢٢ . ثم انتيباس وهو يوصف بانهُ كثير الحيل وشهواني وناقص الصفات الرجولية . ثم فيلبس وهو لا يمتاز بطبعٍ خصوصي . ثم يرد بغتةً ذكر الوالي بيلاطس البنطي الذي اذا أُشكل علينا فهم تصرفهِ مع يسوع المسيح يكفينا ان نلتجئ الى اخبار التاريخ العالمي الواضحة عنهُ حيث نجد ايضاح ذلك في طبيعتهِ المتقلبة والقاسية وفي عدم الثقة والكراهة المتبادلتين الكائنتين بينهُ وبين اليهود . ثم بدون ادنى اشارة سابقة في العهد الجديد الى الانقلابات السياسية يرد بغتةً ذكر ملكٍ يهودي مقبول عند الشعب جداً قد اضطهد الكنيسة اضطهاداً عنيفاً . وتنعمهُ ورغبتهُ في محبة شعب اليهود لهُ ومحبتهُ للتأنق مع خصائص موتهِ المخيف كلها مذكورة بتدقيقٍ واختصارٍ عجيبين ومؤثرين . ثم يُذكَر حاكمان متواليان على اليهودية لها صفات خصوصية ذاتية . اولها فيلكس وهو يُذكَر اولاً مع امراتهِ اليهودية ويوصف بالنشاط الحقيقي في خدمتهِ لكنهُ شخصياً رذيل فاسد الآداب حتى قال عنهُ تاشيتوس انهُ كان متوغلاً في جميع انواع الشهوات والقساوة وقد مارس سلطان ملكٍ بطبع عبدٍ . ولقد كان امراً طبيعياً ان انساناً نظيرهُ

مذلولاً تحت الشكاوى التي قدَّمها خصماؤُهُ عليهِ في رومية يطمع في نوال محبة الشعب له بجورهِ على رسل المسيح . وذلك يوافق قول لوقا واذ كان فيلكس يريد ان يودع اليهود منَّةً ترك بولس مقيدًا اع ٢٤: ٢٧ . وايضًا انهُ بضميرٍ مثقل بذنوب كثيرة برتعب من كلام الرسول بولس عن البرّ والتعفف والدينونة العتيدة ولكن واسفاه بدون توبةٍ . ثم قبل ان فيلكس قبل خليفةً لهُ بوركيوس فستوس وهو يفرق عنهُ كثيرًا في طبيعتهِ لانهُ كان عادلاً ورزينًا ومنصفًا . والخلاصة ان ما يخبرنا عنهُ الكتاب المقدس نتبرهن صحتهُ مما يمكننا الوصول اليهِ من الاخبار التاريخية المدققة الباقية الى عصرنا الحاضر

ويتأيَّد هذا الامر جدًّا من النظر الى الاشارات الى الاماكن المذكورة في الاعمال . ولاجل بيان ذلك يجب ان نتصور ايضًا في عقولنا جليًّا حالة المملكة الرومانية السياسية المشوشة والتغييرات التي لا طائل تحتها الناتجة منها في الاحوال السياسية المختصة في مدن مختلفة او مدينة واحدة في اوقات متنوعة . فان نسبة المدن المختلفة في المملكة الرومانية الى مدينة رومية نفسها كانت متفاوتة جدًّا . لان افتتاح رومية مدينةً ما عنوةً او امتلاكها شرعًا او وجود صداقة خصوصية بينهما او تقديم خدمة خصوصية في بعض الاملاك السلطانية كانت من الوسائل لاعطائها درجات متفاوتة من الاستقلال . ولذلك كان بعضها اجنبيًّا متعلقًا برومية بعلاقات سياسية فقط . وبعضها ممتلك الحرّية شرعًا وبعضها كفروع من المملكة مستقلة شرعًا ولكنها حافظة الطاعة البنوية للمملكة التي هي كام لها . وبعضها كانت مدنًا حرَّةً فجُعِل الحكم بيد سكانها في جميع الامور الداخلية . وبعضها كولونيات [1] وفيها مقامات عسكرية لحماية احد الثغور او المحافظة على ولايةٍ مايلة الى العصيان . اما من جهة نسبة الاشخاص الى الحكومة الرومانية فكان غير ممكن لاحدٍ ان يحوز حقوق رجل روماني الاَّ بالشراء بمبلغ كبير كما فعل كلوديوس ليسياس او بالمكافاة على خدمةٍ معتبرة كابي بولس الرسول او بالارث كبولس نفسهِ

فكم كان صعبًا والحالة هذه على غريبٍ مجتازٍ من مدينة الى اخرى ان يحفظ هذه التمييزات الدقيقة ولاسيما اذا كان لا يعرفها شخصيًّا . وذلك كما هو صعب الآن على اجنبيٍّ عن بلادنا مثلاً ان يميز الفرق في الاحكام الوطنية فيها والالقاب المشعرة بالوظائف المحليَّة . اما الكتبة المقدسون فكانت الصعوبة عليهم اكثر جدًّا نظرًا الى اختلاف الاجناس والظروف والنظامات التي كان يمزجها معًا رجال السياسة الرومانيين العظام لكي يؤلفوا من ذلك حكومة واحدةً ملكية

(١) الكُولُونيَة او القولونية جماعة من الناس يهاجرون وطنهم الى بلادٍ اخرى لتعميرها واستيطانها مع بقائهم تحت ولاية بلادهم الاصلية وقد تسمى تلك البلاد بكولونية ايضًا . وهي لاتينية معناها حراثة

ان ما تقدم من الامثلة كافٍ للدلالة على ان كتبة تاريخ العهد الجديد عرفوا ما كتبوا عنهُ . ونذكر هنا بعض الملاحظات ايضًا لتقوية البرهان المتقدم وهي

١ . ليست الموافقات فقط في امور التاريخ العمومية بل احيانًا في ظروف دقيقة خفية وخصوصية يغفل عنها المزورون فيسقطون

٢ . ان خراب اورشليم الذي حدث بعد ابتدا النظام المسيحي باربعين سنة حصل منهُ انقلاب في حالة البلاد وظروف اليهود حتى ان من لم يكن عارفًا باحوال الامة قبل تلك الحادثة عسر عليهِ تجنب الغلط اذا قصد كتابة اخبار مدققة عن الحوادث المتعلقة بتلك الاحوال اذ لم يكن يتيسر لهُ الوصول الى ان يشاهد امثلة تلك الحوادث

٣ . يظهر من اسفار العهد الجديد ان كاتبيها كانت لهم معرفة بامور ايامهم ولا نجد مثل تلك المعرفة عند كاتبي الاعصر التابعة . فان كثيرين من المؤلفين المسيحيين في القرن الثاني والثالث وما بعدهما جهلوا حالة اليهودية بين طفولية المسيح وخراب الهيكل وكان عندهم في ذلك اوهام فاسدة ولذلك لم يكن في استطاعتهم تاليف تواريخ صحيحة عن ذلك

فلا عجب والحالة هذه اذا وجدنا بعض الصعوبات بين امور لا تحصى تويد وتوكد صحة الاسفار المقدسة . ومن تلك الصعوبات

١ ما ورد في لو ٢ : ٢ وهذا الاكتتاب الاول جرى اذ كان كيرينيوس والي سورية . ومضمونهُ ان الاكتتاب الذي جرى في وقت ولادة المسيح هو الاول وبذلك يشير الى انهُ يوجد اكتتاب ثانٍ يتبعهُ ريان الاول قد حدث اذ كان كيرينيوس والي سورية . ولكن نعلم من يوسيفوس (التاريخ القديم ك ١٧ ف ١٣ ر ٥) ان كيرينيوس جُعل واليًا على سوريا سنة ٦ ب م . ويظهر ان هذا المشكل حلهُ عسر . غير انهُ قد ذُكرت طرق مختلفة لحلهِ اقربها ان كيرينيوس صار واليًا على سورية مرتين المرة الاولى من سنة ٤—١ ق م والثانية من السنة السادسة للمسيح وهذا هو راي العلاَّمة زُمْط من برلين واورد عليهِ شهادات من التاريخ القديم واتى ببعض البراهين التي تكاد توكد المسالة (انظر قاموس الكتاب المقدس للعلامة سميث في كلمة كيرينيوس)

٢ ما ورد في مت ٢٣ : ٣٤ و٣٥ لذلك ها انا ارسل اليكم انبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة الى مدينة . لكي ياتي عليكم كل دم زكي سُفِك على الارض من دم هابيل الصدّيق الى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموهُ بين الهيكل والمذبح وفي ٢ اي ٢٤ : ٢٠ و ٢١ خبر عن قتل واحد اسمهُ زكريا وهو يثبت قول مخلصنا . ولكن زكريا المذكور هناك هو ابن يهوياداع وكان واحد من الانبياء ايضًا اسمهُ زكريا بن برخيا كما ذكر اسمهُ في

اول نبوته ولكن ليس لنا خبر عن موته

فالارجح ان مخلصنا اشار الى زكريا الاول وان اسم ابيه قد زادهُ او بدَّلهُ بعدئذٍ احد الكتبة واخذ ذلك من اول نبوة زكريا اذ كان يعرفها اكثر من سفر اخبار الايام ومما يثبت هذا الترجيح ان لو ١١: ٥١ لا يذكر اسم ابي زكريا مطلقًا . فالارجح اذًا ان مخلصنا اشار الى زكريا بن يهوياداع ٢ اي ٢٤: ٢٠ و٢١ ولكنهُ لم يذكر اسم يهوياداع فزاد بعض الكتاب بعدئذٍ اسم برخيا زك ١: ١ لانهُ بعيد جدًّا ان المسيح نفسهُ يغلط هذا الغلط

سادسًا . يتبرهن صدق الكتاب المقدس من شهادة التاريخ العالمي القديم وتقاليد عديدة وامور كثيرة باقية الى يومنا هذا

ان تاريخ الكتاب المقدس يتفق على نوع عجيب مع اصدق الاخبار الباقية الى الآن عن الحوادث التاريخية في البلدان والاعصر التي يشير اليها . فما يذكرهُ الكتاب او يشير اليهِ من قيام ممالك وسقوطها واعمال ملوك وصفاتهم وثورات حدثت في العالم واعصر مشهورة نراهُ موافقًا لما بقي من مؤلفات اقدم المؤرخين . فعدم الموافقة في ذلك هو من جملة الاسباب لرفض اسفار الابوكريفا لانهُ وجد فيها خلاف في جميع هذه المعتبرات

وقد اخترنا لايضاح الجزء الاول من هذا البرهان شهادة التاريخ العالميّ القديم المستخرجة حديثًا من آثار اشور وبابل ومصر وموآب وذلك لعظم قيمة هذه الشهادة في ذاتها ولانها تستحق اعتبار كل مسيحي نظير برهان حديث وغريب وراهن على صدق الكتاب المقدس

١ شهادة التاريخ العالمي القديم المستخرجة حديثًا من آثار اشور وبابل ومصر وموآب التي تثبت صدق الكتاب المقدس

قد وُجد بين الآثار القديمة المكتشفة حديثًا في اشور وبابل ومصر وموآب حجارة وصخور وهياكل وعواميد مكتوبة عليها وقائع تاريخية مذكورة في الكتاب المقدس . ولا يخفى انها اذا وافقت ما في الكتاب كانت حجةً قاطعة لاقناع كل ذي عقل سليم . فمن اقدم حوادث الكتاب المقدس المذكورة في آثار اشور انقسام مملكة بني اسرائيل . وقد وُجد في تلك الآثار امور كثيرة تدل على ذلك منها ذكر اسماء ملوك من المملكتين كياهو ومنحيم وحزقيا ومنسَّى . فاسم ياهو منقوش على النصب الاسود

الذي نُقِل موَّخرًا الى الميوزيوم البريطاني (اي محل التحف) وقد اقيم في اشور سنة ٨٧٠ ق م . واسم مِنحيم ذكرهُ تغلث فلاسر الذي ملك سنة ٧٤٥ ق م . واسم حزقيا مذكور بين اسماء اعداء سنحاريب الذي ملك سنة ٧٠٥ ق م . واسم منسى بين الملوك الذين كانوا يوَّدون الجزية لاسرحدون ابن سنحاريب . ولم تكتفِ التواريخ الاشورية بذكر اسماء هولاء الملوك بل ذكرت القابهم ايضًا فلقبت ملوك يهوذا ملوك يهوذا وملوك اسرائيل ملوك بيت عمري نسبةً الى السامرة قصبة ملكهم التي لُقِبت بذلك نسبةً الى عمري موَّسسها كما سياتي تفصيلهُ . فمن لا يتعجب من هذا الاتفاق بين الكتاب المقدس والتاريخ العالمي المستخرج من ظلمة جوف الارض الى النور بعد دفنهِ هناك زمانًا طويلاً

واول حادثة مشهورة وقعت في مملكة يهوذا بعد انفصال مملكة اسرائيل عنها هي ان شيشق ملك مصر صعد على اليهودية في السنة الخامسة من ملك رحبعام بالف وميئتي مركبة وستين الف فارس وعدد لا يحصى من المشاة واخذ المدن الحصينة التي ليهوذا ثم اتى الى اورشليم فسلم لهُ رحبعام واعطاهُ خزائنهُ وخزائن بيت الرب وصار من عبيدهِ المؤَدين لهُ الجزية . فنقش شيشق تذكارًا خالدًا لهذه الغلبة العظيمة على جدران هيكل كرناك الكبير ويرى الآن على ظاهر ذلك الهيكل اسماء كثير من المدن والبلدان التي تغلَّب عليها هذا الملك الظافر وبينها هذه العبارة ملكي يودا اي مملكة يهوذا . وفي التواريخ المصرية كلام مفصَّل عن هذه الغلبة

وفي مدَّة ملك آسا على يهوذا ثارت فتن كثيرة في مملكة اسرائيل وتداول الملك عليها ستة ملوك من اربعة بيوت في برهة قصيرة ملكان منهم قُتِلا وملك احرق نفسهُ في قصرهِ فقام رجل اسمهُ عمري وقبض على زمام الملك ونقل القصبة الى السامرة وسنَّ شرائع جديدة راجع مي ٦ : ١٦ وثبت الملك لنسلهِ فقام منهم اربعة ملوك فلا بدع اذا نال هذا الملك اسمًا وشهرة بين جيرانهِ لذلك اطلق اهل اشور على السامرة مدينة عمري . ولما انتقل الملك الى بيتٍ آخر استمرَّ اهل اشور على تلقيب ملوك اسرائيل بابناء عمري (انظر كتابات النصب الاسود لشلمناسر حيث يدعى ياهو ابن عمري)

وقُرِئَ اسم عمري على نَصَب اخر يسمَّى الحجر الموآبي اكتشفهُ الخواجه كلين سنة ١٨٦٨ م . وهو عمود نصبهُ ميشا ملك موآب الذي خلع نير الاسرائيليين عن رقاب الموآبيين ٢ مل ٣ : ٤ و٥ تذكارًا لهذه الحادثة في بلادهِ في ديبون سنة ٩٠٠ ق م اي بعد موت عمري بنحو عشرين سنة ونقش عليهِ سلسلة الحوادث التي بها حرَّر بلادهُ ورد اليها استقلاليتها وقد قُرِئَ ما كُتِب عليهِ وتُرجم الى لغات اوروبا الحديثة بتعاضد معلمين شتى في اللغات القديمة . وخلاصة تلك الكتابة ان عمري اخضع الموآبيين لسلطتهِ وجار عليهم كل الجور وحذا اخآب ابنهُ حذوهُ الى ان قام ميشا في ملك اخزيا

وفك نير اسرائيل عن رقاب الموآبيين وارجع اليهم الاستقلال وتغلب على المدن الحصينة وبنى المدن الموآبية التي هُدِمت في زمان خضوع موآب لاسرائيل وحصّنها وزاد رونقها الى غير ذلك

ثم قد ذكر في الكتاب المقدس ان اخآب ملك اسرائيل تزوّج بايزابل بنت اثبعَل ملك الصيدونيين . وهذا الملك مذكور في تاريخ صور لِمَنَنْدَر وفيهِ يقال انهُ في اثناء ملك اثبعَل حدث في فينيقية قحط شديد . ولابد ان هذا هو القحط الذي حدث في اليهودية في ايام ايليا النبي وكان سبباً لهلاك انبياء البعل

ومن الامور العظيمة التي جرت في ايام اخآب انتشاب الحرب بينهُ وبين بنهدد ملك دمشق الذي كان ملكاً عظيم الشان عالي الهمة كثير الاجناد لانهُ اتى على السامرة بخيل ومركبات وجيش كبير ومعهُ اثنان وثلاثون ملكاً من الملوك المتحالفة معهُ فدارت عليهِ الدائرة. ولكنهُ لم يأل جهدًا بل رجع في السنة التالية بجيش اخر لا نعلم مقدارهُ ولكن لا بد من انهُ كان جيشاً جرارًا لان قتلاهم بلغوا مئة الفٍ وسبعة وعشرين الفًا. وهذه الخسارة العظيمة لم تثنِ عزمهُ فداوم الحرب ثلاث سنوات متوالية وفي السنة الثالثة مات اخآب ١ مل ٢٢: ١-٢٧ . ولم يُكتشَف الى الآن تاريخ لدمشق يخبر عن هذه الوقائع غير ان في الكتابات الكيونيفورمية اي السهمية (نسبةً الى حروف الخط الاشوري القديم التي هي على هيئة السهم) كلاماً صريحاً عن عظم سطوة دمشق في ذلك الوقت وانهُ كان لها ملك يسمّى بنهدد متحالف مع امراء كثيرين حتى انهُ كان قادرًا ان يجمع جيشاً عظيماً كل سنة. وكان بينهُ وبين الاشوريين وقائع هائلة. (انظر كتابات النصب الاسود التي ترجمها الدكتور هنكس وطبعها في جرنال مدرسة دوبلين الكلية في شهر تشرين الاول سنة ١٨٥٣ وقابل ذلك مع تاريخ هيرودونس لرولنسن المجلد الاول الرسالة في تاريخ اشور وهي السابعة راس ١٥)

ان عصيان موآب الذي هو الحادثة الاولى التي يذكرها كاتب اسفار الملوك من حوادث ملك اخزيا بن اخآب الاكبر وخليفتهُ في الملك ٢ مل ١: ١ قد توضَّح جدًّا حديثًا ما كُتِب على الحجر الموآبي المشار اليهِ آنفًا من ان مضايقة الموآبيين الشديدة قد ابتدأت من عمري وانتهت بابنهِ اخآب اللذين ضايقا الامة الموآبية طول المدة التي بحسبها ميشا نحو اربعين سنة . وبعد ذلك ومن المحتمل في السنة الاولى من ملك اخزيا عصي الموآبيون على اسرائيل . فشنّ الاغارة ميشا على المدن الكثيرة التي كان فيها حفظة الاسرائيليين المتفرقة في كل البلاد واخذها وبعد جهاد عنيف صار رئيساً على كل البلاد . ثم رمّم ما كان قد هُدِم من المدن في اثناء مدة الضيقة ومنّع حصونها وزيّنها .

والعمود الاسود المذكور سابقاً يثبت ايضاً صحة الحوادث التاريخية في سفري الملوك بذكر حزائيل على انهُ ملك دمشق عقب بنهدد وايضاً بذكر معاصرة هذا الملك لياهو

وهنا مسئلة أُشكِل حلُّها على القاصد بن التوفيق بين الكتاب المقدس والتاريخ العالمي ولم تتضح بعد من الاكتشافات الجديدة وهي مجيءُ فول ملك اشور على السامرة بين سنة ٧٧٠و٧٦٠ ق م في ايام منحيم انظر ٢ مل ١٥: ١٩ و١ اي ٥: ٢٦ . لان الكتاب يقول انهُ جاء على السامرة واخضعها وضرب عليها جزية الف وزنة من الفضة. ولكنهُ لم يرد في كتابات اشور ذكر هذا الملك بل ما ينفي قيامهُ فيها على الاطلاق لانها تذكر جميع الملوك الذين ملكوا في ذلك الوقت على التوالي ولا تذكر بينهم ملكًا بهذا الاسم . ثم ان سرجون وسنحاريب واسرحدون واشور بني بال من ملوك اشور لم يذكروا بين سلفائهم ملكًا اسمهُ فول بل ذكروا في المدة التي حكم فيها فول ملكًا اخر ووصفوهُ بانهُ كان بليدًا جبانًا لم يخرج من بلادهِ . لكن وان اهملت تواريخ اشور ذكر هذا الملك لم تهملهُ جميع التواريخ لان بروسوس المورّخ الشهير يذكر فولاً معيّنًا زمن ملكهِ في المدة التي يذكرهُ فيها الكتاب المقدس الّا انهُ يدعوهُ ملك بابل لا ملك اشور . فان كان الامر كذلك فلماذا دعاهُ الكتاب المقدس ملك اشور. فنجيب ان اليهود صاروا من ذلك العصر فصاعدًا يعتبرون اشور المملكة العظيمة الفريدة التي الى الشرق منهم اي لم تقم مملكة اخرى في تلك الجهات لها ذكر عندهم كاشور ولذلك سموا فولاً ملك اشور كما سموا غيرهُ من الملوك بهذا الاسم لانهم اتوا من الشرق اي من الجهة الواقعة فيها اشور. انظر ما ورد في ٢ مل ٢٣: ٢٩ حيث يلقب نبوبولصّر ملك اشور وفي عز ٦: ٢٢ حيث يلقب داريوس هستاسبس ملك اشور . ولعلهُ يوجد سبب اخر لتلقيب فول بملك اشور. وهو ما ورد في الكتابات الاشورية من انهُ حدث في تلك المملكة انحطاط وانحلال منذ نحو سنة ٧٨٠ ق م قد نشأ عن خروج بعض الولايات وضعف الملوك ولا بد من ان المقاطعات الغربية انحازت الى ملوك بابل الكثيري المطامع او انهم غزوها واضافوها الى مملكتهم كما فعل فول ايضًا فلا عجب اذا اعتبرهم اليهود بسبب ذلك ملوك اشور. اما فول فبعد ان تغلب على قسم كبير من اشور حمل على سوريا ومعهُ جيش من الاشوريين المعتادين على المجيء اليها فلما رآهم اليهود في طليعة جيشهِ قالوا جاء علينا ملك اشور

وبعد ان جاء فول على منحيم اخذ ملوك اشور يتقاطرون الى بلاد اسرائيل الواحد بعد الآخر حتى انهُ ورد ذكر اكثرهم في الكتاب المقدس وهم تغلث فلاسر وشلمناسر وسرجون وسنحاريب واسرحدون ولحسن الحظ قد حفظت لنا العناية الالهية اخبار هولاء الملوك الى يومنا هذا وهي تتفق مع الكتاب المقدس في كل شيء ما عدا بعض قضايا طفيفة يظهر فيها اختلاف في بادي الامر

فلنلتفت الى الآثار التاريخية لهولاء الملوك لنرى وجوه المطابقة ما بين اخبار الكتاب المقدس عنهم واخبارهم عن انفسهم

قال تغلث فلاسر في كتاباتهِ التاريخية انهُ كان يحارب ملكين عظيمين احدهما فقح ملك السامرة والاخر رصين ملك دمشق وكانا متعاهدين فحاصر رصين في قصبتهِ مدة سنتين ثم اسرهُ وقتلهُ وقاصَّ فقحا باخذ قسم كبير من مملكتهِ واسر عددًا غفيرًا من رجالهِ. ولا يخفى ما بين ذلك والكتاب المقدس من الاتفاق . لانهُ يقال في الكتاب ان فقحا ورصين اتفقا على آحاز فاستنجد آحاز بتغلث فلاسر ملك اشور فسمع لهُ وصعد الى دمشق واخذها وسبى اهلها الى قير وقتل رصين ٢ مل ١٦: ٩ وقاصَّ فقحا بان اخذ قسمًا من مملكتهِ وسبى الراوبينيين والجاديين ونصف سبط منسى واتى بهم الى حلح وخابور وهارا ونهر جوزان ٢ مل ١٥: ٢٩ وا اي ٥: ٦ و٢٦ . ثم ان تغلث فلاسر يقول انهُ قبلما بارح سوريا فتح مجلسهُ في دمشق فاتى اليهِ الملوك المجاورون وخضعوا لهُ وبينهم فقح ملك السامرة ويهوخازي (اي يهو آحاز وهو آحاز) ملك يهوذا وذلك يؤيد ما قيل في ٢ مل ١٦: ١٠—١٦ عن ذهاب آحاز الى دمشق للقاء تغلث فلاسر . وفي اخبار تغلث فلاسر اسم ملكين آخرين من ملوك اسرائيل وهما منحيم وهوشع

اما شلمناسر ملك اشور فيظهر من ٢ مل ١٧: ٣و٥ انهُ صعد مرتين على هوشع الملك الاخير من ملوك اسرئيل وفي المرة الاولى اخذ منهُ جزيةً فقط واما في الثانية فعزم ان يقاصهُ لانهُ اتفق مع ملك مصر. فحاصر السامرة ثلاث سنوات غير ان الكتابات الاشورية لا تنسب خراب السامرة وجلاء اهلها الى شلمناسر بل الى سرجون الذي خلف شلمناسر والى السنة الاولى من ملكهِ اي بين ٧٢٢ و٧٢١ ق م . وهنا نرى اتفاقًا كليًا بين التاريخ الاشوري والكتاب المقدس لان الكتاب يجعل خراب السامرة قبل خراب اورشليم بمئة وخمس وثلاثين سنة وكان خراب اورشليم في السنة التاسعة عشرة من ملك نبوخذ نصر ٢ مل ٢٥: ٨ اي سنة ٥٨٦ ق م . وان اضفنا ١٣٥ سنة الى ٥٨٦ سنة كان المجموع ٧٢١ سنة وهي سنة سبي السامرة . اما سرجون فيقول في سجلاتهِ انهُ اخذ من السامرة ٢٧٢٨٠ اسيرًا ثم يقول انهُ نقل اسرى كثيرين من بابل الى مكان في ارض الحثيين ولعلهُ السامرة على ان هذه الكتابة ليست واضحة كل الوضوح (قابل ٢ مل ١٧: ٢٤) . ورب معترض يقول انهُ يظهر من ٢ مل ١٧: ٣—٦ ان شلمناسر اخذ السامرة لا سرجون ولا ريب في ان هذا هو ما يسبق اليهِ الفهم ولكن لدى امعان النظر يُرى ان اسم شلمناسر يرد في العدد الثالث فقط من الاصحاح المذكور وفي العدد الرابع والخامس والسادس يسمَّى ملك اشور . فيُحتمل انهُ قد حدث تغيير في الحكومة الاشورية في اثناء مدة الحصار التي دامت ثلاث سنوات كما قد جرى فعلاً . وفي الاصحاح

الثامن عشر والعدد التاسع الى الحادي عشر من الملوك الثاني اشارة واضحة نوعًا الى ان الغالب غير شلمناسر لانهُ يقال في العدد التاسع ان شلمناسر حاصرها ويقال في العدد العاشر واخذوها في نهاية ثلاث سنين فلو كان شلمناسر الذي شرع في حصارها فتحها ايضًا لقيل واخذها الخ

ثم ان الاكتشافات الجديدة ابانت ان ملكًا اسمهُ سرجون وليَ الملك بعد شلمناسر ووليهُ بعدهُ سنحاريب ابنهُ اثباتًا لما قالهُ اشعياء النبي في الاصحاح العشرين من سفرهِ ولم يكن يُعلَم عن هذا الملك قبل هذا الاكتشاف الاَّ ما قالهُ عنهُ اشعياء فحسبهُ بعضهم شلمناسر وبعضهم سنحاريب وغيرهم اسرحدون وارتاب قوم في صحة قيام ملك بهذا الاسم . ولكن قد كُشِف والحمد لله اسم هذا الملك في خرائب اشور فرجع اعداء الوحي خاسرين . ولدى التمعن يظهر ان سرجون هذا هو المراد في ٢ مل ١٧: ٦ و٢٤ و١٨: ١١ واش ٢٠: ١ و٤ و٦ . وقد نثبت ايضًا من الكتابات الاشورية قول النبي اشعياء ان سرجون اخذ اشدود وحارب مصر وسبي اهل السامرة واسكنهم مدن مادي التي تغلب عليها

ثم يظهر من الكتاب المقدس ان سنحاريب خلف سرجون . ويستدل من الآثار الباقية الى الآن ان سنحاريب هو ابن سرجون وخليفتهُ . والكتاب المقدس يقول ان سنحاريب صعد على الملك حزقيا لان حزقيا قد نكث بيمين الطاعة لملوك اشور وكان ملوك يهوذا قد اعطوهم اياها عندما استنجد احاز بتغلث فلاسر . فصعد سنحاريب ملك اشور على جميع مدن يهوذا الحصينة واخذها وارسل حزقيا ملك يهوذا الى ملك اشور الى لخيش يقول قد اخطاتُ ارجع عني ومهما جعلت عليَّ حملتهُ فوضع ملك اشور على حزقيا ملك يهوذا ثلاث مئة وزنة من الفضة وثلاثين وزنة من الذهب . واخبار سنحاريب الباقية الى الآن في الكتابات الاشورية تتضمن خبرًا مفصلًا عن هذه الواقعة . قال فيها سنحاريب لان حزقيا ملك يهوذا لم يخضع لنيري صعدتُ عليهِ وبقوة سلاحي وشدة باسي اخذتُ ستًّا واربعين مدينة من مدنهِ الحصينة ونهبت عددًا لا يحصى من الضياع والقرى وسبيت من قومهِ مئتي الفٍ ومئة وخمسين كبارًا وصغارًا ذكورًا واناثًا وغنمت ما لا يحصي من الخيل والحمير والجمال والبقر والغنم وحصرت حزقيا في اورشليم فصبتهِ كعصفور في قفص وبنيت ابراجًا حول المدينة واقمت حواجز امام الابواب لكي اسدَّ عليهِ باب النجاة . . . . فسقط رعب بطشي على حزقيا هذا فارسل اليَّ رؤساء اورشليم وشيوخها بثلاثين وزنة من الذهب وثمان مئة وزنة من الفضة وتحف عديدة غنيمة عظيمة فاخرة . . . . كل ذلك أُرسل اليَّ الى نينوى مركز ملكي لان حزقيا ارسل ذلك جزيةً وعلامةً لخضوعهِ لسطوتي انتهى . ولا يخفى عظم الاتفاق بين قول الكتاب المقدس وقول هذا الملك ولا خلاف البتة بينهما الاَّ في مقدار الفضة فاما ان ملك اشور بالغ فيهِ او انهُ حسب الغنيمة من الفضة التي اغتنمها مع الجزية والكتاب اقتصر على ذكر الجزية

غير انهُ لنا تفسير اخر مبني على اكتشاف الفرق بين الوزنة اليهودية والوزنة الاشورية . فانهُ قد تأكد بعد الفحص ان نسبة الوزنة عند الاشوريين الى الوزنة عند اليهود كنسبة ثمانية الى ثلاثة وعلى ذلك تكون ثلاث مئة وزنة فضة عند اليهود تعدل تماماً ثماني مئة وزنة عند الاشوريين . وهذا التفسير اضبط واوضح مما تقدم

اما ما حلَّ على سنحاريب من البلاء فليس لهُ ذكر في الكتابات الاشورية ولا عجب لان من عوائد ملوك المشرق (ماعدا ملوك اليهود) ان يبذلوا جهدهم في تخامد اخبار انتصارهم واخفاء اخبار انكسارهم . فلا يوجد في كل الكتابات الاشورية ذكر انكسار واحد من ملوك اشور ومن المؤكَّد انهُ لم يصاحبهم جميعاً النصر دائماً . ولا يخلو الامر من وجود طرق بها نعرف الحروب التي غُلِبوا فيها منها ان بعض الملوك يشيرون الى انكسار اسلافهم ومنها سكوتهم عن حرب اثاروها او انكفافهم عن الحملة على مكان كان من عادتهم ان يحملوا عليهِ . ولنا هنا مما تقدم ان سنحاريب لم يعد يتجه نحو المغرب في اواخر ايامهِ ولم يتم مرام اشور في مصر وجنوبي سوريا الاَّ في ايام اسرحدون

وفي تواريخ مصر نرى اشارة الى هذه الواقعة تكاد تكون واضحة وهي ان كهنة المصريين اخبروا هيرودوتس نقلاً عن سجلاتهم انهُ قبل ان غزا كمبيز بلادهم بقرن ونصف جاء لغزوها سنحاريب ملك الاشوريين والعرب بجيش جرار فلاقاهُ سيثوس ملك مصر الى قرب بليوزيوم على شط الفرع الشرقي للنيل فحل الجيشان الواحد قبالة الاخر ولما ارخى الليل سدولهُ دبَّ جيش من الفار على جنود سنحاريب واكل جعب السهام واوتار القسي وسيور الاتراس فلما اصبحوا وراوا ما حلَّ بهم اركنوا الى الفرار وسقط جم غفير منهم في يدي المصريين فاذاقوهم امرَّ العقاب . فاقام ملك مصر تذكاراً لهذه الحادثة . ثم اروا هيرودوتس التذكار وهو صنم بصورة رجل ممسك بيدهِ فارة ومكتوب عليهِ انظروا اليَّ وتعلموا اكراماً للآلهة (هيرودوتس ك٢ ر١٤١) . فنرى في هذه القصة دليلاً واضحاً على صحة النكبة التي نزلت بجيوش سنحاريب غير ان القصة المصرية كما يُنتظَر تنسب النجاة العظيمة الى الهة مصر لا الى اله اليهود

ثم انهُ يظهر من الكتاب المقدس ان اسرحدون خلف سنحاريب ٢مل ١٩: ٣٧ واش ٣٧: ٣٨ . والكتابات الاشورية توافق ذلك لان اسرحدون يدعو نفسهُ دائماً ابن سنحاريب ولا ذكر لملك قام بينهما . والاخبار المذكورة في الكتاب المقدس عن اسرحدون قليلة جداً غير اننا نستنتج انهُ عاصر منسى لان اباهُ عاصر حزقيا ولابد من انهُ هو الملك الذي اخذ قوادهُ الملك منسى وقيدوهُ وجاءوا بهِ الى بابل . وفي الكتابات الاشورية يذكر منسى ملك يهوذا من المؤدين الجزية لاسرحدون . ولم يكتشف الى الآن قول صريح في اسر الملك منسى وعتقهِ الاَّ ان في الكتابات الاشورية تلميحاً

واضحًا مطابقًا لمضمون الكتاب المقدس . ومن الغريب ان نرى قواد ملك اشور يحملون اسيرهم الى بابل عوضًا عن ان ياخذوهُ الى نينوى ٢ اي ٣٣: ١١ ومن نظر الى ذلك رآهُ في بادي الراي بعيدًا عن التصديق وقال ما علاقة ملك اشور ببابل . وجوابًا لذلك نقول ان اسرحدون هو الملك الوحيد من ملوك اشور الذي ملك على بابل وبنى لهُ قصرًا فيها . وكانت العادة ان يقوم والٍ على بابل من اهلها تحت سلطان ملك اشور . واما اسرحدون فحكم فيها بنفسهِ ورمَّ هياكلها فلا عجب اذا جيَّ بالاسرى اليهِ الى هناك . ولو نُسِبت هذه الحادثة الى غيرهِ من ملوك اشور لتعذَّر حلها وبقيت مشكلاً. وهي من جملة الاتفاقات الصغيرة غير المقصودة التي يعتبرها جدًّا ذوو العقل السليم

وقد زال ذكر اشور من الكتاب المقدس بزوال اسرحدون بل ان اشور نفسها لم تلبث طويلاً حتى انحطت وقامت بابل مكانها . ولذلك نترك اشور ونتقدم الى اظهار الاتفاق بين الكتاب المقدس وتاريخ مصر وبابل في المدة الاخيرة لملوك العبرانيين

قيل في ٢مل ١٧: ٤ ووجد ملك اشور (اي شلمناسر) في هوشع خيانةً .لانهُ ارسل رسلاً الى سوا ملك مصر ولم يؤدِّ جزيةً الخ .وقيل في ٢مل ١٩: ٩ وسمع (اي سنحاريب) عن ترهاقة ملك كوش الخ . وقيل في ٢ مل ٢٣: ٢٩–٣٥ و٢٤: ٧ ما معناهُ ان فرعون نخو صعد في ايام يوشيا الى نهر الفرات فالتقى بيوشيا في مجدّو وقتلهُ ثم اسر يهوآحاز وملَّك الياقيم وسماهُ يهو ياقيم ولكن لم يلبث طويلاً حتى استظهر عليهِ نبوخذنصر ملك بابل واخذ منهُ كل البلاد التي تغلب عليها . وقيل في ار ٣٧: ٥–٧ و٤٤: ٣٠ ما معناهُ ان فرعون حفرع ساعد اليهود على مقاومة نبوخذنصر

فلنلتفت الآن الى التواريخ المصرية لنرى هل ورد فيها ذكر هولاء الملوك الاربعة الذين كان احدهم ملكًا على كوش ايضًا

ان الملك الاول المدعو في العربية سوا يلفظ في العبرانية سڤا وقد ذكر منيشو المورّخ ملكًا من ملوك مصر اسمهُ سڤاخ او سڤاخوس . وفي آثار مصر ملكان بهذا الاسم وهما شباك الاول وشباك الثاني [1] وقد ذُكر ايضًا في تاريخ هيرودوتس هذا الملك تحت اسم سباكو ولا يبعد ان يكون سوا المذكور في الكتاب المقدس هو ذات الملك المدعو سڤاخ او شباك الاول او سباكو عند المورّخين المذكورين .اما ترهاقة ملك كوش وحامي مصر على ما ورد في الكتاب المقدس ٢مل ١٩: ٩ فهو تركوس او تراكوس المذكور في منيشو وتياركون المذكور في سترابو وترهاق المذكور في اثار مصر وقد خلف شباك الثاني . ويظهر من الآثار المصرية انهُ كان ملكًا على مصر والحبشة لكن كانت اقامتهُ في

(١) ان الباء والفاء والواو من الحروف المتفاوتة المتقارنة في اللغات الشرقية والغربية وكذلك السين والشين

الحبشة . اما فرعون نخو فلا شك في انهُ هو نخاو الذي ذكرهُ منيثو ونبكو الذي ذكرهُ هيرودوتس ونكو المذكور في الاثار المصرية ابن بساما نيكوس الاول وخليفتهُ . قال هيرودوتس ان هذا الملك غزا سورية وتغلب عليها . واما فرعون حفرع فقد اجمعوا على انهُ يوفريس المذكور في منيثو وابريس المذكور في هيرودوتس وحيفرعة او حيفرع المذكور في الآثار المصرية وحسب التواريخ المصرية يكون هذا الملك معاصراً لنبوخذنصر

هذا من جهة العلاقة بين الكتاب المقدس وتاريخ مصر . اما من جهة العلاقة بينهُ وبين تاريخ بابل فنقول انهُ قد قيل في ٢مل ٢٠ : ١٢ في ذلك الزمان ارسل برودخ (اومرودخ) بلادان بن بلادان ملك بابل رسائل وهدية الى حزقيا لكي يهنئهُ بشفائهِ ويسالهُ عن نقلص الظل الخ وقد ذكر هذا الملك بطليموس باسم مردك امباد اومردك امبال . وفي الكتابات البابلية ادلة كثيرة على انهُ كان معاصراً لحزقيا . وبعد ذلك بنحو مئة سنة يرد ذكر بابل في الكتاب المقدس انها اخذت اسماً في فلسطين كالاسم الذي كان لاشور . وفي ارميا وحزقيال والملوك ذكر عدة وقائع اجراها فيها نبوخذنصر وقد اتفقت التواريخ العالمية على ذلك ايضاً فان تغلب نبوخذراصر على فرعون نخو الذي ذكرهُ ارميا (٤٦ : ١-١٢) واشير اليهِ في سفر الملوك الثاني (٢٤ : ٧) ذكرهُ ايضاً بروسوس (يوسيفوس التاريخ القديم ك ١٠ اف ١١ ر ١) . وحصارهُ صور المذكور في حزقيال (٢٩ : ١٨) اثبتهُ المورخون الصوريون وقالوا انهُ استمر ثلاث عشرة سنة (يوسيفوس ضد ابيون ك ١ ر ٢١) . وخراب اورشليم وسبي شعبها ذكرهُ بروسوس ايضا وقال ان نبوخذنصر اسكن اسرى اليهود في ولاية بابل

هذا ما اخترنا ايرادهُ مما يتفق في ذكرهِ الكتاب المقدس والتواريخ العالمية في مدة الملوك الذين حكموا بين رحبعام وصدقيا . والملوك الذين ورد ذكرهم في سياق كلامنا في هذا الموضوع هم شيشق وزارح وبنهدد وحزائيل ومبشا ورصين وفول وتغلث فلاسر وشلمناسر وسوا وسرجون وسنحاريب وترهاقة ومرودخ بلادان واسرحدون ونخو وحفرع ونبوخذنصر واويل مرودخ وابريس . وايضاً من ملوك اسرائيل ويهوذا عمري واخاب وياهو واخزيا ومنحيم وفقح واحاز وهوشع وحزقيا ومنسي . وكل هولاء الملوك مذكورون في التواريخ العالمية اما في نفس الوقت الذي قاموا فيهِ حسب نص الكتاب المقدس او بالقرب منهُ ومتصفون فيها بنفس الاوصاف التي يصفهم بها الكتاب ولا خلاف في كل ذلك بينهما الاَّ في قضايا طفيفة لاطائل تحتها

وقد وصلنا الآن الى المدة الاخيرة من تاريخ اليهود وهي مقسومة طبعاً الى قسمين كبيرين احدهما مدة السبي في بابل والثاني مدة الرجوع وارجاع المملكة اليهودية . وليس في الاسفار التاريخية من

الكتاب المقدس ذكر صريح لحوادث مدة السبي غيران واحدًا من الانبياء ذكر شيئًا منها في سياق كلامهِ عن نفسهِ وهو دانيال الذي مزج النبوة بالتاريخ كما فعل اشعيا وارميا

ومن الامور التي ذكرها دانيال سبي بابل . ونجد في كتابات اشور وتواريخ فارس ان سبي امة كاملة واجلاءها عن اوطانها كان مستعملاً في المشرق في الاعصر القديمة ولنا ايضًا شهادة صريحة من يوسيفوس نقلاً عن بروسوس ان نبوخذنصر اسكن اليهود في بلاد بابل . ومن يا ترى يكلّف نفسهُ التفتيش عن شهادة التواريخ الوثنية لهذه الحادثة واليهود انفسهم يقرّون بها

وايضًا ذكر دانيال اوصاف نبوخذنصر وطول مدة ملكهِ وكشف المستقبل لهُ . وهذه الامور يتفق فيها الكتاب المقدس والتاريخ العالمي الموثوق بصحتهِ . وفي بروسوس وابيدينوس كلام صريح عن عظمة هذا الملك وجبروتهِ وحروبهِ واكرامهِ للالهة وتزيينهِ بابل والابنية العظيمة التي اقامها فيها . وفي ابيدينوس كلام صريح ايضًا عن تنبيهِ وقد نقلهُ عنهُ اوسابيوس وهو الكلام الآتي . قال الكلدانيون صعد نبوخذنصر ذات يوم الى قصرهِ واعترتهُ نوبة جنون فتنبأ لاهل بابل بخراب مدينتهم على يد الماديين والفرس والحال اختفى من بينهم انتهى . ومما يستحق الالتفات اليهِ هو ان نبوخذنصر وهو الملك الوحيد من الملوك الوثنيين الذي اعلن الله لهُ شيئًا من المستقبل دا ٢:٢٨و٢٩ هو ايضًا الملك الوحيد الذي يقال عنهُ في التواريخ الوثنيّة انهُ تنبأ

وقد اتفق بروسوس وپوليهستور وبطليموس على ان نبوخذنصر ملك ثلاثًا واربعين سنة . والآثار البابلية توافق ذلك لانهُ وجد مكتوبٌ على اجرّةٍ هذا الكلام . في السنة الثانية والاربعين من ملك نبوخذنصر انتهى . والكتاب المقدس يوافق ذلك كل الموافقة لان السنة الاولى من ملك اويل مرودخ بن نبوخذنصر وخليفتهُ هي السنة السابعة والثلاثون من اسر يهوياكين ٢ مل ٢٥:٢٧ وار ٥٢:٣١ الذي أُخذ الى بابل في السنة الثامنة لنبوخذنصر ٢ مل ٢٤:١٢ وار ٢٥:١ ومن ثمَّ تكون مدة ملك هذا الملك العظيم ثلاثًا واربعين سنة

وهذه طريقة حساب ذلك بالتفصيل . فانهُ يقال في ٢ مل ٢٤:١٢ ان السنة الثامنة للملك نبوخذنصر هي السنة الاولى لسبي يهوياكين اذًا يكون ملك نبوخذنصر قد ابتدا قبل سبي يهوياكين بسبع سنوات . وقد قيل ايضًا في ٢ مل ٢٥:٢٧ ان السنة السابعة والثلاثين من سبي يهوياكين هي السنة الاولى لاويل مرودخ فتكون السنة السادسة والثلاثين لسبي يهوياكين موافقة للسنة الاخيرة الكاملة من ملك نبوخذنصر . واذا جمعنا ٧ الى ٣٦ يكون المجموع ٤٣ وهو عدد سني ملك نبوخذنصر . وقد صار هذا الاتفاق بغير تعمد لاننا لا نعلم ان اويل مرودخ هو خليفة نبوخذنصر الاّ من التواريخ الوثنية

ثم من جهة مرض نبوخذ نصر الغريب يظهر ان بروسوس لم يتكلم عنهُ ولا يُنتظَر من مورّخ وطني ان يذكر شيئًا مهينًا لشرف اعظم ملك من ملوك بلادهِ وربما لم يعرف بذلك . وبما ان نبوخذ نصر شفي ورجع الى مملكتهِ فلا يبعد انهُ ولئن يكن قد تاب وقتيًا واظهر حاسيات الحمد والشكر كما نرى في دا ص ٤ اباد ما كتبوهُ عنهُ في ايام مرضهِ او جعلهُ في لغة مبهمة اذا سمح ببقائهِ الى خلفائهِ. ولعل بروسوس قرأ الاخبار عن نبوخذ نصر التي وجدناها في اثار بابل ولم يفهم معناها لانها لا تقول سوى ان نبوخذ نصر بقي مدة غير قادر على معاطاة مهام المملكة . وانهُ في مدة معلومة توقفت جميع اعمالهِ العظيمة فلم يبنِ قصورًا شاهقة ولم يخزن خزائن ولم يسبح الهة مرودخ ولم يقرب لهُ ذبائح ولم يسقِ الاراضي انتهى. وحيث لم يكشف تفسير اخر لهذه العبارات المبهمة يرجح كل الترجيح انها تشير الى تلك الحادثة الغريبة التي خصصها دانيال بنبوخذ نصر في سفرهِ

وليس في الكتاب المقدس من حين شفاء نبوخذ نصر الى ان سلمت بابل لاهل فارس ومادي اي نحو ٢٥ سنة الأخبر حادثة واحدة وهي عتق يهوياكين عندما تنصّب اويل مرودخ على تخت الملك . وقد تقدم ان المورّخ الوطني بروسوس يوافق الكتاب الطاهر في اسم هذا الملك وفي وقت صعودهِ على تخت الملك (انظر يوسيفوس ضد ابيون ك ١ ر ٢٠) ويقول ايضًا ان اويل مرودخ هو ابن نبوخذ نصر . وخلف اويل مرودخ صهرهُ نير غلصّر الذي ذكرهُ الكتاب المقدس بين روساء ملوك بابل تحت اسم نرجل شراصر انظر ار ٣٩: ٣ و١٣ . وابن نير غلصر حكم وهو غلام صغير بضع اشهر فقط وليس لهُ ذكر في الكتاب المقدس . اما نبونادبوس اخر ملك من ملوك بابل ولهُ ايضًا عند اليونانيين اسم لابينيتوس فوقع فيهِ اختلاف قال قوم انهُ مذكور في الكتاب المقدس وقال قوم انهُ غير مذكور. ولا ريب في ان هذا الاسم غير مذكور مطلقًا ولكن ظنّ بعضهم ان بيلشاصر المذكور في دانيال هو نبونادبوس هذا . وادعى بعض الكفرة ان ذكر دانيال لبيلشاصر اختلاق منهُ لا صحة لهُ لانهُ يخالف فيهِ بروسوس وأُشكِل على المتنصرين للحق نقض هذا المدّعى . ولم يكتفِ الكفرة بذلك بل قالوا ان بروسوس يقول ان ملك بابل كان غائبًا عنها عندما افتتحها الفرس ثم يقول انهم تبعوهُ الى بورسبيًا واخذوهُ اسيرًا ولم يقتلوهُ بل عاملهُ كورش بالاكرام (يوسيفوس ضد ابيون ك ١ ر ٢٠) . والظاهر ان بين بروسوس ودانيال كل التخالف والتناقض . ولكن من برهة وجيزة اكتشف امر صغير حلّ هذا المشكل العظيم واثبت الاتفاق بين قول دانيال وكلام بروسوس على اتم المراد لانهُ تبين منهُ ان نبونادبوس في آخر حياتهِ اشرك معهُ في الملك ابنهُ بلشرأزُر واعطاهُ لقب ملك (والذي اكتشف ذلك هو السر هنري رولنصن سنة ١٨٥٤ من كتابات وُجدت في ام قير في ارض بابل). فلا ريب ان هذ الملك هو الذي دافع عن بابل وقُتِل

لما أُخذت وكان ابوهُ حينئذٍ في بورسبًا فسلم وعومل بالاحسان المتصفة بهِ ملوك الفرس

ونستنتج من اشارة خفية جدًا في الكتاب المقدس قلما يلتفت اليها احد ذات هذه النتيجة اي انهُ كان في ذلك الوقت على كرسي بابل ملكان وهي متضمنة في وعد بيلشاصر بالجزاء العظيم لمن يفسر لهُ الكتابة على مكلس حائط قصرهِ في قولهِ وقال لحكماء بابل ايُّ رجل يقرأ هذه الكتابة ويبين لي تفسيرها فانهُ يُلبَّس الارجوان وقلادة من ذهب في عنقهِ ويتسلط ثالثًا في المملكة دا ٥: ٧ . واذا نظرنا الى ما يشابه هذا الامر في الكتاب المقدس كما ورد في تك ٤١: ٤٠-٤٥ واس ١٠: ٣١ ودا ٢: ٤٨ و٤٩ نرى ان الجزاء الذي كان يعد بهِ الملك من يعمل امرًا ما مهمًا يرضيهِ هو المحل الثاني في المملكة اي الاقرب اليهِ . فلا نرى سببًا هنا لتعيين المحل الثالث لمن يفسّر الكتابة غير ان الملك وابنهُ كانا في المحل الاول والثاني وان المحل الاعلى الذي يقدر بيلشاصر ان يعد بهِ هو الثالث .

واذا اعترض قوم انهُ يظهر من ذلك ان بيلشاصر هو ابن نبوناديوس لا ابن نبوخذ نصر الذي اتى بآنية بيت الله الى بابل حسب ما قيل في الكتاب المقدس (دا ٥: ١١ و١٨ الخ) نجيب اولاً ان كلمة ابن استعملت كثيرًا في الكتاب المقدس بمعنى حفيد او واحد من اولاد اولاد الاولاد ولو مهما بعد . ثانيًا لا يبعد ان يكون بيلشاصر حفيدًا لنبوخذ نصر اي ان يكون ابوهُ تزوج ببنت نبوخذ نصر فرزق منها بيلشاصر هذا لانهُ من عادة القابضين على زمام الملك من غير حق الارث ان يقووا حقهم بتزوجهم واحدة من النسل الملكي

وقد بقي مشكل واحد لم تحلهُ بعد الاكتشافات واملنا وطيد انهُ سيحل يومًا ما وما ادراك بما يجيء بهِ الغد . وهذا المشكل هو مَن هو داريوس المادي الذي اخذ المملكة بعد قتل بيلشاصر فظنهُ بعضهم استياج وبعضهم كياكسار بن استياج وبعضهم نيرغلصر وبعضهم نبوناديوس ولعلهُ لا يبعد ان يكون واليًا اقامهُ كورش فلم يُذكر في التواريخ التي انتهت الينا . ويؤيد ذلك ما قيل عنهُ في دا ٥: ٣١ فاخذ المملكة داريوس كانهُ اخذ من غيرهِ وايضًا قيل في دانيال ٩: ١ الذي مُلِّك على مملكة الكلدانيين فقولهُ مُلِّك يؤذن بان ملكًا اخر ملَّكهُ عليها والكلمة العبرانية هي نفس الكلمة المستعملة لمَّا ملَّك داود سليمان ابنهُ . اما اخذ اهل فارس ومادي مدينة بابل واهلها منهمكون بالملاهي فقضية متفق عليها عمومًا وهي غنية عن البيان (قابل هيرودوتس ك ا ر ١٩١)

اما من جهة رجوع بني اسرائيل فنقول انهُ في السنة الاولى لداريوس بن احشويروش من نسل الماديين راى دانيال دا ٩: ١ ان مدة السبي التي حدَّدها ارميا قد انتهت تقريبًا لكونهِ اعتبر ان السبي ابتدا من حين اسرهِ فوجَّه وجههُ الى الله طالبًا بالصلاة والتضرعات بالصوم والمسح والرماد لكي يصرف سخطهُ عن اورشليم ويضيء بنور وجههِ على مقدسهِ الخرب ويصنع ذلك ولا

يؤخر . وبموجب حساب دانيال يكون الوقت من افتتاح اورشليم الى السنة الاولى لداريوس سبعين سنة تقريباً وذلك يوافق تاريخ بروسوس وبطليموس لان هذين المؤرخين يتفقان على انهُ من تغلب نبوخذ نصر على اليهودية الى ان اخذ بابل داريوس المادي ثمان وستين سنة اي اقل من المدة التي حددها ارميا بسنتين فقط

واذا نظرنا الى المدة بعد رجوع اليهود من بابل نجد في اسفار عزرا ونحميا واستير تاريخ مئة سنة ونيف اي من حين رجوع اليهود سنة ٥٣٦ ق م الى سنة ٤٢٤ . اما احوال الشعب في هذه المدة فكانت بخلاف ما كانت عليهِ قبل السبي لانهم فقدوا استقلالهم ولم يكن لهم ملوك منهم بل حُسِبت بلادهم مقاطعة من سلطنة الفرس التي انشأها كورش وثبتها خلفاؤُهُ على كل البلدان الواقعة بين نهر صتلج وصحراء افريقيا . وصارت اليهودية مقاطعة من ولاية سورية اي ان حكامها اليهود كانوا تحت يد ولاة سورية الذين كانوا يدعون ولاة عبر النهر (عز ٥:٣) . وصار تاريخها المدني عبارة عن معاملة ملوك الفرس لشعبها وتصرف القبائل المجاورة التي اظهرت لها عداوة بيّنة . ولم يحدث فيها في اثناء هذه المدة من الامور المهمة ما يستحق ان يُذكَر في تواريخ الوثنيين لان اهلها امسوا في حالة دنية ولم يصدر منهم ما يستحق التفات المورخين . ولم تكن علاقة بين تاريخها في ذلك الوقت والتواريخ الوثنية الاَّ في توالي ملوك الفرس في بابل واوصافهم ونظام مملكتهم

فالملوك الذين ذكرهم عزرا هم كورش واحشويروش وارتحشستا وداريوس وارتحشستا (انظر عز ٤: ٥و٦ و٧ و٢٤ و٧: ١) ولكن لا يظهر من سفرهِ ان هولاء الملوك تلوا بعضهم بعضاً بدون انقطاع او توسّطهم ملوك اخرون لم يتعرّض لذكرهم . والتواريخ الوثنية التي يركن اليها نقول ان ملوك الفرس في بابل هم كورش وكمبيز وسمرديس وداريوس وزركسيس وارتحشستا الى اخرهِ . فاذا قابلنا هذين الجدولين نرى نقصاً في جدول عزرا في عدم ذكر زركسيس ونستنتج ايضاً ان اسمي الثاني والثالث متغيران . ونعلم يقيناً انهُ كان للواحد من ملوك الفرس وامرائهم اكثر من اسم واحد ويشهد لذلك موٴرخو اليونان . وعليهِ يكون لكمبيز اسم احشويروش ولسمرديس اسم ارتحشستا غير انهُ ليس لنا دليل على صحة ذلك الاَّ ورود هذه الاسماء في سفر عزرا . وقد ترك عزرا ذكر زركسيس لانهُ لم يذكر الامور التي حدثت بين الفصح الذي وقع في السنة السادسة لداريوس (٥١٥ ق م) وبين سفرهِ من بابل الى اورشليم في السنة السابعة لارتحشستا (٤٥٨ ق م) غير ان ما تركهُ عزرا عن هذا الملك قد ذُكِر بالاستيفاء في سفر استير كما سنرى

ان ما ورد في سفر عزرا ودانيال من اوصاف كورش واعمالهِ يتفق تماماً مع ما ذُكِر عنهُ في تواريخ الوثنيين لانهُ امتاز على كل ملوك الفرس بالشفقة ولين العريكة ولذلك كان ينتظر منهُ

ان يرثي لمصاب امة منتزحة عن وطنها تقاسي مرارة العبودية نحو سبعين سنة. وفضلاً عن ذلك كان فرسيًّا في ديانتهِ يعبد اورمازد الاله العظيم معبود قدماء الفرس وبكره عباد الاوثان كل الكره. فرضي على شعب اليهود الذين كانت اصول ديانتهم تماثل اصول ديانتهِ وامر بارجاعهم الى اوطانهم . وخبر هذا الرجوع المذكور في سفر عزرا وجميع التلميحات الواردة عن هذا الملك في عبارات الكتاب المقدس تطابق كل ماورد عنهُ في الاخبار الوثنية . والاوامر التي اصدرها توافق معتقدهُ واطوارهُ عز ١:١-٤ و٦:٣-٥ . فان اعترافهُ بالرب اله السماء عز ١:٢ وتسميتهُ اياهُ اله اليهود واقرارهُ بانهُ اخذ منهُ جميع الممالك المتسلط عليها ما يظهر روح الديانة الفارسية القديمة التي كان من انصارها والمتورعين فيها . واعطاؤهُ الآنية الذهبية عزرا ١:٧-١١ و٦:٥ وامرهُ باعطاء نفقة بناء الهيكل من بيت الملك ودعوتهُ رعاياهُ الفرس لكي يساعدوا اليهود بفضةٍ وذهبٍ وآنية وحيوانات يطابق ما اتصف بهِ من الجود والكرم

ووجود امر كورش هذا في احمثا في القصر الذي في بلاد مادي عز ٦:٢ من جملة الاتفاقات الصغيرة بين الكتاب المقدس والتاريخ العالمي وصغرها برهان على انها غير مقصودة . لانهُ لما كتب عزرا كان ملوك فارس يسكنون شوشن او بابل ولم يكن يذهب الى احمثا الاَّ احيانًا قليلة في فصل الصيف وبما ان شوشن وبابل كانتا مركزي الملك كانت تحفظ فيهما اسفار اخبار الملوك . ولكنَّ كورش اقام في احمثا (هيرودونس ك ١ ر١٥٣) فحفظت هناك اخبارهُ ووجدت اوامرهُ لارجاع شعب اليهود

اما من جهة كمبيز خليفة كورش والمغتصب الذي ملك تحت اسم سمرديس فلا يخبرنا سفر عزرا عنهما كثيرًا . وكلما نعرفهُ عنهما هو ان اعداء اليهود طلبوا منهما برسائل ان يمنعا اليهود عن بناء اورشليم ثانية وان كمبيز لم يسمع لهم بخلاف سمرديس الذي منع اليهود عن اتمام العمل الذي شرعوا فيهِ في ايام كورش واستمر في كل ايام كمبيز ابنهِ وخليفتهِ في الملك (انظر عز ٤:٦-٢٤) . وعدول الملك سمرديس عن سياسة سلفيهِ ناشئٌ عن كونهِ مجوسيًّا وكون مذهبهُ منافٍ لمذهب كورش وكمبيز. وقد شهد بذلك المورّخون الوثنيون (هيرودوتس ك٣ ر٦١) وثبت موءخرًا من كتابات داريوس المنقوشة على صخر بيهستون في بلاد العجم (١). ولذلك لا نرى في اوامرهِ المذكورة في عزرا ٤:١٧-٢٢ ما يدلُّ على اعتقادهِ بالله كما نرى في اوامر كورش . ولكن لما ملك داريوس فرح اليهود وطرحوا اوامر سمرديس وراء ظهورهم ورجعوا الى العمل بنشاط وساعدهم النبيان زكريا وحجي (عز ٥:٢). فلا

(١) ويقال لها الكتابات البيهستونية وهي اخبار حوادث مهمة حدثت في ملك داريوس هستاسب منقوشة على جوانب صخر صلب على شاهق عالٍ في بيهستون من بلاد العجم . وقد اخذ السر هنري رولنصن رسم هذه الكتابات سنة ١٨٣٥ و١٨٤٤ وترجمها سنة ١٨٤٦ ونرى في ذلك عناية الله الذي جعل داريوس يكتب حوادث ملكهِ على صخر اصم لا تنفعل بهِ نوايب الايام ثم اقام في القرن التاسع عشر من اطلع على هاتيك الاخبار المهمة وترجمها

نتعجب من تجاسر اليهود هذا اذا راينا داريوس نفسهُ يقول في كتاباتهِ الباقية الى الآن المشار اليها آنفًا في الحاشية انهُ ناقض مذهب سلفهِ وجدَّد الهياكل التي اخربها سمرديس وارجع العبادة التي ابطلها. فظن اليهود انهُ لا يغضب عليهم اذا نقضوا امرًا اصدرهُ سالفهُ لاغراض دينية. فاغتاظ اعداؤُهم وقصدوا توقيفهم عن العمل فكتبوا لداريوس رسالة طويلة يشرحون لهُ فيها الاسباب التي حملت اليهود على مداومة العمل وهي الامر الذي اصدرهُ لهم كورش الملك وطلبوا اليهِ ان يُفتّش في بيت خزائن كورش هل اصدر امر كهذا ام لا عز ٥:٦–١٧. فوجد الامر في احمثا (وهي اكبتانا او همذان) وللحال امر داريوس بمداومة العمل وارسل الى والي سورية واصحابهِ يامرهم ان يقدموا لليهود كل ما يحتاجون اليهِ من المساعدة. وهذا يوافق اطوار داريوس من كل وجه لانهُ يدعو هيكل اليهود بيت الله ويدعو يهوه اله السماء ويعتبر تقديم الذبائح لله والصلاة التي يقدمها اليهود لاجلهِ عز ٦:٧–١٠. وفي العدد العاشر يذكر بنيهِ مع انهُ كان قد جلس في سدة الملك حديثًا وهذا موافق لما قالهُ عنهُ هيرودوتس (ك ٧ ر ٢)

ثم خلف داريوس ابنهُ زركسيس غير انهُ ليس الهُ ذكر في سفر عزرا ولكنهُ يرجَّح الآن انهُ هو احشويروش المذكور في سفر استير. وما ورد عن اخلاقهِ في هذا السفر يطابق ما وصفهُ بهِ الكتبة الوثنيون من انهُ كان متكبرًا معجبًا بنفسهِ مغرمًا بالنساء لا يعتبر عوائد الفرس كثيرًا ولا حياة رعاياهُ شديد الغضب سريع الانقياد متقلب الاهواء. اما من جهة اعمالهِ فقد قال الكتاب المقدس انهُ في السنة الثالثة لاحشويروش عمل وليمة في شوشن القصر اس ١:٣ وقال هيرودوتس انهُ في السنة الثالثة لزركسيس جمع رؤَساءهُ الى سوسا ليتداول معهم في امر الحملة على بلاد اليونان (ك ٧ ر ٨). وقال الكتاب المقدس في السنة السابعة من ملكهِ طُلِبت لهُ فتيات حسنات المنظر ثم تزوَّج باستير عوضًا عن وشتي اس ٢:١–١٦ وقال هيرودوتس في السنة السابعة من ملك زركسيس رجع من بلاد اليونان مخذولًا واخذ يسلي نفسهُ عن مصابهِ باللهو والتنعم الخ (ك ٧ ر ٣٥ و ١١٤). والمشابهة في الاخبار عن هذا الملك المدوَّنة في الكتاب وفي التواريخ العالمية تظهر في امورٍ اخرى ايضًا

اما ارتحشستا بن زركسيس وخليفتهُ فيذكر مرتين في الكتاب المقدس في عزرا ٧:٧–٢٦ ونحميا ص ١ الى ٣. ويظهر من سفر عزرا انهُ كان ككورش وداريوس يعتبر الاله الحقيقي عادًّا اياهُ اورمازد وكان يعتبر الديانة اليهودية ووهب اليهود هباتٍ كثيرة لاقامة فروض ديانتهم وتهدد من يخالفها بعقابٍ اليم. ونحميا يصفهُ بالحلم والدعة لانهُ لاحظ كآبة قلبهِ وسالهُ عن سبب ذلك ووهبهُ طلبتهُ وطيَّب قلبهُ نح ٢:١–١٨. والمؤَرخون اليونانيون يعتبرون هذا الملك على نوعٍ خصوصي

ويسمونهُ طويل اليد ويحسبونهُ اوَّل ملوك الفرس في الحلم والكرم

وها ان اسفار العهد القديم التاريخية قد عُرِضت لنظر القارئ وقوبل موضوعها حسب الامكان مع اصول التاريخ العالمي التي قد صادق على صحتها اكثر المدققين وهي الانصاب والخطوط القديمة المصرية والنقوش الكيونيفورمية (اي السهمية) البابلية والاشورية والفرسية والكتابة الموآبية الوحيدة الموجودة الآن ومؤلفات افاضل المؤرخين القدماء نظير هيرودوتس وثوسيديديس واكزنيفون واكتيسياس ومنيثو وبروسوس وابيدينوس وميننْدَر. والنتيجة الاولى التي تظهر لنا هي انهُ لا يكاد يوجد مناقضة بينهما (اي بين التاريخ المقدس وهذه التواريخ العالمية المتنوعة) الاَّ في الامور الخرونولوجيَّة وهي محصورة فيها ضمن حدودٍ ضيقة . لان الاخبار الخرونولوجية في الكتاب المقدس حسب النسخة العبرانية لا تفرق الاَّ قليلاً عن الاخبار الخرونولوجية في النصب الاشورية والتواريخ المصرية . وهذا الفرق هو على الغالب في سنين قليلة ولا يبلغ في حادثةٍ مابعد عصر سليمان اكثر من نصف قرن واما الخرونولوجيا التي قبل ذلك سواء كانت المبنية على الكتاب المقدس اوعلى التواريخ العالمية فلم تزل غير محققة . اذًا بموجب مقتضي العقل يمكننا ان نفرض ان هذه الاختلافات في هذا الامر اتفاقية عرضية ناتجة اما من اختلاف طرق حساب الوقت اومن عدم وضوح الكتابات والنقوش وسوءِ قراءتها او من غفلة الكاتب او الناقش او نحو ذلك . وفي النظر العمومي الى الامور البشرية في تاريخ قيام وزهاء ممالك ومعاقبة مملكة لاخرى ومدة دوامها وصفاتها وغلباتها وسلسلة ملوكها يظهر اتفاق عجيب بين التاريخ المقدس وافضل اصول التاريخ العالمي غير انهُ في اماكن قليلة العدد جدًّا في التاريخ المقدس يُذكَر اشخاص عظام في مقامٍ مهمٍ حسب الظاهر ولا نقدر ان نحقق من هم في التاريخ العالمي . والصعوبات من هذا النوع محصورة في شخصين وهما فول وداريوس المادي . واما سائر ملوك الشرق المذكورين بالاسم في الكتاب المقدس في سياق الاخبار فالذين لنا تاريخ عالمي بالتفصيل لعصرهم يمكننا تمييزهم فيهِ ونرى ان ما نُصَّ في الكتاب المقدس على صفات البعض منهم يوافق ما ورد عنهم في التاريخ العالمي . وكذلك اعمالهم هي اما كما ورد ذكرها في التاريخ العالمي اوكما ينتظر طبعًا من اشخاص نظيرهم في مراكزهم . وفضلاً عن ذلك يوجد اتفاق دقيق ايضًا بين ما ذكر في الكتاب المقدس عن عوائد واصطلاحات واراء الامم المختلفة ما يرد في سياق الكلام ووصف ذلك كلهِ المتحصّل من نصبهم ومؤلفات افاضل قدماء مورخيهم . اما معرفتنا باحوال شعوب اربع امم منها وهي المصرية والاشورية والبابلية والفرس في الوقت المشار اليهِ فهي مدققة ووافرة ان لم تكن تامةً ولدى المقابلة بين ما ورد عنها في الكتاب وفي التاريخ نرى بينهما اتفاقًا عجيبًا جدًّا في امور كثيرة

وما نستفيدهُ من ذلك هو اننا نقدر بواسطتهِ ان نبرّر انفسنا من جهة رفض الراي الذي شاع من برهةٍ وجيزةٍ في جرمانيا كامر لا يقبلهُ العقل وهو ما يسمي اخبار العهد القديم التاريخية خرافات او حكايات لانها المعلمون الادباء كواسطةٍ موافقة لادخال الحقايق الادبية بالتدريج الى عقول البشر. اما كون اخبارها تاريخية والحوادث المدونة فيها حقيقية قد حدثت في نفس الازمنة التي عينوها فيها والاشخاص الذين ورد ذكرهم فيها قد وُجدوا لامحالة فواضح. ولكن هل وصف اولئك الكتبة الحوادث كما وقعت تماماً او بالغوا فيها. وهل يجب قبول ما اوردوهُ من الامور العجيبة كما هو او نحسبهُ مبالغة كما نحسب ما نجدهُ من الحكايات والقصص في تاريخ هيرودوتس وليفي وغيرها. وكثيراً ما قيل انهُ لم يوجد بعد بين الاثباتات التاريخية لاخبار الكتاب المقدس العمومية المكتشفة حديثاً ما يثبت العجائب. ولا ريب في صحة هذا القول. لان المورّخين المصريين والاشوريين والبابليين والموآبيين والفرس لم يؤرّخوا ما صُنع من العجائب لاجل اليهود او عن يدهم ولا كان يمكن ان ينتظر منهم ذلك لانهم لم يقصدوا البتة ان يعظموا غيرامتهم. ولكن للعجائب دليل اخر وهو شهادة الذين عاينوها المشهورين بالصدق وهذا كافٍ لاثباتها. ولا يمكن فصلها عن الاخبار لانها اجزاء تامة منها وغالباً هي محورها الذي تدور عليهِ فبما انها هي المقصودة بالذكر عند الكاتب تكون اخبارهُ بدونها بدون قصد ومعنى. فما هو الاكثر احتمالاً هل ان الكتبة اجتهدوا وهم قاصدون ذكر عددٍ من العجائب الكاذبة في جعل اخبارهم موافقة في جميع دقائقها للامور التاريخية او ان ما ذكروهُ من العجائب قد صُنع حقيقةً واخبروا عنهُ بذات الامانة والصدق اللذين بهما كتبوا سائر تواريخهم. فما دمنا مقتنعين بامكانية وقوع العجائب نلتزم بقبول الراي الاخير ورفض الاول

وبالاختصار ان ضبط الكتبة المقدسين في الامور التاريخية في ما يمكنا امتحانهُ من اخبارهم يؤيد جداً كل ما ذكروهُ. وبما ان الامور العجيبة ممتزجة امتزاجاً كلياً مع الامور الطبيعية والاعتيادية بحيث لا يمكن فصلها عنها يجب ضرورة اما قبولها او رفضها معاً. ولكن قوانين انتقاد التواريخ لا تسمح لنا برفض الامور الاعتيادية المدونة في الكتاب لانها تحتمل جميع الامتحانات التي بها نختبر الاخبار الصحيحة من الكاذبة. اذاً نلتزم ايضاً بالتسليم بصحة الامور الخارقة العادة

ومما نلتزم بالتسليم بهِ ايضاً متى قابلنا الاسفار المقدسة مع افضل اصول التاريخ العالمي هو ان تاريخ الكتاب المقدس لابد انهُ قد كتب اكثرهُ معاينو الحوادث المذكورة فيهِ. فالاسفار الخمسة كتبها موسى وسفر يشوع اما يشوع او واحد من الشيوخ الذين عاشوا بعدهُ وسفر صموئيل صموئيل نفسهُ واسفار الملوك والايام الانبياء المعاصرون لاكثر الملوك واسفار دانيال وعزرا ونحميا الاشخاص

الحاملة اسماءهم واستير واحد من الذين عاشوا في ايام زركسيس . واذ ذاك لا يمكن ان يكون الكتبة جاهلين حقيقة ما كتبوهُ. ولا يتصور احد طبعاً انهم قصدوا ان يغشوا الآخرين. قال ستراوس الكافر اذا امكن بيان مشاهدة كتبة الجزء التاريخي من الكتاب المقدس للحوادث التي ذكروها يكون ذلك دليلاً قوياً يرجح صدقهُ انتهى . والحال ان معاينتهم لتلك الامور مبينة مما في كلامهم من الضبط والتدقيق والاتفاق التام مع الاخبار المعاصرة ومؤلفات افضل مؤلفي التواريخ العالمية . فهي الحالة هذه يتبين صدق الكتاب المقدس من مبادي العقليين انفسهم

٢ شهادة التقاليد الموجودة في اخبار الامم التي تثبت صدق الكتاب المقدس

انهُ يظهر لدى الفحص ان جانباً عظيماً من الحكايات الكاذبة التي شاعت بين الامم من قديم الزمان ماخوذ من اصل حقيقي وهو الكتاب المقدس . غير انهم قد افسدوا هيئة ما اخذوهُ بزيادة اونقصان او مبالغة وحولوهُ الى صورة خرافات وثنية موافقة لآرائهم ودياناتهم. غير ان ما بقي من صورة الاصل يدل على ان هذه الخرافات ماخوذة بالاحرى من الكتاب لا ان الكتاب مجموع من هذه الخرافات كما زعم بعض الكفرة

ولا يوافق العقل السليم ان ننتظر من مؤلفي الوثنيين في عصر موسى او بقربهِ اثبات صدق تاريخهِ . لاننا نعلم ان الوثنيين احتقروا اليهود وايضاً ان الذين سموا اليهود برابرة كانوا انفسهم من اردا البرابرة في زمان موسى وبقوا على ذلك بعد زمانهِ قروناً عديدة . نعم ليس للاسفار الخمسة تثبيت من شهادات مورخين في زمان موسى لانهُ اذا فرضنا وجود تواريخ حينئذٍ يكون قد لاشاها كرور الايام غير انها ليست والحالة هذه بدون برهان مثبت صدقها بل بالعكس سلطانها مثبت من القطع القليلة التي بقيت من اقلام اقدم المؤلفين والمورخين عن تاريخ اليهود واشتراع موسى ولو كانت تلك الاخبار فاسدة كما يظهر مما سنوردهُ من كتب العلماء

اولاً . شهادات لصحة خبر موسى عن خلق العالم

١ تقاليد الوثنيين عن زمن الفحل اذ كانت الارض خالية وعن تكوين كل شيء بقوة عقل سامٍ . وهذه التقاليد تشابه خبر موسى عن الخليقة وهي برهان على انها من اصلٍ واحدٍ غير ان الفرق الواضح بين البساطة التي في الواحد والصناعة التي في الاخرى هو ما يميز خبر الوحي عن التقليد . وهذه الملاحظة تصدق بالاخص على ما وُجد من التقاليد عن الخليقة بين الكلدانيين والمصريين والفينيقيين والهنود والصينيين . وقد وُجد حديثاً كتابات قديمة في بلاد اشور موضوعها اشهر الحوادث المذكورة في اول سفر التكوين اي الخليقة والتجربة والسقوط والطوفان وبرج بابل وتبلبل الالسنة الخ . والعلاَّمة جورج سميث قد ترجم هذه الكتابات وطبعت في كتاب مشهور نُشِر

في بلاد الانكليز سنة ١٨٧٥

٣ تقسيم الوقت الى اسابيع . وهو من اعظم البراهين المثبتة لخبر موسى عن الخليقة لانهُ من الامور التي شاعت بين الجميع في كل الادوار اي بين العبرانيين والمصريين والصينيين واليونانيين والرومانيين وبرابرة الشمال وهم قبائل لم يكن لبعضها ادنى مداخلة مع الاخرين ولم يعرف العبرانيون اسماءها

ثانيًا . شهادات لصحة خبر موسى عن خلق الانسان على صورة الله وتسليطهِ على كل الحيوان وذلك من اثار تقاليد باقية الى الآن تشابه هذا الخبر تتضمن ان الانسان اولاً كان في حال السعادة الكاملة والبرارة التامة وكان الفصل ربيعًا ابدًا وكانت الارض تخرج اثمارها بدون انقطاع . وهذا هو اصل الخبر الخرافي عن العصر الذهبي الذي اشتغل بوصفهِ الشعراء القدماء

ثالثًا . عن سقوط الانسان ودخول الخطية الى العالم كما ذُكِر في الاصحاح الثالث من سفر التكوين

فانهُ يتضح من بساطة خبر موسى عن ذلك وموافقتهِ لروح الكتاب انهُ قصد بهِ الاخبار عن حادثة حقيقية وقد اعتبرهُ كذلك كتبة العهد القديم والجديد كلهم . وهذا الخبر عن السقوط مثبت من التاريخ الطبيعي والمدني لانهُ يتفق الى مقدار عظيم مع الحوادث الواضحة كالشغل والحزن والالم والموت ومع كل ما نراهُ ونشعر بهِ كل يومٍ من الاتعاب الثقيلة والاحوال التعيسة في العالم . وايضًا مما ياتي

١ ان الكتاب المقدس يفيدنا ان تجربة ابوينا الاولين كانت عن يد الشيطان . ونعلم من ايات في الكتاب المقدس انهُ كان اولاً من جملة الارواح السموية في حال الكمال والسعادة ثم اخطأ بسبب الكبرياء او الطمع (ولا نعلم شيئًا عن خطيتهِ وظروفها) ومن ثم صار في حالة الشقاوة وطُرد من مساكن السعادة مع من جرى مجراهُ . ونرى في الميثولوجيات القديمة (الخرافات) ما يشابه الخبر عن سقوط هولاء الملائكة الاشرار كما يتضح مما حُكِي عن التيتانيين والجبابرة الذين اقتحموا السماء وحاربوا زفس اله الآلهة قاصدين ان ينزلوهُ عن عرشهِ فالقاهم من فوق الى جهنم حيث يعذبون بنارٍ دائمة

٢ ونتعلم من الكتاب المقدس ايضًا ان دخول الشر الى العالم كان بعصيان امنا الاولى حواء . وقد اشير الى ذلك بوضوح في ما كتبهُ الوثنيون عن باندورا التي اعطاها زفس علبة مطبوقة وقال لها ان لا تفتحها ولكنها اذ رغبت ان تعرف ما فيها فتحتها فخرج منها الى العالم كل الشرور وصارت سببًا لشقاء كل الجنس البشري ولكن بقي في اسفل العلبة الرجا (اي الرجا بنجٍ

وُعِد بهِ وانتُظِر مدة طويلة)

٣ ما يثبت خبر الكتاب عن الخطية الاصلية . طالما كان فساد الطبيعة البشرية بسبب عصيان ابوينا الاولين امرًا يندبهُ كل الادباء والفلاسفة والشعراء من الوثنيين القدماء . فدعا ذلك فيثاغورس رفيقًا مميتًا ومحاربًا ساماًّ داخلنا وقد وُلد معنا . ودعاهُ سوباتر خطية مولودة مع الجنس البشري . وقال افلاطون هو الشر الطبيعي وقال ارسطوطاليس انهُ المحارب الطبيعي في الانسان الذي يحارب العقل . وجميع الفلاسفة اليونانيين والرومانيين وعلى الخصوص الرواقيين والافلاطونيين رثوا كثيرًا لحالة الانسان الساقطة الفاسدة لانهُ يميل الى كل ما هو ردي ويكره كل ما هو صالح . قال شيشرون ان الناس يدخلون في الحياة بجسد عريان ضعيف مريض وفيهِ نفس تميل الى شهوات متنوعة . وقال سنيكا ان حالة العقل التي وُلِدنا عليها ليست اقل من حالة الجسد مصائب واضطراباتٍ وبزور الشرور في كل الناس ولو لم تظهر في كل واحد واعترافنا بذلك هو بداية شفائنا . ودعا هيروكليس هذا الشر العمومي شرًّا مستوطنًا في البشر وكذلك شهد اشهر الشعراء منهم بروبرتيوس . قال لكل جسدٍ شر يميل اليهِ طبعًا . وقال هوراتيوس لا يولد جسد حرًّا من عبودية الخطية ومن كان مستعبدًا لاقل الشرور فهو افضل الناس والناس يتسابقون الى الشر ويشتهون دائمًا ما هو ممنوع وفي الشبان لين الشمع لقبول التاثيرات الشريرة وقساوة الصخر في مقاومة الفضائل . وبالاختصار فينا من الجنون ما يكفي ليجعلنا نحارب السماء نفسها وذنوبنا المتتابعة تضطرُّ اله السماء ان يضربنا بغضب صواعقهِ . وقد شهد جوفينال لقول بولس الرسول (رو ٧: ١٤—٢٣) بقولهِ ان الطبيعة الثانية التي لا تتغير تعود الى الشر كما تعود الاجسام الى مراكز ثقلها

٤ عن الهيئة التي تزيَّى بها المجرّب عند ما اسقط ابوينا الاولين . وهذا الخبر عنها تسلسل بالتقليد بين اقدم القبائل وعلى الخصوص بين الفرس والهنود واليونانيين والمصريين وغيرهم والبشر في كل الادوار يعتبرون جنس الحيات اشارة الى الشر والنجاسة . نعم ان بعض الوثنيين كالمصريين والفينيقيين واليونانيين كانوا يعبدون جنس الحيات معتبرين اياها رموزًا الى الارواح الصالحة وما ذلك الاَّ اعتبارًا للتقليد عن ظهور الشيطان على هيئة ظريفة كملاك النور حين جرَّب حواء غير ان عموم العالم في كل الادوار تكره الحية كل الكراهة

رابعًا . عن لزوم الكفارة

ليس في تقاليد الامم وارائهم ما يشهد لصحة تعاليم الكتاب مثل ما شاع من الاعتقاد بلزوم كفارة للخطية ومداخلة وسيط الهي وتقديم الذبائح كفارة عن الخطية لان تلك الاعتقادات وُجِدت

في جميع القرون بين اعظم القبائل بربرةً وتوحشاً والجميع متفقون في اعتقادهم انهُ بدون سفك دم لا تحصل مغفرة . ولم تكن حياة الحيوان تحسب كافية لازالة دنس الخطية وتحويل غضب الله بل كثيرًا ما طُلِب لذلك موت البشر وهكذا جرى على مذابح الوثنيين انهار من الدم البشري . فالكنعانيون اجازوا ابكارهم في النار لكي يحولوا عنهم غضب الهتهم الكاذبة . وقيل عن ملكٍ موآبي انهُ قدم بكرهُ ذبيحةً عند ما وقع في خطرٍ من الادوميين ٢مل ٣ : ٢٧ . ولم يكن هذا الاعتقاد محصورًا في القبائل المجاورة لارض اسرائيل بل نتعلم من مؤلفات هوميروس ان تقديم مئات من ابكار الغنم كان كثيرًا بين اهل بلادهِ

فمن اين اصل هذا الطقس العمومي اي تحريم ابكار الناس والبهائم وتقديمهم محرقات . اليس من الاعتقاد القديم بالسقوط الاول ومن التعليم الالهي عن لزوم الذبائح رمزًا الى الذبيحة الحقيقية المزمعة ان تقدَّم عن خطايا البشر

خامساً . عمَّا ذكرهُ موسى عن طول حياة الناس قبل الطوفان

ان هذه القضية ايضاً مثبتة من مؤلفين كثيرين بين الوثنيين . قال يوسيفوس ان جميع الذين كتبوا اخبار اليونانيين او البرابرة يشهدون بصدق الخبر عن طول حياة الناس قبل الطوفان . وذكر مثالاً لذلك مَنيثو الذي كتب تاريخ المصريين وبروسوس الذي جمع اخبار الكلدانيين وكثيرين غيرهما ممن قالوا ان القدماء كانوا يعيشون نحو الف سنة (انظر يوسيفوس التاريخ القديم ك ١ ف ٣ ر ٩)

فالمؤلفون المشار اليهم اعلاهُ اما اخذوا اخبارهم من التقاليد عن هذا الامر او نقلوها عن اسفار موسى . فان كان الاول فتلك التقاليد هي عن اصل صحيح وهي توافق نصَّ الكتاب وان كان الثاني ينتج لنا من ذلك نتيجتان . الاولى البرهان على ان موسى كان موجودًا حقاً وان اسفارهُ كانت شائعة حينئذٍ وانها كانت جوهريًّا مثل ماهي الآن وانها اقدم من كتب اولئك الكاتبين الذين هم من اقدم المؤلفين الوثنيين . والثانية البرهان على ان تاريخ موسى كان معتبرًا جدًّا وقد حسبهُ اولئك المولفون صحيحاً . فلا ريب في ان لنا في اقدم الاخبار الباقية الى الآن برهاناً على صدق قول موسى عن تلك الادوار القديمة . ونجد مثل هذه التقاليد عن طول حياة الناس في القرون الاولى بين اهالي بورما في الهند الشرقية وبين الصينيين

سادساً . عن خبر موسى عن الجبابرة الذين كان دابهم الاعمال العظيمة والغزو

وذلك مثبت من شعراء اليونانيين واللاتينيين الذين اخبروا بانهُ كان في ادوار العالم الاولى جبابرة عظام . وايضاً من المؤرخين اليونانيين واللاتينيين وعلى الخصوص بوسانياس وفيلوستراتوس

اليونانيين وافلينيوس اللاتيني الذين اخبروا بانهُ غب فتح بعض القبور وُجد ان اجسام الناس كانت في القرون الاولى كبيرة جدًّا

سابعًا . عن الطوفان

ان صدق تاريخ موسى عن الطوفان مثبت من التقاليد العمومية . والمنتظر هو ان هذه الحادثة اذا صارت حقيقةً توجد لها اثار في اخبار الامم الوثنية كما في الكتاب . فانهُ بعيد جدًّا ان حادثة عظيمة ومصيبة مهولة مثل الطوفان يفقد خبرها من بين كل امم العالم وتحصر في امة اليهود فقط. على ان الواقع ليس كذلك بل حُفِظَت تقاليد عن الطوفان بين كل الامم القديمة وتلك التقاليد تشابه خبر موسى عنهُ في وجوهٍ كثيرة

حكى يوسيفوس عن بروسوس مورّخ الكلدانيين انهُ تتبع اقدم المورّخين وكتب عن الطوفان نفس الامور التي ذكرها موسى عنهُ وعن هلاك الجنس البشري بهِ وعن الفُلْك الذي حُفِظ بهِ نوخوس الذي صار مبقيًا للجنس وانهُ حملهُ الفلك الى قمة جبال ارمينيا . وشهد يوسيفوس ايضًا ان هيرونيموس المصري الذي كتب تاريخ الفينيقيين ونيقولاوس الدمشقي واخرون كثيرون ذكروا هذه الامور وايضًا ان قطعة من مولفات ابيدينوس وهو مورّخ اشوري قديم باقية ذكر فيها انهُ تُنبي عن الطوفان قبل حدوثهِ وعن ارسال طيور ثلاث مرات لاجل الكشف عن يبوسة وجه الارض وعن استقرار الفلك في اراضي ارمينيا . وهنا محل لذكر تلك الكتابات البابلية والاشورية المكتشفة حديثًا عن يد العلامة جورج سميث لو لم نكن قد ذكرناها آنفًا

وافلاطون من اليونانيين ذكر الطوفان العظيم وقال انهُ فيهِ خربت المدن وفقدت صنائع مفيدة . ولوكيانوس ذكر اكثر من مرة الطوفان العظيم الذي صار في ايام دبوكاليون وعن الفلك الذي حفظت فيهِ بقية قليلة من الجنس البشري . ولبس عليهِ شبهة بانهُ اخذ ذلك من الكتاب المقدس لانهُ افتتح كلامهُ وختمهُ بقولهِ انهُ اخذ هذا الخبر عن اليونانيين

واعتقد الفرس القدماء بحدوث طوفان عام شمل كل الارض . وقد شاعت تقاليد مثل هذه في الشرق بين الهنود وسكان بورما والصينيين ويستحق الاعتبار بينها تقليد الصينيين لانهُ لا يشير صريحًا الى الطوفان فقط بل الى سببهِ ايضًا . ومثل ذلك ايضًا تقليد الغوثيين والدرويديين القدماء واهل مكسيك وبيرو وبرازيل وسكان كلدونيا التي اكتشفت حديثًا وهنود اميركا الشمالية في نواحي القطب الشمالي وسكان جزائر صند ويج . ومن رام الوقوف على جلية هذه الاخبار فليراجع كتاب الشهادات التاريخية لصدق اخبار العهد القديم تاليف رولنسن الانكليزي

فمن كل ما تقدم يتضح جليًا ان الامم عرفوا جيدًا اشهر ما يتعلق بالطوفان وان تقاليدهم تشابه كثيرًا

خبر موسى عنهُ وان اعتقادنا بوقوع هذه الحادثة موطد على اساس ثابت لا تستطيع هجمات الكفر على زعزعتهِ

ثامنًا . عن حادثة شهيرة جرت بعد الطوفان وهي الاجتهاد ببناء برج بابل تك ١١ : ١—٤ وذلك مذكور في تواريخ الامم . وممن ذكرهُ بروسوس مورّخ الكلدانيين وزاد على كلام موسى انهُ بناهُ جبابرة اشهروا حربًا على الالهة واخيرًا تفرقوا واتت على البرج زوبعة عظيمة هدمتهُ الى الارض . وقال اوسابيوس ان بناء هذا البرج ذكرهُ ايضًا ابيدينوس ويوبوليموس . والارجح ان البرج الذي ذكرهُ هيرودوتس باسم برج بيل هو برج بابل

تاسعًا . عن انقلاب سدوم وعمورة

ان تاريخ هذه الحادثة مثبت صريحًا ما كتبهُ ديودورس سيكولوس واسترابون وسولينوس وتاشيتوس وافلينيوس ويوسيفوس وجميع هولاء تتفق اخبارهم مع تاريخ موسى

عاشرًا . عمّا قيل عن ابرهيم واسحق ويعقوب ويوسف

ذكر يوسيفوس واوسابيوس ان بروسوس وبوليهستوروس ويوبوليموس وميلوس (اللذين نقل عنهما بوليهستوروس) ونيقولاوس الدمشقي وارتابانوس ومورّخون آخرون قدماء كتبوا عن هولاء الآباء ما يوافق اخبار موسى . وقال يوسيفوس ان هيكاتيوس الّف كتابًا عن ابرهيم وكان موجودًا في ايامهِ ولكنهُ فُقِد (التاريخ القديم ك ا ف ٧ ر ٢)

حادي عشر . عن خروج بني اسرائيل من ارض مصر وعبورهم العجيب في البحر الاحمر وهذا الخبر مثبت من بروسوس واسترابون وديودورس سيكولوس وغيرهم

فما تقدم كافٍ لاقناع كل ذي عقل سليم بان الحوادث المذكورة في اسفار موسى مثبتة بشهادات تقاليد ومولفات من كل الامم . فكيف يمكن ان يُعلَّل ما رايناهُ من الاتفاق اذا كان موسى شخصًا وهميًا لم يوجد حقيقةً وكانت الحوادث التي ذكرها بدون صحة

٢ شهادة امور باقية الى يومنا هذا تثبت الكتاب المقدس

وما يمكن ذكرهُ من الامور الباقية الى هذا اليوم التي تشهد لصحة اخبار الكتاب المقدس تعيين سبع من الوقت للرب ورسم المعمودية والعشاء الرباني ووجود اليهود امة مستقلة ووجود الديانة المسيحية . فهذه جميعها حقائق واضحة ظاهرة للعيان . فكيف اعتُبِر يوم من سبعة ايام مقدسًا ليس عند اليهود والمسيحيين فقط بل عند جميع الامم القديمة المتمدنة . ومن اين اصل المعمودية والعشاء الرباني . وكيف لم يزل اليهود موجودين امة مشهورة مستقلة وما هو اصلهم . ومن سلمهم طقوسهم الدينية الخصوصية . وكذلك المسيحيون يمكن ان يبرهن انهم وُجِدوا وانتشروا على وجه الارض منذ

اكثر من ١٨٠٠ سنة فمن اين اصلهم . ومَن اسس لهم هذا النظام. ومن ابن اخذوا ديانتهم وعبادتهم الخصوصيتين . فجميع هذه المسائل واضحة مبنية على امور محسوسة فكيف يجاب عليها . فاذا التجأنا الى الكتاب المقدس نرى اجوبتها سهلة جدًا ولكن اذا طرحناهُ جانبًا لا نقدر ان نجد جوابًا صحيحًا لواحدة منها

ولنا دلايل قوية ايضًا على صحة الكتاب من كثير من الطقوس اليهودية والمسيحية مما رُسِم منها تذكارًا لحوادث . مثلاً ذكر موسى ان الفصح سُنَّ تذكارًا لنجاة بني اسرائيل من ارض مصر . ولا يخفى انهُ من المستحيل امكانية وضع هذا الطقس على الاسرائيليين على سبيل الغش من احد من اهل القرون التابعة . وكذلك لو كانت الحادثة التي رُسِم الفصح تذكارًا لها لم تصر حقيقة لما كان الاسرائيليون قبلوا ذلك من موسى . ومثل هذا يصح ان يقال عن عيد الخمسين الذي كان القصد بهِ ان يذكر الشعب باعطاء الناموس وعن عيد المظال الذي هو تذكار لسكن بني اسرائيل في الخيام وعن عيد الفوريم الذي هو تذكار لتخلصهم من حيلة هامان وعن العشاء الرباني الذي يذكرنا الآن بموت المسيح . فلو كانت الحادثة التي قصد بالعشاء الرباني ان يذكرنا بها لم تحدث اصلاً فكيف يعلَّل رسمهُ وقبولهُ وحفظهُ في الكنيسة جيلاً بعد جيل منذ ابتداء الديانة المسيحية الى الآن

فهذه القضايا تشهد لصدق الكتاب من ذات وجودها وهي من جملة الاسباب التي تجعل رفضهُ غير مستطاع عند اولي العقل السليم

سابعًا . يتبرهن صدق الكتاب المقدس من وحدة المعنى مع التقدم في ايضاح الموضوع

ولاجل ايضاح هذا البرهان نقسمهُ كما ياتي . اولاً ان في الاسفار المقدسة معنى واحدًا مع التقدم في ايضاح موضوعها العظيم يجريان مع مرور الزمان الطويل الذي كُتِبت فيهِ ويجعلانها كتابًا واحدًا موافقًا بعضهُ بعضًا وتامًا . وثانيًا هل لهذه الحقيقة عديل واحد في احدى اديان العالم . وثالثًا اذا بحثنا عن جميع الاحوال هلاَّ نلتزم بالاقرار بان هذا الامر قد تمَّ لا محالة بمداخلة مَن هو اعظم جدًّا من الطبيعة او الانسان وبان الطريق الوحيد لحل هذا المشكل انما هو الايمان بكون ذلك بالحقيقة نتيجة الوحي الالهي

١ لنبحث عن حقيقية وجود وحدة المعنى مع التقدم في ايضاح الموضوع في الاسفار

المقدسة اللذين يجريان مع مرور الزمان الطويل ويجعلانها كتابًا واحدًا موافقًا بعضهُ بعضًا وتامًا.

وهذا الموضوع يُبحث عنهُ تاريخيًا وتعليميًا

١ اما البحث التاريخي فهو بالنظر الى النشوء التاريخي للنسل الموعود . ويكفي هنا القول ان العبرانيين قد كتبوا تقليدًا عنهُ ابتداء من سقوط الانسان غير اننا الآن لا نعتبر هذا التقليد بمنزلة اعلانٍ الهي بل انما ننظر اليهِ بمنزلة اعتقادٍ جارٍ مع مرور الزمان نُقِل من سلفٍ الى خلف من دورٍ الى دور قاصدين ان نتتبعهُ بالاختصار بالنظر الى نموهِ التاريخيّ

وليلاحظ القارئ ان هذا الرجاء التقليدي كان اولاً مختصًا بكل الجنس البشري . وهو انما ينبئ بمجيء فادٍ من البشر بدون ادنى اشارةٍ الى الزمان ولا المكان ولا العائلة التي ياتي منها . فانهُ قيل ان نسل المراة يسحق راس الحية تك ٣: ١٥ . ونستنتج ان هذه العقيدة قد صار الشروع في تسليمها من سلفٍ الى خلفٍ منذ عهد ابرهيم على صورٍ اكثر حصرًا وتحديدًا . لان النسل الموعود قد جُعِل حينئذٍ العطية الخصوصية لبيت هذا الاب لان كلمة الموعد هي وتتبارك فيك جميع قبائل الارض تك ١٢: ٣ . فهذا ما كان ايمان العبرانيين ولو دعاهُ البعض خرافةً اووسواسًا . وهكذا اجتاز من اسحق ويعقوب الى ان وصل الى اسباط اسرائيل الاثني عشر ومملكة داود اذ قيل انهُ قد أُعلن ان عهد الله مع بيت ذلك الملك يكون ثابتًا اي غير قابل الانتقاض وكذلك نسلهُ يثبت الى الابد . قال تعالى لداود متى كملت ايامك واضطجعت مع ابائك اقيم بعدك نسلك الذي يخرج من احشائك واثبت مملكتهُ هو يبني بيتًا لاسمي وانا اثبت كرسي مملكتهِ الى الابد ٢ صم ٧: ١٢ و١٣

ثم صارت الكيفية التي كان ابن داود هذا مزمعًا ان يظهر عليها تنجلي اكثر فاكثر . فان احد الانبياء علم الكنيسة انهُ يخرج من بيت لحم بقولهِ اما انتِ يا بيت لحم افراتة وانتِ صغيرة ان تكوني بين الوف يهوذا فمنكِ يخرج لي الذي يكون متسلطًا على اسرائيل ومخارجهُ منذ القديم منذ ايام الازل مي ٥: ٢ . وقد انبأ نبي اخر ان المملكة التي نقلها بابل ستبقى مذلولة من اعدائها الى ميلاد هذا المتسلط المنتظر زمانًا طويلاً . قال تعالى بلسان نبيهِ حزقيال منقلبًا منقلبًا منقلبًا اجعلها هذا ايضًا لايكون حتى ياتي الذي لهُ الحكم فاعطيه اياهُ حز ٢١: ٢٧ . وقد صرح دانيال انهُ متى اتى المسيح تسقط امة اليهود وذلك بقولهِ وبعد اثنين وستين اسبوعًا يُقطع المسيح وليس لهُ وشعب رئيس آتٍ يخرب المدينة والقدس وانتهاؤهُ بغمارةٍ والى النهاية حرب وخِربٌ قُضي بها

دا ٩: ٢٦ . وقد تكلم عن ذلك ملاخي آخر الانبياء بذات هذ النَفَس ومن ذلك قوله ومَن يحتمل يوم مجيئهِ ومن يثبت عند ظهورهِ . لانهُ مثل نار المحصّ ومثل اشنان القصّار . فيجلس ممحّصًا ومنقيًا للفضة فينقي بني لاوي ويصفيهم كالذهب والفضة مل ٣: ٢و٣

ثم بعد اربع مئة سنة ظهر ذلك الشخص الذي تبيّن ان جميع هذه الصفات قد اجتمعت فيهِ . واما نحن فبما اننا مسيحيون نشعر بانها قد اجتمعت فيهِ حقيقةً ونومن ان المسيح قد اتى من نسل ابرهيم ومن بيت داود وانهُ قد وُلد في بيت لحم وفي وقت انحطاط النسل الملكي وانهُ كان من عواقب مجيئهِ خراب اورشليم بالفعل وتشتُّت الامة اليهودية وتمحيص الكهنوت بنارٍ . واما ما نريد الآن ان ننبّه القارئَ اليهِ فهو انهُ كان نشوء مستمرٌّ زمانًا طويلاً لمعنى واحد ينجلي بالتدريج ويُسنَد باجماعٍ من كتبةٍ شتى كانوا على الاقل من عهد ابرهيم الى القرن الاول من تاريخنا المسيحي . وليلاحظ القارئُ ايضًا كيفية التعبير عن وحدة الايمان في انجيل لوقا في قول زكريا مبارك الرب اله اسرائيل لانهُ افتقد وصنع فداءً لشعبهِ . واقام لنا قرن خلاصٍ في بيت داود فتاهُ . كما تكلم بفم انبيائهِ القديسين الذين هم منذ الدهر . خلاصٍ من اعدائنا ومن ايدي جميع مبغضينا . ليصنع رحمةً مع ابائنا ويذكر عهدهُ المقدس . القسم الذي حلف لابرهيم ابينا لو ١: ٦٨ — ٧٣ . اي انهُ قد وُصِف هنا رجاء واحد مستمرٌّ ومتقدم بانهُ قد اجتاز في مدة نحو الفي سنة وبقي حيًا وزاهيًا الى وقت اتمامهِ

٣ اما البحث التعليمي فهو متعلق بما اقترن بذكر هذا الفادي الموعود من الآمال التي لا ريب في ان حفظها في وحدتها مع نموها الى الكمال مدة طويلة جدًا بواسطة شهودٍ كثيرين ومتنوعين هو من العجب ما يكون عند البشر . وبموجب اقدم تقاليد العبرانيين حُسِب ان النسل الموعود يكون فاديًا من الخطية ولعنتها المقترنة بها . ولكنهُ لم يُقَل اولاً كلمة واحدة عن الوسائط التي بها يتم ذلك الخلاص بل كانت تُعلَن وتنجلي بالتدريج وهي تختصُّ بوظائفهِ الثلاث اي النبوية والملكية والكهنوتية

(١) فلننظر الى وظيفتهِ النبوية او التعليمية

ان هذه الوظيفة قد نصَّ عليها موسى صريحًا بقولهِ يقيم لك الرب الهك نبيًا من وسطك من اخوتك مثلي لهُ تسمعون تث ١٨: ١٥ . ولا نعلم هل فهم العبرانيون كل معنى هذه العبارة حالاً وادركوا الرجاء المبني عليها من جهة الغاء الشريعة الثقيلة بالكلية اخيرًا بواسطة مجيء نبي اعظم من موسى يعطيهم عهدًا اسمى واقدس واثبت ام لا . غير ان الامر معلوم ان هذا الاعتقاد امتد بالتدريج بعد ذلك . فداود لمَّح اليهِ في المزمور الاربعين حيث قال ان الله سبحانهُ لا يطلب الى الابد محرقة

وذبيحة خطية وانهُ سياتي الذي يقول ان افعل مشيئتك يا الهي سُرِرت . وشريعتك في وسط احشائي . بشّرت ببرٍّ في جماعةٍ عظيمة مز ٤٠: ٦–٩ . واشعياء بيّن ذلك باكثر ايضاحٍ بقولهِ ويكون في آخر الايام ان جبل بيت الرب يكون ثابتًا في راس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجري اليهِ كل الامم. وتسير شعوب كثيرة ويقولون هلمّ نصعد الى جبل الرب الى بيت اله يعقوب فيعلمنا من طرقهِ ونسلك في سبلهِ لانهُ من صهيون تخرج الشريعة ومن اورشليم كلمة الرب اش ٢: ٣و٢ . اي ان هذا النبي الموعود كان عتيدًا ان يكون مثل موسى مشترعًا جديدًا لا يعلّم فقط العبرانيين بل امّما كثيرة ايضًا . ولهذا السبب تكلم يوئيل باسم الرب قائلاً ويكون بعد ذلك اني اسكب روحي على كل بشرٍ ... وعلى العبيد ايضًا وعلى الاماء اسكب روحي في تلك الايام يو ٢: ٢٨و٢٩ . وبعد ذلك تكلم ارمياء باكثر ايضاحٍ قائلاً ها ايام تاتي يقول الرب واقطع مع بيت اسرائيل ومع بيت يهوذا عهدًا جديدًا ... بل هذا هو العهد الذي اقطعهُ مع بيت اسرائيل بعد تلك الايام يقول الرب. اجعل شريعتي في داخلهم واكتبها على قلوبهم واكون لهم الهًا وهم يكونون لي شعبًا ار ٣١: ٣١و٣٣ . وقال كذلك في اصحاحٍ قبل هذا ويكون اذ تكثرون وتثمرون في الارض في تلك الايام يقول الرب انهم لا يقولون بعد تابوت عهد الرب ولا يخطر على بالٍ ولا يذكرونهُ ولا يتعهدونهُ ولا يُصنَع بعد . في ذلك الزمان يسمون اورشليم كرسي الرب ويجتمع اليها كل الامم الى اسم الرب ار ٣: ١٦و١٧

وما تقدَّم كافٍ لبيان نمو هذا التعليم بالتدريج في مرور قرون متوالية. فان موسى قال ان النبي الآتي يكون مشترعًا مثلهُ واشعياء قال انهُ يعطي شريعتهُ من اورشليم لجميع الشعوب (اي الامم) وارميا كبَّر صورتهُ باعلانهِ اياهُ ليس فقط على انهُ عهد جديد بل على انهُ جديد جدًّا حتى ان التابوت القديم الذي كان كناية عن عبادتهم الطقسية في ذلك الوقت لا يُعرَف بعد . اي ان النظام الاساسي في عبادتهم يتغير . وقد بين ايضًا ملاخي عظم هذا النظام الجديد تحت رياسة ذلك النبي الجديد وذلك بعد ارميا بميئتي سنة بقولهِ لانهُ من مشرق الشمس الى مغربها اسمي عظيم بين الامم وفي كل مكانٍ يقرَّب لاسمي بخور الخ مل ١: ١١ . وقد مرَّ بعد ملاخي نحو اربع مئة سنة وهذا الرجاء بالنبي الآتي باقٍ كما كان . والعهد الانجيلي كما سُلّم الينا قد اتفق اتفاقًا عجيبًا مع تعليم العهد القديم هذا الذي استمرَّ ناميًا كل ذلك الزمان الطويل . فانهُ لا احد من المومنين ولا غير المومنين يعجز عن ان يرى ان تعليم العهد الجديد موافقًا ومطابقًا لتعليم العهد القديم كما يوافق ويطابق مفتاح محكم الصنعة قفلهُ . اي انهُ ولئن كان ذلك عمل قرون كثيرة كان الرجاء واتمامهُ من الاول الى الآخر متوافقين ومتطابقين تمامًا

(٢) فلننظر الى رجاء اسرائيل هذا الموعود من جهة وظيفتهِ الملكية

ربما ينبغي لاجل بعض الاسباب ذكر هذا القسم اولاً لان تقليد عدن القديم المذكور في سفر التكوين (اي ان نسل المراة يسحق راس الحية) يتضمن اصلاً معنى سلطان عمومي على اجناد الشر. ولذلك من البدء كان الاعتقاد برياسة وسلطانٍ من الخصائص الاعمق في هذا الرجاء بفادٍ آتٍ. فان ابرهيم راهُ يبارك جميع الجنس البشري تك ١٢:٣ ويعقوب راهُ جامع الشعوب تحت سلطان واحدٍ عظيم تك ٤٩: ١٠. وبلعام راهُ محطمًا كل اعدائهِ عد ٢٤: ١٧. وعلى هذه الكيفية كانت الصورة مبيَّنة بامانةٍ راهنة في جميع تاريخ الانبياء. قال اشعياء وتكون الرياسة على كتفهِ ويُدعى اسمهُ عجيبًا مشيرًا الهًا قديرًا ابًا ابديًا رئيس السلام. لنمو رياستهِ وللسلام لانهاية على كرسي داود وعلى مملكتهِ ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن الى الابد اش ٩: ٦. وقال ارميا واقيم لداود غصن برٍّ فيملك ملك وينجح ويجري حقًّا وعدلاً في الارض ار ٢٣: ٥. وقال حزقيال واقيم عليها راعيًا واحدًا فيرعاها عبدي داود هو يرعاها وهو يكون لها راعيًا. وانا الرب اكون لهم الهًا وعبدي داود رئيسًا في وسطهم حز ٣٤: ٢٣ و٢٤. وقال دانيال واذا مع سحاب السماء مثل ابن انسانٍ اتى وجاء الى القديم الايام فقربوهُ قدامهُ. فأُعطي سلطانًا ومجدًا وملكوتًا لتتعبَّد لهُ الشعوب والامم والالسنة. سلطانهُ سلطان ابدي ما لن يزول وملكوتهُ ما لا ينقرض دا ٧: ١٤. وهذا النبي قد نصَّ على هذا على سبيل التشبيه بقولهِ كنتَ تنظر الى ان قُطع حجر بغير يد بن فضرب التمثال على قدميهِ اللتين من حديد وخزف فسحقهما. ثم فسر ذلك بقولهِ وفي ايام هولاء الملوك يقيم اله السموات مملكة لن تنقرض ابدًا وملكها لا يُترَك لشعب آخر وتسحق وتفني كل هذه الممالك وهي تثبت الى الابد دا ٢: ٣٤ و٤٤. وقد قال ايضًا زكريا ابتهجي جدًّا يا ابنة صهيون اهتفي يا بنت اورشليم هوذا ملكك ياتي اليكِ هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن اتان ... ويتكلم بالسلام للامم وسلطانهُ من البحر الى البحر ومن النهر الى اقاصي الارض زك ٩: ٩ و١٠. ولا ريب في ان هذه الآمال كانت لم تزل في وقت ظهور المسيح قوية جدًّا عند اليهود لانهُ ماعدا شهادة العهد الجديد مؤلفات اليهود القديمة بوجه العموم تبرهن ذلك. فان ما ذكرهُ لوقا من هذا القبيل في ص ١: ٣٢ و٣٣ يشمل اعتقاد الامة باسرها وهو قول الملاك هذا يكون عظيمًا وابن العلي يدعى ويعطيهِ الرب الاله كرسيَّ داود ابيهِ ويملك على بيت يعقوب الى الابد ولا يكون لملكهِ نهاية. وهذا كل ما قصدناهُ اي ان نبين فقط للقارئ ان رجاء واحدًا حيًّا بملكٍ آتٍ تربيَّ بين اليهود منذ البدء وانهُ لا يمكن الاشارة الى عصرٍ في تاريخ تلك الامة فيهِ تغاضت عنهُ. ولكن لا نعني ان كل اوصاف هذا الملك النبوية تربت على حدٍّ سواء الى وقت مجيئهِ في قلوب الامة. لان اليهود كانوا مثل كثيرين منا في هذا الزمان يتشبثون

بما هو مفرّح وسارّ ويتغاضون عمّا هو مؤلم وغير مرضي . فان ما قالهُ داود في المزامير عن طريقهِ الى اكاليل صهيون انهُ قد فُتحت في وسط الآلام والاضطهادات واشار بهِ الى الداود المرموز اليهِ وما قالهُ اشعيا عن آلام الفادي وما ذُكِر في محلات اخرى بهذا المعنى لم يقبلهُ اليهود بفرح . ومع ان هذه القضايا قد رُسِمت جليًّا في المكتوبات المقدسة جزءًا من اعلانات الله تعالى المُعترَف بها قد تغاضت عنها الامة اليهودية ونسيتها عند مجيء المسيح لانها غير لذيذة للذوق وصعبة للفهم

واذا نظرنا الآن الى العهد الجديد نرى ان تعليم الاناجيل يتفق تمامًا مع اخبار العهد القديم عن ملك الفادي . لانهُ لاريب في ان يسوع البشير بن قد قبل تعظيم الشعب وتلقيبهم اياهُ ملك اسرائيل الموعود(يو ١٢: ١٣) وانهُ قد اضطُهِد من العالم ورُفِض من رؤساء الامم واليهود وان يديهِ ورجليهِ قد ثُقِبت وان ثيابهُ قد قُسِمت بين اعدائهِ وانهُ سُحق وتذلّل وان الراعي ضُرِب وخرافهُ تشتّتت وانهُ قال انهُ يخرج غالب الموت ثم يُرفَع على عرش صهيون . ونحن المسيحيين نؤمن انهُ لم يزل جالسًا على ذلك العرش حسبما قيل في نبوة اخرى اجلس عن يميني حتى اضع اعداءك موطئًا لقدميك مز ١١٠: ١ .انظر ايضًا اع ٢: ٣٢ – ٣٦ واف ١: ٢٠ – ٢٢ وا بط ٣: ٢٢

(٣) فلننظر الى المسيح في وظيفتهِ الكهنوتية

اما ممارستهُ هذه الوظيفة فقد نُصَّ عليها جليًّا في العهد الجديد والرسالة الى العبرانيين بغض النظر عن غيرها تتضمن برهانًا قاطعًا وغيرقابل المراء على هذا الامر انظر عب ٢: ١ و٤: ١٤ و٥: ١٠ و٨: ١ و٩: ١١ . وليس اقل وضوحًا من ذلك كون القصد بالطقوس الموسوية ورئيس الكهنة الموسوي هو الاشارة الى فادٍ آتٍ يكون الكاهن العظيم لشعبهِ ويقدم بشخصهِ ذبيحةً تامة ومستحقة كل اعتبارٍ لاجل خطايا الشعب انظر ا صم ٢: ٢٥ حيث قيل اذا اخطأ انسان الى انسان يدينهُ الله فان اخطا انسان الى الرب فمن يصلي من اجلهِ وقيل ايضًا في مز ١١٠: ٤ اقسم الرب ولن يندم. انت كاهن الى الابد على رتبة ملكي صادق. واوضح نص في العهد القديم على كهنوت المسيح وتقديم نفسهِ ذبيحةً كفارة عن الخطايا انما هو في اشعياء ٥٣: ٤ – ٦ و١٠ و١١ حيث قال لكن احزاننا حملها واوجاعنا تحملها ونحن حسبناهُ مصابًا مضروبًا من الله ومذلولاً . وهو مجروح لاجل معاصينا مسحوق لاجل اثامنا تاديب سلامنا عليهِ وبحبرهِ شفينا. كلنا كغنمٍ ضللنا ملنا كل واحدٍ الى طريقهِ والرب وضع عليهِ اثم جميعنا. اما الرب فسرَّ بان يسحقهُ بالحزن. ان جعل نفسهُ ذبيحة اثمٍ يرى نسلاً تطول ايامهُ ومسرة الرب بيدهِ تنجح . من تعب نفسهِ يرى ويشبع وعبدي البار بمعرفتهِ يبرّر كثيرين واثامهم هو يحملها

والمثايل الرمزية لطقوس اليهود القديمة تجد اتمامها الكامل والكلي في المسيح كاهن العهد الجديد الافضل . فان الكاهن الذي كان مزمعًا ان ياتي ويقدم ذبيحة تامةً وكافية لازالة ذبائح الفرائض الموسوية غير التامة والمكرر استعمالها دائمًا كان موضوع النبوة في العهد القديم عند امة اليهود وانتظارها الدائم . والكاهن الذي اتي وكوسيط عهدٍ جديد قدم الذبيحة كان موضوع كتبة العهد الجديد . وفي هذا ايضًا نرى ذات سرّ وحدة المعنى مع التقدم في ايضاح الموضوع في اسفار العهدين القديم والجديد موضحة من وظيفة المسيح الكهنوتية

فنرى في كل هذا اعتقاد واحد يجري في مجرى متصلٍ في قرون متوالية على هيئة آمالٍ منبا عنها تتفق اخيرًا بالتدقيق مع اقوال العهد الجديد التاريخية والتعليميةّ من جهة ذلك الذي قال انهُ قد ظهر على انهُ هو الفادي الموعود بهِ

وكان يمكننا ان نبين بالتفصيل لو كان ضروريًا لمقصودنا الآن ان التعليم المسيحي عن الفداء يفسر معنى جميع الصفات الكهنوتية في الفرائض الموسوية ويبين معناها المستتر بجمالٍ وبيانٍ عجيبين . وليس من مقصودنا الآن ان نبحث عن ذلك التعليم هل هو صحيح ام لا بل ان نبين انهُ اذا اتخذناهُ كما هو منصوص عليهِ يوافق كمفتاحٍ من ذهب باب فهم معاني فرائض العهد القديم الطقسية ويتفق مع الايمان والرجاء اللذين نميا بالتدريج بين شعب قد دخل في عهدٍ عظيم مع الله قبل ذلك بنحو الفي سنةٍ او اكثر

٢ . هل لهذه الحقيقة عديل واحد في احدى اديان العالم

١ فلننظر الى مصر القديمة . فلا ريب انهُ وُجد في تلك البلاد آلهة وآلهات كثيرة في مدة ثلثة الاف سنة . وبموجب هذا المعنى نسلم بوجود وحدة الاعتقاد في ديانتهم ولكنهُ لم يوجد تقدُّم التعليم فيها ولا صورة ايمان متسلسل من قرن الى قرن ومبني على النبوة بشخصٍ آتٍ يجمع في نفسهِ رجاء وسعادة جميع الامم واخيرًا يردُّ العالم الى مملكة سلامٍ عمومي ومحبة وبرٍّ . واذا قيل انهُ كان بين فلاسفة اليونانيين والرومانيين القدماء تقدُّم عظيم في التعليم نجيب نعم . لان كل فلسفة تتضمن طلب الحق وحيث يوجد روح البحث باجتهادٍ عنهُ لا بد من تقدمٍ عقلي على درجاتٍ متفاوتة غير ان اولئك الفلاسفة لم يظهروا شيئًا من الوحدة في تقدمهم . فان البعض منهم آمنوا بالهة بلادهم الباطلة دون البعض . والبعض ابتداوا يبحثون عن الحق بدرس الطبيعة الخارجية والبعض بانكار وجود المادة حقيقةً . والبعض اعتقدوا ان الله والكون هما واحد وغيرهم ان الله والكون كانا ممتازين منذ الازل . والبعض اعتقدوا ان اللاهوت لم تهمهُ امور البشر ولم يسال عنها وغيرهم بالعكس تمامًا . وليس نهاية لايراد الاختلافات الكلية التي فصلت افضل هولاء الفلاسفة بعضهم

عن بعض في اثناء الاجيال المتنوعة التي نبغوا فيها ويكاد يقال انهم لم يجمعوا على امرٍ واحد منهم .
واذا بحثنا الى الابد عن مكتوبات تتضمن وحدة المعنى مع التقدم في بيان فكر واحد ديني يختص بالمستقبل لا نجد شيئًا منها مطلقًا ولم يدّعِ احد بانهُ وجد شيئًا من ذلك لان جميع تلك المؤلفات الدينية او الفلسفية انما كانت كما ينتظر ان تكون اي مجرّد نتيجة نور طبيعي . نعم ان كثيرًا منها يدل على ادراك وتعمُّق في التامل وحاسيات معتبرة غير انها دائمًا مناقضة بعضها لبعض ومتضادة وهي تتضمن بينات جلية على انها نتائج عقول مستقلة مجرّدة عن تاثير الوحي الفائق الطبيعة الذي يربطها معًا براي واحدٍ

٢ ماذا نقول عن الصينيين الذين تواريخهم المعوَّل عليها تتقهقر اكثر جدًّا من تواريخ اليونانيين والرومانيين وذلك من عصرنا الحاضر الى نحو سبع مئة سنة قبل المسيح . فان ديانة تلك المملكة العظيمة تشبه في بعض الاعتبارات ديانة المصريين القدماء اكثر من ديانة اليونانيين والرومانيين حتى توجد مشابهة بينها وبين ديانة العبرانيين لان فيها كتبًا واسفارًا دينية

ولكن جميع الذين اطلعوا عليها يلاحظون انهُ ولئن كانت تتضمن مقدارًا من الوحدة الادبية هي بالحقيقة محدودة ومقيدة وعديمة التقدُّم ولم تتجاوز الامور المحسوسة . فلم يوجد في تلك البلاد كتب تشبه كتب العبرانيين المقدسة التي ليست فقط اكثر عددًا من الكتب الصينية بل فضلاً عما تتضمنهُ من الامور السياسة والادبية كالكتب الصينية هي مملوة من الآمال الحارَّة المنبئة عن الزمان الآتي

٣ فلننظر الآن الى الديانة البوذية. فان تلك الديانة ان لم تكن الاقدم فهي على كل حال ممتدة اكثر من غيرها في العالم باعتبار كثرة عدد تابعيها لا بحسب اتساع البلدان الممتدة فيها اذ تقدر ان تفتخر بثلاث مئة مليون نفس منضمّين اليها

وهي تفتخر ايضًا بكتبها الدينية غير انها كالكتب الصينية ناقصة في ايضاح رجاء عن المستقبل ينمو وينجلي مع مرور السنين . لان في قواعد ايمانها فكر واحد عن السعادة العظمى وهو الانتقال من الوجود الى حالة عدم الشعور التام او الى المحق المطلق . والرجاء الوحيد الاقصى الذي تقدمهُ للانسان مع شدة اقتناعها بالشقاوة الحاضرة في هذا العالم هو الانحلال من قيود الشخصية . نعم ان فيها كثيرًا ما يستحق الاعتبار والمدح بخصوص واجبات هذه الحياة واحساناتها ومغفرة الزلات والخضوع تحت المصائب. ولكن اذا نظرنا الى ما تتضمنهُ من الاعتقاد عن المستقبل لا نراها تستحق المقابلة مع اسفار العبرانيين المقدسة مطلقًا التي مع انهُ كان امامها ما كان امام البوذية من الشقاوة كانت دائمًا تمدُّ وتكشف صورة شخصٍ واحدٍ حيٍّ عتيد ان ياتي لينقذ العالم من آلامهِ .
وكان يقوم معلمٌ بعد اخر ويرسم خطًّا جديدًا على هذه الصورة ما يزيد اتمامها التاريخي عربسةً

وصعوبةً. واما تلك اي البوذية فليس فيها آمال عن شخصٍ حيٍّ عنيدٍ ان ياتي لتمنحها لتابعيها . فجميع هذه الامور كانت مجهولة عند البوذيين بقدر ما كانت مجهولة عند اهل الصين وكذلك عند المصريين واليونانيين والرومانيين القدماء

٤ وهل بين تلك الديانة والبرهمية في الهند فرقٌ . نعم ان هذه الديانة تقدر ان تفتخر بالحق بكتبها الدينية ولكن ما هي وحدة الاعتقاد التي فيها . فاننا نسلم بوجود كثير من التقدم فيها ولكن لا نرى فيها الاّ قليلاً من الوحدة . لان في كتب الفيدا (وهي من كتبهم الدينية الاصلية) صلوات وترنيمات كثيرة لقوات الطبيعة تتضمن افكارًا سامية تعبر عن شوق البرهمي وهو يطلب الاقتراب من الروح الالهي ولكن في الكتب التالية نصل الى آلهة ورذائل يخجل الانسان من الافتكار فيها وكم بالحري من ذكرها . ففي وقتٍ تامر بالسجود لبرهم وفي اخر تجعل عبادة وشنو مكانه ثم تاتي عبادة سيوا الصارم القاسي وقد نتج من الكل هياكل فيها ملايين من الآلهة. فصوت ديانةٍ كهذه هو بالحقيقة شهادة لشوق الجنس البشري داخلاً الى اعلانٍ من الله ولا ريب ان كل ما تشتمل عليه تلك الكتب من المضامين سواء كانت واضحةً او غامضة هو اشتياق القلب البشري الى معاشرة العالم غير المنظور

واذا كان وشنو قد وُصِف في تلك الكتب بانه اعلن نفسهُ من وقتٍ الى اخر لاجل خير العالم فابن النبوة عن ظهوره اخيرًا والاتحاد في المعنى مع التقدم في ايضاح الصورة في ما كتبهُ الكتبة الهنديون المتواليون في اثناء الفي سنة او اكثر قبل وصولهِ الملحق ايضًا بقصة ذلك الظهور التاريخية في اتفاقٍ واسع مع خصائص صورتهِ الجوهرية المرسومة سابقًا . فلا يحاول كشف ذلك الاّ المجنون. اما ظواهر كهذه فلا نجدها الاّ في الديانة العبرانية . فان تلك النبوات العبرانية قد مرَّ عليها ادوار وهي تمتدُّ وتتسع الى غير نهاية بدون امكان مناقضتها من احد . وهي الآن قائمة بين اديان العالم منفصلة انفصالاً تامًّا عن كل ما يقوم في جانبها

٣ اذا بحثنا عن جميع الاحوال الا نلتزم بالاقرار بان هذا الامر قد تمَّ لا محالة بمداخلة من هو اعظم جدًّا من الطبيعة او الانسان وان الطريق الوحيد لحل هذا المشكل انما هو الايمان بكون ذلك بالحقيقة نتيجة الوحي الالهي

واذا نظرنا اولاً الى هذه القضية وحدها بدون التفات الى متعلقاتها علينا ان ننتبه الى ثلاثة امور

(١) ان في العهد القديم تسعة وثلاثين سفرًا كانت بدون شك جميعها موجودة في ايام

انطيوخوس ايبفانيس قبل المسيح بنحو مئتي سنة

(٢) ان هذه الاسفار التسعة والثلاثين وان لم يكتب جميعها الاشخاص المنسوبة اليهم لا يقبل المراء البتة انها تنصُّ على ذينك الايمان والرجاء الناميين لقرون متتابعة من عهد ابرهيم الى المسيح

(٣) ان من داب رجاء العبرانيين الديني هذا ان يتثبت ويتوسع بالتدريج بواسطة معلمين شتى متتابعين ووسائط متنوعة وان ينظر الى مجيء مخلصٍ حيٍّ شخصيٍ يدخل الخلاص بواسطة تجسدهِ الى كل العالم

وهذه القضية لا شبيه لها في تاريخ العالم الديني وكلما نظرنا بالتدقيق اليها يتبين لنا ذلك اكثر

واذا اعتبرنا ثانيًا الاحوال المقترنة بهذا الامر ينبغي ملاحظة القضايا الآتية

(١) ان الشعب المتمسك هذا التمسُّك الشديد بهذا الرجاء الثابت مع كونهِ ناميًا كان خاضعًا لاعظم تقلبات الدهر. غير انهُ مع كل ما اصابهُ من الانقلابات السياسية بقي نفس هذا الرجاء العظيم ثابتًا عندهُ ولم يستمر على حالةٍ واحدة بل عوضًا عن انحطاطهِ ارتفع اكثر وامتدَّ امتدادًا اوسع وصار مصورًا باكثر تدقيقٍ

(٢) ان الكتبة الذين اوضحوا هذا الرجاء كانوا من رتبٍ شتى ملوكًا وكهنة وانبياء وولاة ورعاة. ومع انهُ ينتظر من ذلك اختلاف شهاداتهم كانت بالحقيقة واحدة . فانهُ ولئن كانوا متفاوتين جدًّا بالتربية والرتب وبالعوائد والاطوار واختبار ما يختص بامتهم كان امام عيونهم جميعًا هيئة واحدة حية لفادٍ واحد آتٍ وقد صوَّرهُ كلٌّ منهم بدون اختلاف او مناقضة للآخر بالوان البهاء الكلي

(٣) ان بعض القضايا المبيَّنة في هذه الصورة المكملة اخيرًا كانت من الامور المنظورة التي تقبل اوضح دحضٍ ممكن اذا فرضنا ان النتيجة لا تتفق معها . وفضلاً عن ذلك وصف صفات هذا الانسان ووصف احوالهِ وازمنتهِ أُكمل منذ نحو اربع مئة سنة قبل مناداة جماعة جديدة من الكتبة باتمام تلك الصفات في شخص يسوع المسيح . اذًا كان في امتداد هذه الوحدة لهذا الرجاء المنبإ عنهُ زمانًا طويلاً بهذا المقدار بابٌ واسعٌ مفتوحٌ للتهمة بالغلط لو كانت الحوادث الاخيرة لا توافق الوصف

(٤) وبعد وقت انطيوخوس ايبفانيس ليس باقل من مئتين وخمسين سنة كتب الرسول بولس الرسائل الى الرومانيين والغلاطيين والكورنثيين المتضمنة اشارات كثيرة تاريخية الى وجود يسوع الناصري . ولكي لا نطنب في الكلام نخصُّ بالذكر ثلاث قضايا فقط يتبين منها الاتفاق الواضح بين هذه الرسائل والعهد القديم. (١) ان بولس يصرّح في هذه الرسائل بان المسيح مع

انهُ كان من نسل داود وملك موعود من زمانٍ طويل بانبياء العهد القديم رو ١:٣ و٢ قد أُهين ورُفِض من امتهِ اكو ٢:٨ و٢٤:١٠ . (٢) يبين ان المسيح لم يعترف بهِ المؤمنون فقط بانهُ نبي (اي معلم عظيم روحي) بل كانت ايضًا نتيجة تعليمهِ ادخالهم في عهدٍ جديد قد صار واسطة لابطال وجوب بعض الفرائض اليهودية القديمة كالختان والفصح غل ٥:٢و٦ و٦:١٥ و اكو ٥ :٧و٨ وجعل ناموس موسى يُخلي مكانهُ لنظام انجيلي جديد يترحب بالامم كاليهود رو ٩:٢٤ — ٣٠ و ١٠ :١٢ و٢ و١٥:١٦ (٣) يعلّم ان هذا النظام المتغيّر كان في وقتهِ آخذًا بتدمير كل الامة اليهودية بالفعل رو ١١:٧—١٠ وايقاع جميع الارزاء التي انبأَت عنها الانبياء عليها . ولا حاجة الى بيان كون هذه الحوادث قد تمت في خراب اورشليم عن يد تيطس وفي سلب الشعب اليهودي وتبددهِ في كل العالم. فهذه ثلاث قضايا لا يمكن انكارها وهي خارجة بالكلية عن دائرة الخرافة او العجيبة والامر واضح انها حوادث تاريخية صحيحة وهي متفقة اتفاقًا تامًّا مع نصوص العهد القديم التي كُتِبت من اربع مئة الى الفين سنة قبل حدوثها

وقد اقتصرنا على ذكر هذه القضايا الثلاث للاختصار فقط لانهُ يمكننا ايراد كثيرٍ غيرها . وبما انها كافية للمقصود نسال القاري ان يعلل بدون الالتجاء الى الوحي الالهي اذا امكنهُ هذه الوحدة في التعليم مع التقدم في ايضاح الموضوع اللذين يجريان في مدة الفي سنة وما ينوف وقد كملا تمامًا في مسيح العهد الجديد كما رُسِما قبلاً

فقد راينا آنفًا انهُ لم يكن مثل هذا في ديانةٍ اخرى في العالم . فما الذي يعلل بهِ هذه الظواهر الفريدة في ديانة العبرانيين . ان بين اسفار العهد القديم المقدسة واسفار العهد الجديد نحو اربع مئة سنة فكيف وُجِدت سلسلة تعليمٍ واحدة ممتدة في كليهما اي رجاء واحد منبأ عنهُ في الواحد ومتمم في الآخر . فهل نقدر ان نعلل هذا باسباب طبيعية بشرية

فلنتامل في ان هذه الوحدة في الرجاء بفادٍ آتٍ مع دوامها قرونًا كثيرة هي طبعًا بعيدة الامكان ولاسيما اذا اعتبرنا ما ينشأُ في افكار البشر من التغيير والانقلاب بسبب كثرة المعلمين المتمسكين بمذاهب متنوعة واختلافهم بعضهم عن بعض في طبيعة عقولهم واطوارهم الشخصية . واذا فرضنا عدم وجود اعلانٍ خارجيّ ونسبنا هذه الكتابات الغريبة المعتبرة الى حذاقة عقلٍ بشريّ او اوهام الانسان فكيف نعلل اذ ذاك وحدة شهادتهم في هذا الموضوع وتقدُّمهم التدريجي من قرن الى آخر في ايضاح نبوتهم عن الشخص الآتي بدون اختلاف او مناقضة بعضهم لبعض ولاسيما كما ذكرنا سابقًا اذا اعتبرنا ان هولاء الكتبة كانوا من رتبٍ شتى وفي عصورٍ متنوعة ومن امةٍ حياتها السياسية والدينية تحت طائلة تقلباتٍ كثيرة اذ ان جميع الامور كانت تؤُول معًا الى تبطيل وملاشاة وحدة الفكر في

سلسلة اناس طويلة بهذا المقدار وتحت هذه الظروف المختلفة جدًّا غير انها لم تقدر على ذلك البتة. واذا قدر احدٌ ان يذكر لنا مثلاً واحدًا في ديانة اخرى قريبًا في صفاتهِ من ذلك نكتفي بهِ. ولكن ذلك لا يمكن. ولذلك نعتقد ان هذا الامر هو اتفاق عقليٌّ عجيب يشبه العجائب الحقيقية حتى لا يمكن تفسيرهُ الاَّ بافتراض حدوثهِ بوحي الهي . فهذا هو تفسيرنا وعلى المعترض ان ياتينا بافضل منهُ

وهذا الامر يؤيَّد اكثر جدًّا اذا تاملنا ايضًا في انهُ لم تكن فقط وحدة في الاحساسات الروحية الظاهرة في اسفار العهد القديم واسفار العهد الجديد من جهة رجاء اسرائيل هذا الموعود بل ايضًا اتفاقٌ تام بين النبوة بحوادث مختصة بهِ في الواحد واتمامها في الآخر

فقد راينا ان نصوص العهد القديم يتعلق صدقها على اتمام ثلاث حوادث مستقبلة وهي (١) ان الفادي متى ظهر يضادُّ ويُضطهَد ويُرفَض ويُقتَل من شعبهِ. (٢) ان نتيجة تعليمهِ تكون ادخال عهدٍ جديد بواسطتهِ يخلي ناموس موسى مكانهُ لنظامٍ جديد ويمنح من النعم للامم كما لليهود. (٣) ان هذا النظام المتغير يسبّب ابادة امة اليهود. وقد راينا ايضًا من شهادة اربع من رسائل العهد الجديد لم يُشَكّ ابدًا في قانونيتها كُتِبت نحو مئتين وخمسين سنة بعد عصر انطيوخوس ابيفانيس ان تلك الامور كانت آخذة في اتمام تاريخي حقيقي على كيفية لا يصح البتة ان تُحسب من العجائب ولا ان تُحسب خرافاتٍ بل هي حوادث اعتيادية تاريخية لم تزل غير قابلة المناقضة ولا الجدال . ولذلك نطلب من الجاحد تفسيرًا على مبادي طبيعية يقبلهُ العقل لهذا الاتفاق العجيب بين الحوادث المنبا عنها واتمامها

ولا بد لهُ لاتمام ذلك ان يلتجئ الى احدى الطرق الآتية وهي اما ان يبرهن (١) ان هذه الاقوال في العهد القديم لا تشير الى الفادي الآتي . (٢) او اذا كانت تشير اليهِ فهي اوهام الحذاقة البشرية فقط اي تصورات عقول حاذقة عن محتملات مستقبلة قد تمت على طريقة عجيبة وغير منتظرة بسلسة مطابقات اتفاقية . (٣) او بما انها مجرد تخمينات واوهام قد رُكّبت الحوادث التالية من المسيح ورسلهِ عمدًا لتكون اتمامًا موافقًا لها

فاذا عوّل على اولى هذه الطرق نقابلهُ بصعوبة نظيرها. وهي انها تناقض صريحًا اسلوب اكثر التفاسير القديمة اليهودية كتفسير الاصحاح الثالث والخمسين من اشعيا مثلاً الذي انما تغاضى عن تفسيرهِ عن المسيح علماء اليهود المتاخرون كما قال جيسينيوس انهُ لم يترك هذا التفسير المسيحي الاَّ اليهود المتاخرون ولا ريب في ان ذلك كان بسبب جدالاتهم مع المسيحيين . وليس نهاية لتقديم براهين على هذه القضية ولا لزوم لذلك ايضًا لانهُ مهما برهن العقليون المتاخرون ضد ذلك فالامر موكد ان جميع آراء الكنيسة اليهودية القديمة مضادة لهم

واذا عوّل على الطريقة الثانية متمسكًا بان هذه النبوات عن المسيح الآتي كانت مجرد اوهام الحذاقة البشرية قد تمت على طريقة عجيبة وغير منتظرة بواسطة مطابقات اتفاقية نطلب منهُ البرهان على وجود اوهام عند اليهود منذ الف سنة قبل المسيح بمجيء مخلص على هذه الصورة . ثم الم يكن كل شيء مضادًا لذلك . هل ربَّى آمالاً شعبية . وهل كان موافقًا لحاسيات ذوي المحبة الجنسية . وهل انقادوا اليهِ بمبدا واحد في التعاليم الموسوية . الم تكن جميع الآمال التي اجتمعت حول ملك اسرائيل هذا المنتظر طبعًا تربي الرجا بالفرح والغلبة . فنبوات اليهود بان مجيء ملكهم ينتج سقوط امتهم اوانهُ متى ظهر يُخرِّب هيكلهم وينسخ ناموسهم ويدخل نظامًا جديدًا بالكلية اوان مجيء هذا الملك يمتاز برفضهِ وموتهِ لايمكن ان تكون نتيجة حذاقة بشرية ولا تخمينات مؤسسة على تمييزات دقيقة . فالبحث اذًا عن اصل طبيعي لهذه التعاليم عبث لا محالة

واذا اتخذ الطريقة الثالثة اي ان هذه التعاليم انما هي تخمينات تولدت اولاً كاوهام ثم عُبِر عنها باحكام ثم صيغت في قوالب الحقائق من المسيح ورسلهِ الذين تمموها عمدًا على كيفية بها يكون الاتمام موافقًا للاوهام فليوضح لنا كيف صُنِعت . اما هذا القول فيمكن ان يصدق على بعض القضايا من الاخبار الانجيلية كدخول ربنا الى اورشليم راكبًا على حمار وعلى جحش ابن اتان زك ٩:٩ . او ابتداء خدمتهِ في الجليل انظر اش ٩: ١ لان هذه الامور وما اشبهها تحت سلطانهم تمامًا واما باقي الامور فليست كذلك البتة لانها تختلف جدًّا عن هذه

ولذلك نعتقد ان الديانة المسيحية هي استمرار عجيب لديانة العهد القديم العبرانية واتمامًا لنبواتها . وهي المفتاح الوحيد الذي يفتح على طريقة يقبلها العقل المعنى التام لاسفار العهد القديم المقدسة . وندافع عن كون القضايا المتقدمة لنا الآن فوق كل قوة بشرية وانهُ لا شيء مثلها في تاريخ ديانة اخرى في العالم . فالراي المتروك لنا اذا اردنا ان نعللها تعليلاً لايقًا هو الاعتقاد بالوحي الفايق الطبيعة الذي بموجبهِ يتضح كل ما تقدم . لانهُ يري بين السبب والمسبَّب علاقة يقبلها العقل وبدونهِ يكون بحثنا عن طريق لحل هذا المشكل عبثًا وباطلاً . لذلك نقول ان وحدة المعنى في الاسفار المقدسة مع التقدم في ايضاح الموضوع يبرهنان صدقها

ثامنًا . يتبرهن صدق الكتاب المقدس من اتفاق الكتبة على كثرة عددهم واختلاف ازمنتهم وعلى الخصوص من المطابقة غير المقصودة في مؤلفاتهم

ان في الكتاب المقدس كلهِ وحدةً في التعاليم الدينية وفي المحاماة عن المبادئ الادبية المقرَّرة

فيهِ من معلمين بعيد بن بعضهم عن بعض زماناً ومكاناً. اي انهُ كان لجميعهم غاية واحدة فلا يختلفون بعضهم عن بعض ولا يعارض احدهم الآخر في المبادىء والواجبات الدينية التي يقررونها والتي يناضلون عنها . وكذلك نجد بينهم في ما يوردونهُ من الحوادث التاريخية اتفاقاً لا نظير لهُ في التواريخ العالمية وعلى الاخص في كتب مولفين بعيد بن نظيرهم بعضهم عن بعض زماناً ومكاناً . والامر واضح انهُ لو وُجد اختلاف حقيقي بين التعاليم الدينية التي علمها الكتبة المقدسون لفسدت دعوى الهامهم وبالعكس اتفاقهم التام هو برهان راهن على الهامهم

ولهذا الاتفاق بين الكتبة المقدسين اعتبار كلي ولا سيما لما هو غير مقصودٍ منهُ . فاذا امكن بيان وجود مطابقات غير مقصودة ومجردة عن غايةٍ تكون لا محالة تلك المطابقات براهين اتفاقية على خلوص نية اولئك الكتبة وصدقهم وعلى ارشادهم من الوحي الذي عصمهم من الغلط في القول والكتابة . ولذلك في سياق هذا البرهان سنتتبع بالتدقيق هذه البينات على المطابقة الاتفاقية في الكتاب المقدس متخذينها برهاناً قاطعاً على صدقهِ . ولاجل المناسبة نقسم ما اوردناهُ من ذلك على هذا الموضوع كما ياتي

اولاً . المطابقات الاتفاقية في اسفار موسى الخمسة

ثانياً . " " " الاسفار التاريخية

ثالثاً . " " " الاناجيل الاربعة وسفر الاعمال

رابعاً . " " " الرسائل

١ المطابقات الاتفاقية في اسفار موسى الخمسة

١ قد ذُكِر في تك ص ١٨ محادثة غريبة جرت بين ابرهيم وشخصٍ سامٍ يسمّى فيها الرب . فان الله لهُ المجد قد سُرَّ بان يعلن لابي المؤمنين عزمهُ على سرعة ابادة مدينتي سدوم وعمورة اللتين قد كثر صراخها وعظمت خطيتها جدًّا . وقيل ان ابرهيم قد أُنبئ بهذه الاخبار المحزنة على طريقة عجيبة وانهُ لم يسلم بالخضوع التام لتلك الارادة السامية قائلاً ليفعل الرب ما يحسن في عينيهِ بل حالاً شرع يدافع عن تلك المدينة المجرمة باحساسات عميقة جدًّا ويتوسل الى الرب ان لا يهلك البار مع الاثيم . ولما علم انهُ ماذون لهُ ان يتكلم بكل جراءةٍ تضرَّع الى الله اولاً ان يصفح عن مدينة سدوم لاجل خمسين باراً ولما ازداد جراءةً بواسطة ابتهالات متوالية اليهِ تعالى اخذ يلتمس منهُ لها الرحمة ايضاً حتى وعدهُ اخيراً انهُ ان وجد فيها عشرة ابرار لا يهلكها لاجلهم

فما الذي حمل ابرهيم على تكرار الابتهال الى الله بكل الحاحٍ لاجل تلك المدينة . هل كان ذلك من مجرد الاحساسات الانسانية . نعم لم تُذكَر غاية وربما ظن البعض ان هذه الاحساسات وحدها

كافية لتحمله على ما صار . اما نحن فعندنا انهُ كان في عقل ابرهيم قصد آخر خصوصي قد حركهُ لذلك . وهو انهُ لما سمع ذلك الخبر تذكر حالاً ان لوطًا ابن اخيهِ وكل عائلتهِ قاطنون في تلك البلدة التي تحت اللعنة تك ١٣ : ١٤ فتحرَّك للصلاة لاجلها . لانهُ لما تضرع لاجل سدوم لم يُقل انهُ ادخل عمورة ومدن الدائرة الاخرى في شفاعتهِ مع انها كانت محتاجة الى ذلك نظير سدوم . ولماذا اهملها اليس لانهُ لم يكن لهُ رغبة شديدة في نجاتها كما في نجاة سدوم . وتكرار تقليلهِ عدد الذين يكونون سببًا لخلاص المدينة يبين ايضًا انهُ رجا ان عائلة لوط وحدها تشتمل اقل ما يكون على هذا العدد اي عشرة ابرار يخمدون غضب الله ويردونهُ

حقًا ان الرغبة في خير الانسباء القريبين نظير لوط والاجتهاد في انقاذهم مما يشعر بهِ ابرهيم طبعًا كما فعل مرةً قبل ذلك مخاطرًا بحياتهِ لينقذ لوطًا هذا من الملوك الذين اسروهُ . وحقًا كان امرًا طبيعيًا ايضًا ان احساساتهِ الاهلية تظهر في صلواتهِ الحارة . ولو ذُكِر صريحًا في سياق الكلام نسبتهُ الى لوط تفسيرًا لرغبتهِ في خلاص سدوم لما حسبنا والحالة هذه التفسير الظاهر خاليًا من القصد . ولكن هذا الامر غير مذكور صريحًا بل نحصل على معرفتهِ من البحث والتمعن . ويمكن ان نقرا كل ذلك الاصحاح بدون ان نرى فيهِ اشارة واحدة الى انهُ كان لهُ ذو قرابة على بعد ايام من المكان الذي هو فيهِ . والخلاصة ان ابرهيم قد تضرع لاجل سدوم برغبة عظيمة ولم يتضرَّع لاجل مكان آخر من تلك الاماكن التي كانت تحت الخطر كسدوم ووصل بتنقيص العدد الى عشرة على امل وجود هذا العدد من الابرار في عائلة لوط الموجودة هناك كما نستنتج من غير هذا الاصحاح

ومما يستحق الملاحظة هنا ما سنجد نظيرهُ كثيرًا في مجرى هذا البرهان وهو ان هذا الدليل على الصدق مقترن بحادثة تحسب بالحقيقة من العجائب . نعم لا يسوغ ان نعدَّ دلائل كهذه على صدق الاقسام الطبيعية لقصةٍ تبرهن صدق اقسامها الفايقة الطبيعة غير انهُ اذا اقترن ما هو حسب الطبيعة بما هو فوق الطبيعة في قصة واحدة فبرهان صدق ما هو حسب الطبيعة يرجح صدق ما هو فوق الطبيعة

٢ ان الاصحاح ٢٤ من التكوين يذكر ارسال عبد ابرهيم الامين الى ارام النهرين لكي ياخذ امراة لاسحق من بنات عشيرة ابرهيم التي بقيت ساكنة في حاران . فقام هذا العبد وذهب الى هناك حسب امر سيدهِ واتفق وصولهُ الى قرب المدينة في وقت خروج المستقيات . فصلى الى الله ليعطيهُ علامةً يعرف بها الفتاة التي عينها تعالى امراةً لاسحق من بنات المدينة واذ كان لم يفرغ بعد من الكلام اذا رفقة التي وُلدت لبتوئيل ابن ملكة امراة ناحور اخي ابرهيم خارجة وجرَّتها

على كتفها . ولما طلب منها ان تسقيهُ اجابتهُ اشرب ياسيدي . ولما فرغت من سقيهِ قالت استقي لجمالك ايضًا . فهذه هي العلامة البسيطة التي طلبها العبد من الله وبناء على ذلك اخبرها هي واهلها بقصد مجيئهِ الى هناك

ولكن ما نرغب من القارئ ان يلتفت اليهِ من هذه القصة هو قول رفقة انها بنت بتوئيل ابن ملكة الذي ولدتهُ لناحور فبموجب ذلك بنت ابن اخي ابرهيم تصير زوجة لابن ابرهيم اي ان شخصًا من الجيل الثالث من ناحور موافقًا في السن لشخصٍ من الجيل الثاني من ابرهيم . فما اعجب موافقة هذا الامر لامر آخر مذكور في مكان آخر غير مشار اليهِ هنا البتة وهو ان سارة امراة ابرهيم بقيت عقيمًا زمانًا طويلاً ولم تلد حتى طُعِنت في السن تك ١٨: ١١ و١٢ . ولهذا السبب خسر ابرهيم جيلاً من نسلهِ وصار اولاد ابن اخيهِ في حاران وابنهِ في كنعان اترابًا

ونرى هنا ايضًا ان الامر الاعتيادي والعجيب متحدان بحيث يعسر الى الغاية فصلها . فاذا كانت للاحوال الاعتيادية من هذه القصة دلائل الصدق فللاحوال غير الاعتيادية او العجيبة سند معتبر يستدعي انتباهنا الكلي اليها ايضًا . فاذا كانت المطابقة تثبت صحة هذا الامر اي ان سارة لم تلد اسحق في صباها حسب نص موسى ألا يترجح ان هذا المؤرّخ نفسهُ قد قرّر الحق في قولهِ ان اسحق قد وُلد اذ كانت سارة قد طُعِنت جدًّا في السن وصار غير ممكنٍ لها ان تلد الاّ على سبيل العجيبة . وفي قولهِ ايضًا ان الرب انبأ بولادتهِ واعطاهُ اسمًا يدل على ما يكون من الفرح عند الام بهِ واستبدل اسمي والديهِ باسمين نبويين يشيران الى الغاية العظمى التي عُيّن هذا الصبي لاتمامها

حقًّا كلما فحصنا الكتاب المقدس بالتاني والتدقيق يزداد اقتناعنا بان الحوادث الطبيعية والعجيبة المذكورة فيهِ اما تثبت معًا او تسقط معًا . لان روح العجائب يعم كل الكتاب المقدس ولا يمكن اخراجهُ منهُ بدون نقض صحة جميع اجزائهِ التاريخية

٣ ان في هذا الجزء من قصة هذا الاب دليلاً آخر على صدقها وهو الموافقة بين كل اجزاء هذه القصة في عدم اعتبارها بتوئيل . لانهُ اذ كان حيًّا في ذلك الوقت وهو ابو رفقة كان المنتظر ان يكون هو المتقدم حسب عوائد البلاد في عقد شرط زواج ابنتهِ . فان لابان كان من تلك البلاد ولما طُلِبت منهُ ابنتهُ زوجةً ليعقوب وهو في احوال مشابهة لاحوال بتوئيل وكان لابنتهِ ايضًا اخوة كما كان لرفقة تك ٢٩: ٢١ عقد شرط الزواج وحدهُ حسبما يقبل العقل وتم هذا الامر كلهُ هو بنفسهِ كما يُنتظَر . واما في هذا الامر فكان فرق بينهُ وبين بتوئيل . نعم اننا لا نقدر ان نجزم الحكم بما منع بتوئيل عن تدبير الامور المختصة بزواج ابنتهِ هل عجزهُ بسبب شيخوختهِ او ضعفهُ جسمًا او عقلاً .

ولكن لا ريب في ان ما قيل عنهُ يتضمن شيئًا من هذا القبيل . فانهُ لما راى عبد ابرهيم رفقة عند البئر سالها بنت من انتِ . اخبريني . هل في بيت ابيكِ مكان لنا لنبيت تك ٢٤ : ٢٣ . فاجابت انها بنت بتوئيل وان عندهم مكانًا لهُ ولما اخبرها من هو ومن ابن اتى ركضت الفتاة واخبرت بيت امها (لا بيت ابيها كما فعلت راحيل لما عرَّفها يعقوب بنفسهِ تك ٢٩ : ١٢) بحسب هذه الامور . فركض لابان اخو رفقة الى الرجل خارجًا الى العين وقال لهُ ادخل يامبارك الرب تك ٢٤ : ٢٩ ولم يذكر بتوئيل بعد . وفيما كان الرجل يبين ماهية غرضهِ قيل ان لابان وبتوئيل اجابا تك ٢٤ : ٥٠ . فان بتوئيل اشترك مع ابنهِ في الكلام في هذه الآية وهي الوحيدة التي تتضمن البرهان على وجودهِ حيًّا في ذلك الوقت . ولما قرَّ الراي على ذهاب رفقة مع الرجل قدم هديتهُ . ولمن قدمها . قيل واخرج العبد آنية فضة وانية ذهب وثيابًا واعطاها لرفقة . وقيل ايضًا انهُ اعطى تحفًا لاخيها ولامها تك ٢٤ : ٥٣ ولا يظهر انهُ اعطى اباها شيئًا فانهُ قد تغوضي عنهُ فقط في هذا الامر ايضًا . وقد طُلِب الى العبد ان ياذن بمكثها بعض الايام قبل ان تذهب ومَن طلب ذلك منهُ . ليس الاب الذي كان ينتظر منهُ طبعًا ان يكون الاصل في كل هذا الامر بل اخوها وامها تك ٢٤ : ٥٥ . ثم في الجيل الثاني لما هرب يعقوب ثمرة هذا الزواج الى بلاد امهِ رفقة حسب رايها ليختفي من غضب اخيهِ عيسو ويتخذ لنفسهِ امراةً ووصل الى حاران سال الرعاة عن اقاربهِ في ذلك المكان بقولهِ هل تعرفون لابان بن ناحور تك ٢٩ : ٥ . وهذا الامر هنا اشهر مما تقدم من الامثلة السابقة لان لابان هو ابن بتوئيل وابن ابن ناحور ومع ذلك نرى ان ذكر بتوئيل متجاوز عنهُ كانهُ شخصٌ غير معروف في عائلتهِ ولابان ابنهُ انتسب الى جدهِ عوضًا عن ابيهِ

ففي كل ما تقدم اتفاق لا يقبل العقل انهُ عرضي لان فيهِ ما يدل على معرفة الكاتب عن بتوئيل اكثر مما اخبرنا عنهُ . ومما يجعل هذا الاتفاق اشهر عندنا وموافقًا لغايتنا انهُ يقوم بالسكوت عن امرٍ اي انهُ ليس اتفاقًا في ذكر امر بل في ترك امرٍ . وقد ورد اتفاق نظيرهُ في العهد الجديد في موت يوسف رجل مريم فانهُ لُمِح اليهِ من كل البشيرين غير انهُ لم يرد بكلام واحد منهم خبرٌ صريح عنهُ . وبالحقيقة اتفاق نظير هذا لا ينتظر من المزورين لانهم طبعًا لا يقصدونهُ ولا يخطر على بالهم البتة بل انما ينتج من امانة الكاتب ويبرهن صدقهُ في اصغر الامور

٤ ان المطابقة التالية ربما لا يُظن انها في ذاتها راهنة كغيرها ولكن بما انهُ يُتخذ منها دليل على صدق سفر التكوين وجواب لاعتراض نفضّل ذكرها على تركها وهي

ان يعقوب لما عزم على نقل عائلتهِ الى بيت ايل المكان الذي تكرس في ذهنهِ بواسطة رؤيا

الملائكة فيهِ وكان عتيدًا ان يصنع هناك مذبحًا لالههِ امر اهل بيتهِ وكل من كان معهُ امرًا غيراعتيادي بقولهِ اعزلوا الآلهة الغريبة التي بينكم وتطهروا وابدلوا ثيابكم تك ٣٥: ٢ . فهل رخَّص يعقوب الى ذلك الوقت بعبادة الآلهة بين قومهِ . وهل تغاضى طول ذلك الزمان عن واجباتهِ لاله ابائهِ وهو يستمد منهُ النعم العظيمة وحياتهُ تحت حمايتهِ الخصوصية ولهُ معاشرة متتابعة معهُ تعالى . لا ريب في ان هذا لصعب التصديق واو لم تُذكَر تلك الاصنام عند راحيل التي سرقتها من ابيها لابان والتي اعتبرها لابان كآلهة بيتهِ لَما امكن تصديقهُ . غيرانهُ قد يمكن ان تكون راحيل قد اخذت تلك الاصنام كتُحَفٍ ثمينة من ذهب او فضة عوضًا عن نصيبها من ابيها لابان الذي حرمها اياهُ والاجرة التي خسَّرهم اياها . فلا يظهر انها استعملتها لنفسها اصنامًا بل بالعكس . ولا يخفى ان يعقوب لم يعلم بالكلية بوجودها في بيتهِ سواءٌ كان للعبادة او كتُحَف كما يتضح من سماحهِ للابان بان يقتل من يجدها معهُ تك ٣١: ٣٢ . فلم يكن هو نفسهُ اصناميًا ولا كما نعلم غض النظر عن عبادة الاصنام بين الذين معهُ . فاذًا ما هو سبب هذا الامر لقومهِ عند وصولهِ الى قرب بيت ايل تلك الارض المقدسة ان يعزلوا الآلهة الغريبة التي بينهم ويتطهروا

فاذا راجعنا حادثة مذكورة في الاصحاح السابق اي تك ٣٤ يتضح لنا منها معنى كل ما تقدم . فان بني يعقوب قُبَيل هذه الحادثة ابادوا مدينة شكيم وقتلوا الذكور الذين فيها وسبوا ونهبوا كل ثروتهم وكل اطفالهم ونساءهم وكل ما في البيوت . فهولاء الاسرى الذين انضموا موخرًا الى بيت يعقوب هم اصحاب هولاء الآلهة الغريبة التي طلب اليهم يعقوب ان يعزلوها قبل ارتحالهم الى بيت ايل . وهذا الامر هو الى كل من كان معهُ كما انهُ الى تلك الضميمة الى عدده من اسرى الشكيميين . ولعلَّ عدم اقتصارهِ على امرهِ لهم بعزل الاصنام وامرهُ لهم بان يتطهروا جميعًا ويبدلوا ثيابهم يشير ايضًا الى ان جميع الذين تلطخوا حديثًا بتذبيح ذلك القوم قد تنجسوا

٥ قد راينا في ما تقدم دلائل المطابقة بدون قصدٍ في تاريخ ابرهيم واسحق ويعقوب على التوالي ولننظر الآن الى ما ورد من هذا القبيل في تاريخ يوسف

ان يوسف بسبب ميل ابيهِ الظاهر اليهِ وعدم حكمتهِ في ذكر احلامهِ عن عظمتهِ في المستقبل جلب على نفسهِ عداوة اخوتهِ . وفيما كانوا يرعون الغنم قرب شكيم تاق يعقوب الى ان يطمئن عن سلامتهم وارسل يوسف ليسال عنهم ويرجع فيخبرهُ . وفي اثناء ذلك كانوا قد انتقلوا الى دوثان واخبر يوسف عن ذلك انسان وجدهُ وهو ضالٌّ في الحقل فتبعهم الى هناك . وقبل وصولهِ اليهم ابصروهُ من بعيدٍ لان لباسهُ كان ممتازًا تك ٣٧: ٣ . فتآمروا عليهِ معًا لكنهم اعتمدوا ان لا يلطخوا ايديهم بدم اخيهم بل ان يطرحوهُ في بئرٍ فارغة في تلك البرية . وكانوا مزمعين ان يبقوهُ

هناك الى ان يموت او حسب قصد راوبين الى ان تكون له فرصة لانقاذه من ايديهم . فلا يمكن ايراد خبرٍ على اسلوبٍ ابسط من اسلوب هذه القصة . ولا تفاصيل متضمنة علامات الصدق اكثر من تفاصيلها . واما ما قصدنا ان نبينهُ الآن فهو ان الاخوة لما تمموا قصدهم الشرير جلسوا ليأكلوا طعامًا . وفيما هم يأكلون رفعوا عيونهم ونظروا واذا قافلة اسمعيليين مقبلة من جلعاد وجمالهم حاملة كثيراء وبلسانًا ولاذنًا ذاهبين لينزلوا بها الى مصر تك ٣٧: ٢٥ . وهذا الامر يطابق على نوع عجيب ما نقراهُ في مكانٍ اخر مما ليس له علاقة بما نحن في صددهِ الآن مما يدل على ان تلك القافلة كانت واسقة الى مصر ما كان موافقًا لاحتياجات المصريين في ذلك العصر . فلو لم يُذكَر العدد الثاني والثالث من الاصحاح الخمسين من سفر التكوين لكنا قد خسرنا ما سنبينهُ الآن من الدلائل على صدق تلك القصة

اما ذانك العددان وهما وامر يوسف عبيدهُ الاطباء ان يحنطوا اباهُ فحنَّط الاطباء اسرائيل وكمل له اربعون يومًا . لانهُ هكذا تكمل ايام المحنطين . وبكى عليهِ المصريون سبعين يومًا . فنستنتج منهما انهُ في تلك العصور القديمة كانت عادة المصريين (لان يوسف فعل هذا حسب عادة البلاد التي كان فيها) ان يحنطوا موتاهم . ونعلم مما قيل عن مخلصنا انهُ كان يقتضي لتحنيط جسدٍ واحد مئة منًا (ليترا)[1] من مزيج مرٍّ وعود يو ١٩: ٣٩ . اذًا لابد ان تلك الاحمال من الطيوب على الجمال التي كان الاسمعيليون آتين بها من جلعاد كانت تباع في مصر بغاية السهولة . فوجود هذه التفاصيل الزهيدة التي توافق بين امرٍ وآخر يحملنا الى النتيجة ان المورّخ قد ذكر ما علمهُ جيدًا من تلك الامور الخصوصية وانهُ قد اورد ذلك بكل امانة . اما كون ايراد ذكر تلك الاحمال من الطيوب مع الاسمعيليين كان بعرض الاتفاق فمما لا يقبل الريب في ذلك البتة . ولا يمكن ان يُخيَّل الى احدٍ ان موسى لما ذكر امر يوسف بتحنيط جسد ابيهِ قصد ان يثبت بهِ ما اوردهُ سابقًا عن التجار الاسمعيليين مما هو غريب وان يبين بهِ سبب ممارستهم تلك التجارة

٦ نرى موافقة بدون قصدٍ تشبه ما تقدم في التلميحات الاتفاقية عن بلاد مصر التي تظهر لنا في سياق الكلام في التاريخ الموسوي . فنرى مثلاً في كلٍّ من الحوادث الآتية وفي جميعها اشارات غير صريحة الى ان مصر كانت بلادًا مخصبة في الحبوب مع ان هذا الامر غير مقرَّر في مكانٍ من الاسفار الخمسة . فان ابرام لما حدث جوع في ارض كنعان انحدر الى مصر ليتغرَّب هناك تك ١٢: ١٠ . واسحق لما حدث جوع ثانٍ في قسمٍ من ارض كنعان في عصرهِ ذهب هو ايضًا بسبب ذلك

(١) ان الليترا وهو المترجم الى العربية بالمنا وزن يوناني وروماني يعدل مئة درهم وذلك يساوي ١١٥ درهمًا سلطانيًا

الى جرار التي كانت في بلاد الفلسطينيين . غير انهُ يظهر ان حلولهُ فيها انما كان حلول مسافرٍ عازمٍ على النزول الى مصر كما نستدلُّ من قولهِ تعالى لهُ لا تنزل الى مصر. اسكن في الارض التي اقول لك تك ٢٦:٢ . وقد حدث جوع ثالث في ارض كنعان في عصر يعقوب وحينئذٍ جاءَت كل الارض الى مصر الى يوسف لتشتري قمحًا . لان الجوع كان شديدًا في كل الارض تك ٤١: ٥٧ . ولا يخفى ايضًا ان التبن في معامل اللبن في مصر كان من المواد المهمة جدًّا. وهذا يدل على كثرة الحبوب التي كانت منتشرة جدًّا على وجه البلاد حتى كان يمكن لمسخري ومدبري الاسرائيليين ان يمنعوا التبن عن الشعب ويلزموهم ان يجمعوا لانفسهم قشًّا عوضًا عنهُ ويصنعوا والحالة هذه المقدار من اللبن المعين المطلوب منهم تمامًا خر ٥:٧ . وفي هذا ايضًا اشارة الى خصب ارض مصر. لان كثرة القش كما يدل هذا القول تستلزم كثرة الحبوب فيها دائمًا . والخلاصة انهُ لا ريب عندنا في ان مصر كانت بلادًا كثيرة الحبوب وان هذا الامر لم يشك فيهِ احد. ولو نقرّر ذلك صريحًا في اسفار موسى لما خصصناهُ بالذكر الآن لاننا لا نقدر والحالة هذه ان نبني عليهِ برهانًا كهذا. ولكن لا نرى نصًّا صريحًا عليهِ في اسفارهِ البتة بل يشار اليهِ فيها فقط بعرض الاتفاق في ما كان عقلهُ وقلمهُ مشتغلين في مواضيع اخرى وذلك مرارًا كثيرة وفي طرقٍ شتى

٧ ان في تاريخ عايلة يعقوب مطابقة مشابهة جدًّا للتي مرَّ الكلام عنها في رقم ٢ وهي متضمنة في ما ياتي

ان لاوي كان لهُ ثلاثة بنين احدهم قهات خر ٦:٦ او ١٨ او ٢٠. وقهات كان لهُ اربعة بنين احدهم عمرام ابو موسى. وعمرام اخذ عمتهُ زوجةً لنفسهِ ووُلد لهُ منها موسى

فيكون عمرام ابن ابن لاوي قد تزوّج يوكابد ابنة لاوي . وهذا ربما يظهر بعيد الاحتمال من جهة السن اي ان الاثنين غير متساويين عمرًا . واذا نظرنا الى سفر العدد د ٢٦:٥٩ نجد هذا النص واسم امراة عمرام يوكابد بنت لاوي التي وُلِدَت للاوي في مصر

فنستنتج من ذلك ان يوكابد وُلِدَت للاوي بعد اولادهِ الآخرين بزمانٍ طويل وان قهات اخاها الذي وُلد في ارض كنعان كان اكبر منها كثيرًا . لان الارجح ان بني لاوي الذين وُلدوا لهُ في ارض كنعان كانوا كبار السن لما نزلوا الى مصر لان يعقوب كان حينئذٍ ابن مئة وثلاثين سنة تك ٤٧:٢٨ . ولاوي كان من اكبر بنيهِ اي ثالثهم تك ٢٩:٣٤ ويوسف الذي كان اصغر بنيهِ الّا واحدًا كان في سن الاربعين سنة في وقت تلك الحادثة لانهُ كان ابن ثلاثين سنة عند ابتداء سبع سني الشبع تك ٤١:٤٦ . ولما ارسل وراء ابيهِ كانت قد انتهت سنو الشبع ومرَّ سنتان من سني الجوع تك ٤٥:٦ . فيتبين مما تقدم ان الفرق بين عمر قهات وعمر يوكابد اختهِ نحو جيل

كامل وبموجب ذلك يكون عمرام الذي هو ابن الابن اي من الجيل الثاني من بني لاوي من اتراب يوكابد التي هي من الجيل الاول . فهل يُظَنّ ان ما قيل بالاختصار وفي سبيل الاتفاق عن يوكابد من انها وُلِدَت في مصر قد أُدرِج عمدًا ردًّا على ما يمكن ان يُقدَّم من الاعتراض على المباينة بين هذين الزوجين سنًّا

٨ انهُ يوم فرغ موسى من اقامة خيمة الاجتماع ومسحها وقدَّسها قرَّب رؤَساء الاسباط ست عجلاتٍ واثني عشر ثورًا فعُيّنت لعمل خدمة خيمة الاجتماع وقبل فاخذ موسى العجلات والثيران واعطاها للاويين . اثنتان من العجلات واربعة من الثيران اعطاها لبني جرشون حسب خدمتهم . واربع من العجلات وثمانية من الثيران اعطاها لبني مراري حسب خدمتهم عد ٧: ٧و٨ . فمع انهُ لم يُذكَر صريحًا سببٌ لقسمة موسى هذه العجلات والثيران قسمةً ضيزى واعطاء مراري مضاعف ما اعطى جرشون منها نقدر من النظر الى اصحاح سابق لا علاقة لهُ بالاصحاح المتضمن هذا النص ان نستخرج سببًا كافيًا لذلك . لاننا نجد فيهِ بين القوانين المرسومة لعشائر اللاويين من جهة اقسام الخدمة الشاقة المعينة لكل عشيرةٍ منهم في نقل خيمة الاجتماع من مكانٍ الى آخر ان بني جرشون كان عليهم ان يحملوا شقق المسكن وخيمة الاجتماع (اي الكتان المصنوعة منهُ) وغطاءها وغطاء التخس الذي عليها من فوق وسجف باب خيمة الاجتماع وسجف مدخل باب الدار اللواتي حول المسكن وحول المذبح محيطة واطنابهنَّ وكل امتعة خدمتهنَّ عد ٤: ٢٥و٢٦ . وبالاختصار اخف اجزاء خيمة الاجتماع . واما بنو مراري فكان عليهم ان يحملوا الواح المسكن وعوارضهُ واعمدتهُ وفرضهُ واعمدة الدار حواليها وفرضها واوتادها واطنابها مع كل امتعتها عد ٤: ٣١ و٣٢ . وبالاختصار جميع المواد المتعبة والثقيلة المبنية منها الخيمة . فيتبيَّن جليًّا مما تقدم سبب تعيين عددٍ من العجلات والثيران لعشيرةٍ اكثر مما عُيّن للاخرى . فهل كان كل ذلك بالعرض او حيلة مخترعة باحكام او حقًّا لا ريب فيهِ

٩ قيل في سفر العدد وقال موسى لحوباب بن رعوئيل المدياني حمي موسى اننا راحلون الى المكان الذي قال الرب اعطيكم اياهُ . اذهب معنا فنحسن اليك لان الرب قد تكلم عن اسرائيل بالاحسان . فقال لهُ لا اذهب بل الى ارضي والى عشيرتي امضي . فقال لا تتركنا فانهُ بما انك تعرف منازلنا في البرية تكون لنا كعيونٍ . وان ذهبت معنا فبنفس الاحسان الذي يحسن الرب الينا نحسن نحن اليك . فارتحلوا من جبل الرب الخ عد ١٠: ٢٩-٣٣

لا يظهر من هذه الاعداد هل قبل حوباب دعوة موسى ام رفضها . ولكن اذا نظرنا الى سفر القضاة ١: ١٦ نجد ما ورد في طريق الانفاق في اثناء اصحاح بنصٍّ على حوادث شتى عظيمة

مختصة بسبط يهوذا بعد موت يشوع بقوله وبنو القيني حمي موسى صعدوا من مدينة النخل مع بني يهوذا الى برية اليهودية التي في جنوبي عراد وذهبوا وسكنوا مع الشعب . فهذه هي الآية الاولى التي نتعلم منها ان حمي موسى قبل دعوته في ذلك الوقت وانضم الى الاسرائيليين واشترك معهم في نصيبهم وهذا الامر قد ظهر في سياق الخبر بنحو ستين او سبعين سنة بعد دعوة موسى لحوباب التي بقيت نتيجتها غير معلومة الى ذلك الوقت وقد ظهرت ليس في ذكر حوباب ثانية بل في ذكر نسله ومكان سكنهم

ولا يخفى انهُ لو كان الكتاب مزوراً فلا يُصدَّق حدوث مطابقة اتفاقية كهذه في خبرين موردين من مولفين . وعلى فرض الكتاب مزوراً يبعد الظن ايضاً ان امراً قد ذُكِر في تاليف الواحد تُذكَر نتائجهُ بعد سبعين سنة في تاليف الآخر على سبيل الصدفة

ان ادلة الصدق التي بيناها في اسفار موسى (التي يمكننا ان نزيد عليها كثيراً نظيرها) ربما يكون بعضها ادل واقوى من البعض غير انهُ اذا فُحِصَت وأُخِذَت معاً يجب الاقرار بانها بينة راهنة جداً وهي ذات قيمة عظيمة في هذا الموضوع وعلى الخصوص اذا نظرنا الى عظم قدمية هذه الاسفار وعدم وجود كتابات معاصرة لاجل تثبيتها

ومع ان دليل المطابقة بدون قصد هو الامر الوحيد الذي تعرضنا للبحث عنهُ في هذا البرهان ربما يسوغ لنا في خاتمة ملاحظاتنا على اسفار موسى ان نذكر بالاختصار قضايا اخرى تؤيّد صدقها ما قد ظهر لنا في ما نحن نبحث عن هذا الموضوع . ومن ذلك

(١) ما ورد فيها من الامور الدقيقة التي تدل على ان الكاتب قد عرف ما كتبهُ اكمل معرفة

(٢) ما ورد فيها من الامور الموافقة بعضها لبعضٍ واقتضي الحال ما يصعب اعتبارهُ غير نتائج تناسب الامور المقررة . ومن ذلك ما قيل عن اللفيف سواء كانوا اخلاطاً او مصريين من انهم هم الذين اشتهوا قثاء مصر وبطيخها وحملوا الشعب كلهُ على التذمر عد ١١ : ٤ . وعن اعتذار هرون السخيف عن العجل الذي صنعهُ اذ كان خائفاً وضميرهُ مثقل من الشعور بذنبهِ لاجل تبرئة نفسهِ وذلك بقولهِ فطرحتهُ في النار فخرج هذا العجل خر ٣٢ : ٢٤

(٣) ما ورد فيها من الحوادث التي تدل على انها ناتجة من اجراء نظام جديد لم يُختبَر بعد كالةٍ غير مجرَّبة . ومن ذلك قصة الرجل الذي وجدوهُ يجمع الحطب نهار السبت عد ١٥ : ٣٢ . فهل ينتظر من مزور اختراع قصةٍ مثل هذه . وكذلك الحكم بميراث بنات صلفحاد اذ ليس لابيهنَّ وريث ذكر عد ٢٦ : ٣٣ . فان كلاً من هذين الامرين زهيد في نفسهِ غير انهما كانا سبباً لرسم شريعتين مهمتين احداهما مختصة بالحياة والاخرى بالملك

(٤) ما فيها من البساطة في نَفَس موسى في ايراد الاخبار. لانهُ يقرّر الامور كما هي بدون تصنيع في الكلام ولا زخرفة في ذكر الظروف والاحوال حتى في عجائبهِ بل الحشمة والوقار يلوحان على جميعها من الاول الى الآخر. واذا قابلنا كلامهُ مع كلام يوسيفوس عن حادثةٍ مثل عبور البحر الاحمر مثلاً (خر ١٤ ويوسيفوس التاريخ القديم ك ٢ ف ١٦) او تذمُّر الاسرائيليين واعطائهم السلوى والمن (خر ١٦ ويوسيفوس التاريخ القديم ك ٣ ف ١) يظهر لنا ما بينهما من الفرق الكلي في كيفية ايراد الحوادث

(٥) ما في ايراد القضايا من الخلوص وروح الاستقامة . ومن ذلك كلام موسى عن عدم فصاحتهِ الامر الذي يجعلهُ غير مناسب لان يكون قائداً للشعب خر ٤ : ١٠ وعن عدم ايمانهِ الذي كان سبباً لمنعهِ عن الدخول الى ارض الميعاد عد ٢٠ : ١٢ . وعن عمل اخيهِ هرون الاصنام خر ٣٢ : ٢١ . وعن خطية ناداب وابيهو ابني اخيهِ لا ١٠ : ١ وعدوان مريم اختهِ وقصاصها عد ١٢ : ١ ونسبة عمرام ابيهِ الى يوكابد امهِ التي نصَّ عليها في ما بعد في جداول شريعة الزواج بانها من درجات القرابة الممنوعة خر ٦ : ٢٠ ولا ١٨ : ٢

(٦) خلوص موسى من الغايات النفسانية . لانهُ مع انهُ كان لهُ بنون لا يظهر انهُ اهتم في حياتهِ بتقليدهم وظائف لاجل الربح . بل عند موتهِ عيَّن خليفةً لهُ مَنْ لم يكن لهُ عليهِ حق بذلك لا من قِبَل الزواج ولا لكونهِ من عشيرتهِ ولا لانهُ ذو قرابة دم لهُ

(٧) ما فيها من النبوات . وذلك كالنبوات الكثيرة عن المسيح المزمع ان ياتي والنبوة الشهيرة المدققة عن خراب اورشليم الاخير تث ٢٨

(٨) ما فيها من القضايا التي توضح لنا اصل تقاليد كثيرة قديمة جارية بين الامم . وذلك كالجيل الذهبي وجنة الهسبيريديس المذكورَين في خرافات اليونانيين وشجرة الثمر التي في وسط تلك الجنة التي حرسها التنين وعمومية اعتقاد ابادة الجنس البشري بطوفان واقامة زفس قوس قزح في السحاب علامة للبشر وكون اليوم السابع يوماً مقدساً وغير ذلك كثير مما يتفق على تأييد واثبات صحة ما ذكرهُ موسى

(٩) ومما يثبت صحة اسفار موسى ما بينها وبين اسفار العهد الجديد من الموافقة . فان اسفار العهد الجديد تستشهد بها دائماً على انها هي (اي اسفار العهد الجديد) كمالة النظام الذي تلك (اي اسفار موسى) جزوءُهُ الاول

(١٠) وفضلاً عما تقدم فيها من الآداب والشرائع الالهية ما يشهد ليس فقط لصدقها بل ايضاً لسمو اصلها . لانهُ كيف نقدر ان نعلّل نظاماً كنظام موسى في قرنٍ كالقرن الذي كُتِب

فيهِ وبين شعبٍ كالشعب الذي سنَّ لهُ . او كيف نعلل ذكاء تعليم وحدانية الاله العظيم اله السموات والارض ووجودهِ الذاتي وعنايتهِ تعالى وصفاتهِ الكاملة ذكاء اسطع جدًّا ما كان في مدارس اثينا البهجة في اشد عنفوانها وكيف نعلل ايضًا وضع مبادي واجبات الهيئة الاجتماعية والاحسان وضبط النفس الممتدة حتى الى افكار القلب بين امة يتبيَّن من نفس ناموس موسى شدة ميلها الدائم الى التوغل في عبادة الاصنام الدنية وفي جيلٍ يظهر من ذات مناهي الناموس اللاوي انهُ كان مملوءًا من الارجاس الوحشية والشقاوة خر ٢٠: ٣ وتث ٦: ٤ وخر ٣٤: ١٤ وتث ١٤: ١ ولا ١٩: ٣ و١٨ وتث ٢٠: ٦ وخر ٢٠: ١٧

هذه بعض البينات الداخلية على صحة اسفار موسى الخمسة . فمتى قرأْنا هذه الاسفار لا نقرا حكايات خرافية مُلفَّقة بحذاقة بل تواريخ مهمة وصادقة لحوادث عظيمة وعجيبة تستدعي الفحص وتحتملهُ . نعم ان صحتها وصدقها يتبرهنان ايضًا برهانًا قاطعًا من نص مخلصنا الصريح ان كانوا لا يسمعون من موسى والانبياء ولا ان قام واحدٌ من الاموات يصدقون

٢ المطابقات الاتفاقية في الاسفار التاريخية

قد اجتهدنا في ما تقدم ان نبرهن صحة اسفار موسى مما تتضمنهُ من المطابقة غير المقصودة في قضايا شتى واتقين بان ما اوردناهُ وافٍ بالمقصود . وغايتنا الآن ان نورد بعض قضايا نصادفها في اسفار الكتاب المقدس التاريخية مستعملين ايضًا نفس القاعدة التي استعملناها سابقًا لكي نبين ان هذا الجزء ايضًا من الكتاب المقدس يستحق ثقتنا بهِ واعتمادنا على نصوصهِ كالجزء السابق فنقول

١ انهُ لما مات موسى خلفهُ يشوع بن نون وجعل الله شعب اسرائيل تحت امرتهِ فسار بهم وعبروا الاردن لامتلاك ارض كنعان . وهاك نص الكتاب المقدس على ذلك ولما ارتحل الشعب من خيامهم لكي يعبروا الاردن والكهنة حاملو تابوت العهد امام الشعب فعند اتيان حاملي التابوت الى الاردن وانغماس ارجل الكهنة حاملي التابوت في ضفة المياه والاردن ممتلئ الى جميع شطوطهِ كل ايام الحصاد وقفت المياه المنحدرة من فوق وقامت ندًّا واحدًا بعيدًا جدًّا عن ادام المدينة التي الى جانب صرتان . والمنحدرة الى بحر العربة بحر الملح انقطعت تمامًا وعبر الشعب مقابل اريحا. فوقف الكهنة حاملو تابوت عهد الرب على اليابسة في وسط الاردن راسخين وجميع اسرائيل عابرون على اليابسة حتى انتهى جميع الشعب من عبور الاردن يش ٣: ١٤—١٧

هذا ما ورد في سفر يشوع بشان عبور الاسرائيليين الاردن . وهو يتضمن في اثناء هذه القصة العجيبة حادثة موردة بطريق العرَض تعيّن فصل السنة الذي عبروا فيهِ الاردن . وهي قولهُ

انغاس ارجل الكهنة في ضفة [1] المياه لان الاردن كان ممتلئًا الى جميع شطوطهِ كل ايام الحصاد . وهذا يدل على ان ذلك الفصل من السنة كان فصل فيضان الاردن السنوي. اما المراد بالحصاد هنا فهو حصاد الشعير او الحصاد الاول كما سُمّي في مكانٍ آخر تمييزًا بينهُ وبين حصاد القمح او الحصاد الاخير لانهُ قيل في الاصحاح الرابع ع ١٩ وصعد الشعب من الاردن في اليوم العاشر من الشهر الاول اي قبل الفصح باربعة ايام . وهذا العيد يقع في وقت حصاد الشعير واما القمح فلا يستحصد حتى عيد الاسابيع الذي يقع بعد الفصح بخمسين يومًا وفيهِ يُقرَّب للرب خبز ترديدٍ من باكورة القمح لا ٢٣ :١٧ . والنتيجة ان الاسرائيليين عبروا الاردن في وقت حصاد الشعير

وقد ورد في سفر الخروج في الكلام عن ضربة البرد التي كانت قبل الفصح بيومٍ او يومين ان الكتان والشعير ضُرِبا . لان الشعير كان مُسبلاً والكتان مبزرًا واما الحنطة والقطاني فلم تُضرَب لانها كانت متاخرة خر ٩ : ٣١ و٣٢ . اي كان الكتان والشعير يدركان نحو وقت واحد في بلاد مصر . وبما ان الفرق قليل بين اقليم ارض كنعان والاقليم المصري لا بد ان هذين الصنفين كانا يدركان في هذين الاقليمين في وقتٍ واحدٍ . وبما ان الاسرائيليين قد عبروا الاردن كما راينا في الآية الواحدة في ايام الحصاد وذلك الحصاد كما قد راينا في آيةٍ اخرى هو حصاد الشعير يكونون بالضرورة قد عبروا الاردن في وقت حصاد الكتان

ثم قيل في اصحاحٍ سابق ان يشوع قبل هجومهِ على ارض كنعان بثلاثة ايام ارسل رجلين جاسوسين ليذهبا وينظرا الارض واريحا يش ٢ :١ و٢ :١ و٢٢ و٣ :٢ . وهذا العمل كان خطرًا لا محالة . وقبلتهما في بيتها امرأة من تلك المدينة اسمها راحاب وباتا عندها غير ان البعض علموا بدخولهما الى بيتها ليلاً . ولا ريب ان اهل تلك المدينة في مثل ذلك الوقت قد امتلأُوا من الاوهام والاضطراب لان جيش العدو كان معسكرًا على الحدود فاخبروا ملك اريحا وصار تفتيش عن الرجلين . واما راحاب فاذ خافت الله لانها قد عرفت بالايمان ان العجائب التي صنعها لمساعدة الاسرائيليين هي ادلة على انهُ تعالى يناضل عنهم حمت ضيفيها من طالبي حياتهما عب ١١ :٣١ . وذلك بان اطلعتهما على السطح ووارتهما بين عيدان كتان لها مُنضَّدة على السطح يش ٢ :٦ . ولا ريب ان تلك العيدان كانت مقطوعة حديثًا وقد بسطتها على سطح بيتها لاجل تجفيفها

فيتضح من هذا صدق ما تقدم وذلك على اسلوب دقيق جدًا وعلى سبيل العرض . ويظهر في بادي الامر ان ذكر نوع المادة التي اختبأ تحتها الجاسوسان قليل الاعتبار جدًّا بل لا داعي اليهِ مهما كان لانهُ وفى بالمقصود وخلّص حياتهم . ولا يُظَن انهُ خطر على بال المؤرّخ ما ينتج من ذكر

[1] ضفة النهر حافتهُ

امر زهيدٍ عن عيدان الكتان من تثبيت خبرهِ عن عبور الاردن او انهُ قصد بهِ النتيجة التي استنتجناها منهُ . فهذا الاتفاق غير مقصود لا محالة

٣ قولهُ ثم اجتاز يشوع وكل اسرائيل معهُ من لبنة الى لخيش ونزل عليها وحاربها . فدفع الرب لخيش بيد اسرائيل فاخذها في اليوم الثاني وضربها بحد السيف يش ١٠ : ٣١و٣٢

فيظهر من هذا الخبر عن نزول يشوع على مدن كنعان ان جميعها سقطت امامهُ حالاً ما عدا لخيش لانهُ اخذ مُقيَّدة ولبنة وعجلون وحبرون ودبير ولكن قيل عن لخيش فقط انهُ اخذها في اليوم الثاني . ولم تُذكَر صعوبة خصوصية في فتح تلك البلدة غير اننا نستنتج حدوث صعوبة في افتتاحها اعظم مما كان في افتتاح غيرها وذلك من ذكر اخذها في اليوم الثاني بطريق العرض

ونستدلُّ من مراجعة نصوصٍ اخرى في الكتاب المقدس ان لخيش كانت حقيقةً مكاناً حصيناً جدًّا. لانهُ لما نزل سنحاريب على يهوذا قيل انهُ صعد علي جميع مدن يهوذا الحصينة واخذها ٢مل ١٨ : ١٣ . ولكن ما ياتي من الكلام يدلُّ على ان لخيش في ذلك الوقت خيَّبت املهُ . ولما حاصرها بنفسهِ ٢ اي ٣٢ : ٩ ارسل عبيدهُ ترتان وربساريس وربشاقى بفرقةٍ من الجيش ليدعوا اورشليم الى الخضوع ٢ مل ١٨ : ١٧ . واذ لم يكترث اهل اورشليم بدعوتهم رجع ربشاقى ووجد ملك اشور يحارب لبنة لانهُ سمع انهُ ارتحل عن لخيش ٢ مل ١٩ : ٨ اي كما نفهم رفع الحصار عنها . ويؤيّد هذه النتيجة ما ورد في ارميا ٣٤ : ٦و٧ عن نبوخذنصَّر في حادثةٍ مثل هذه جرت عقب ذلك الوقت وهو قولهُ فكلم ارميا النبي صدقيا ملك يهوذا بكل هذا الكلام في اورشليم اذ كان جيش ملك بابل يحارب اورشليم وكل مدن يهوذا الباقية لخيش وعزيقة . لان هاتين بقيتا في مدن يهوذا مدينتين حصينتين اي كان لهما قوة كافية للثبات عندما سقطت المدن الاخرى

فيتبين مما تقدم ان كاتب سفر يشوع سواءٌ كان يشوع نفسهُ او خلافهُ عرف جيدًا ما ذكر من الحوادث لانهُ يقودنا على سبيل العرض بكلامهِ عن لخيش ومحاربة يشوع لها الى الظن بانها كانت منيعةً جدًّا الامر الذي نرى تثبيتهُ في موضع آخر في ما ورد من تاريخ اليهود بعد ذلك الوقت . وبالاجمال نرى المطابقة التي يتبين منها ما في هذه القصة من الصحة والتدقيق

٤ ان الكنعانيين الذين ابقاهم الاسرائيليون بعد محاربتهم الاولى لهم اما لاجل اخذ الجزية منهم او لاجل استخدامهم في الاعمال الشاقة من احتطاب الحطب واستقاء الماء استرجعوا قوتهم بالتدريج واخذوا يحاربون من وقت الى آخر غالبيهم ونجحوا وضايقوا اسرائيل جدًّا . اما الفلسطينيون الذين كانوا اشد بأسًا من جميع سكان كنعان وقد ضايقوا الاسرائيليين اشد المضايقة فجمعوا بين الحيلة والقوة لانهم امروا (ومن المحتمل ان غيرهم ايضًا فعل نظيرهم) بعدم وجود صانع

في كل ارض اسرائيل لان الفلسطينيين قالوا لئلا يعمل العبرانيون سيفًا او رمحًا . بل كان ينزل كل اسرائيل الى الفلسطينيين لكي يحدّد كل واحدٍ سكتهُ ومنجلهُ وفاسهُ ومِعوَلهُ اصم ٢ ١٣: ١٩ و ٢٠ . اي منعوا الحدادين عن العمل بهذه الصناعة لئلا يعملوا اسلحة للعصاة وهم يتظاهرون بعمل ادوات للفلاحة

واما سنّ شريعة مثل هذه فثبت من حوادث كثيرة جدًّا بعضها زهيد وغيرهم غير انهُ لا يُذكَر صريحًا الامرة واحدة وهي في العبارة المقتبسة اعلاهُ . فالتلميحات التي سنبينها تقوم بمنزلة اتفاقات غير مقصودة ولذلك تفيدنا هنا . ومنها ما قيل عن اهود لما استعدَّ لقتل عجلون ملك موآب الذي كان اسرائيل خاضعًا لهُ في ذلك الوقت . وهو فعمل اهود لنفسهِ سيفًا ذا حدين طولهُ ذراع وتقلّدهُ تحت ثيابهُ على فخذهِ اليمنى قض ٣ : ١٦ . وهذا يدلُّ على انهُ هو نفسهُ صنع ذلك السيف لاجل تلك الغاية نفسها وشدّهُ على فخذهِ اليمنى عوضًا عن اليسرى (التي هي الفخذ التي يُجعَل عليها السيف) لرفع الشبهة اذ كان قادرًا ان يستعملهُ على تلك الهيئة لانهُ كان اعسر . وكون اهود كان بنياامينيًا (قض ٣ : ١٥) مطابق لما قيل في قض ٢٠ : ١٦ عن البنياامينيين من انهُ لما خرج رجال الحرب منهم لمحاربة اسرائيل لاجل ما حدث في جبعة كان بينهم سبع مئة رجل منتخبون عُسْر يرمون بالمقلاع

وقيل ايضًا عن شمجر انهُ قتل ست مئة رجل من الفلسطينيين بمنساس البقر قض ٣ : ٣١ . ولا ريب في انهُ استعمل لذلك تلك الآلة غير المناسبة لعدم الرخصة لهم بحمل الاسلحة ولا باقتنائها

وايضًا عن شمشون انهُ لما نزل الى تمنة وهو في عداوة مع الفلسطينيين واحوال البلاد في اضطراب كان غير متسلح وذلك عكس ما يُنتظَر حتى انهُ لما لاقاهُ شبل اسدٍ يزمجر شقّهُ كشق الجدي وليس في يدهِ شيء قض ١٤ : ٥ و ٦ . ولما قتل هذا البطل القامن الفلسطينيين كان ذلك بلحي حمارٍ لانهُ لم يكن معهُ اداة افضل منهُ . وقالت دبورة هل كان يرى مجنٌّ او رمح في اربعين الفًا من اسرائيل قض ٥ : ٨

فجميع هذه الدلائل ولئن تكن غير صريحة تدل على انهُ لم يكن حداد ولا صانع اسلحة في كل ارض اسرائيل ويُرَى لدى الفحص ان كل واحدة من الحوادث الموردة آنفًا حدثت في الازمنة التي كان اسرائيل فيها تحت العبودية

ثم انهُ يحتمل ان المقلاع بسبب تلك الشريعة الصارمة صار الاداة الدارجة بين الاسرائيليين المستعملة عوضًا عن السلاح . ولا يظهر انهُ كان معروفًا او مستعملًا في عصر موسى اذ كان رجال اسرائيل المحاربون في ذلك الزمان مخترطي السيف . ولكن في اوقات ضيقهم اضطروا الى استعمال

ادوات دنيئة كالمقلاع الذي يمكن جدلهُ واخفاؤُهُ بكل سهولةٍ

ولا يخفى ان هذه التلميحات كثيرة ومتنوعة . نعم يمكن ان تكون غير كافية لاستخراج النتيجة ان سكان ارض كنعان منعوا الاسرائيليين عن استعمال الاسلحة لكن متى اخذ نا الخبر انهُ لم يكن حداد في كل ارض اسرائيل يكون لنا ما يرجّح معنى واحدًا وتفسيرًا واحدًا لجميعها . ولا يخفى ان هذا ايضًا من الاتفاقات غير المقصودة

٤ انهُ لامرغني عن البيان اننا كلما تقدمنا في تاريخ الاسرائيليين نجد فيهِ اكثر فاكثر من هذه الدلائل على ما فيهِ من الصحة والدقة . ولنتقدم الآن لاستخراج هذه الادلة من تاريخ حياة داود الذي قُسِم لهُ ان يشغل الجزء الاكبر من تاريخ بلادهِ وان يُجهّز لنا في اخبار حياتهِ الطويلة والمملوة من الحوادث سلسلة ادلة قاطعة طويلة على صحة تاريخهِ وامانة كاتبيهِ كالتي نحن آخذون في البحث عنها

ان الظروف والاحوال التي يرد ذكرهُ فيها اولاً تدلُّ من اول وهلةٍ على جراءتهِ واتكالهِ على الله . فانهُ قيل في ١صم ١٧: ٤ فخرج رجل مبارز من جيوش الفلسطينيين اسمهُ جليات من جَت طولهُ ست اذرع وشبر . والقضية التي عليها مدار البرهان على صحة التاريخ في هذا النص هي ذكر جت فيهِ عرضًا على انها مدينة جليات . وجت اسم مدينة ربما يظنُّ انهُ قليل الاعتبار ذكرهُ وتركهُ على حدٍّ سوى . اما الفائدة العظمى من ذكر اسم مدينة هذا الفلسطيني المخيف في طريق العرض فتظهر مما ياتي . قال موسى في كلامهِ في سفر العدد عن الجواسيس الذين ارسلهم الى ارض كنعان انهم اخبروهُ قائلين الارض التي مررنا فيها لنتجسسها هي ارض تاكل سكانها . وجميع الشعب الذي راينا فيها اناس طوال القامة وقد راينا هناك الجبابرة بني عناق من الجبابرة . فكنا في اعيننا كالجراد وهكذا كنا في اعينهم عد ١٣: ٣٢و٣٣ . اي ان موسى يشهد لنا في هذا النص ان هولاء العناقيين كانوا جنسًا طويل القامة فوق العادة . فلنحفظ هذا الامر في بالنا ولنلتفت الى سفر يشوع حيث يُذكَر بين حروب قائد اسرائيل الشجاع هذا لافتتاح ارض كنعان انهُ قرض العناقيين من الجبل من حبرون ومن دبير ومن عناب ومن جميع جبل يهوذا ومن كل جبل اسرائيل . حرَّمهم يشوع من مدنهم . فلم يتبقَّ عناقيون في ارض بني اسرائيل لكن (لاحظ ما أُستُثني من ذلك) بقوا في غزة وفي جت وفي اشدود . وفي هذا يشهد يشوع في دورهِ انهُ لما ضرب العناقيين بحد السيف ترك بقيةً منهم في ثلاث مدن لاغير وواحدة منها جت . والحاصل ان ذكر جت في سفر صموئيل باسمها في طريق العرض بانها مدينة جليات يوافق على اسلوب خصوصي الامرين المستقلين المورد بن آنفًا عنهما من كاتبين مستقلين وهما موسى ويشوع احدهما ان العناقيين كانوا جبابرة

طوال القامة والآخران البعض من هذا النسل الذي استوئصل الا قليلاً بسيف يشوع سكنوا في جت . وعلى فم هولاء الشهود الثلاثة اي موسى ويشوع وصموئيل تقوم هذه الكلمة اي يتثبت صدق هذا الخبر في طريق العرض غير المقصود

٥ ولنتقدم الآن الى اعمال داود . فنتعلم ان داود قد صار محبوبًا عند جميع اسرائيل . وكانت بنات البلاد تغني له النشائد بالرقص وبكلام اغار شاول اذ قُلن َضرب شاول الوفه وداود ربواته . فنسي واجباته لذلك الباسل الذي انقذ بلاده من نير الفلسطينين وبدون اكتراث بحقوقه من حيث هو زوج ابنته طلب حياته وضربه مرتين بالرمح وهو يضرب بالعود امامه في غرفته وجعل كمينًا حول بيته . ولما فرّ لاجل حياته بين الجبال تتبعهُ بواسطة الرجال المسلحين غير ان خوف داود على نفسه كان اقل مما هو على اهل بيته . لانهُ كان يسهل عليه ان يستعمل ما يلزم لوقاية نفسه وكان ضميرهُ سليمًا وشجاعتهُ عظيمة وقلوب اهل بلاده معهُ وعين الله عليه ولكن افتكر ان اسمهُ ربما يجلب الضرر على بيته واذ كانت سلامة والديه جلّ اهتمامه استعمل لانقاذهما الواسطة المنصوص عليها بقول المورّخ وذهب داود من هناك الى مصفاة موآب وقال لملك موآب ليخرج ابي وامي اليكم حتى اعلم ماذا يصنع لي الله . فودعهما عند ملك موآب فاقاما عندهُ كل ايام اقامة داود في الحصن ١صم ٢٢: ٣و٤

فهل كان داعٍ الى استحسان داود ان يجعل اباهُ وامهُ تحت حماية الموآبيين دون غيرهم او كان ذلك على سبيل العرض . ربما كان يترايا لنا ان ذلك صار على سبيل العرض لو كان لنا تاريخ داود كما هو في سفري صموئيل ولم يكن لنا سفر راعوث . اما هذا السفر التاريخي القصير والنفيس فيرينا المناسبة في اختيار موآب دون غيرها ملجأ لوالدي داود لانهُ يتبين منهُ ان جدة يسى ابي داود كانت موآبية وهي راعوث ام عوبيد ابي يسّى را ٤: ١٧ . وفضلاً عن ذلك يتبين منهُ ان الموآبية الاخرى عرفة زوجة محلون فيما كانت راعوث زوجةً لكليون اخيه بقيت في موآب وبقيت ايضًا على محبة شديدة لعائلة زوجها المتوفّى واقربائه حتى ودعت نعمي وراعوث وتركتهما بالدموع حين خروجهما منها را ١: ١٤. وربما كانت باقية في قيد الحياة وعلى كل حالٍ يترجح ان نسلها واصحابها كانوا احياء في تلك المدة التي ليست اكثر من خمسين سنة غير كافية لمحو ذكر القرابة واحساساتها. فلاجل ما تقدم طمع داود في وقاية بيته هناك

فيتبين مما تقدم الموافقة في ما عملهُ داود في هذه الحادثة وهذه الموافقة مما يدل على صحة اخبار الكتاب المقدس عن هذه الحادثة . لانهُ بعيد الاحتمال ان يخطر على بال مزوّر مناسبة تعيين ملجإٍ ليسّى وعائلته في موآب بسبب مجرّد تذكره باصل راعوث الموآبي قبل ذلك الوقت بجيلين او اذا

خطر ذلك على بالهِ لا بد من تنبيه القارئ الى تلك المناسبة على طريق من الطرق لئلاَّ يتغافل عنها ولا يتاثر من البينة التي قصد المزور ان يقدمها على صدق تاريخهِ . والحال هو ان هذا الامر مقرَّر بدون اقل اجتهاد في ايضاح اسبابهِ او تعليلهِ حتى علينا بمراجعة سفر آخر لبيان وجود المطابقة فيهِ

٦ قيل في الاصحاح السابع عشر من صموئيل الثاني والعدد الثاني والعشرين فقام داود وجميع الشعب الذي معهُ وعبروا الاردن . وفي ع ٢٤ من نفس هذا الاصحاح قيل وعبر ابشالوم الاردن هو وجميع رجال اسرائيل معهُ . وفي ع ٢٦ ونزل اسرائيل وابشالوم في ارض جلعاد . وقيل في الاصحاح التالي حيث يخبر عن احصاء جيش داود وخروجهم الى الحرب وخرج الشعب الى الحقل للقاء اسرائيل . وكان القتال في وعر افرايم ٢ صم ١٨: ٦ . فيظهر من اول وهلة ان المؤرخ لا يعلم حقيقة ما يقول لانهُ جعل حسب الظاهر اولاً المقاتلين على الجانب الواحد من النهر ثم جعل ساحة القتال على الجانب الاخر منهُ فكانهُ جهل تخطيط تلك البلاد ويناقض نفسهُ ويكذب قولهُ بقولهِ . فان كان ابشالوم قد عبر الاردن الى الشرق وداود وجميع رجالهِ العظام قد نزلوا في جلعاد وسبط افرايم كلهُ كان في غربي الاردن ولم يكن لهم وطاة قدم من الارض الى الشرق منهُ كيف يكون القتال قد حدث في وعر افرايم . لا ريب ان الكاتب المزوّر يتجنب هذه الصعوبة الظاهرة او على الاقل يجتهد في اخفائها ولكن لدى البحث نرى ان كاتب سفر صموئيل كان خبيرًا بالحوادث التي كتبها وبالاماكن التي حدثت فيها وانهُ كتب على اسلوب بسيط ولم يخطر على بالهِ انهُ يشك احدٌ في صدقهِ او ان كلامهُ يقع في وقت من الاوقات تحت الريب والفحص المدقق ولذلك يكتفي بتقرير الحوادث تقريرًا بسيطًا مجرَّدًا من التفسير

ثم لنلتفت الى الاصحاح الثاني عشر من سفر القضاة حيث يخبر عن صعود رجال افرايم لمحاربة يفتاح في ارض جلعاد مدعين باساءتهِ اليهم بعدم دعوتهِ لهم للاشتراك معهُ في محاربة بني عمون التي نجح فيها ووقوع محاربة عظيمة بين الفريقين بقولهِ وجمع يفتاح كل رجال جلعاد وحارب افرايم . فانكسر رجال افرايم وذُبحوا ذبحة غريبة فكان عدد القتلى الذين سقطوا في ساحة القتال والذين قُتِلوا عند امتحانهم بلفظة شِبُّولَت اثنين واربعين الفًا . فاستؤصل تقريبًا كل رجال الحرب في افرايم. فأَلا يترجح ان حادثة غريبة ودموية جدًّا مثل هذه لم تذهب بدون تذكارٍ . وما هو التذكار الطبيعي لقبر سبطٍ نظير تسمية البقعة التي دُفِن فيها على اسمهِ

فهذا ما يمكنا ان نعلل بهِ تعليلاً طبيعيًّا تسمية ذلك المكان في ارض جلعاد بوعر افرايم . وهذه القضية لولا وصول سفر القضاة الينا او لو وصل الينا بدون ذكر غلبة يفتاح فيهِ لاحدثت لنا ارتباكًا

كليًا . نعم اننا لانقدران نجزم ان حرب داود وابشالوم حدثت في نفس المكان الذي حدثت فيهِ الحرب بين يفتاح وافرايم قبل ذلك بنحو مئة وعشرين سنة لكنهُ يترجح ان الامر كذلك لان كلتا الواقعتين حدثتا بكل تأكيد في جلعاد وحسب الظاهر في تلك البقعة من جلعاد المحدودة من الجهة الواحدة بمخاوض الاردن

فيتضح مما تقدم ان ما ظهر غلطًا كثيرًا ما يتحول بعد الفحص والتدقيق الى بينة راهنة على امانة الكاتب

٣ المطابقة غير المقصودة في الاناجيل الاربعة وسفر الاعمال

فلنتقدم الآن لاستعمال ذات القاعدة التي استعملناها لاختبار صحة العهد القديم وهي المطابقة غير المقصودة لاختبار صحة البشائر الاربع وسفر اعمال الرسل . ومما يسرنا ان المطابقة الاولى التي نذكرها الآن هي من المطابقات الواردة في الكلام عن عجيبة . فالبينة اذًا تؤيد صحة العجيبة كما تؤيد صدق الكتاب

١ قد ورد في انجيل متى ٤: ١٨—٢٢ واذ كان يسوع ماشيًا عند بحر الجليل ابصر اخوين سمعان الذي يقال لهُ بطرس واندراوس اخاهُ يلقيان شبكةً في البحر فانهما كانا صيادين . فقال لهما هلمَّ ورائي فاجعلكما صيادي الناس . فللوقت تركا الشباك وتبعاهُ . ثم اجتاز من هناك فرأى اخوين آخرين يعقوب بن زبدي ويوحنا اخاهُ في السفينة مع زبدي ابيهما يصلحان شباكهما فدعاهما . فللوقت تركا السفينة واباهما وتبعاهُ

وفي انجيل لوقا ٥: ١—١١ واذ كان الجمع يزدحم عليهِ ليسمع كلمة الله كان واقفًا عند بحيرة جنيسارت . فرأى سفينتين واقفتين عند البحيرة والصيادون قد خرجوا منهما وغسلوا الشباك. فدخل احدى السفينتين التي كانت لسمعان وسأله ان يبعد قليلاً عن البر. ثم جلس وصار يعلم الجموع من السفينة . ولما فرغ من الكلام قال لسمعان ابعد الى العمق والقوا شباككم للصيد . فاجاب سمعان وقال لهُ يا معلم قد تعبنا الليل كلهُ ولم نأخذ شيئًا ولكن على كلمتك القي الشبكة . ولما فعلوا ذلك امسكوا سمكًا كثيرًا جدًا فصارت شبكتهم تتخرق . فاشاروا الى شركائهم الذين في السفينة الاخرى ان يأتوا ويساعدوهم. فأتوا وملأوا السفينتين حتى اخذتا في الغرق. فلما رأى سمعان بطرس ذلك خرَّ عند ركبتي يسوع قائلاً اخرج من سفينتي يا رب لاني رجلٌ خاطئٌ . اذ اعترتهُ وجميع الذين معهُ دهشة على صيد السمك الذي اخذوهُ . وكذلك ايضًا يعقوب ويوحنا ابنا زبدي اللذان كانا شريكي سمعان . فقال يسوع لسمعان لا تخف . من الآن تكون تصطاد الناس . ولما جاءوا بالسفينتين الى البر تركوا كل شيء وتبعوهُ

ان ما ورد في لوقا تتمة لكلام متى لانهُ لامر واضح ان كليهما يتكلمان عن حادثة واحدة . ومن الادلة على ذلك ان ظروف واحوال تعيين اندراوس و بطرس ويعقوب ويوحنا من تابعي المسيح المنصوص عليها في كليهما هي واحدة . والعبارات التي بها يُدعَون لاتباعهِ هي في كليهما واحدة وهي عبارات معتبرة واصطلاحية . ومما يتفقان فيهِ ايضًا صورة هذه الحادثة واجتماع الفريقين اليهِ والطاعة لاوامرهِ وبمقابلة البشيرين معًا يكمل التاريخ على هذه الصورة . ان يسوع كان يعلم الشعب من سفينة بطرس لئلاَّ يزحمهُ الجمع واما سفينة زبدي وابنيهِ فكانت في اثناء ذلك واقفة عند البحيرة بالقرب منهم . ولما فرغ من الكلام امر سمعان ان يبعد الى العمق ثم صُنِعت عجيبة صيد السمك . واذ كانت سفينة بطرس لا تسع ما أُصطيد من السمك اشار الى شركائهِ زبدي ورفقائهِ الذين كانوا في السفينة الاخرى ان ياتوا ويساعدوهُ فاتوا وملأوا السفينتين وتقدموا بهما الى الشاطيء. واما يسوع فاذ اقنع بطرس واندراوس بسلطانهِ وقوتهِ بواسطة تعليمهِ وبعجيبة صيد السمك التي صنعها دعاهما . ثم ذهب الى زبدي وابنيهِ الذين كانوا قد جاءوا بسفينتهم الى البر وشرعوا يصلحون شباكهم ودعا ابنيهِ يعقوب ويوحنا . فهذه هي صورة هذه الحادثة بتمامها مجموعة من كلام البشيرَين متى ولوقا لانهُ لا يوافق الالتفات الى ما ورد في كلام احدهما وغض النظر عما ورد في كلام الآخر

واما ما قصدنا ان نبينهُ الآن فهو ان متى وهو لا يذكر كلمة واحدة عن العجيبة ينص على ان الخاص وجد ابني زبدي عند ما دعاهما يصلحان شباكهما مع ابيهما غير مكترث ببيان السبب الذي اوجب تصليحها ولا نحن نخال وجود داعٍ ايضًا الى السوال عن ذلك . غير انهُ لا يمكننا ان نتجاوزهُ بدون ملاحظة مطابقتهِ تمامًا لما ذكرهُ لوقا في طريق العرض عن تخرُّق الشباك في تلك الصيدة العجيبة . وهذه المطابقة التي هي في نفسها زهيدة جدًّا تظهر لنا انها تؤيد صدق العجيبة ذاتها. لان تصليح الشباك الذي يذكرهُ متى يحتمل تخرُّقها الذي يذكرهُ لوقا وتخرُّقها يحتمل صيدة السمك الكبيرة وهي تحتمل العجيبة . ولا نعني ان المطابقة تبرهن صحة العجيبة برهانًا قاطعًا بل صدق البشيرين لانهُ يكون بالحقيقة وهمًا ليس في محلهِ الظن ان متى ذكر عمدًا امر تصليح الشباك واهمل ذكر العجيبة لكي يثبت صدق لوقا الذي ذكر العجيبة ونصَّ على ان الشباك تخرَّقت بواسطتها

٢ مت ٨: ١٤ ولما جاء يسوع الى بيت بطرس راى حماتهُ مطروحةً ومحمومةً

ان المطابقة التي سنبينها الآن مستخرجة من هذا العدد وبعض ما جاء في رسائل بولس الرسول

اما هذه الآية من شهادة متى فتدلُّ احق الدلالة على ان بطرس كان متزوجًا ونتعلم ان بطرس كان متزوجًا من كلام بولس الصريح الذي ليس لهُ علاقة بما تقدم من

قول متى وهو العلّمنا ليس لنا سلطان ان نجول باختٍ زوجةً كباقي الرسل واخوة الرب وصفا (اي بطرس) ١كو ٩:٥ . ولا يخفى ان الفرق بين بولس ومتى في اسم ذلك الرسول اي ان بولس يذكرهُ باسم صفا ومتى يذكرهُ باسم بطرس هو في نفسهِ دليل على ان الآية الواحدة كُتِبت بدون نظرٍ الى الاخرى وان المطابقة هي بدون قصد . وايضًا ان دليل الصحة وارد هنا كما في المثال السابق في اثناء الكلام عن عجيبة لانهُ قيل بعد ذلك ان يسوع لمس يدها فتركتها الحمى . فقامت وخدمتهم مت ٨:١٥

٣ مت ٨:١٦ ولما صار المساء قدموا اليهِ مجانين كثيرين . فاخرج الارواح بكلمة وجميع المرضى شفاهم

ولعلّ احدًا يسال لماذا تاخروا عن تقديم المرضى والمجانين الى يسوع الى ان صار المساء ولم يانوا بهم في النهار . فنجيب ان مرقس ولوقا دون متى ينصان على ان هذه الحادثة قد جرت في يوم السبت مر ١:٢١ ولو ٤:٣١ ومتى ينصّ في مكان آخر لا علاقة لهُ البتة بهذه الحادثة على ان اليهود اعتقدوا انهُ لا يحل الابراء في السبوت مت ١٢:١٠ . فمن ملاحظة هاتين الآيتين معًا وكون اليوم كان يبتدئ عند اليهود من غروب الشمس يتبين سبب تاخرهم عن المجيء الى يسوع لاجل الابراء حتى جاز السبت او الى ان صار المساء

٤ مت ٢٦:٦٧ و٦٨ حينئذٍ بصقوا في وجههِ ولكموهُ . وآخرون لطموهُ قائلين تنبأْ لنا ايها المسيح مَنْ ضربك

ان في هذا الكلام دلائل على عدم التعمُّد في ما ذُكِر فيهِ وفي ما تُرِك منهُ . ولا يخفى انهُ من داب من يخترع قصةً ويطمع في اقناع الناس بصدقها الاحتراس الكلي على تركيب اجزائها العديدة معًا تركيبًا محكمًا بحيث تكون نتائجها مرتبة على مقدماتها وتبيين كيفية انتاجها . واذ يعلم طبعًا انهُ يقع تحت التهمة ان لم يكن خبرهُ محتملًا وموافقًا بعضهُ بعضًا يبذل جهدهُ في منع ذلك . واما من يتكلم بالحق فمن دابهِ ايراد امورهِ بدون تكلُّف وتركها لنصيبها وان يتكلم كمن لهُ سلطان ولا يبالي بكيف ولماذا لانهُ لا يخطر البتة على بالهِ اللزوم لذكر امور خصوصية ما يجعل ما قررهُ قابل التصديق واذا اورد شيئًا من هذا القبيل يكون ذلك التزامًا او في طريق العرض

اما قول البشير متى في العدد الذي اوردناهُ في اول هذا القسم وآخرون لطموهُ قائلين تنبا لنا ايها المسيح مَنْ ضربك فلو فقدت نصوص البشيرين الآخرين لما امكن للمفسرين الحاذقين ان يقدّروا المحذوف منهُ الذي بدون معرفتهِ لا يظهر المعنى البتة . لانهُ لا محل لقولهم للمسيح تنبا لنا من ضربك والضارب امام عينيهِ . ولكن ما ورد في لو ٢٢:٦٤ من ان الرجال الذين كانوا

ضابطين يسوع ربطوا عينيهِ قبل سوالهم لهُ ان يتنبا من ضربهُ كافي لبيان قول متى . اي انهم قصدوا اختبار رسالة يسوع الالهية من امتحانهِ ان كان يقدر ان يقول مَنْ ضربهُ بدون ان يراهُ . فترك امور كالتي اهملها متي يدل لا محالة على صدق الكاتب لانهُ لم يكترث ببيان المبادىء التي بُنِيَت عليها نتائجهُ لتكون تلك النتائج قابلة التصديق حالاً

٥ ما هي الدعوى التي لاجلها حكم اليهود على المسيح بالموت

ان جواب هذا السوال الذي يظهر في بادي الامر بسيطًا جدًّا ليس هينًا كما يُظنُّ . فاذا تتبعنا بالتدقيق محاكمة مخلصنا كما اوردها البشيرون نجد ان الدعاوي التي دانوهُ عليها هي اثنتان عددًا ممتازتان جيدًا ومقدَّمتان بتعليل موافق جدًّا في المحكمتين اللتين حاكموهُ فيهما

اولاهما قدموها امام روساء الكهنة والشيوخ والمجمع وهو محكمة يهودية دينية ولذلك اشتكوا على يسوع فيهِ بانهُ جدَّف فقال لهُ قيافا استحلفك بالله الحي ان تقول لنا هل انت المسيح ابن الله طامعًا بان يدينهُ من فيهِ . ولما اجاب يسوع بانهُ هو المسيح ابن الله مزّق رئيس الكهنة ثيابهُ قائلاً قد جدَّف . ما حاجتنا بعد الى شهود . ها قد سمعتم تجديفهُ مت ٢٦:٦٥

وبعد قليل احضروهُ امام بيلاطس الوالي الروماني وتركوا هناك على الاطلاق دعوى التجديف واستبدلوها بدعوى فتنةٍ . وقد نص على ذلك كلهِ لوقا بقولهِ . فقام كل جمهورهم وجاءوا بهِ الى بيلاطس . وابتدأوا يشتكون عليهِ قائلين اننا وجدنا هذا يفسد الامة ويمنع ان تُعطَى جزية لقيصر قائلاً انهُ هو مسيح ملك لو ٢٣: ١و٢ . وبذلوا جهدهم تلك المرة في اقناع بيلاطس بان يسوع مذنب وانذروهُ بانهُ ان اطلقهُ لا يحسبونهُ محبًّا لقيصر

وهذا الفرق في الشكوى بالنظر الى جنس القضاة وصفاتهم لم ينبهنا عليهِ البشيرون كانهم مجتهدون في تقريرهِ لاجل سند صدق اقوالهم باظهار ما فيهِ من الدقة والمناسبة بل بالعكس اوردوهُ كانهُ على سبيل الاتفاق وامر غير مهمّ بحيث يمكن للقارىء ان يتغاضى عنهُ بسهولةٍ . نعم ان كثيرين من قارئي الاناجيل يتغاضون عنهُ تمامًا

٦ مت ٢٦: ٧١ ثم اذ خرج الى الدهليز راتهُ (جارية) اخرى فقالت للذين كانوا هناك وهذا كان مع يسوع الناصري

فكيف اتفق ان جارية ميزت بطرس في الدهليز وهو غريب وقد دخل البيت في ظلام الليل وفي وقت الضجيج والاضطراب

اما يوحنا فيقول بعد دخول يسوع الى دار رئيس الكهنة واما بطرس فكان واقفًا عند الباب خارجًا فخرج التلميذ الآخر الذي كان معروفًا عند رئيس الكهنة وكلم البوابة فادخل

بطرس يو ١٨ :١٦ . وهذا يدلُّ على سبب معرفة تلك الابنة بطرس في الدهليز وهذا الامر لا يبلغ اليهِ متى البتة . وهو دليل دقيق على صدق انجيل متى الذي لولا وصول انجيل يوحنا الينا لكنا قد خسرناهُ . ولا ريب في انهُ لو كان لنا تواريخ صحيحة معاصرة للبشائر لتبين لنا ادلة كثيرة نظير هذا من المقابلة معها

٧ يوحنا ١٨ :١٠ ثم ان سمعان بطرس كان معهُ سيفٌ فاستلَّهُ وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع اذنهُ اليمنى . وكان اسم العبد ملخس

وع ١٥ وكان سمعان بطرس والتلميذ الآخر يتبعان يسوع . وكان ذلك التلميذ معروفًا عند رئيس الكهنة فدخل مع يسوع الى دار رئيس الكهنة

وع ١٦ واما بطرس فكان واقفًا عند الباب خارجًا . فخرج التلميذ الآخر الذي كان معروفًا عند رئيس الكهنة وكلم البوابة فادخل بطرس

فيقتضي هنا ان نبين اولاً ان الارجح هو كون التلميذ المعروف عند رئيس الكهنة المذكور في ع ١٥ هو البشير يوحنا نفسهُ . وهذا نستنتجهُ من اربعة امور

(١) من شهادة الآباء فم الذهب وثيوفيلاكتس واير ونيموس

(٢) من كلام يوحنا عن نفسهِ كما هو مسلم عند الجمهور باستعمال ضمير الغائب في قضايا مشابهة لهذه . ومنها قولهُ فركضت وجاءت الى سمعان بطرس والى التلميذ الاخر الذي كان يسوع يحبهُ يو ٢٠ :٢ . وايضًا قولهُ فخرج بطرس والتلميذ الآخر يو ٢٠ :٣ . وهذه العبارة الاخيرة اي التلميذ الآخر مكررة مرارًا عديدة في هذا الاصحاح وغيرهِ

(٣) من انهُ كان لهُ حق خصوصي بهذا اللقب (اي التلميذ الآخر) حيث يُذكَر بطرس رفيقهُ في العمل اذ كانت بينهما علاقة اشدّ مما بين غيرهما من التلاميذ . لانهما كانا دائمًا يشتغلان معًا . فانهما قد أُرسلا معًا ليعدّا الفصح الاخير لو ٢٢ :٨ . وركضا معًا الى القبر . ويوحنا اخبر بطرس عن ذلك الشخص الذي ظهر على بحر طبرية انهُ هو الرب يسوع يو ٢١ :٧ . وبطرس اراد ان يعرف من الرب ماذا يصير ليوحنا يو ٢١ :٢١ . وبعد صعود المسيح الى السماء يذكران معًا في الجزء الاول من تاريخ اعمال الرسل

(٤) ان ما قيل عن حركات التلميذ الآخر الذي كان معروفًا عند رئيس الكهنة اي من جهة خروجهِ ودخولهِ صريح ومدقق جدًّا حتى انهُ يدلُّ لا محالة على ان الكاتب هو يوحنا نفسهُ . ومع ان البشيرين الآخرين لا يذكرون اقلَّ شيء عن التلميذ الآخر ينصون على ان بطرس دخل الى دار رئيس الكهنة ولكن بدون ذكر شيء من امور دخولهِ الخصوصية ولا اشارة الى كيفية الدخول

ولا الى الموانع التي حالت دون ذلك

فنرى مما تقدم ان ذلك التلميذ المعروف عند رئيس الكهنة هو يوحنا . ودليلنا المبني على ما تقدم يقوم هكذا . ان جميع البشيرين يذكرون قطع بطرس اذن عبد رئيس الكهنة ولكن اسم العبد يذكرهُ يوحنا فقط . وسبب ذلك على الارجح هو ان يوحنا بوسائط لا نعلمها صار معروفًا عند رئيس الكهنة واهل بيتهِ حتى صارت معرفة متبادلة بينهُ وبين الخدم ايضًا . ويرجح ذلك كونهُ أُذِن لهُ بالدخول الى دار رئيس الكهنة دون بطرس الذي منعوهُ ولما خرج وكلم البوابة فادخل بطرس. ويتبرهن هذا الامر ايضًا من انهُ لما قال عبد آخر لبطرس انهُ من تلاميذ يسوع اضاف يوحنا الى ذلك الخبر عن نسبهِ وبيَّن معرفتهُ باهل ذلك البيت بقولهِ وهو نسيب الذي قطع بطرس اذنهُ .وعندنا ان هذه الامور تري ان يوحنا (على الفرض انهُ هو التلميذ الآخر) عرف شخصيًّا خدم رئيس الكهنة

واذ ذاك كان امرًا طبيعيًّا انهُ عند ذكر ما فعلهُ بطرس بواحدٍ من عبيد رئيس الكهنة يذكر ذلك العبد باسمهِ كما قال وكان اسم العبد ملخس . واما البشيرون الآخرون فاذ لم تكن لهم معرفة خصوصية بهِ اكتفوا بذكرهِ بدون تعيين اسمهِ بقولهم عبد رئيس الكهنة

٨ يوحنا ١٨: ٣٦ اجاب يسوع مملكتي ليست من هذا العالم . لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لا أُسلَّم الى اليهود

انهُ لامر طبيعي ان اعداء مخلصنا عند سماعهم هذا القول يذكّرونهُ بان خدامهُ قد جاهدوا عنهُ اقل ما يكون مرة واحدة قبل ذلك بقليلٍ حين قطع بطرس اذن ملخس . ولا ريب في ان سكوتهم عن ذلك ليس تغاضيًا منهم شفقةً عليهِ لانهم كانوا في ذلك الوقت يفتشون عن اقل سبب للحكم عليهِ واتهموهُ بامور سخيفة وكاذبة لا اصل لها وغضوا النظر عمدًا عن هذه الجناية التي صدرت جهارًا من احد اتباعهِ وكان يمكنهم ان يجدوا شهودًا لاثبات صنعها امام عينيهِ في الحال في بيت رئيس الكهنة

ومما يزيدنا عجبًا من ترك هذه الدعوى وجود احد اقارب ملخس بين الجمهور الحاضر الذي لا بد انهُ علم بما اصاب نسيبهُ ولئن كان غير قادر ان يعرف الغريم نفسهُ كما يدل كلام البشير وهو قولهُ قال واحد من عبيد رئيس الكهنة وهو نسيب الذي قطع بطرس اذنهُ أما رايتك انا معهُ في البستان ع ٢٦ . فيقرب الى العقل لا محالة ان هذا الانسان يصيح طالبًا الانتقام والجزاء

فلو لم يصل الينا انجيل لوقا لبقيت صعوبة في تعليل ترك دعوى جنائية على يسوع يترجح انها تخطر على بال المشتكين عليهِ دون غيرها . لان الجناية كانت قد فُعِلَت حديثًا والمصاب كان واحدًا

من اهل بيت رئيس الكهنة وكان بمكنهم اثباتها بغاية السهولة ليس كالشكاوى التي قدموها عليهِ . ولكن ما اوردهُ هذا البشير في انجيلهِ ٢٣ : ٥١ من انهُ لما ضرب بطرس عبد رئيس الكهنة قال يسوع دعوا الى هذا ولمس اذنهُ وابراها حلٌّ كافٍ لهذا المشكل يقبلهُ كل ذي عقلٍ سليم من اول وهلةٍ . اي ان هذه العجيبة هي السبب الراهن لترك تلك الدعوى لان نقديها يفضي بهم الى بيان ما هو مناقض لما اضمروهُ ليسوع من الكياد . اي كان قد تبين من البحث عن حقيقة تلك الدعوى اكثرما يرومون بيانهُ . نعم لم ان يستخرجوا منها بينة ضد ادعاء يسوع بانهُ من اهل السلام ولكن كان قد تبين منها ايضاً حنو طبيعتهِ وخضوعهِ للشرائع وقوتهِ العجيبة الالهية وبيلاطس الذي كان يتوق الى سببٍ لاطلاقهِ كان قد وجد حالاً ما يقنعهُ ببراءة اسيرهِ وبانهُ اكثر من انسان

٩ ان بين البشائر الاربع وسفر الاعمال فرقاً في تعيين مصدر المضادة لانجيل المسيح وهو موافق لحقيقة الحال مع انهُ على نوعٍ ما خفيٌّ . ويمكن ان نُقرا تلك الاسفار مراراً كثيرة بدون ان يُشعَر بهِ

فيظهر من كل ما قيل في البشائر ان المضادة لعمل المسيح تكاد تكون محصورة في الفريسيين . والرب يسوع لهُ المجد قد اعتبرهم طائفةً مضادة لعملهِ في كل حين وقال لهم ويلٌ لكم ايها الكتبة والفريسيون المراؤون... فانتم تشهدون على انفسكم انكم ابناء قَتَلَة الانبياء ... فاملأوا انتم مكيال آبائكم مت ٢٣ : ٢٩-٣٢ . وقبل ما صعد الى الفصح الاخير قيل وكان ايضاً رؤساء الكهنة والفريسيون قد اصدروا امرًا انهُ ان عرف احدٌ اين هو فليدلَّ عليهِ لكي يمسكوهُ يو ١١ : ٥٧ . ولما عزم يهوذا على تسليمهِ اخذ الجند وخدّاماً من عند رؤساء الكهنة والفريسيين يو ١٨ : ٣

واما في سفر الاعمال كلهِ فيظهر ان هذه المضادة صدرت من الصدوقيين كما نُصَّ على ذلك في قولهِ وبينما هما يخاطبان الشعب (اي بطرس ويوحنا) اقبل عليهما الكهنة وقائد جند الهيكل والصدوقيون اع ٤ : ١ . وقيل ايضاً في حادثة اخرى فقام رئيس الكهنة وجميع الذين معهُ الذين هم شيعة الصدوقيين وامتلأوا غيرةً فالقوا ايديهم على الرسل ووضعوهم في حبس العامة اع ٥ : ١٧ و١٨ وايضاً لما اساءوا التصرُّف مع بولس امام حنانيا وكانت حياتهُ تحت الخطر قيل ولما علم بولس ان قسماً منهم صدوقيون والآخر فريسيون صرخ في المجمع انا فريسي ابن فريسي اع ٢٣ : ٦ . ولا يخفى ان الرسول بولس اعتبر الفريسيين في هذه المرة اصدقاء وطلب مساعدتهم على الصدوقيين الذين حسبهم اعداء ولم يخب امالهُ في ذلك

ولا ريب في ان سبب هذا التغيير العجيب في نسبة هاتين الشيعتين الى المسيحيين هو ان الرسل كانوا قبل قيامة المسيح في اثناء العصر الذي يحيط بهِ الاناجيل غير مبالين ببشارة تعليم قيامة الاموات لانهم كادوا لا يعلمون ما المراد بهِ مر ٩ : ١٠ ولكن بعد قيامتهِ اخذوا يبينون هذا التعليم

بكل اعتبار وايضاح كما يُرَى جيدًا من مطالعة اقوال بطرس العديدة الموردة في الاصحاحات الاولى من سفر الاعمال التي اشهر امرٍ في كل واحد منها القيامة من الاموات . ومن ذلك ما ذكرهُ في خطابهِ على اقامة شخص في مكان يهوذا الاسخريوطي اع ١: ٢٢ وفي خطابهِ في يوم الخمسين اع ٢: ٣٢ وعند باب الهيكل الجميل اع ٣: ١٥ وفي اليوم التالي امام الكهنة اع ٤: ١٠ وايضًا امام المجمع اع ٥: ٣١ وايضًا وقت تجديد كرنيليوس اع ١٠ : ٤٠

والاتفاق غير المقصود بين ما ورد في الاناجيل وسفر الاعمال عن هاتين الطائفتين يقوم بنسبة اعمالٍ الى كلٍّ منهما موافقةٍ لاعتقاداتهما كما نُصّ على ذالك في قولهِ لان الصدوقيين يقولون ان ليس قيامة ولا ملاك ولا روح . واما الفريسيون فيقرون بكل ذالك اع ٢٣: ٨ . وعدم وجود القصد بهذا الاتفاق ظاهر من انهُ قد تُرِك لقرّاء الاناجيل وسفر الاعمال ان يكتشفوا لانفسهم وجود هذا التغيير في الشيعة المضطهدة بعد قيامة المخلص الوارد ذكرهُ في طريق الاتفاق دون النص الصريح

١٠ اعمال ص ١٠ . ان ما ورد في هذا الاصحاح يتضمن مطابقة بسيطة غير متعمدة في تواريخ الحوادث الموردة فيهِ تبين صحتهُ بيانًا قاطعًا كما يتضح مما ياتي

ان كرنيليوس قد راى روْيا في قيصرية نحو الساعة التاسعة من يومٍ ما . واطاعةً لتلك الروْيا ارسل رجالًا الى يافا الى بطرس في ذات اليوم الذي راى فيهِ تلك الروْيا (ع ٥ و٨) . فوصلوا الى يافا في اليوم التالي اي كما قيل في الغد ع ٩ . وباتوا عند بطرس في يافا تلك الليلة ع ٢٣ . وخرجوا معهُ في اليوم التالي (اي في الغد) من يافا ورجعوا الى كرنيليوس في قيصرية ع ٢٣ . وفي الغد وصلوا الى قيصرية ايضًا ع ٢٤

ولما دخل بطرس الى كرنيليوس طفق يخبرهُ عمّا حملهُ ان يرسل وراءهُ وقال لهُ منذ اربعة ايامٍ الى هذه الساعة كنت صائمًا ع ٣٠ الخ . فهذا التاريخ يوافق تماما ما اقتضى لرسلهِ من الوقت لذهابهم الى يافا وايابهم من هناك حسبما يمكننا ان نجمعهُ من تلك القصة بعد التامل برهةً ما

١١ ومما يوافق مقصودنا ان نضيف الى ما تقدم بعض الامثلة للمطابقة غير المقصودة بين البشائر الاربع وسفر الاعمال وتاريخ يوسيفوس . اما هذا الموَرّخ فبما انهُ وُلد سنة ٣٧ م لا بد انهُ كان معاصرًا للبعض من الرسل زمانًا طويلًا . ونظرًا الى مقصودنا الآن لا فرق ان حسبناهُ موْمنًا بالديانة المسيحية ام لا وسواءٌ كان قد راى البشائر الاربع ام لا لان ما سنوردهُ من الامثلة لبيان الاتفاق بين تاريخهِ وتلك الاسفار الالهية واضح انهُ بدون تواطوء وناتج عن صدق الفريقين فيها واذا فرضنا انهُ كان مسيحيًا وانهُ قد راي ايضًا اسفار البشيرين يبقى شاهدًا مستقلًا اذا وُجِدت

شهادتهٔ خالية من القصد لاثبات الكتاب المقدس وواردة على سبيل العرض

وقبل ان نتقدم الى ذكر امثلة خصوصية للمطابقة بين يوسيفوس والبشيرين نورد بعض ملاحظات على المشابهة الاجمالية الكائنة بينهما بخصوص حالة اليهودية المدنية والسياسية والادبية التي نتحقق منها ان اخبار البشائر واعمال الرسل في هذا الموضوع مرسومة تماماً بغاية الضبط والتدقيق . وهذا الامر لايمكن بيانهٔ للقارىء في جملةٍ واحدةٍ لانهٔ لا يحتمل ذلك اذ يقتضي لهٔ ملاحظة حوادث كثيرة دقيقة يصعب فصلها من التاريخ كلهِ واذا أُخذت وحدها تظهر طفيفةً وغريبةً . ولكن نقول بالاختصار اننا متى فرغنا من مطالعة كتب يوسيفوس نشعر باننا قد طالعنا تاريخاً عن بلاد كانت سنين كثيرة قبل سقوطها الاخير محلاً للتشويش في السياسة والفتن لاننا نجد في كل جزء منها اخباراً عن المظالم والحيل والمكايد والخداع وعدم اجراء الشرائع اواجرائها بروح الغرض والتعصُّب وان الظلم صدر من الروساء وان الشعب كان كثير الدسائس والعدوان والفتن ونحو ذلك . وان اللصوص اقلقوا الشوارع ومحلاَّت الاجتماع العمومية وكانوا يخطرون شاكي السلاح وعطاشاً الى سفك الدم والغنيمة ويجتمعون افواجاً لتخويف الساكنين بالسلام حتى عسر ردعهم واخضاعهم بالقوة الجبرية وبالادوات الحربية . وبالاختصار انحلت الهيئة الاجتماعية بينهم وانقسم الجميع على انفسهم وتشوشت احوالهم . هذا ما نراهُ من حالة اليهودية في تاريخ يوسيفوس

واذا نظرنا الى العهد الجديد نستخلص منهُ نفس صورة وصف احوال اليهودية المرسومة بالاستيفاء في تاريخ يوسيفوس مع انهُ ليس من غرضهِ البتة الكلام عن تلك الامور وذلك ما ورد فيهِ عنها بتلميحاتٍ واشارات واخبارٍ وملاحظاتٍ متفرقة فيهِ وغير مقصودة لهذه الغاية بل جاءت في سياق الكلام وبين احوال ودقائق حوادث واخبار متنوعة

فاذا تاملنا مثلاً في حقيقة امثال مخلصنا نرى جليّاً ان كثيراً منها وربما اكثرها قصص ماخوذة من حوادث سالفة ومؤَلفة على كيفية موافقة لمقتضى الاحوال . ونجد في كثيرٍ منها عبارات تدلُّ على التشويش والسلب والحيل والمكايد والظلم واردة على اسلوب يدل على انها من الامور المالوفة والمعروفة عند الذين تخاطبوا بها

ومن ذلك ماقيل عن انسانٍ كان نازلاً من اورشليم الى اريحا فوقع بين لصوصٍ فعروهُ وجرحوهُ ومضوا وتركوهُ بين حيٍّ وميت لو ١٠: ٣٠ . وعن آخر غرس كرماً وارسل عبيدهُ لياخذوا الاثمار ولكن اخذ الكرامون عبيدهُ وجلدوا بعضاً وقتلوا بعضاً ورجموا بعضاً مت ٢١: ٣٥ . وعن قاضٍ لا يخاف الله ولا يهاب انساناً قد انصف الارملة لئلاَّ تاتي دائماً فتقمعهُ لو ١٨: ٢ . وعن وكيل لانسان

غني وُشي بهِ اليهِ بانهُ يبذر اموالهُ وبانهُ باستباحتهِ مال سيدهِ اعدَّ لنفسهِ منازل في بيوت مديونيهِ قائلاً حتى اذا عُزِلتُ عن الوكالة يقبلوني في بيوتهم لو١٦: ١ . وعن مجيء ابن الانسان كلصٍّ في الليل الذي ينبغي ان يسهر عليهِ كل رب بيتٍ لا يريد ان يدع بيتهُ يُنقَب مت ٢٤: ٤٣ . وعن ان كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب . وكل مدينةٍ او بيت منقسم على ذاتهِ لا يثبت مت ١٢: ٢٥. وعن وجوب ربط القوي قبل الدخول الى بيتهِ ونهب امتعتهِ مت ١٢: ٢٩ . وعن جهالة كنز كنوزٍ لانفسنا على الارض حيث يفسد السوس والصداء وحيث ينقب السارقون ويسرقون مت ٦: ١٩ . وعن العدو الذي لاجل بغضهِ لقريبهِ زرع زوانًا في وسط حنطتهِ ومضى مت ١٣: ٢٥ . وعن الانسان الذي وجد كنزًا في حقل آخر فباع كل ما كان لهُ واحتال واشترى ذلك الحقل مت ١٣: ٤٤ . ولعل هذه الامثلة التي يمكننا ايراد كثير نظيرها كافية لمقصودنا الآن

اما موضوعنا فلا يتبرهن فقط من امثال مخلصنا بل ايضًا من حوادث تاريخية كثيرة مذكورة في الاناجيل وسفر الاعمال . ومن ذلك لما عزم المخلص ان يدخل قريةً للسامريين ولم يقبلوهُ عرض عليهِ تلميذاهُ يعقوب ويوحنا اللذين لا ريب في انهما كانا متخلقين باخلاق اهل ذلك العصر ان يقولا ان تنزل نار من السماء فتفنيهم لو٩: ٥٢ . ولما اغتاظ شعب الناصرة من تبشير المسيح بدون تردُّدٍ قاموا واخرجوهُ خارج المدينة وجاءوا بهِ الى حافة الجبل الذي كانت مدينتهم مبنية عليهِ حتى يطرحوهُ الى اسفل لو٤: ٢٩. وايضًا فيما هو يتكلم مرةً ما في هيكل اورشليم تناول اليهود ايضًا حجارةً ليرجموهُ ولكنهُ خرج من ايديهم يو١٠: ٣١ . وورد خبر عن قوم من الجليليين الذين خلط بيلاطس دمهم بذبائحهم لو١٣: ١ . ولما قُبِض اخيرًا على مخلصنا كان ذلك ان يهوذا قد جاء ومعهُ جمع كثير بسيوفٍ وعصيٍّ مت ٢٦: ٤٧ كانهم في بلاد لا يمكن اجراء امرٍ ما فيها الاَّ بواسطة الاسلحة والادوات الحربية . وباراباس الذي كان اليهود يرغبون في اطلاقهِ عوضًا عن يسوع كان موثوقًا مع رفقائهِ في الفتنة الذين في الفتنة فعلوا قتلاً مر١٥: ٧ . ولما صُلِب مخلصنا صُلِب معهُ لصّان واحد عن اليمين وواحد عن اليسار

واذا تتبعنا حوادث الازمنة الى برهةٍ بعد ذلك لا نجد اصلاحًا للاحوال بل بالعكس كما نتعلم من يوسيفوس عما كانت عليهِ الاحوال عند ما اقترب انتشاب الحرب . ومن ذلك ما ورد عن استفانوس من انهم تهجموا عليهِ واماتوهُ اع ٧: ٥٨ . وعن شاول ايضًا انهُ كان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت ويجرُّ رجالاً ونساء ويسلمهم الى السجن اع ٨: ٣ . ولكن لما صار دور شاول ان يكابد الاضطهاد امتد الظلم والهيجان اكثر من قبل كما نرى في ما ورد في ص ٢١ و٢٢ و٢٣ من الاعمال الذي يوافق تمامًا ما ورد في يوسيفوس حتى يتراءى كأنَّ هذا المؤرخ هو المتكلم في هذه الاصحاحات

ولما اتى بولس الى اورشليم كان مضطرًا ان يصالح الشعب لان الاخوة قالوا له لابدّ على كل حال ان يجتمع الجمهور لانهم سيسمعون انك قد جئت . غير ان ما عمله في سبيل هذه الغاية ذهب عبثًا لانه ثار عليه الضجيج والصراخ من اشخاص قليلي العدد كانوا قد اتوا من اسيا وحالاً هاجت المدينة كلها وتراكض الشعب وامسكوا بولس وجروهُ خارج الهيكل . فاخذ امير الكتيبة عسكرًا وقواد مئات وركض اليهم لكي ينقذ بولس ومع ذلك اقتضى ان العسكر حملهُ بسبب عنف الجمع . وفيما كان يحامي عن نفسهِ طفقوا يصيحون ويطرحون ثيابهم ويرمون غبارًا الى الجو . ولما أُحضر امام المجمع امر حنانيا رئيس الكهنة الواقفين عندهُ ان يضربوهُ على فمهِ . اما هو فبكل حذاقةٍ رمى الفتنة بين اعدائهِ باقرارهِ بانهُ فريسي وانهُ مومن بالقيامة . وهذا كان كافيًا لوقوع الاختلاف بينهم لانهُ حدث عند ذلك منازعة كثيرة بين الفريسيين والصدوقيين حتى اختشى الامير ان يفسخوا بولس فامر العسكر ان ينزلوا ويختطفوهُ من وسطهم . ولما راوا انهُ قد أُنقذ من ايدي الجمع صنع اكثر من اربعين رجلاً من اليهود اتفاقًا وحرموا انفسهم قائلين انهم لا ياكلون ولا يشربون حتى يقتلوا بولس متى أُحضر في الغد امام المجمع . ولما بلغ امير الكتيبة خبر هذه المكيدة عزم على ارسال بولس الى قيصرية الى فيلكس الوالي . واقتضى من الحرس لمرافقة هذا الاسير الوحيد الى المكان الذي أُرسل اليهِ ليس اقل من اربع مئة وسبعين رجلاً من فرسان ومشاة . ولاجل زيادة الامنية عليهِ والاحتراس أُمروا ان يستعدوا من الساعة الثالثة من الليل . وجميع هذه الامور توافق بغاية الضبط احوال اليهودية كما هي مشروحة في يوسيفوس . وهذا الامر كان يمكننا ان نطيل عليهِ الكلام في ما تقدم ولكن ما ذكرناهُ هنا كافٍ لمقصودنا

ونرى ايضًا من مطالعة مولفات يوسيفوس انهُ كان بين اليهودية ورومية علاقات كلية كما يتضح من ذكر دعاوي وامور كثيرة في اليهودية مرفوعة الى رومية . فانهُ الى هناك كان يتردّد اليهود دائمًا طمعًا في نوال الالقاب والوظائف . وهناك كان يجب ان يقدموا شكاياتهم ويبرّزوا انفسهم ويطلبوا الصفح ويبينوا حقوقهم بالوظائف والانعامات ويؤدّوا تشكراتهم . والعهد الجديد مملوء من العبارات التي تقودنا الى نفس هذه النتيجة غير ان كل ما قيل بشان ذلك وارد بطريق العرض لا بالتعليم الصريح على هذا الموضوع

ثم انهُ يتضح لنا مما تقدم مناسبة تلك العبارات المكررة كثيرًا في امثال مخلصنا وغيرها عن الذين ذهبوا لمقاصد متنوعة وهي قولهُ الى كورة بعيدة وايضًا سافر ومسافر . ومن ذلك ما قيل عن ابن الانسان كانما انسان مسافر ترك بيتهُ واعطى عبيدهُ السلطان ولكل واحدٍ عملهُ واوصى البواب ان يسهر مر ١٣: ١٤ . وايضًا انسان شريف الجنس ذهب الى كورة بعيدة لياخذ لنفسهِ

ملكًا ويرجع لو ١٩: ١٢ . وكذلك عن الابن الشاطر انهُ جمع كل شيء وسافر الى كورةٍ بعيدةٍ وهناك بذر مالهُ بعيشٍ مُسرفٍ ١٥: ١٣ . وايضًا انهُ كان انسان ربُّ بيتٍ غرس كرمًا واحاطهُ بسياج وحفر فيهِ معصرة وبنى برجًا وسلمهُ الى كرامين وسافر مت ٢١: ٣٣

وهذه العلاقات السياسية بين اليهودية وروميةُ مركز الحكومة التي منها كانت تتوزع كل الكرامات والوظائف ذات الارباح الكثيرة كانت ايضًا الداعي الى استعمال تلك الاستعمارات الموردة كثيرًا في العهد الجديد مثل ملكوت السموات وطلب ملكوت السموات واعطاء ملكوت السموات ونحو ذلك . فكل ما نريد اثباتهُ هو ان تلميحات واستعارات مثل هذه تخطر طبعًا على بال معلمٍ في ظروفٍ واحوال كالظروف والاحوال التي كان فيها المسيح . وهذا ما يرجح صدور تلك الامثال والاستعارات والعبارات حقيقة من فم المخلص حسب شهادة الرسل

١٢ مر ٥: ١ وجاء الى عبر البحر الى كورة الجدريين الخ . وع ١١ وكان هناك عند الجبال قطيع كبير من الخنازير يرعى

ربما يظن القارىء عند اول وهلة ان مرقس قد ارتكب الغلط سهوًا في ما قال عن الخنازير لان هذا الحيوان كان مكروهًا عند اليهود ومحسوبًا نجسًا ويسال كيف اتفق والحالة هذه ان قطيعًا منهُ كان يرعى على شاطىء بحر طبرية

فنجيب ان هذا القول الذي ربما يكون عرضة لاعتراض البعض عليهِ يبرهن ايضًا ضبط كلام البشير ومعرفتهُ الكاملة باحوال اليهودية العمومية والموضعيَّة ايضًا . كما يتبين ذلك من كلام يوسيفوس (التاريخ القد ك ٧ اف ١١ ر ٤) حيث يقول ان برج ستراتو (وهو قيصرية فلسطين) وسبسطية (وهي مدينة السامرة القديمة) ويافا واورشليم كانت خاضعة لارخيلاوس واما غزة وجدَرة وهبوس فبما انها كانت مدنًا يونانية الحقها قيصر بسوريا . وهذا كافٍ ليعلّل لنا وجود الخنازير عند الجدريين

١٣ لو ٢٣: ٦ و٧ فلما سمع بيلاطس ذكر الجليل سال هل الرجل جليلي . وحين علم انهُ من سلطنة هيرودس ارسلهُ الى هيرودس اذ كان هو ايضًا تلك الايام في اورشليم

ان النتيجة الاصح من العبارة الاخيرة من هذا العدد هي ان اورشليم لم تكن مركز اقامة هيرودس ولا بيلاطس كما يدل قولهُ اذ كان هو ايضًا تلك الايام في اورشليم اي هيرودس . وهي تتضمن ايضًا اشارة الى انها لم تكن مركز اقامة بيلاطس . وبما ان هذا التلميح غير مقصود وغير صريح يوافق مقصودنا الآن . اما عدم اتخاذ هيرودس اورشليم مركزًا لاقامتهِ فيُستنتج مما ياتي من كلام يوسيفوس

قال هذا المورّخ ان هذا الملك (اي هيرودس الذي قتل يعقوب اخا يوحنا اع ١٢) لم يكن كهيرودس الذي ملك قبلهُ (وهو يشير الى هيرودس الذي ارسل بيلاطس اليهِ المسيح) لان هذا اي الاخير كان صارمًا وقاسيًا في قصاصهِ ولم يكن في قلبهِ شفقة على الذين يبغضهم . وكان الامر معلومًا انهُ يميل الى اليونانيين اكثر مما الى اليهود ولذلك زيّن بعض مدن الاجانب على نفقتهِ وبنى فيها حمامات ومراسح وبنى في بعضها هياكل واروقة ولكنهُ لم يفعل شيئًا من ذلك البتة في مدينة من مدن اليهود ولا كلّف نفسهُ لتزيين واحدةٍ منها باقل شيء . واما هيرودس الآخر (اغريباس) فكان الطف خلقًا وارق طبعًا واحسن سلوكًا مع جميع الناس . نعم انهُ كان محسنًا للغرباء ولكنهُ كان يراعي اليهود اهل وطنهِ اكثر منهم وكان يحس معهم في جميع انعابهم . ولذلك رغب في الاقامة دائمًا في اورشليم وحفظ بكل تدقيق جميع عوائد امتهِ انتهى (التاريخ القديم ك ١٩ ف ٧ ر ٣)

فيتبيّن من كلام هذا المورّخ اليهودي ان طبيعة هيرودس المذكور في سفر الاعمال كانت بعكس طبيعة هيرودس الذي نحن الآن في صددهِ لانهُ كان يحب اليهود وقد استوطن اورشليم . وكلام لوقا ليس اقل ضبطًا من ذلك في اشارتهِ الى عدم استيطان بيلاطس اورشليم . ويظهر من يوسيفوس ان قيصرية كانت المركز العمومي لاقامة الولاة الرومانيين في اليهودية (انظر التاريخ القديم ك ١٨ ف ٣ ر ١) . ولما تشكى اليهود الى بيلاطس من تدنيسهِ هيكلهم بادخال صورة قيصر اليهِ قدموا شكواهم اليهِ في قيصرية (انظر اخبار حروب اليهود ليوسيفوس ك ٢ ف ٩ ر ٢)

وربما كان عيد الفصح هو الداعي الى حضور بيلاطس تلك المرة في اورشليم لكي يصرف فيها بعض الايام لان حضور الوالي في اورشليم كان ضروريًا على نوعٍ خصوصيّ في مثل ذلك العيد

١٤ اع ٢٥ : ٢٣ ففي الغد لما جاء اغريباس وبرنيكي في احتفال عظيم ودخلا الى دار الاستماع مع الامراء ورجال المدينة المقدَّمين امر فستوس فأُتي ببولس

ربما يظنُّ القارئ ان حضور برنيكي في هذا الاجتماع كان خارق العادة او ان اشتراك امراة في هذا الامر هو في غير محلهِ لانهُ مما يختصُّ بجنس الرجال فقط . ولكن لنا من ذلك دليل آخر ايضًا على ما في الاسفار المقدسة من الدقة والضبط . لان اغريباس هذا لما شرع في محاربة روح العصيان الذي ابتدأ يظهر بين اليهود خاطبهم بالكلام المشهور المذكور في يوسيفوس الذي نتبين منهُ قوة الرومانيين وكيفية سياستهم في الولايات . وهو يقول انهُ جعل اولاً اختهُ برنيكي (وهي المذكورة اعلاهُ) في مكان ظاهر فوق بيت الاسمونيين الذي كان فوق الرواق عند الممرّ الى المدينة العليا حيث يوصل الجسر بين الهيكل والرواق انتهى . ثم شرع يكلّم الشعب . ولما انتهى خطابهُ قيل انهُ هو واختهُ اذرفا الدموع وهكذا قلّلا الظلم بين الشعب (انظر اخبار حروب اليهود

ك٢ ف١٦ ر٣ و٥)

٤ المطابقات غير المقصودة في الرسائل

انهُ من مقابلة رسائل بولس الرسول مع تاريخهِ المورد في سفر الاعمال نرى امثلة كثيرة للمطابقة غير المقصودة . ومن مطالعة هذه الاسفار يتضح ان ليس تاريخهُ ماخوذًا من الرسائل ولا الرسائل ماخوذة من تاريخهِ . اما البرهان على ان المطابقة بين الجانبين ليست بالقصد فهو من كونها في الغالب خفيَّة ومدققة وموافقة للاحوال التي تقوم فيها . وما ذلك الاَّ برهان على انها لم تحدث بتواطوء الكتبة ولا بالصدفة . ولا يمكن تعليل مطابقات مثل هذه كثيرة ومدققة الاَّ بان اساسها صحيح . وهاك بعض الامثلة لذلك

١ اكو ١: ١٢ فانا اعني هذا ان كل واحد منكم يقول انا لبولس وانا لابلوس وانا لصفا وانا للمسيح . وايضًا ٣: ٦ انا غرست وابلوس سقى لكن الله كان ينمي

فالآية الثانية تتضمن ثلاثة امور الاوَّل ان بولس الرسول كان في كورنثوس قبل ابلوس . والثاني والثالث ان ابلوس كان هناك بعد بولس ولكن قبل كتابة هذه الرسالة . وهي واردة على الترتيب حسب الزمان وذلك موافق لتاريخ هذه الحوادث في الاعمال حيث نتعلم ان بولس بعد ذهابهِ اوَّل مرة الى بلاد اليونان رجع من كورنثوس الى سورية على طريق افسس حيث ترك رفيقيهِ اكيلا وبريسكلا وذهب الى اورشليم . ثم صعد من اورشليم الى انطاكية ومن هناك خرج واجتاز بالتتابع في كورة غلاطية وفريجية (او النواحي العالية اي التي في شمالي اسيا الصغرى اع ١٨: ٢٣ و ١٩: ١) يشدد جميع التلاميذ اع ١٨: ١٩ و ٢٣ . وفي مدة هذا الجولان وبالتالي بين ذهابهِ الاوَّل والثاني الى كورنثوس وقبل كتابة هذه الرسالة التي كتبها من افسس بعد رجوعهِ اليها من الجولان المذكور آنفًا بسنتين على الاقل كان ابلوس في كورنثوس ١٩: ١ . لانهُ بينما كان بولس الرسول يبشر في كورة غلاطية وفريجية اقبل ابلوس الى افسس فبشرهُ في غيابهِ اكيلا وبريسكلا واخذ مكاتيب توصية من كنيسة افسس واجتاز الى اخائية . وعندما وصل الى هناك ساعد كثيرًا بالنعمة الذين كانوا قد آمنوا لانهُ كان باشتداد يفحم اليهود جهرًا اع ١٨: ٢٧ و ٢٨ . وهذا كافٍ لنوال مقصودنا الآن اي ان نبين من التاريخ ان ابلوس ذهب الى اخائية التي كانت كورنثوس قصبتها ومركز التبشير بالانجيل فيها وانهُ بشر بالانجيل في تلك البلاد . على ان التاريخ يذكر ايضًا زيادةً على ذلك ان ابلوس سكن في كورنثوس بعد وصولهِ الى اخائية اع ١٩: ١

فما قيل اذًا عن ابلوس في الرسالة المشار اليها يوافق تمامًا وعلى الخصوص في ترتيب الزمان ما قيل عنهُ في سفر الاعمال . والسوال الوحيد الآن هو هل قُصِد في الاشارات المذكورة تحصيل هذا

الاتفاق . فنجيب انهُ واضح ان لا تعلق لذكر اسم ابلوس في سفر الاعمال بذكر اسمهِ في الرسائل ولا يمكن ايجاد علاقةٍ مطلقًا بين ذكر اسمهِ في المحلين . وهو وارد في سفر الاعمال في تاريخ اكيلا وبريسكلا وكان الداعي الى الكلام عنهُ انهُ لم يكن يعرف الا معمودية يوحنا فقط . واما في الرسالة حيث لم تعتبر هذه الامور فكان الداعي الى ذكر اسمهِ توبيخ اهل كورنثوس على روح الانقسام الذي وُجِد بينهم وهو متعلق بذكر اسماء اخرى سابقًا بقولهِ ان كلّ واحدٍ منكم يقول انا لبولس وانا لابلوس وانا لصفا وانا للمسيح

٣ ١كو ١٦: ١٠ و١١ ثم ان اتى تيموثاوس فلا يحتقرهُ احد

ان الرسول لم يوصِ باحدٍ ممن كان يرسلهم مثلما اوصى اهل كورنثوس بتيموثاوس ولعل القارئ يسال ما سبب ذلك . فنجيب انهُ يظهر مما ورد في ١تي ٤: ١٢ ان تيموثاوس كان حديث السن وربما اصغر من كل الذين كانوا يُرسَلون في مثل الخدمة التي ارسلهُ بها ولذلك خاف الرسول من ان يكون عرضةً للاستهانة واوصاهُ قائلاً لا يستهن احد بحداثتك

٣ ٢كو ١١: ٨ و٩ واذ كنت حاضرًا عندكم واحتجت لم اثقّل على احدٍ لان احتياجي سدَّهُ الاخوة الذين اتوا من مكدونية

فالامر الجوهري في هذه الآية هو وصول اخوة من مكدونية الى كورنثوس بينما كان بولس فيها اول مرة وذلك مذكور صريحًا في اع ١٨: ١ و٥ حيث يقول وبعد هذا مضى بولس من اثينا وجاء الى كورنثوس . ولما انحدر سيلا وتيموثاوس من مكدونية كان بولس منحصرًا بالروح وهو يشهد لليهود بالمسيح يسوع

٤ غل ٦: ١١ انظروا ما اكبر الاحرف التي كتبتها اليكم بيدي

ومضمونهُ ان بولس لم يكتب جميع رسائلهِ بيدهِ وهذا يوافق ما اشار اليهِ تلميحًا في بعض الرسائل الاخرى . فان ترتيوس كتب الرسالة الى اهل رومية انظر رو ١٦: ٢٢ حيث يقول انا ترتيوس كاتب هذه الرسالة اسلم عليكم في الرب . واذا نظرنا الى الرسالة الاولى الى اهل كورنثوس والرسالة الى كولوسي والرسالة الثانية الى اهل تسالونيكي نرى في اواخرها هذه العبارة السلام بيدي انا بولس . وفحواها ان الرسالة ما خلا هذه العبارة كتبها آخر . نعم ليس من المستحيل ان خداعًا لاحظ هذا المحق المشار اليهِ في بعض الرسائل وزور رسالةً ووضعهُ فيها ولكن ليس الامر كذلك هنا . فان كاتب هذه الرسالة لم يتبع بولس في كيفية كتابة امضائهِ في تلك الرسائل بل انما امر الغلاطيين ان يلاحظوا كبر الحروف التي كتبها اليهم بيدهِ . بدون بيان موافقة ذلك لعادتهِ او مخالفتهِ لها

٥ كو ٤: ١٠ و ١١ يسلم عليكم ارسترخس المأسور معي ومرقس ابن اخت برنابا الذي اخذتم لاجلهِ وصايا . ان اتى اليكم فاقبلوهُ . ويسوع المدعو يسطس الذين هم من الختان

ونرى ان ارسترخس كان رفيقًا للرسول بولس في سفرهِ من اع ١٩: ٢٩ حيث يقال فامتلأَت المدينة (افسس) كلها اضطرابًا واندفعوا بنفس واحدة الى المشهد خاطفين معهم غايوس وارسترخس المكدونيين رفيقي بولس في السفر. وانهُ كان رفيقًا لهُ في سفرهِ الى رومية من اع ٢٧: ٢ حيث يقال فلما استقر الراي ان نسافر في البحر الى ايطاليا سلموا بولس واسرى اخرين الى قائد مئة اسمهُ يوليوس من كتيبة اوغسطس . فصعدنا الى سفينة ادراميتينية واقلعنا مزمعين ان نسافر مارّين بالمواضع التي في اسيا. وكان معنا ارسترخس رجل مكدوني من تسالونيكي

ولعلَّ معترضًا يقول ان مزوّر هذه الرسالة راى مذكورًا في سفر الاعمال ان ارسترخس سافر مع بولس الى رومية فوضع اسمهُ لكي يجعل رسالتهُ المزورة قابلة التصديق ويخفي مكرهُ عن اهل تسالونيكي لكيلا يشكون في ان بولس كتبها من رومية . فنجيب اننا لا ننكر قوة هذا الاعتراض ولو كان ارسترخس مذكورًا وحدهُ لما ذكرنا هذه القضية في باب المطابقة غير المقصودة . ولكن ما يبين عدم صحتهِ ذكر مرقس ويسطس هنا مع ارسترخس المنصوص في سفر الاعمال على سفرهِ فقط الى رومية بدون ذكر شيء فيهِ عن ذهابهما الى هناك . فلو قصد الكاتب ذلك الحيلة لاقتصر على ذكر ارسترخس اذ لا يذكر في سفر الاعمال ان غيرهُ سافر مع بولس . فاذا قال المعترض ان ما ورد في سفر الاعمال ماخوذ من الرسالة نجيبهُ اذا كان القصد بايراد هذا الخبر في الاعمال ايضاح ذكر ارسترخس في الرسالة لماذا ذكر فيهِ سفر ارسترخس الى رومية دون سفر مرقس ويسطس

٦ كو ٤: ٩ مع انسيمس الاخ الامين الحبيب الذي هو منكم

ان في هذا العدد نصًّا على ان انسيمس من كولوسي . واذا راجعنا الرسالة الى فليمون نرى ان انسيمس هو خادم فليمون او عبدهُ اما اسم مدينة فليمون فلا يُذكَر في هذه الرسالة ولكن يظهر منها انهُ من مدينة مسيحيٍ آخر مشهور اسمهُ ارخبس وذلك حيث يقال بولس اسير يسوع المسيح وتيموثاوس الاخ الى فليمون المحبوب والعامل معنا والى ابفية المحبوبة وارخبس المتجند معنا والى الكنيسة التي في بيتك فل ١ و ٢ وفي الرسالة الى اهل كولوسي نرى سلامًا لارخبس مع جملة مسيحيي تلك الكنيسة حيث يقال وقولوا لارخبس انظر الى الخدمة التي قبلتها في الرب لكي تتممها كو ٤: ١٧ . فينتج اذًا ان انسيمس من نفس تلك المدينة وفقًا لقول الرسول المتقدم اي في كو ٤: ٩

وهذا الاتفاق غير المقصود هو نتيجة الصدق لا محالة لانهُ من الغريب ان يكون نتيجة التزوير. اما الزعم بانهُ مقصود فغير محتمل وذلك لان القصد بهذه المسالة اي اثبات ما قيل عن انسيمس انهُ

من الكولوسيين قلما يخطر على بال احدٍ وليس ذلك فقط بل لان الوسائط الموضوعة لاثبات ذلك بعيدة وصعبة . فهل يمكن ان مزورًا يقصد امرًا مثل هذا يجعل الوصول الى غايتهِ بعيدًا وصعبًا كما في هذا الامر الذي فيهِ يلتزم القاري ان يصرف وقتًا طويلاً في التفتيش المستطيل من رسالة الى اخرى حتى يتبين لهُ ان لانسيمس علاقة مع فليمون ولفليمون علاقة مع ارخبس وان ارخبس من كولوسي و يصل اخيرًا الى النتيجة التي هي صدق ماقيل في الرسالة الى اهل كولوسي عن انسيمس انهُ منهم

٧ اعمال ١٦ : ١ ثم وصل (بولس) الى دربة ولسترة واذا تلميذ كان هناك اسمهُ تيموثاوس ابن امراة يهودية مؤمنة ولكن اباهُ يوناني . وفي الرسالة الثانية الى تيموثاوس ١ : ٤ و٥ خاطب الرسول بولس تيموثاوس بما ياتي مشتاقًا ان اراك ذاكرًا دموعك لكي امتلئ فرحًا اذ اتذكر الايمان العديم الرياء الذي فيك الذي سكن اولاً في جدتك لوئيس وامك افنيكي ولكني موقن انهُ فيك ايضًا

ان بين هذين القولين مطابقة واضحة ليس فيهما شي من الاغتصاب او التصنع. فانهُ قيل في سفر الاعمال ان تيموثاوس ابن امراة يهودية مؤمنة واما في الرسالة فقد مدح الرسول الايمان الذي سكن اولاً في امهِ افنيكي . وقيل عن الام في سفر الاعمال انها يهودية مؤمنة وعن الاب انهُ يونانيٌ . فاذ قيل عن الام فقط انها مومنة ولم يقل كذلك عن الاب مع انهُ ذُكِر في نفس الجملة نستنتج انهُ لم يكن مؤمنًا اي اما انهُ قد مات او انهُ لم يتنصر وهذا يوافق ما جاء في الرسالة من مدح ايمان الوالدة العديم الرياء مع عدم ذكر شيءٍ عن الوالد . (واما جدتهُ فقد ذُكِرَت في الرسالة دون سفر الاعمال والسبب الارجح لذلك هو ان الرسول قد عرفها وعرف اسمها واسم ابنتها ولكن كاتب سفر الاعمال لم يعرف ذلك)

٨ ٢ تي ٣ : ١٠ و١١ واما انت فقد تبعت تعليمي وسيرتي وقصدي وايماني واناتي ومحبتي وصبري واضطهاداتي والامي مثل ما اصابني في انطاكية وايقونية ولسترة اية اضطهادات احتملت ومن الجميع انقذني الرب

ان انطاكية المذكورة هنا ليست قصبة سورية حيث اقام بولس وبرنابا وقتًا طويلاً بل انطاكية بيسيدية التي ذهب اليها بولس و برنابا في سفرهما الاول حيث نطق بولس بذلك الخطاب المشهور المحفوظ في اع ص١٣ حيث قيل عن اليهود في هذه المدينة انهم حركوا النساء المتعبدات الشريفات ووجوه المدينة واثاروا اضطهادًا على بولس و برنابا واخرجوهما من تخومهم . اما هما فنفضا غبار ارجلهما عليهم واتيا الى ايقونية . وحدث في ايقونية انهما دخلا معًا الى مجمع اليهود وتكلما حتى آمن جمهور كثير من اليهود واليونانيين . ولكن اليهود غير المؤمنين غرّوا وافسدوا نفوس الامم على الاخوة .

فاقاما زمانًا طويلاً يجاهران بالرب الذي كان يشهد لكلمة نعمتهِ ويعطي ان تُجرَى آيات وعجائب على ايديهما . فانشق جمهور المدينة فكان بعضهم مع اليهود وبعضهم مع الرسولين . فلما حصل من الامم واليهود مع روسائهم هجوم ليبغوا عليهما ويرجموهما شعرا بهِ فهربا الى مدينتي ليكاونية لسترة ودربة والى الكورة المحيطة . وكانا هناك يبشران . ثم اتى يهود من انطاكية وايقونية واقنعوا الجموع فرجموا بولس وجروهُ خارج المدينة ظانين انهُ قد مات .ولكن اذ احاط بهِ التلاميذ قام ودخل المدينة وفي الغد خرج مع برنابا الى دربة . فبشرا في تلك المدينة وتلمذا كثيرين . ثم رجعا الى لسترة وايقونية وانطاكية انتهى . فهذا الخبر يتضمن المدة التي حدث فيها ما اشار اليهِ في رسالتهِ الى تيموثاوس

اما المطابقة بين ما اوردناهُ من سفر الاعمال والرسالة فهي ان في الاول ذُكر عن الرسول انهُ احتمل اضطهادات في ثلاث مدن وهي التي اشار اليها في رسالتهِ وايضًا انهُ احتمل هذه الاضطهادات على التتابع وعلى ترتيب ذكر المدن في الرسالة . وتوجد مطابقة ايضًا في امر آخر . وهي انهُ في سفر الاعمال ذُكرت غالبًا مدينتا لسترة ودربة معًا واما في الآية التي من الرسالة فذُكرت لسترة دون دربة . وسبب ذلك واضح وهو ان الرسول في الرسالة ذكر اضطهاداتهِ التي كابد كثيرًا منها في كلٍّ من المدن الثلث التي اجتازها على طريقهِ الى دربة واما في دربة نفسها فلم يصادف شيئًا من ذلك كما نستدل مما ورد في اع ١٤: ٢٠و٢١ حيث يقال وفي الغد خرج مع برنابا الى دربة فبشرا في تلك المدينة وتلمذا كثيرين ثم رجعا الى لسترة. اذًا بين ما اوردناهُ من الرسالة وسفر الاعمال مطابقة في ثلثة امور وهي اسماء المدن وترتيب ذكرها والمكان المستثنى منها . وما قدمناهُ من الامثلة ليس الاَّ قليلاً مما يمكن ايرادهُ في هذا الباب للبرهان على صدق الكتاب المقدس

تاسعًا . يتبرهن صدق الكتاب المقدس مما يتضمنهُ من التعاليم الروحية والادبية وعلى الخصوص من سجايا المسيح المبيَّنة فيهِ

ان هذا البرهان يتجه على نوع خصوصي الى عقول المومنين المسيحيين بالحق ولهُ تاثير كليٌّ فيهم واعتبار عظيم عندهم . وهو من البينات الداخلية ولذلك يقتضي لفهم معناهُ جيدًا وروية جمالهِ التعمق في معرفة تعاليم الكتاب المقدس وفهم معناها الروحي . قال موُلف كتاب دليل الصواب الى صدق الكتاب في الفصل الثالث عشر واما الوقوف جيدًا على بينات كتاب الله الداخلية فلا يتيسَّر الاَّ بمطالعة الكتاب المقدس عن رغبةٍ وقَّادةٍ . وهي لا تنتظم على صورة برهانٍ منطقيٍّ

بل نقوم بصلاح الحق وجمالهِ الادبي وبمطابقتهِ للعقل البشري وبقوتهِ العجيبة في دخولهِ الى القلب وفحصهِ وتاثيرهِ في الضمير. وكذلك توجد في تعاليم كتاب الله واوامرهِ طهارة فايقة وروح عبادةٍ سماوي وقوة مقدسة وتعزية للقلب الحزين لايمكن الآن يشعر بها كلُّ مَن يقراهُ بالوقار. فجميع هذه الاوصاف قد يتصورها العقل ويشعر بتاثيرها مع انهُ لايمكن جمعها ونقديها على صورة البرهان بكل قوتها انتهى

وقد قسمنا الكلام في هذا الموضوع الى ثلاثة اقسام. الاول البينة على صدق الكتاب المقدس ما يتضمنهُ من التعاليم الروحية. والثاني ما يتضمنهُ من الاوامر الادبية. والثالث من سجايا المسيح حسبما نُصَّ عليها فيهِ

ا . البينة على صدق الكتاب المقدس مما يتضمنهُ من التعاليم الروحية

ان الكتاب المقدس هو خزانة عظيمة مملوَّة تعاليم الهية للبشر اعلنها الله لهم بانواعٍ وطرقٍ كثيرة بواسطة امةٍ مختارةٍ وهي امة اليهود. وفي النظر اليهِ نظرًا عموميًّا نرى من الامور المتعلقة بتاريخهِ ومقامهِ واصلهِ ما يؤيد القول بصدورهِ من الله. فاذا قابلنا امة اليهود وتاريخها مع سائر امم العالم وتواريخهم يتبين لنا ان توليد ديانتهم من انفسهم لامرٌ غريب وبعيد الاحتمال. واذا نظرنا الى الشرقيين الذين خرجوا منهم او الى المصريين الذين تغربوا بينهم لا نرى البتة سببًا من قبل البشر للمباينة العظيمة بين ديانتهم وسائر اديان العالم. فكيف نشأت بينهم عبادة الهٍ واحدٍ ذي طبيعةٍ روحية قدوس عادل جواد وجميع الامم حولهم وثنيُّون يعبدون الاصنام وآلهةً كثيرة على طرقٍ متنوعةٍ. واذا فرضنا ان هذه الافكار السامية نشأَت من احد الاباء فكيف اتفق ان امة اليهود تمسكت بها وبذلك المبدا العظيم وهو مبدا وحدة الالهِ وابرزتهُ في اسفارها وجميع الامم يتوغلون اكثر فاكثر في الديانة الكاذبة. واذا استثنينا قليلاً من الاشارات والطقوس الخارجية من الديانة اليهودية لا نرى مشابهة بينها وبين الاديان الوثنية بل مباينة عجيبة وذلك في تعاليمها وآدابها وروحها وغاياتها ومقاصدها وهي في اقصى درجة من العظمة. وتلك الامة ولئن لم تشتهر البتة في التمدن الظاهر نظير اليونانيين والآراء الدقيقة الفلسفية كان لها ديانة نقية ونفيسة جعلت تاريخها ممتازًا مدى الادوار ويضيء علينا كطريق نيّر مرسومة في وسط ظلمةٍ. وقد تعجب البعض كيف صاروا رجالاً في الديانة واولادًا في كل ما سواها. ثم ان في تاريخهم رسمًا او نظامًا ممتدًّا من بدايتهِ الى نهايتهِ قد ظهر فيهِ التقدُّم في اعلان الحق وفي تكميل الفداء للانسان وانتهى اخيرًا بمجيء المسيح العظيم الذي فيهِ اعلن الله نفسهُ للبشر والذي لا يقدر الكفرة ان يعللوا حوادثهِ ومتعلقاتهِ مطلقًا بناء على ان اصلهُ من البشر. ولاريب في اننا اذا اعتبرنا تاريخ اليهود تاريخًا بشريًّا اعتياديًّا

لا يمكن تفسيرهُ البتة ولكن اذا راينا فيهِ يد العناية الالهية يصير مفهومًا الى الغاية

ولا يمكن القول بان اليهود نظيرامةٍ كانوا مائلين اكثر من كل من سواهم من البشر الى ممارسة الآداب السامية ولا الى تضمين كتبهم الطائفية هذه الآداب ولا انهم مالوا الى ممارسة عبادة روحية طاهرة. وتاريخهم المورد في نفس كتبهم والمقرَّر بشهادات اخرى يشهد انهم لم يكونوا كذلك بل بالعكس اي مالوا الى فساد الآداب وقد اشتهروا بهذا الامر في اوقاتٍ شتى والى شدة الولوع بممارسة عوائد الامم الاخرى الوثنية الى ان رُدِعوا عن ذلك بواسطة سبي بابل المهول . ولعل احدًا يعترض بان بعض اليهود تقدموا وفاقوا الآخرين ولذلك اظهروا التقدم على غيرهم في قضايا ادبية . فنجيب اننا نسلم بذلك ولكن كيف اتفق ان سلسلة متصلة من ذوي العقول المرتفعة بينهم استمرُّوا قرنًا بعد قرنٍ يشتغلون في تقديم عملٍ واحدٍ . وانهُ لم يقم البتة بين كل المشاهير في العالم الوثني في جميع القرون من اشبه في صفاتهِ وسيرتهِ ذلك الشخص السامي العجيب يسوع الناصري

فجميع هذه الامور وما شابهها تتضمن بينة مضاعفة على ان اصل الكتاب من الله وهي عدم امكانية كون اصلهِ من الانسان وامكانية كون اصلهِ من الله لانهُ موافق جدًّا لما يُنتظَر من الله لاجل اعلان نفسهِ للبشر

وبما ان مقصودنا الآن ايراد البينات الداخلية على صدق الكتاب المستخرجة على نوعٍ خصوصي من ماهية تعاليمهِ الروحية يليق بنا ان نتقدم الى البحث عن هذه التعاليم كما هي مبيَّنة في العهد القديم والجديد ناظرين نظرًا اجماليًّا الى حقيقة ديانة الكتاب المقدس لنقف على ما فيها من الدلائل العجيبة على كون اصلها من الله لا من البشر

١ ان الصفات والسجايا الالهية المنصوص عليها في الكتاب المقدس سامية على العقل البشري ولائقة بالاله العظيم . لان هذا الكتاب يصوّر لنا في كل جزء منهُ على هيئةٍ نقيةٍ وسامية الهًا واحدًا فقط وهو الاله الحي الحقيقي وان ذلك الاله هو روح غير مخلوق واجب الوجود لذاتهِ سرمديٌّ غير متغير حاضر في كل مكان في السماء وعلى الارض غير محدودٍ في الحكمة والقدرة كامل في جميع صفاتهِ اصل الحياة والوجود معتنٍ بجميع خلائقهِ عارف بجميع احوالهم وطالب من جميع الخلائق العاقلة ممارسة كل فضيلةٍ ادبية . وهذا الكتاب يعبر عن صفاتهِ تعالى الادبية على نوع خصوصي بالمحبة والقداسة فالمحبة تدلُّ على رغبتهِ غير المحدودة في سعادة مخلوقاتهِ والقداسة على مضادتهِ على الاطلاق لكل شرٍّ ادبي . والاولى معلنة في ابوتهِ والثانية في حكمهِ الادبي لانهُ هو الرب الالهُ الرحيم الرؤُوف طويل الروح وبطيء الغضب غافر الاثم والمعصية والخطية للتائبين ولكنهُ لن يبرئ

ابراءَ الاثيم الذي لا يرجع عن اثمهِ . وبواسطة هاتين الصفتين يُنتج اسمى خيرٍ لخلائقهِ ويبين استحقاقهُ الفايق لمحبة وتوقير خلايقهِ لهُ. فهذه الافكار الكلية الطهارة والسمو عن الله تشهد من نفسها بصدورها من الله سبحانهُ

ولنتامل مع ما تقدم في آراء الكتاب المقدس عن عناية الله . نعم ان الطبيعة البشرية لا تميل الى ان ترى الله حاضراً دائماً ومتداخلاً في جميع الامور البشرية ولكن هذا هو اخص روح الكتاب المقدس واعم فكرٍ فيهِ . وبما ان هذا الكتاب يتضمن التعليم الصحيح عن العناية الالهية يصفهُ تعالى بانهُ جامع الحكمين العالَمين الادبي والطبيعي اي يعتني بامور خلائقهِ ويهبئ انصبة الامم ويعدُّ احتياجات اضعف افراد كل نوعٍ ويطلب ايضاً من جميع خلائقهِ ما يحق لهُ منهم من الاعتراف بهِ والطاعة لهُ والصلاة اليهِ والاتكال عليهِ بناء على وجود هذه النسب بينهُ وبينهم . وكل ذلك من اعظم واعجب خواص الوحي الخالية منها اديان الوثنيين بالكلية

٢ ومن اشهر خواص الكتاب المقدس وصف الديانة الشخصية حسبما ظهرت في صفات المؤمنين تحت نظام العهد القديم ونظام العهد الجديد الذين ديانتهم لم تقم بمجرَّد آراء واعتقادات عقلية سامية وصحيحة عن الطبيعة الالهية بل بحاسيات روحية داخلية مبنية على تلك الآراء والاعتقادات في قلوبهم ومعاشرة حقيقية مع الله بالايمان والعبادة والتقوى والمحبة والصلاة والخضوع لارادتهِ تعالى . ولا ريب في انهُ ليس بين جميع الامثلة للديانة الشخصية تحت النظام الوثني ما يستحق المقابلة مع تقوى موسى وداود ودانيال واشعياء وغيرهم من كتبة الاسفار المقدسة العبادية

ومن سفر المزامير نستخرج مثالاً للحياة الدينية التي خُلِقَت نفس الانسان لتحياها ما لا يمكن استخراج نظيرهِ من تاليف البشر على الاطلاق لاننا نجد في ذلك السفر من الحاسيات ما يدلُّ على شدة الاقتناع بوجود الله في جميع الصفات التي اعلنهُ لنا بهِ الوحي وعلى ممارسة العبادة الروحية المطلوبة من القلب التقي ممارسة مختصة بحاسيات دينية قلبية لا محالة. وكذلك موافقة ادبية تامة بين القلب التقي وكل ما يُرَى انهُ حق امام الله واقتناعاً برضاهُ واتحاد النفس معهُ والاتكال البنوي عليهِ والمحبة الشديدة لهُ والشكر على مراحمهِ والاشتياق الحار الى ما يطلبهُ تعالى من الانسان من الفضائل والتوبة العميقة عن الخطية وايضاً تحقق الرحمة الغفورة التي تتضمن معنى المصالحة معهُ في الداخل . فان اولئك الكتبة كانوا متيقنين جدًّا بنسبتهم الشخصية الى الله فرحين بها ومجدينهُ تعالى لاجلها . وبياناً لذلك راجع مز ١٣٩ و٢٣:٧٣-٢٨ . واول هذين المزمورين يدل على اسلوب عجيب على حقيقة التقوى الصحيحة العميقة المتضمنة في كتاب الله الناتجة من التامل في صفاتهِ تعالى الباهرة والاقتراب منهُ بالفرح والوقار والاتكال عليهِ. فديانة مثل هذه انما هي مؤسسة على الايمان المغروس

من الله لا الوهمي . وبالاختصار نرى في سفر المزامير تلك الحالة الدينية الادبية التي يطلبها طبعًا اله طاهر من مخلوق مثل الانسان ساقط في حالة الخطية قصد ذلك الاله ان يردهُ الى حالة القداسة الاصلية . وفي هذه الحالة العجيبة سواءٌ اعتبرناها نتيجة فعل الحق اوفعل الروح القدس في النفس اوفعل كليهما معًا برهان قاطع على انها من الله وذلك من النظر الى سموها على افضل نظام ديانةٍ منشاة من الانسان نفسهِ

٣ ولا يخفى ما لديانة الكتاب المقدس نظرًا الى تعاليمها عن حالة الانسان وطريق الخلاص من الصفات الباهرة التي تبدو منها وتعجب كل من يلاحظها ولاسيما عند مقابلتها مع صفات جميع الاديان البشرية . ولاجل ايضاح هذه البينة ننظر الى حقيقة هذه التعاليم حسبما هي معلنة في النظام المسيحي اي الى اعتبارها حسبما نُصَّ عليها في تعليم مخلصنا ورسائل رسلهِ . فان ما تبين ناقصًا في العهد القديم قد تم في النظام الجديد وما كان جسديًا صار روحيًا وما كان محدودًا صار بواسطة توسيعهِ موافقًا للبشر المزمع ان يُؤتى بهم الى الملكوت . ففي النظام المسيحي نرى اتمام ما هو استعدادي ورمزي في العهد القديم

ان تعاليم الديانة المسيحية وآدابها تتفق في بعض الوجوه مع ما نتعلمهُ من الديانة الطبيعية . لاننا نستنتج من مبادئ طبيعية وعلى الخصوص اذا عضدها نور الوحي امورًا كثيرة عن طبيعة الله وواجبات الانسان . اما قصد الوحي العظيم فهو اعلان ما هو خارج دائرة الديانة الطبيعية من الحقائق والواجبات مما لا تقدر قوى الانسان ان ترشدهُ اليهِ بدونهِ . وفي هذه المعلنات الخاصة بالديانة المسيحية دلائل داخلية معتبرة جدًّا على ان اصلها من الله بعضها يقوم بما يميزهُ فيها من الفرق عن افكار البشر وبعضها بمناسبتها العميقة لطبيعة الانسان الحقيقية واحتياجاتهِ وبعضها بما فيها من الفضل الجوهري مما نراهُ فيها متى تجددنا تجدُّدًا ادبيًّا لان العقل ولئن كان عاجزًا عن اكتشاف تلك الامور يستطيع ان يميز ما فيها من الفضل بعد اعلانها لهُ

ومما يبين ان اصل الكتاب المقدس من الله ما يتضمنهُ من التعليم عن اثم الانسان واحتياجهِ الى مخلص وعن رسم الخلاص المعلن فيهِ

ان الكتاب المقدس يعلن لنا الله سبحانهُ بانهُ صالح وقدوس الى غير نهاية وان عينيهِ اطهر من ان تنظرا الشرَّ وانهُ قد اعطى شريعةً للبشر ليس لليهود فقط بل للجنس البشري كلهِ وكتبها على قلوبهم ويتهدد بغضبهِ جميع الظالمين والاشرار وانهُ قد عيَّن يومًا فيهِ يدين العالم بالعدل . وموافقة لذلك يصف الانسان بانهُ صُنع اولاً على صورة الله مائلاً كل الميل الى اتمام الواجبات المطلوبة منهُ وقادرًا على ذلك . وان هذه الواجبات هي محبة الله من كل القلب ومن كل الفهم ومن كل النفس

ومن كل القدرة ومحبة القريب كالنفس مبينًا حقيقة ما حصل فيهِ من القصور بعد سقوطهِ عن الطاعة الكاملة لهذا الدستور الالهي السامي للواجبات المطلوبة منهُ

ولو اذنت لنا الفرصة الآن لبينا بالتفصيل موافقة هذه الحقائق للعقل السليم وللواقع فعلاً . اما ما يمكننا ايرادهُ بالاختصار في هذا الموضوع فهو ما يأتي

فبما ان الحكم الادبي لا يكون الاَّ على فاعلين احرار قادرين على تمييز قضايا ادبية لا بد لهُ من شرائع ووصايا يتوقف على طاعتها او التعدي عليها السعادة والشقاوة ولذلك وجود شريعة اصلية تعدَّى عليها الانسان وسقط يوافق كل الموافقة حالة الجنس البشري وتاريخهُ ويحل لنا الامور المعربسة فيهما وعلى نوع اخص يرينا جيدًا حقيقة الحالة المهلكة التي اتى الانجيل لينقذنا منها . وكل من درس الكتاب المقدس يرى ما فيهِ في كل مكانٍ منهُ من الاشارة الى اغتراب الانسان عن الله الذي بهِ تقوم حالتهُ الحاضرة الادبية وخلل طبيعتهِ التام . وهذه الحقيقة ولئن لم يكتشفها الانسان نفسهُ ولا قدر على ذلك يراها جيدًا بعد اعلانها لهُ وهي توضح حال طبيعتهِ وتاريخهِ . وهذا الاغتراب يقوم بمضادة القلب لطبيعة الله وشريعتهِ وعدم الثقة بهِ والنفور منهُ الناتجين من تلك المضادة وهو امر محسوس لا يقبل الانكار . ولا بد ان الجميع في نظر الله الطاهر القدوس زاغوا وفسدوا معًا . ليس من يعمل صلاحًا ليس ولا واحد . فكل التواريخ والاختبارات تشهد شهادة راهنة على هذا الخلل العمومي الادبي

اما رسم الخلاص العظيم المتضمن في تعاليم الكتاب الذي هو خارج عن دائرة اختراع البشر فيوافق تمامًا احوال سقوطنا هذا وهو لائق بحكمة وجودة الطبيعة الالهية. والكتاب المقدس ينص على ان الله الذي هو محبة طبعًا ويسرُّ بالرحمة قد اتخذ على نفسهِ ان يعدَّ الفداء للبشر وان يصفح صفحًا تاما عن قضاء الدينونة المحكوم بها على كل الجنس لكل من يريد ان يقبلهُ . او بكلامٍ آخر ان يصفح عن جميع خطايا الانسان ويقبلهُ الى حالة الرضا . وقد استنسب ان يفعل ذلك عن يد وسيط وهو احد اقانيم الثالوث الالهي الاقدس الذي قدم نفسهُ بطبيعة بشرية ذبيحةً عن الخطية مكرّمًا الشريعة باحتمالهِ قصاصها ومعلنًا بذلك ان الخطية خاطئة جدًّا وان الصفح عن الخاطىء انما يوافق الحكم الادبي على هذه الكيفية . وهكذا اعلن العليُّ ذاتهُ للانسان لكي يصالح العالم مع نفسهِ غير حاسبٍ على البشر معاصيهم وداعيًا الجميع الى الرجوع اليهِ لكي يحيوا

وهذا العمل الالهي الذي يحرّر الانسان من الدينونة هو ايضًا الواسطة الادبية العظمى لاصلاح خلل نفس الانسان وذلك لان الخاطئ متى اتكل عليهِ يتحرّر من حالة اليأس التي سقط فيها من شعورهِ بانهُ خاطىء محكوم عليهِ ومن خوفهِ من الشريعة والمشترع ومن بغضتهِ للقداسة ومقاومتهِ

لله سبحانهُ كخصمٍ لهُ . ومتى رجع السلام الى قلبهِ يرى ان الله يحبهُ وضميرهُ ايضًا يشهد لهُ بعدالة الله في دينونتهِ ويعترف بهِ بانهُ اله المحبة ومتى تبين لهُ سمو ذلك البرهان المبني على النعمة والمحبة في الفداء الذي اعدَّهُ الله لهُ يتعجب الى الغاية . وتامُّلهُ في عدم شفقة الله على ابنهِ وتسليمهِ الى الموت مجانًا عن الخطاة يثبّت ملك المحبة في قلبهِ ويجعل الخضوع والطاعة لهُ تعالى مما يلذّهُ جدًّا

اما عن رسم فداء الانسان فنقول اولاً انهُ لا ريب في ان هذا الرسم فائق الوصف لا عديل لهُ واصلي وبعيد الاحتمال ان يكون من مخترعات العقول البشرية

وذلك مما لا يُشَكُّ فيهِ لان اليهود في عصر المسيح قد توغلوا جدًّا في التمسك الخارجي بالطقوس الدينية حتى امسوا غير قادرين ان يتصوروا شيئًا صالحًا خارجًا عن دائرة الطقوس الموسوية التي لم يدركوا معناها الروحي ولا قصد الله بها . وعلى الخصوص لم يفهموا ما فيها من الاشارة الى الذبيحة العظمى ولان المسيح الآتي يكفّر عن الخطية بموتهِ . ولا يُحتمَل مطلقًا ان رسل المسيح الاثني عشر من اليهود اخترعوا امرًا كهذا وجعلوهُ اساس الديانة التي بشروا بها اليهود والامم لان عقولهم كانت خالية من المبادىء الاصلية الروحية التي هي الاساس الوحيد لهذا التعليم وعلى كل حالٍ كانوا عاجزين بالكلية عن تركيبها على صورة ديانةٍ جديدةٍ موافقةٍ لكل ما سبقها من الوحي

وايضًا لان الامم سواء كانوا خاضعين لتصديق خرافات العامة او لآراء مدارس الفلسفة اليونانية والرومانية كانوا يستغربون التعليم المسيحي عن الفداء الى الغاية وبالتالي كل ما يتعلق بهِ وادّعاؤهُ بانهُ يصالح الانسان مع الله ويجعلهُ مقبولاً عندهُ تعالى كان عندهم مخالفًا لجميع المبادىء البشرية . وبالاختصار يصدق على ذلك قول الرسول بولس ان الكرازة بالمسيح مصلوبًا كانت لليهود عثرة ولليونانيين جهالة . والامر مؤكد ان جميع مبادىء اليهود والوثنيين في وقت مجيء المسيح كانت مضادَّة لذلك على خطٍ مستقيم . وما يوردهُ المقاومون للديانة المسيحية في عصرنا الحاضر من الاعتراضات يبرهن ان كون هذه الديانة التي نهض البشر لمضادتها منذ تاسيسها الى الآن اختراع انسانٍ بعيد الامكان . واذا قيل ان ما يجعلها مقبولة عند كثيرين في عصرنا الحاضر كافٍ ليؤيد ايضًا انها قد خطرت اصلاً على بال البشر نجيب ان اشد المتمسكين بها يشعرون اكثر من غيرهم بوجود هذه المضادة في قلوبهم اصلاً لتعليم هذه الديانة ومطاليبها وانهم قد حازوا الغلبة على نفوسهم بقوة الحق وان هذه الديانة نفسها سبب ذلك التغيير العظيم في اعتقادهم وهي وحدها جعلت تعاليمها مقبولةً في قلوبهم بكل ترحابٍ . ولذلك هم مقتنعون اكثر من الجميع بان ما حُمِلوا على اعتناقهِ ووجدوهُ بركة لا توصف لو لم يكشفهُ لهم الله لبقي الى الابد بعيدًا عن عقولهم واميالهم الطبيعية . فيتبين لهم من ذلك بطل اعتقاد اختراع الديانة المسيحية او تصورها من البشر

واذ قد تبين ان نظام الفداء المسيحي لا يمكن نسبتهُ الى الانسان لننظر الآن الى لياقة نسبتهِ الى الله سبحانهُ . فاننا نرى فيهِ ما يدلّ على الاستقامة الصحيحة غير قابلة الالتواء والقداسة التامة والحق وان الشريعة عادلة واجراؤُها هو بدون محاباة وان العدل والرحمة والقداسة والجودة والحق هي من خواص طبيعة الله وحكمهِ . ونرى انهُ سبحانهُ متى صفح عن خطايا البشر يمجد صفاتهِ وصفات شريعتهِ الالهية الكاملة ايضاً في اعين الخطاة وانهُ في هذا الامر يتصرَّف باسمى حكمة وجودة حتى يجعل خلاص الخطاة من الاعمال اللائقة بسمو شانهِ . ونرى ايضاً في الوسائط (اي تقديم المسيح نفسهُ باختيارهِ كفارةً عن الخطية اعتباراً لله وافتداء للانسان) ترتيباً عادلاً ورحيماً لا يمكن الاعتراض عليهِ اذا فُهِم كما ينبغي

ومن خصائص عمل الفداء ايضاً التي تدل على سمو اصلهِ القدرة العظيمة في تعاليمهِ على تحريك قلب الخاطئ الذي يقبلهُ للفضيلة . فلا يمكن لغيرهِ ان يمنح ما يمنحهُ من السلام للضمير ويصالح نفس الانسان مع الله ويجعلهُ ابناً للآب السماوي ويربّي في قلبهِ احساسات الشكر ويرفع النفس نحو تحصيل القداسة الفائقة

ومن اعجب ما في نظام الفداء هو ذلك التعليم العظيم عن تجسد الله في المسيح الذي معناهُ العجيب هو ان الله معنا اي ان الله يسكن مع البشر بالطبيعة البشرية ويتنازل الى ضعف المخلوق متسربلاً بصورة الانسان ويتكلم ويتصرَّف كانسان كامل في الفقر والاشغال والاتضاع والآلام والضعف وفي الجهاد بصراخٍ شديدٍ ودموعٍ ويقبل الآلام والموت المعيب لكي يجعل الصفح ممكناً والخطية مبغضة عند الانسان . وشهادة هذه التعاليم لصدق الكتاب واصلهِ الالهي قاطعة وكل من يقبلها ويؤْمن بها من القلب يتغير تغيراً كلياً ادبياً حتى يقال بكل حقٍ مضت الاشياء العتيقة وصار الكل جديداً . وهكذا يتبين ان الصليب ولئن ظهر جهالةً للجهلاء وعديمي الايمان هو حكمة الله وقوة الله للخلاص لكل من ينظر اليهِ بالايمان

ولا ريب ان الخطاة غير التائبين في اي جيلٍ كان الذين خافوا من الطهارة الالهية واستصعبوا الاتضاع امامهُ تعالى لم يتاخروا عن تقديم الاعتراضات على تعاليم الانجيل الى غير نهاية غير ان ذلك لم يؤثّر في صحتها ولا بدَّ ان دم المسيح ذلك الحمل المذبوح منذ تاسيس العالم يبقى اساساً حقيقياً للايمان المسيحي ولرجاء النفوس التائبة وواسطةً لذلك التطهير للقداسة الحقيقية التي بها يستعد للسماء جماهير لا تحصى

٣ . البينة على صدق الكتاب المقدس مما يتضمنهُ من الاوامر الادبية

ان في مؤلفات مشاهير فلاسفة الوثنيين معاني سامية ادبية والفضائل كالعدل والحق

والامانة والحنو ممدوحة فيها ومستحسنة. وفيها تكريم المحبة الابوية والبنوية والزوجية واعتبار كلي للعفة والاعتدال ومحبة الوطن. ولكن ليس ذلك سوى بينة على ان الديانة الطبيعية نفسها تقود بعض ذوي العقول السامية من الامم الى آراء سامية عن الواجبات والمسئولية . غير ان الكتبة الذين عبّروا عن هذه الاحساسات والآراء في مؤلفاتهم وُجد انهم لم يعيشوا بمقتضى ذلك البتة بل كانت سيرتهم تخالف بالكلية تعاليمهم

واما الكتاب المقدس فيطلب كل هذه الفضائل وكثيرًا غيرها مما لم تتوصل اليهِ البتة الفلسفة الوثنية وآدابهُ موافقة بعضها لبعض وهي نعمٌ كل جزء منهُ وخالية من الغلط والعيوب التي كثيرًا ما تعيب عقائد الوثنيين وعوائدهم . وليس فيهِ تسويغ للمكر والظلم ولا لسفك الدم لاغراض سياسية نفسانية ولا لعادة قتل الاطفال ولا لممارسة السكر والفجور في خدمة الآلهة ولا لاحتمال رذائل القصف ولا لغيرها من الرذائل القبيحة التي ليس فقط يستخف بها فلاسفة الامم وشعراؤُهم بل يستحسنونها . بل هو يرفض بالكلية في كل تعاليمهِ جميع رذائل البشر ويستهجنها ويرفع شان كل ما يليق بالبشر من الفضائل . ويامرهم قائلاً كل ما هو حق كل ما هو جليل كل ما هو عادل كل ما هو طاهر كل ما هو مسرٌّ كل ما صيتهُ حسن ان كان فضيلة وان كان مدح ففي هذه افتكروا في ٤: ٨ . وكما يامر بحفظ الطهارة يتحاشى عن طلب التقشفات التي لا تحتملها طبيعة البشر. وهو لا ينسب الشر الى الجسد ككثيرين من الفلاسفة الوثنيين وغيرهم ممن يشترك معهم في ذلك من النساك المسيحيين بل الى النفس ويطلب تهذيب الطبيعة الحيوانية لا ابادتها وآدابهُ تعتنق الخير وترفض الشر. فكل ما اوردناهُ من الامور يدلُّ في ذاتهِ على سموهِ على حكمة البشر وعلى صدورهِ من الله

ومما يبين ايضًا ان الكتاب المقدس من الله لا من البشر ما تمتاز بهِ مطاليبهُ الادبية عن مطاليب سائر الاديان . وذلك كالامر بمحبة الاعداء والطهارة الكاملة ليس في الاعمال الخارجية فقط بل في الافكار الداخلية ايضًا واعتبارهِ لحاسيات القلب وعواطفهِ على انها مركز السجية الادبية لا افعال الانسان الظاهرة وامرهِ بمحبة الغير كمحبة النفس وتوسيعهِ دائرة القرابة المسيحية بحيث تحيط بكل الجنس البشري بدون استثناء . ومما يطالبهُ ايضًا الكرامة اللائقة للجميع وانكار النفس لخير العموم والاتضاع والدعة ورفض الامور الدنيوية التي تمنع تقدم النفس في الحياة الروحية والسلوك في الايمان لا في العيان وتفضيل الابدية على الزمان الحاضر والتسليم الكامل الى الله بالمحبة والطاعة التامة لوصاياهُ تعالى . فجميع هذه القضايا تميز آداب الكتاب المقدس عن كل ما سواها

ثم لنلتفت ايضًا الى امور اخرى من هذا القبيل في الكتاب المقدس تؤيد صدقهُ

١ ما يرسمهُ من العلاقة بين الواجبات للانسان والواجبات لله . فانهُ جعل ما يجب

على الانسان لله اول الواجبات واعظمها وهي المحبة لله من كل القلب ومن كل النفس ومن كل القدرة ومن كل الفكر وما يجب عليهِ للانسان ثانيًا وهو محبة القريب كالنفس . وهو يعبّر عن هاتين الوصيتين بانهما عنصرا طبيعةٍ واحدة ونتيجة الفضيلة الحقيقية في القلب . وهذا مما لاريب في صحتهِ لان الرغبة الجيدة في عمل ما هو حق تعتبر كل ما هو حق . ومن يحب الله بالحق يحب ايضًا قريبهُ ومن يحب قريبهُ يحب الله ايضًا . اذًا الكتاب المقدس يامر بواجبات هي هي باعتبار الله وباعتبار الانسان وهي تليق جدًّا بالنفس المقدسة السالكة في طريق البر والاستقامة

وهذه المطلوبات اسمى مما تميل اليهِ الطبيعة بدون ارشاد الوحي وايضًا من المطلوبات الادبية عند افضل الامم الذين آدابهم ممتازة عن ديانتهم التي اكثر اوامرها متعلقة بحفظ الطقوس والاعتبار اللائق بالآلهة ولا تتضمن الشعور بالمسئولية الفائقة لله بناءً على محبتهِ الخصوصية للجنس البشري

٢ التواضع الذي يطلبهُ ويجعلهُ مبدأ جوهريًّا واصليًّا للصفات المسيحية مما هو خاصٌّ بهِ ومعدودٌ فيهِ فضيلة ادبية . وليس داعٍ الى بيان تكرار الامر بهِ في العهد الجديد ومن ذلك قول مخلصنا من فمِ العزيز طوبى للمساكين بالروح لان لهم ملكوت السموات . لان كل من يرفع نفسهُ يتضع ومن يضع نفسهُ يرتفع . وقد امر لهُ المجد بالجاجةِ بناءً على المبدا المسيحي ان يخضع الواحد للاخر وان يحسب كلٌّ واحدٍ بكل تواضع الآخرين افضل من نفسهِ وان من اراد ان يكون عظيمًا في ملكوت المسيح يجب عليهِ ان يكون آخر الكل وخادمًا للكل . ورسول الامم العظيم يستشهد قسوس افسس بانهُ فيما كان بينهم كان يخدم الله بكل تواضع . ورب المسيحيين وسيدهم نفسهُ كان وديعًا ومتواضع القلب

ان التواضع المسيحي المذكور آنفًا لم يُوصَف ولا مُدِح في تعاليم الادبيين بين الوثنيين وكان ايضًا بعيدًا عن عقول اليهود . فالوثنيون كانوا يحبون العظمة ويحسبونها من لوازم ذوي العقول السامية والمتدينون بين اليهود قد تسلطت عليهم محبة مدح الناس . اما الاطوار المامور بها في الانجيل فمباينة لما تقدم بالتمام وموافقة جدًّا لحالة الانسان الذي ينال كل ما لهُ من النعم من مسرَّة خالقهِ وعلى الخصوص بما انهُ خاطئٌ ليس لهُ في حالتهِ الادبية واعمالهِ سببٌ الّا للتوبة والانضاع امام الله والناس

٣ مغفرة الزلّات ومحبة الاعداء . ولا يخفى ان النهي عن الانتقام والحث على محبة الاعداء خاصٌّ بتعاليم الكتاب المقدس الادبية ولاسيما تعليم الرب يسوع المسيح . ولا احتياج الى اقامة البرهان على مضادة ذاك للطبيعة البشرية سواءٌ كانت في اليهود او الامم . فان اليهود مع انهم

منهيّون بامرٍ الهي عن الانتقام الشخصي لا ١٩ : ١٨ قد حرّفوا هذه الشريعة واثبتوا هذا الانتقام . والوثنيين لم تشع بينهم عادة اكثر من الانتقام واعتقاد جواز بغضة العدوّ والمجازاة. وكانوا متى قصدوا مدح انسانٍ قالوا عنهُ انهُ مشهورٌ في مكافاة اصحابهِ بكل كرم ومجازاة اعدائهِ بصرامة . وقد ذاع جدًّا نفس هذا المبدا بين الجنس البشري في جميع العصور حتى بين الخاضعين لاوامر الديانة المسيحية وذلك من الامور التي شهرتها تغني عن البرهان . اما هذه الاميال في البشر التي هي شديدة جدًّا ومحسوبة جائزة عند اغلب العالم فنهى عنها مؤسّس الديانة المسيحية ومعلمها العظيم الرب يسوع بقولهِ احبوا اعداءكم. احسنوا الى مبغضيكم . وصلوا لاجل الذين يسيئُون اليكم ويطردونكم. بل من لطمك على خدّك الايمن فحوّل له الآخر ايضًا. وقال ايضًا الرسول بولس لاتنتقموا لانفسكم ايها الاحباء بل اعطوا مكانًا للغضب ... فان جاع عدوك فاطعمهُ . وان عطش فاسقهِ

وهذا القانون اي المغفرة يجعل من يمارسهُ مشابهًا لله نفسهِ وهو ايضًا المبدا الوحيد الموافق لحالة المخلوقات ولنسبتهم بعضهم الى بعض لان المجازاة يجب ان تكون من الله الحاكم الازلي ولم تُفوَّض قط منهُ تعالى الى نفس المجنَى عليهِ. وما ورد من النص على ذلك قولهُ لي النقمة انا اجازي يقول الرب. اذًا العقاب مختص بالله الحاكم الادبي . والله سبحانهُ كآب يتحنن حتى على الخطاة وبما انهُ حاكم بار يجري العدل والدينونة ويجازي الاشرار حسب اعمالهم

٤ امرهُ باصلاح حالة القلب . فان اوامرهُ لا تقتصر على الاعمال الخارجية بل تتعلق ايضًا بالحاسيات والافكار اذ يجعل حالة القلب الامر الجوهري في التقوى ويحكم بان الفكر في الشر والشوق اليهِ خطية. ويطلب ابتداء ردع الاخلاق الشريرة والاعمال الشهوانية في الداخل ويعد ببركاتهِ للانقياء في القلب ويطلب ملك المحبة الداخلي تلك المحبة التي تتأنَّى وترفق والتي بواسطة تاثيرها في الداخل تبيد قوة الاميال المضادة لذلك. فلم تصل البتة فلسفة بشرية الى درجة تعاليم هذه الديانة الادبية

ولكن ما يتضمن بينة اقوى على ان هذا الكتاب من الله هو انهُ فضلاً عن طلبهِ هذه الصفات قادر ان ينتجها في قلب من يقبلهُ . فان المحبة والاحسان للجميع والتواضع وروح الوداعة والمغفرة التي يعلمها هي اثمارهُ الطبيعية في النفس المغروس فيها الايمان بحقائقهِ . وهذا الامر ظاهرٌ في صفات المسيحيين الاولين ومبيّن بيانًا قاطعًا من كتبهم التي تفوح منها روح الطهارة والبساطة ومن حياتهم وتواريخهم التي تتضمنها ظاهرًا . وهذه الفضائل كانت ظاهرة في بولس وغيرهِ من الرسل حتى اضطر العالم ان يشهد بوجودها فيهم مع انهم اهانوهم اكثر مما اكرموهم وهي لا تزال تظهر في جميع المسيحيين بالحق على درجاتٍ متفاوتة . لان التصديق بالاثم الشخصي والدينونة وعدم الاستحقاق

والشفاء وقبول الخلاص بالرحمة بدون استحقاق يجعل الانسان يتضع امام الله حتى ان الاتضاع يصير المبدا العام لهُ . والايمان بمحبة الله للانسان المذهلة في ما عملهُ من الرحمة بواسطة يسوع المسيح ربنا يخضع النفس لسلطان الشكر ويطرح خارجًا الاميال الردية لانهُ لا يمكننا الآن نحب كل الذين هم تحت نفس الرحمة التي جعلت انفسنا مباركة . واذا صدقنا ان الله اظهر لنا طول اناةٍ فائقة وصفح عن جرمنا العظيم نغفر لاقربائنا الخطاة ونطيل اناتنا عليهم لان ما لنا عليهم كلا شيء بالنسبة الى ما لله علينا . فمحبة الله وارسالهُ الخلاص لجميع البشر يوسّعان محبة كل مسيحي لجميع البشر ويجعلانهِ يشعر بانهم اخوتهُ . وحنو طبيعة المسيح تجذب بنا الى الاشتراك معهُ فيها وتخلق فينا روح حنوٍ مشابه لروحهِ . واذا اعتبرنا ضرورية امور الخلاص الفائقة الوصف نرى كل الامور الارضية الحاضرة والشهوات والتجارب محولة الى ما لا يُعبأُ بهِ . وهكذا نتقوى بممارسة انكار النفس على كيفية تجعل التسلط على الشهوات والاميال سهلاً واستعمال فضائل الانجيل السامية الداخلية والروحية ممكنًا للخلائق الضعيفة والناقصة . والصفات المسيحية مع انها غريبة عند الانسان تنغرس فيهِ

والآن ننتهز الفرصة لنشير بالاختصار الى صدق الكتاب المقدس كما يظهر في الامور التاريخية والعلمية . فنقول انهُ ليس من قصد هذا الكتاب تعليم حقائق علمية او التداخل في العلوم الطبيعية ولذلك قد عُبّر فيهِ عن الظواهر الطبيعيّة باللغة الدارجة في العصر الذي كُتِب فيهِ . مثالهُ ان الله لم يقصد ان يعلم البشر بالنص على امر يشوع للشمس بان تقف ان الشمس تدور حول الارض بل ان يرينا انهُ اذن يشوع ان يتكلم عن الامور الطبيعيّة بموجب راي اهل ذلك الجيل فلا ينثلم صدق الكتاب المقدس من الاشارة الى الامور العلمية بمثل هذه العبارات . واما الحوادث التي نقربرها من جملة مقاصدهِ كالخليقة واصل الانسان والطوفان وتبلبل الالسنة وتفرّق الامم فقد نُصَّ عليها بعباراتٍ موافقة تمامًا لحقيقة الواقع حتى انهُ لم يظهر من جميع الاكتشافات وكل ما توصّل اليهِ البشر من المعارف بواسطة البحث والعلم في القرون المتاخرة ما يناقض نصوص الكتاب المقدس . فقد راينا بواسطة نور العلم لزوم وقت طويل لتكوين هذا الكون وتحققنا انهُ من المحتمل ان الايام المذكورة في الخبر عن الخليقة لم تكن اياماً اعتيادية طول كلٍّ منها ٢٤ ساعة بل مدّات طويلة من الزمان. وكذلك استفدنا ان الطوفان لم يمتد على كل وجه الارض بل على الجزء الذي سكنهُ الانسان فقط لان الله قصد بارسالهِ اهلاك الجنس البشري وذلك لا يقتضي لهُ طوفان عمومي على كل وجه الارض وهذا لا يناقض الكتاب المقدس بل يمكن توفيقهُ مع كل نصوصهِ بدون مناقضة قوانين اللغة . وكذلك لا ريب في وجود مطابقة بين كل نصوص الكتاب وجميع القضايا

الطبيعية اذا فُهمت تمامًا وأُخذَت على حقها

ومما يناسب ذكرهُ هنا هوان الكتاب المقدس كثيرًا ما يستعمل في تعليمهِ عن الله عبارات بشرية لوصف طرق واعمال وحاسيات الهية . قال مؤلف دليل الصواب على صفحة ١٨٤ نعم ان الاسفار المقدسة في اماكن تعبّر عن الله كمن لهُ اعضاء جسدية وطباع بشرية . ولكن بعد نظرٍ قليلٍ يرى القارئ النبيه ان جميع هذه العبارات قد أُستعملت تشبيهًا بما اصطلح عليهِ الناس من الكلام. وذلك لان كلام الناس غير كافٍ للتعبير عن صفات الله الذي يفوق ادراكنا بما لا يُحدُّ في ذاتهِ وفي كيفية وجودهِ وعلمهِ فلا نقدر ان نصل الى تصوُّراتٍ صحيحة في ذلك الاَّ على سبيل التقريب . وعند ما نتكلم عنهُ نحتاج ان نتصوَّر صفاتهِ الكاملة شبيهة بما في العقل البشري وان نستعمل كلامًا يعبِّر بهِ عن الاعمال والحاسيات البشرية لان غير ذلك لا يكون مفهومًا . ثم ان الاحتياج الى هذا التشبيه اشدُّ مما يظنُّ كثير من الناس فلا يحتاج اليها من جهة الكلام الذي اذا أُخِذ حرفيًا يتضمن تصوُّر اعضاء جسدية وطباعٍ بشرية فقط بل ايضًا من جهة الكلام الذي يُعبِّر بهِ عن اعمال الارادة والعقل .ولذلك يكون اسلوب الكلام هذا برهانًا على حكمة الله الذي خاطب الانسان بالطريقة الوحيدة التي يستطيع ان يفهمها لا اعتراضًا على كتاب الله انتهى

٣ البينة على صدق الكتاب المقدس من سجايا المسيح كما نصَّ عليها فيهِ

ان سجايا المسيح الموصوفة في الكتاب المقدس تبرهن انهُ ليس فقط ذا طبيعة بشرية اختراعها في طاقة الخادع بل ايضا صاحب طبيعة الهية وهذا مما يبين ان الكتاب الذي يعلن ذلك صادق لانهُ لا يمكن نسبة تلك السجايا الى الاختراع البشري ولا تعليل وجود الاخبار التي تبين سجاياهُ الفريدة لو لم يكن قد عاش حقيقةً

وهذا الدليل اوضح مما يمكن التعبير عنهُ غير ان ادراكهُ يستلزم قوة التمييز في امور روحية لانهُ ليس كل انسان قادرًا ان يقف على سموهِ وجمالهِ حالاً وتمامًا . فذوو العقول النقية والقلوب المقدسة يدركون ذلك اكثر ممن سواهم . وكل من كان مثل نثنائيل اسرائيليًا حقًّا لا غش فيهِ يقول كما قال ذلك يا معلم انت ابن الله انت ملك اسرائيل

فاول ما تجب ملاحظتهُ في شان صفات المسيح هو انها بتمامها فريدة لم يتصوَّر مثلها اسمى عقول القدماء ولم يسمع العالم بمثلها منذ عصرهِ ولن يُسمَع . فكما تفردت الشمس بين انوار الجلد بصفاتها الخاصة كذلك تفرد يسوع المسيح في تاريخ العالم بصفاتهِ التي تُري طبيعتيهِ الالهية والبشرية الممتزجتين في شخصهِ المجيد غير المنقسم. فاذا نظرنا الى ناسوتهِ نرى انهُ لم يكن ممكنًا ان يكون على ما كان عليهِ لو لم يكن الهًا ايضًا واذا نظرنا اليهِ من حيث هو اله نرى انهُ اله تجسَّد وصار انسانًا وحل

بين الناس فاوصاف المسيح في الانجيل هي اوصاف الله متانس . فاذا التفتنا الى ناسوتهِ نرى فيهِ كل الصفات الانسانية الكاملة على نسبة كاملة بخلاف البشر الذين وان تقدم احدهم في صفةٍ يبقى ناقصًا في صفاتٍ اخرى

ثم لننظر باعتبارٍ ووقارٍ الى بعض خصائص صفاتهِ التي تبين كمال طبيعتهِ وتفرُّدها فنقول انهُ قد جمع لهُ المجد بين الهدوء والحميَّة. اما هدوؤُهُ فمشهور وهو يظهر في قضايا كثيرة كلية وجزئية. فانهُ يتضح لكل من يقرأُ اخبار الانجيليين انهُ صنع اعمالهُ العجيبة كمن يشعر بان لهُ سلطانًا الهيًّا ذاتيًّا على كيفية تدل على ان ذلك ليس جديدًا او غريبًا عندهُ بل من الامور المالوفة . فانهُ بعد ما اشبع آلافًا من بعض الارغفة والسمك قال اجمعوا الكسر الفاضلة لكيلا يضيع شيء وعند ما اقام ابنة يايروس من الموت امر ان تعطى لتاكل وبعد ما اقام لعازر الذي كان لهُ في القبر اربعة ايامٍ قال حلوهُ ودعوهُ يذهب . وفي بستان جثسيماني وهو مثقلٌ بآلامٍ فوق احتمال البشر كان صاحيًا ورزينًا وهادئًا الى التمام ومسلمًا لارادة الآب وكذلك في وقت القبض عليهِ ومحاكمتهِ والحكم عليهِ وموتهِ معلقًا على الصليب . فمن يستطيع ان يعبر عن جلال وسمو هذه الصفة . على ان ذلك الهدوّ ليس ناتجًا من انهُ كان عديم التأثر او بارد الطبع لانهُ لهُ المجد كان متوقّد الفؤَاد مضطرم الغيرة على مجد الله ومسرتهِ سبحانهُ بالناس. واجتهادهُ في اتمام العمل الذي اعطاهُ الآب ليعملهُ لم يخمد البتة . فذلك الهدوء ليس هدوءَ بليد فاتر الطبع بل هدوء من لا يستطيع احد من البشر ان يصف عمق حاسياتهِ

وقد اتصف ايضًا بالحكمة التامة مع الخلو من الغش والالتواء . فمن يستطيع ان ينكر عصمتهُ في كل تصرفهِ وهو محاطٌ باخصام ماكرين بذلوا جهدهم في ان يصطادوهُ بكلمة غير انهُ كان في اسرع من لمح البصر يردُّ تحيلاتهم على رؤُوسهم فينظرون الى انفسهم واذا هم قد أُخذوا بشبكتهم ناهجًا والحالة هذه على الدوام منهج الاستقامة والصدق . واذا تتبعنا تاريخ حياتهِ من الاول الى الآخر لا نرى في سلوكهِ اثر الغش او الحيل

واجتمع فيهِ مع ما تقدم الحذاقة والجسارة معًا . فلم يخف من انسان ولا من ملاقاة الاخطار عند ما كانت واجباتهُ تدعوهُ الى ذلك. على انهُ لم يقتحم الاخطار لغير اقتضاء ولا لمجرد اظهار الشجاعة. لانهُ لما طلب اليهود ان يقتلوهُ انتقل الى الجليل لكي يتخلص من شرهم . ولما صعد اخوتهُ الى اورشليم في العيد لم يصعد معهم بل صعد بعد ذلك لا علانيةً بل كانهُ في الخفاء . ولما طلب اليهود ان يقتلوهُ بعد ان اقام لعازر من الموت لم يعد يمشي علانيةً بينهم بل ذهب من هناك الى كورةٍ بجانب البرية الى مدينة اسمها افرايم ومكث هناك مع تلاميذهِ . ولم يعرّض نفسهُ لغضب اعدائهِ الى ان جاء الوقت المعين لموتهِ كفارةً عن خطايا العالم وعند ذلك صعد الى اورشليم مع تلاميذهِ

بجسارة فائقة كما يظهر من قول مرقس وكانوا في الطريق صاعدين الى اورشليم ويتقدمهم يسوع مر ١٠: ٣٢ . وجميع اعماله في كل مدة خدمته تري انه تبع تمامًا وصيته لتلاميذه كونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام اي استعملوا حذاقتكم في التخلص من الخطر ولكن ليس بالحيلة بل بالحكمة والاستقامة

وقد اجتمع فيه ايضًا اللطف والصرامة عند الاقتضاء في اعظم درجاتهما . كما يتضح عند ما قرأ في بداءة خدمته في الناصرة من النبي اشعياء ٦١: ١ و٢ ما يشخص صفاته بالتمام حيث قيل روح الرب عليَّ لانه مسحني لابشّر المساكين ارسلني لاشفي المنكسري القلوب لانادي للماسورين بالاطلاق وللعمي بالبصر وارسل المنسحقين في الحرية واكرز بسنة الرب المقبولة (لو٤: ١٩). فاقتضى له لاتمام هذه الوظيفة روح وديع محتمل حتى لا يقصف قصبةً مرضوضة ولا يطفئ فتيلةً مدخنة . اما ذلك الروح فكان فيه كما يتضح من خطابه بكلام اللطف البالغ للتائبين ولئن كانوا من العشارين والخطاة واحتماله الى درجة غريبة ضعف تلاميذه المخلصين واغلاطهم . فعند ما كان بينهم مخاصمة في من هو اعظم لم ينتهرهم انتهارًا على تلك الحماقة بل اخذ اليه ولدًا صغيرًا واقامهُ في الوسط وعلّمهم منهُ مثالة التواضع . هذا وان يسوع ذلك الكامل اللطف والشفقة الذي احتضن الاطفال وباركهم ووقف امام الجمع وقال تعالوا اليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الاحمال وانا اريحكم وبكى على قبر لعازر هو نفسهُ قال لبطرس منتهرًا اذهب عني يا شيطان ووبخ الكتبة والفريسيين الجالسين على كرسي موسى على رداءة سيرتهم امام جميع الشعب . ولا غرو لان اشد التوبيخات الموجودة في الانجيل ضد الرياء والشر وجميع الاوصاف المخيفة للدينونة العتيدة ان تصيب غير التائبين قد سُمعت من فم مخلصنا

ومما اجتمع فيه ايضًا من الصفات الباهرة الدعة والتواضع مع بيان سلطانه الفايق . ولا يلزم ان نطيل الكلام عن هاتين الصفتين لكونهما ظاهرتين جليًا في كل ما قال وعمل . ومن ذلك قوله عن نفسه انه وديع ومتواضع القلب وقد اثبت ذلك بتصرفاته . فانه اذ شُتم لم يكن يشتم عوضًا واذ تالم لم يكن يهدّد بل كان يسلم لمن يقضي بعدلٍ . ومن العجيب اجتماع الدعة وتواضع القلب فيه مع كونه نسب الى نفسه من الاوصاف الجليلة بكل جراءةٍ ما لم يتصورهُ احد قبله كنسبته الى نفسه سلطانًا على الطبيعة وبرهانه ذلك بالفعل والقدرة على اقامة الموتى . والاعجب من ذلك وعده بالحياة الابدية لكل من ياتي اليه وتهدّدهُ بالهلاك الابدي لكل من يرفضهُ . وعند ما نطّلع على بيان صحة وجود هذه الصفات الفائقة اطوار البشر فيه نرى لياقتها به وان ليس في نسبته اياها الى نفسه جسارة ولا مبالغة . على انه لو ادعى احد من البشر بشيء منها لحُسب مجنونًا

ومن صفاتهِ الواضحة سموهُ على جميع الناس ومخالطتهِ اياهم ايضاً. ومما يدل على ذلك قولهُ لليهود انتم من اسفل اما انا فمن فوق انتم من هذا العالم اما انا فلست من هذا العالم. على ان هذا السمو لم يكن من حيث هو اله فقط بل في سيرتهِ ايضاً وفي كون كل ميلهِ سماوي. وسلك على موجب القانون الذي علم تلاميذهُ اياهُ بقولهِ لاتكنزوا لكم كنوزاً على الارض بل اكنزوا لانفسكم كنوزاً في السماء. نعم لم يكن لهُ كنوز على الارض سوى انفس الناس وهذه ليست ارضية بل سماوية. وخاب سعي ابليس المجرِّب عند ما قدم لهُ جميع ممالك العالم ومجدهنَّ. اذ لم يكن فيهِ محل لشهوة الجسد او شهوة العيون او تعظم المعيشة. وداس على الدوام كبرياء العالم باخمصيهِ. على انهُ مع ذلك لم يكن محباً للانفراد عبوساً متوحداً. ولم يحارب احساساتهِ وعواطفهِ البشرية الطبيعية بل اخضعها فقط الى طبيعتهِ الاسمى الروحية اي الى شريعة الله. ولم يكن ينفرد الاَّ الى حينٍ لاجل التضرع والصلاة وكذلك لم يامر تلاميذهُ ان يتجنبوا هموم العالم وتجاريبهُ طمعاً بالحصول على شركة رهبانية كاذبة مع الله. ولم يصم في اوقات معينة ومنظمة ولا امر تلاميذهُ بهِ بل ترك ذلك لمقتضى الظروف والاحوال. واكل وشرب مثل سائر الناس. وارتفاع طبيعتهِ لم يقم بعدم استعمال خيرات الله وبركاتهِ بل بقبولها بالشكر ورفع افكارهِ منها الى المعطي. وكل ذلك ظهر في طبيعتهِ البشرية لكي يمكن التشبه بهِ

وما عسانا ان نقول ايضاً عن سيرة مخلصنا الطاهرة الخالية من كل عيب. فلا يمكننا ان نستوفي مدحها لانها تجل عن مدح البشر. بل يجب ان ننظر اليها بعيون افهامنا بكمال الوقار كما الى شمس مجيدة لكي نحصل على فوائد روحية منعشة ومؤثرة في نفوسنا

ولا يخفى ان الصفات المذكورة آنفاً مع انها كاملة تامة هي بشرية ولذلك يمكن الاقتداء بالمسيح فيها لانها ليست فضائل الملائكة في السماء ولا فضائل ملوك في عروشهم او فلاسفة في مدارسهم او رهبان معتزلين في مناسكهم بل فضائل رجل جال بين البشر وعاش معهم عيشة دارجة متمماً كل واجباتهِ فيها. فمثالهُ مفيد للجميع من عالٍ ودون من كل اصناف البشر. فلو لم تكن قد وُجدت فيهِ حقيقةً تلك الصفات لما امكن تصوُّرها. اذاً لا يمكن ان تكون من اختراع المزورين

ثم اذا نظرنا ايضاً الى ممارسة مخلصنا وظيفة معلم والى طبيعة تعاليمهِ نراهُ فريداً في ذلك. ولقد اصاب الذين وصفوا سموهُ في هذه الوظيفة لانهُ لهُ المجد قد فاق الجميع فيها وكشف اغلاط وتعصبات جميع الناس في جيلهِ وفي كل الاجيال. وبيَّن جليًّا ما هو الله وما هو الانسان وما هي نسبة الناس الى الله ونسبتهم بعضهم الى بعض واذ ذاك لاق بهِ ان يضع للبشر ديانة ثابتة غنية عن التغيير والاصلاح الى كل الدهور صالحة لكل الشعوب في كل احوالهم. وبما انهُ من عامة اهل الجليل تهكَّم بعض الفجار على المسيحيين لانهم يدعونهُ ربَّهم ومعلمهم. غير ان لذلك اهمية في هذا الصدد.

وهي انهُ لم يحصل على وسائط بشرية خصوصية للتعليم في تربيتهِ بين اهل الجليل. وكان ايضاً عصرهُ عصر التعصب والتمسك بالطقوس الدينية الخارجية . لان الكتبة والفريسيين الذين جلسوا على كرسي موسى قد اخفوا معنى العهد القديم الحقيقي وروحهُ تحت غطاء التعاليم البشرية وجعلوا تعشير النعنع والشبث والكمون مكان اثقل قضايا الناموس . نعم في نفس ذلك العصر نبغ يسوع معلماً كاملاً للحق الالهي . وابطل ولاشى تعاليم معلمي اليهود الفاسدة واظهر للشعب المعنى الحقيقي في الناموس والانبياء الذين اعدّوا الطريق لمجيئهِ واعطى العالم ديانةً صالحةً لسدّ احتياجات البشر من جميع الرتب والاصناف والقبائل في كل جيل

وللانجيل صفة التقدم الدائم لا باعتبار كونهِ طريقاً للخلاص اعلنهُ يسوع للبشر لان اعلانهُ من هذا القبيل كامل بل باعتبار كونهِ خميرةً صالحة موضوعة لاصلاح العالم . فكما ان الهواء والماء والنور صالحة لسد احتياجات الناس في كل الاجيال كذلك الانجيل اذا تجرّد عن التقاليد البشرية وقُبل على نقاوتهِ الاصلية صالح لكل ما يحتاج اليهِ الجنس الساقط . وهذا الامر العظيم العسر التفسير لا يمكن تعليلهُ الّا بما علّلهُ مخلصنا نفسهُ عند ما تعجب اليهود من تعليمهِ قائلين كيف هذا يعرف الكتب وهو لم يتعلم بقولهِ لهم تعليمي ليس لي بل للذي ارسلني . ولا ريب عندنا انهُ لم يكن ممكناً تصور مثل ديانة الانجيل لو لم تكن قد وُجدت حقيقةً ولم يكن ممكناً وجودها لو لم يكن الله منشئها . نعم قد يتقدم البعض في عصور مختلفة حتى يروا ما سوف يحدث بالاستدلال من الاحوال الحاضرة غير انهُ لا يمكن ان يرتفع احد من البشر حالاً فوق الاضاليل والخرافات والتعصبات المحيطة بهم الى نور الحق الكامل . وكذلك كل اعمال البشر ناقصة وتحتاج الى ان يصلحها الذين يأتون بعدهم واما الديانة التي تبقى من جيل الى جيل مناسبةً تماماً لحاجات كل الناس كما كانت في بدايتها فلا يمكن ان تكون من البشر بل من الله

ثم ان كيفية تعليم المسيح غريبة ايضاً مثل تعليمهِ . فانهُ نظر الى كل ما يحيط بهِ في العالم واتخذ منهُ في تعليمهِ امثلة وبراهين في غاية البساطة والمناسبة والدقة للكشف عن اعمق الحقائق بابسط العبارات واقربها تناولاً . فان مَثَلَي حبة الخردل والخميرة مثلاً يتضمنان ايضاح المبادىء الجوهرية في تقدم ملكوت المسيح ويبينان كيفية التقدم الدائم في هذا الملكوت من جيل الى جيل نامياً من قوة محيية داخلية . فاعظم الفلاسفة يجدون لذةً في تاملهم بدقة ومناسبة هذين التشبيهين ومع ذلك يستطيع فهمها ابسط الناس واقلهم علماً . فانفرد مخلصنا بالتعليم بامثال خالوا من تشبيهات فاسدة وعلى طريقة تسر وتفيد العلماء والجهال حتى ان جميع الشعب كان يسمعهُ بسرور (انظر كتاب اتفاق البشيرين فصل ٥١)

قد تاملنا في ما تقدم بصفات مخلصنا المختصة بناسوتهِ غير ان لاهوتهُ ظاهرًا في جميعها ولنلتفت الآن الى خدمتهِ وصفاتهِ الالهية فنقول . انهُ ليس داعٍ الى اطالة الكلام على كونهِ مرسلاً من الله فقد اجاد نيقوديموس بحكمهِ المنتظر من كل ذي عقلٍ سليم اذ قال يا معلم نعلم انك قد اتيت من الله معلمًا لان ليس احد يقدر ان يعمل هذه الايات التي انت تعمل ان لم يكن الله معهُ . وهذا ما تكلم عنهُ المسيح اكثر من كل شيء اي انهُ اتى من الله . ومن ذلك قولهُ لان الاعمال التي اعطاني الآب لاكملها هذه الاعمال بعينها التي انا اعملها هي تشهد لي ان الآب قد ارسلني . وقولهُ لو كان الله اباكم لكنتم تحبونني لاني خرجت من قبل الله واتيت . لاني لم آتِ من نفسي بل ذاك ارسلني

وليست وظيفة المسيح فقط الهية بل هو اقنوم الهي ايضًا ومن اغرب ما في تاريخ حياتهِ الطريقة التي بها اظهر لاهوتهُ التي هي برهان عظيم على صحة هذه القضية . فاذا قصد جماعة ان يظهروا للعالم الهًا مخترعًا فلا بدَّ انهم يكتبون عن لسانهِ ادعاآت واضحة على انهُ اله وينسبون اليهِ عجائب كثيرة وعظيمة . اما لاهوت المسيح فلم يُعلن لنا في اخبار الانجيليين على هذه الكيفية بل يُستنتج من الاقوال عن كل عجائبهِ ان لهُ قوةً ذاتية لعملها . فانهُ ولئن كان مرسلاً من الله لذلك كان سلطانهُ ذاتيًا وقوتهُ اصلية فيهِ . فبينهُ وبين الانبياء والرسل فرق عظيم بهذا الاعتبار . فانهم أُرسلوا من الله وكان سلطانهم ايضًا منهُ وبذلوا الجهد في تعريف البشر بذلك باقوالهم . فمن جملتها قول بطرس باسم يسوع الناصري قم وامشِ . وايضًا لماذا تشخصون الينا كاننا بقوتنا او تقوانا قد جعلنا هذا يمشي الى ان يقول بالايمان باسمهِ شدد اسمهُ هذا الذي تنظرونهُ وتعرفونهُ . وايضًا يا اينياس يشفيك الرب يسوع

واذ لا يلزم اطالة الشرح بهذا الخصوص يليق بنا ان ننظر الى بعض الطرق المشهورة التي بها اظهر مخلصنا لاهوتهُ

فمن جملتها انهُ دعا الله اباهُ بمعنى خصوصي دون اشتراك . اي لم يقل قط ابانا لانهُ بذلك يجعل نفسهُ على مساواة الناس ولكنهُ قال على الدوام يا ابي مظهرًا ان لهُ نسبةً خصوصية الى الله . وكما ان للابناء طبيعة آبائهم وحقوقهم ايضًا وهم تحت سلطانهم هكذا يسوع ابن الله ادعى ان لهُ سلطانًا وحقًّا ان يعمل كل ما يعملهُ الآب وان يتخذ نفس الاكرام الذي للآب فقال ابي يعمل حتى الآن وانا اعمل . وفهم اليهود ذلك على حقيقتهِ اي ان المسيح ادَّعى بذلك المساواة مع الآب لانهم طلبوا ان يقتلوهُ لانهُ لم ينقض السبت فقط بل قال ايضًا ان الله ابوهُ معادلاً نفسهُ بالله. فاجابهم يسوع لا يقدر الابن ان يعمل من نفسهِ شيئًا (اي غير موافق لارادة الآب) الاَّ ما ينظر الآب يعمل لان مهما عمل ذاك فهذا يعملهُ الابن كذلك . لان الآب يحب الابن ويريهِ جميع ما هو

يعملهُ وسيريهِ اعمالاً اعظم من هذه لتتعجبوا انتم. لانهُ كما ان الآب يقيم الاموات ويحيي كذلك الابن ايضاً يحيي من يشاء. لان الآب لا يدين احداً بل قد اعطى كل الدينونة للابن لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب. من لا يكرم الابن لا يكرم الآب الذي ارسلهُ يو٥: ١٧-٣٢ . فنتعلم من هذه الآيات ان الابن ولئن عمل اعمالهُ جميعها نظير مرسل من الآب ادعى المساواة مع الآب لانهُ لو لم يكن كذلك لما علم كل افكار الآب ولا عمل كل اعمالهِ ولا اخذ منهُ سلطاناً لكي يدين البشر (الامر الذي يلزم عنهُ علمهُ بكل شيء) ولا نال نفس الاكرام الذي للآب

اذاً مما تجب ملاحظتهُ هنا تلك الطريقة الغريبة التي بها اوضح مخلصنا لاهوتهُ التي لا يمكن ان يخترعها من يكتب اموراً من مجرد تخيلاتهِ واوهامهِ . ولا يمكن تعليل وجود هذه الاقوال ونظايرها في الانجيل الاَّ بانها حدثت حقيقةً في تاريخ حياة مخلصنا

كذلك قال المسيح عن نفسهِ انهُ مصدر النور والحياة لكل العالم انظر يو٨: ١٢ حيث قال لليهود انا هو نور العالم من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون لهُ نور الحياة . فان فتح اعين العمي ليس شيئاً بالنسبة الى ما ادعاهُ لنفسهِ هنا. فكانهُ في هذا القول وما شاكلهُ رفع حجاب ناسوتهِ وارى العالم شيئاً من مجد اللاهوت الساكن فيهِ . ومن ذلك قولهُ ايضاً انا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء ان اكل احد من هذا الخبز يحيا الى الابد والخبز الذي انا اعطي هو جسدي الذي ابذلهُ من اجل حياة العالم يو٦: ٥١ . نعم ان كلامهُ لمرثا في يو ١١: ٢٥ و٢٦ انا هو القيامة والحياة من آمن بي ولو مات فسيحيا وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت الى الابد اعجب جداً من اقامة لعازر اخيها من الموت لان معناهُ انهُ هو مصدر كل حياةٍ البشر سواءٌ كانت طبيعية او روحية اوابدية . فقد قرن بما كان عتيداً ان يعملهُ من اعطاء الحياة الطبيعية للعازر القيامة الاخيرة حينما يسمع جميع الذين في القبور صوتهُ فيخرج الذين فعلوا الصالحات الى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات الى قيامة الدينونة (يو٥: ٢٨ و٢٩) . وهذه الاقوال اللطيفة الغريبة الالهية خالية من علامات الاختراع البشري ومن مطالعتها يتبين انهُ لا يمكن تعليل وجودها في صفحات الانجيل الاَّ بان الرب قد قالها حقيقةً

وما تقدم يصح ان يقال عن اقوال مخلصنا التي صرّح فيها بسلطانهِ وقدرتهِ على ما يختص بنفس الانسان كقولهِ تعالوا اليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الاحمال وانا اريحكم مت ١١: ٢٨. وايضاً سلاماً اترك لكم سلامي اعطيكم ليس كما يعطي العالم اعطيكم انا يو١٤: ٢٧ . فان افضل السلام الذي يمنحهُ العالم خارجي وعلى الغالب كلمات فارغة ولكن الرب يسوع الذي يستطيع الوصول الى عمق الحاسيات ومصادرها يمنح السلام الداخلي الكافي . نعم ان اقامتهُ ابن الارملة في نايين مثلٌ غريب لاعطائهِ السلام ولكن اين ذلك من حضورهِ الداخلي في النفس الذي يجعلها تغلب على كل آلام الزمان

الحاضر. وهذا ما قصدهُ عند ما قال لتلاميذهِ قد كلمتكم بهذا ليكون لكم فيَّ سلام. في العالم سيكون لكم ضيق ولكن ثقوا انا قد غلبت العالم يو١٦: ٣٣ . فالرسل اقاموا باسمهِ الموتى ولكن لم يتجاسر احد منهم ان يقول للناس يكون لكم فيَّ سلام

ومن هذ القبيل الكلام الخاص بالمسيح الذي قالهُ اولاً لتلاميذهِ واخذتهُ عنهُ الكنيسة الدال على السكن الداخلي المتبادل بينهُ وبين تلاميذهِ . ومن ذلك قولهُ اثبتوا فيَّ وانهُ فيكم كما ان الغصن لا يقدر ان يأتي بثمر من ذاتهِ ان لم يثبت في الكرمة كذلك انتم ايضاً ان لم تثبتوا فيَّ (يو ١٥: ١—٧) . فبهذا الاتحاد الحيّ بين نفس المومن والمسيح يحصل المؤمن من المسيح على الحياة والاثمار كما يحصل الغصن على ذلك من اتحادهِ بالكرمة . وما هذا الاَّ دليل على لاهوت المسيح . فان اليهود اعتبروا موسى اعتبارًا زائدًا ولكنهم لم يقولوا قط انهم في موسى او ان موسى فيهم . ولو كان احد من المسيحيين قال عن نفسهِ انهُ ساكن في بطرس او بولس لكان ذلك الرسول مزّق ثيابهُ من هذا التجديف الفظيع

وكان يمكن ان نذكر بعض الطرق الاخرى التي اظهر بها المسيح لاهوتهُ ولكن ما قدمناهُ من الامثلة كافٍ في هذا الشان . فكل من اعتبر ما تقدم بعقلٍ سليم ونظر الى تلك الامور الغريبة السامية التي مع كونها طبيعية وبسيطة هي فوق ما يمكن ان تتصورهُ عقول المخترعين يقتنع للحال بان تلك الاخبار المدونة في البشائر الاربع لا يمكن تعليل وجودها هناك الاَّ بكونها خبرًا بسيطًا صحيحًا عن يسوع الناصري وعن اعمالهِ. فان ابسط الناس يستطيعون ان يخبروا صريحًا عما راوهُ او سمعوهُ ممَّن شاهدوهُ عيانًا غير انهُ لا يمكن لاعظم البشر حكمةً وحذاقةً ان يخترعوا مثل هذه الاخبار عن صفات مخلصنا المذكورة في الاناجيل . ونرى على كل اخبار البشيرين علامات البساطة وعدم التصنيع . فان كل واحد منهم كتب اخبارهُ على سبيل الاستقامة والبساطة ليس لتعظيم نفسهِ بل لاعلان ربهِ ومعلمهِ مخلصًا للعالم . وما ذكرهُ يوحنا الرسول عن قصدهِ بكتابة انجيلهِ يدل على قصد كلٍّ من البشيرين ايضًا وهو قولهُ وآيات اخر كثيرة صنعها يسوع قدام تلاميذهِ لم تُكتَب في هذا الكتاب واما هذه فقد كُتِبت لتومنوا ان يسوع هو المسيح ولكي تكون لكم اذا آمنتم حيوة باسمهِ

عاشرًا . يتبرهن صدق الكتاب المقدس من النجاح العظيم الذي رافق انتشارهُ قديمًا

ان هذا الدليل مستخرج من سرعة انتشار الانجيل رغمًا عن كل ما عارضهُ من الصعوبات

التي غلب عليها

ان المخلص بعد قيامته باربعين يومًا فقط نطق بوصيته الاخيرة لرسله القليلي العدد وهي اذهبوا الى العالم اجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها. وقال ايضًا فاذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس . فهذا هو العمل الذي فُوّض الى اولئك التلاميذ القليلي العدد الاميين المحتقرين الذين انحصرت فيهم كل قوة الكنيسة المسيحية تقريبًا حين غاب معلمهم المحبوب عن نظرهم وصعد الى السماء . ولاجل ايضاح هذا البرهان فلنبحث

١ . عن الصعوبات التي التزموا ان يقاسوها لاجل اتمام هذه الوصية

وقد قسمنا الكلام عن هذه القضية الى احد عشر قسمًا

١ ان العزم على نشر ديانة جديدة غرضها الغاء كل ديانةٍ اخرى في العالم كان في ذلك الوقت امرًا غريبًا الى الغاية عند كل البشر ما خلا بعض اليهود ممن قد تنوروا على نوعٍ خصوصي في معرفة الاقوال النبوية في اسفار العهد القديم . اما اليهود عمومًا فلم يتصوروا اغرب من الاجتهاد في هداية اهل مدينة واحدة من مدن الامم الى نظام ديانتهم . وكانت وصية المخلص المشار اليها آنفًا عند الامم اغرب مما هي عند اليهود . وذلك لان الديانة الوثنية لم تُمَدّ بنقلها من مكان الى آخر بل نشات في كل مكان وزمان من فساد اميال الطبيعة البشرية في كل العالم كما ان الشوك والحسك موجودان في كل مكانٍ على وجه الارض بدون ان يزرعهما فلاح . واذ لم يكن لها نظام واحد ولا ضبط في مباديها اتخذت لنفسها اي ترتيبٍ كان وسجدت لاي تمثال كان ومارست اي طقس كان وتبعت اية خرافة كانت اختارها لهم الكهنة بواسطة حيلهم او تولّدت من خرافات ورذائل الشعب . ولم نتصور قط شيعة من الشيع الوثنية ان طقوس الاديان الاخر لم تكن موافقة للشعب المتمسك بها بقدر ما كانت طقوسهم موافقة لهم او ان شيئًا مما يقتضيه الحنو او الذوق السليم يقودهم الى محاولة ابادة الهة جيرانهم واستبدالها بالهتهم . حتى انهُ لم يكن عند جميع الامم امر اغرب ولا اعجب ولا اكره من الواجبات المطلوبة من مشيدي الديانة المسيحية الاولين الذين كان عليهم ان يذهبوا الى جميع الامم ويقرّروا لهم حقوق الانجيل فقط منكرين صحة سائر الاديان وباذلين غاية جهدهم في اجتذاب كل خليقةٍ الى ايمان المسيح الفريد

فلو اكتفت الديانة المسيحية بوجودها بدون ان تتعرض للاشاة كل ما سواها لسمح بها الوثنيون كما سمحوا بغيرها من الاديان الوثنية المتنوعة بينهم وربما كان قد اقيم مذبح في بعض هياكل الوثنية لاله المسيحيين وسُمح باقامة صورةٍ للمسيح فيه بين جملة الالهة . ولكن بما ان الديانة المسيحية متفردة بصفاتها وروحها لابد ان التلاميذ قد راوا من اول الامر انهم مكلفون لعمل

ليس هو حديثًا فقط بل يضطرهم الى مضادة كل فرائض امم العالم وطبايعهم وعوايدهم واغراضهم وقوانينهم

٣ . ان الصعوبات التي كان على التلاميذ ان يغلبوها لم تكن محصورة في كون مشروعهم حديثًا وإيمانهم فريدًا لا يقبل معهُ آخر بل ان الانجيل كنظام تعليم ديني وقانون للسريرة والسيرة هو طبعًا غير مقبول عند البشر . فان كان امتداد ديانةٍ باقتلاع كل ما سواها من الاديان امر صعب الى الغاية فكم بالحري انتشار ديانة الانجيل التي نظامها الروحي مما لا يمكن تصورهُ عند الامم وقلما افتكر بهِ احد من نسل ابرهيم . فان الديانة كانت عند الامم جزءًا من سياسة المملكة وكانت تقوم بمجرد الاعراض الخارجية المختصة بالهياكل والمذابح والتماثيل والكهنة والذبائح والاعياد والتطهيرات وفرائض العبادة التي كُثّرت حسب مسرة الحكام . ولم تعلّم تعليمًا منظمًا ولم تعرف نظامًا ادبيًا ولم تطلب شيئًا من القلب تاركةً سيرة الانسان لحريتهِ المطلقة وسامحةً لكل واحدٍ بان يكون من الافاضل عند الالهة اذا قدّم كرامةً ما لعبادتها ولو توغّل اشد التوغُّل في اشر المعاصي وارذل الاخلاق الطبيعية . والديانة الوثنية بكل طقوسها تضادُّ كل المضادة كل ما هو روحي ومقدَّس وكل ما يوجب الاتضاع وانكار الذات . ولم يكن عند الرومانيين واليونانيين اغرب عادةً ومعنى من تعليم الكتاب المقدس عن طبيعة الخطية وجرمها وعن التوبة والرجوع الى الله والايمان والمحبة والوداعة ونقاوة القلب ولم يكن في لغاتهم ما يدلُّ على هذه المعاني بالضبط ويغني عن صوغ كلمات جديدة للتعبير عن ذلك . وكان ايضًا في عصر الرسل كل الشعب اليهوديّ فاسدًا وغير مستعدٍ لقبول ديانة روحية تحكم على القلب

فلنتصور كيفية الشروع في عمل رسل المسيح لارجاع الامم الى طاعة الانجيل . ماذا كان يمكنهم ان يقولوا لهم عمّا كانوا معتادين عليهِ من قديم الزمان من طقوس الديانة وعوائدها واصطلاحات معيشتهم غير ما يتضمن التنديد والتوبيخ على ذلك . وهل كان يُنتظَر من اولئك الامم والحالة هذه غير الرفض والمضادة لهولاء الرسل . وماذا كان يمكنهم ان يعيضوهم عن تلك وباية وسائل يغرونهم بطرحها وهم يعتقدون بوحدانية الله وبطل كل عبادة وثنية وسقوط الانسان وهلاكهِ الكلي وديونتهِ ووجوب اقتلاع كل افتخار باستحقاقهم وشرف طبيعتهم الفاسدة ويعلمون بالاحتياج الى قلبٍ جديدٍ والتوبة والقداسة والتواضع وجدة الحياة والتقوى وهدم كل فلسفتهم واماتة كل عجرفتهم والنهي عن جميع الاخلاق الفاسدة والقبائح الشنيعة التي كانت سائدة حينئذٍ في العالم . وفضلًا عن كل الحقائق والمطاليب السابقة التي تضعّف عزم الرسل يطلب الانجيل استعمال الصلاة السرّية والحياة بالايمان والقلب المملوء من الصبر والدعة والمغفرة والاحسان الى جميع البشر

وفوق كل ما تقدم الاتكال البسيط لاجل السلام مع الله على موت وشفاعة من قد صُلِب كفاعل شرٍّ وأُهين ورُفض من امة اليهود الحقيرة

فما اوردناهُ بالاختصار عن بعض خصائص الانجيل بالمقابلة مع كل ما هو محبوب وشائع ومفتخر بهِ عند امم العالم نري ان نجاحهُ مما لا ينتظر. فربما تنجح ديانة حديثة تسمح بالتساهل بعوائد الناس وفسادهم اذا ساعدتها جاذبية الفصاحة وغرور الارباح العالمية وسطوة الحكومة. اما الديانة المسيحية فكيف كان يمكن ان تنجح بروحها غير المتساهل بما تقدم ومطاليبها المقدسة وقوتها الارضية محصورة في اثني عشر تلميذًا عديمي العلم ومهانين . حقًّا لولم يكن ضابط الكون القادر على كل شيء عضدها لكانت قد اضمحلّت لا محالة

٣ يتضح مما قيل ان مشروع الرسل لا بد انهُ هيَّج كل قوة الكهنة يهودًا وأممًا لمقاومتهِ . فانهُ في ابتداء الديانة المسيحية كان كهنة اليهود كثيري العدد وفاسدين ولهم سطوة عظيمة بين الامة لانهم كانوا اشراف اليهودية ولهم نفوذ عظيم في الحكومة وتحت نظرهم ادارة تعليم الشعب . وكانوا قابضين على زمام الراي العام وقواد كل الحركات الجمهورية بين الشعب . فما كان اعظم المقاومة التي يمكنهم ان يبدوها لتوقيف تقدم الديانة المسيحية وما كان امرَّ اجوبتهم على تلك التعاليم المصرّحة بابطال كهنوتهم وانقراض سلطانهم وما كان اشد الاتفاق القتّال الذي بهِ اضطهدوا مشارعها المبارك حتى سمروا جسدهُ على الصليب ظانين انهم قد صلبوا انجيلهُ ايضًا

اما كهنة الامم فمشروع الرسل حارب شرفهم ونفوذهم وارباحهم . ويتضح شدة المقاومة التي كانوا يقدرون ان يبدوها من التامل في ما كان يُقدَّم لهم من المحلّات الفسيحة والسيادة السامية والوقار الخرافي وما كان لهم من الغنى والسطوة السياسية حين قيام الديانة المسيحية . لان شرائع البلاد وعوائدها كانت تصون شرفهم . واثوابهم القرمزية وعجلاتهم الملوكية وولائمهم الكثيرة جعلت الشعب يعتبرهم جدًّا . وكانوا يفرزون الاوقاف والمداخيل البلدية التي لا تحصى لاعالة الكهنة والقيام بجميع مصاريف العبادة الدينية المختصة بالمملكة . وعظماء رومية بعد تقاعدهم عن الوظائف وانتصاراتهم الحربية كانوا يحاولون الارتقاء الى رتبة كاهن عظيم او عرّاف[1] . وقد قال شيشرون ان اقصى ما يتمناهُ ارتقاؤهُ الى رتبة عراف وافلينيوس انتعش من هذه المنية وتاشيتوس المورّخ بعد ان ارتقى الى رتبة البريتور (قاضٍ) صار عضوًا من طغمة الكهنة . والخمسة عشر كاهنًا المؤلف منهم مجمع الكهنة

(١) ان معنى كهن اصلاً قضى بالغيب وعند اليهود والنصارى مارس وظيفة الكاهن من تقديم ذبيحة وتبخير الخ . والكاهن عند اليهود والنصارى والامم من يقدم الذبائح والقرابين وهو ماخوذ من معنى القضاء بالغيب كما كانت تفعل كهنة الامم واليهود . والكاهن اصلاً من يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان ويدَّعي معرفة الاسرار ومطالعة علم الغيب . وقيل هو من يخبر بالاحوال الماضية والعرّاف من يخبر بالاحوال المستقبلة

العظام كانوا ممتازين بكونهم قرناء ملكهم . وعدد هياكل الديانة الوثنية ومعابدها هو بينة على ما وصلت اليهِ من الجاه والصولة في ايام مجدها التي بقي منها الى السنة الثلاث مئة والثمانين بعد ميلاد المسيح اربع مئة واربعة وعشرون وذلك بعد دخول الديانة المسيحية في المملكة الرومانية منذ اكثر من ثلثة قرون وبعد مرور نحو ستين سنة عليها منذ صارت ديانة المملكة الرسمية

وما عدا صولة الديانة الوثنية وقوتها المتاصلة فليعتبر القارئ ايضًا كثرة حلفائها وعمالها المتنوعين والذين اغراضهم ومصالحهم متوقفة على قيامها كالمبصرين والعرافين واصحاب الفال والطيرة وتابعيهم ومعاونيهم في هياكل التماثيل التي لا يحصى عددها واصحاب الصنائع التي قامت بتشييد عبادة الاوثان كصانعي التماثيل والمحاريب وباعة الذبائح والعطارين. وليعتبر ايضًا الاعياد العظيمة والالعاب التي كانت الديانة الوثنية تملق بها شهوات الشعب وتجعل جميع الرتب والبلدان تعضدها التي كانت تُمارَس باحتفال ومجدٍ عظيمين في جميع مدن اوروبا واسيا . فما كان اعظم القوة المؤلفة من اتحاد كهنة الوثنيين على انواعهم مع كهنة اليهود على سحق وملاشاة ديانةٍ لا يسلم احد منهم بتعاليمها . اما اتحادهم في هذا الامر الوحيد اي قرض الديانة المسيحية في مهدها وتغريقها في دم تلاميذها مع اختلافهم في كل ما سواهُ فمثبت من جميع التواريخ . فكيف ثبتت والحالة هذه امام مقاوميها وبقيت حية ونامية الى الآن اليس بقدرة الله العجيبة

٤ ان سلطان الولاة اتحد مع صولة كهنة الامم واليهود في التجنُّد والجهاد ضد الانجيل . فانهُ كان من واجبات كل الولاة في جميع البلدان ان يعضدوا ديانة المملكة لان حرية الاديان عند الامم الاعظم تمدنًا مع ان الكفرة يمدحونها كثيرًا لم تسمح بادخال ديانةٍ لا تجيز لتابعيها الاشتراك الكامل في العبادة المعينة من قبل المملكة حتى ان عدم المصادقة على طقوس الامة ورفض السجود للآلهة التي يعبدها الجمهور حُسِب ذنبًا لا يغفر عند الآلهة والولاة معًا. ولذلك اندهش الامم من عوائد المسيحيين اندهاشًا عظيمًا وحرك ذراع الحكومة الى قرض تلاميذ المسيح بجرم باهظ جدًّا موجب الموت . لان الوثني سواءٌ كان يونانيًّا او رومانيًّا حيث صادف مسيحيًّا كان يسمع منهُ هذه الوصية احتفظوا انفسكم من الاصنام. وقال والٍ رومانيٌّ لاسقف اسكندريٍّ لماذا لا تشركون آلهتنا بالهكم وتبقون على عبادتهِ . فاجابهُ لاننا لا نسجد لالهٍ آخر. فالامر واضح ان جوابًا صريحًا كهذا لا يؤخّر والِيًا امميًّا عن سل سيفهِ لاضطهاد المسيحيين وقرض المسيحية عن وجه الارض . وبما ان ما قيل في هذا الجواب كان معروفًا في كل مكانٍ على انهُ علامة مميزة للانجيل عمَّا سواهُ هيَّج كل قوة ممالك الامم وحملهم على الاتحاد مع كهنتهم على ابادة هذه الديانة الطاهرة

٥ واضيف الى هذه القوات المتحدة حنَق جميع الشعوب وتعصُّبهم على الديانة المسيحية بكل

عزم ليس لاجل ارضاء الهتهم فقط بل ايضاً لاجل مضادة ديانة مصدرها من اليهود ولا سيما لان مشيديها يهود مهانون ومضطهدون من نفس اخوتهم اليهود المهانين . وعلى نوع خصوصي لانها ديانة روحية ومقدسة تقاوم كل شر وعبادة اوثان . وفي رسالة بولس الى اهل رومية ترى رسم ما كان مستولياً على شعوب الامم قاطبة في عصر هذا الرسول من الاميال القوية والانحطاط الكلي . ومن ذلك قوله مملوئين من كل اثم وزنا وشر وطمع وخبث مشحونين حسداً وقتلاً وخصاماً ومكراً وسوءاً نمامين مفترين مبغضين لله ثالبين متعظمين مدعين مبتدعين شروراً غير طائعين للوالدين بلا فهم ولا عهد ولا حنو ولا رضى ولا رحمة الذين اذ عرفوا حكم الله ان الذين يعملون مثل هذه يستوجبون الموت لا يفعلونها فقط بل ايضاً يُسَرُّون بالذين يعملون رو ١: ٢٩–٣٢ . وكل ما نص عليهِ الرسول هنا يمكن اثباتهُ حرفيًا من شهادات موّلفي الامم . وكتب هذا الرسول ايضاً صورة آداب امتهِ وسجاياها الجوهرية التي توافق ذلك . فماذا ينتظر والحالة هذه ان يصادف الانجيل وجميع اوامرهِ المقدسة وتعاليمهِ الروحية في عالم كهذا الاَّ اشد المقاومة من جميع الشعوب

٦ ان الدّ الاعداء التي ناضلها الانجيل تعجرف الفلاسفة الوثنيين وحكمتهم . وذلك لان هولاء مع انهم كانوا على مذاهب كثيرة ومتباينة جداً اتفقوا جميعاً على الاعجاب بانفسهم وحكمتهم والاستخفاف بالآخرين . فآراؤهم الكثيرة ومطامعهم الخصوصية وسوء آدابهم الشخصية جعلتهم اعداء الدَّاء للديانة المسيحية لانها صعدت الى مدارسهم ودعت حكمتهم جهالة وبكتت عجبهم وغطرستهم ومدَّعياتهم . ولم تاتهم بسمو الكلام ولا بكلام الحكمة الانسانية المقنع متعللةً (كما كانوا يتعللون) بمباحثات ومماحكات الكلام بل كانت لا تعرف شيئاً بين الناس الاَّ يسوع المسيح واياهُ مصلوباً آمرةً اياهم بالتوبة والرجوع الى الله وان يصيروا كالاطفال ويؤمنوا بمخلص مات مصلوبًا ليصالحنا مع الله . فحقًا هذا كان لليونانيين جهالة . ولما قابل بولس الرسول بعض الابيكوريين والرواقيين عيّروهُ بقولهم ماذا يريد هذا المهذار ان يقول . انهُ يظهر منادياً بالهةٍ غريبة . ولما سمعوا بالقيامة من الاموات استهزأوا بهِ . اذاً لما شرع الرسل في نشر الانجيل بين الامم قاومهم جميع فرق الفلاسفة بكل حكمتهم وعلمهم وسفسطياتهم وكبرياثهم وغيرتهم وخبثهم

٧ فليعتبر القارئ مع هولاء الاعداء الاقوياء صفات العصر الذي شرع فيهِ الرسل في نشر الديانة المسيحية . فان ذلك العصر امتاز بانهُ من عصور السلام التام بين الامم وكانت عقول الناس فيهِ قادرة بنوعٍ خصوصي على البحث عن صحة تعاليم الانجيل . فكان عصراً بهياً فيهِ امتلأت المدن من الفلاسفة وبلغ كل فنٍّ من العلوم الادبية اعلى درجة من التثقيف والتهذيب . وكان من خصائص اهلهِ عدم الاذعان اي عدم الانقياد والتسليم بسهولة . ولم يكن عصر نظيرهُ

قبلهُ ولابعدهُ شاع فيهِ الريب في الوحي وكان فيهِ جمهور العامة متوغلين جدًّا في عبادة الاوثان والخرافات . والاعيان ليسو باقل منهم فسادًا في آرائهم التي قادتهم الى جحد جميع الاديان . والمدارس المتنوعة التي قسمت حينئذٍ علماء المملكة الرومانية الى احزاب كان القسم الاكثر عددًا بينها هو الذي انكر علانيةً اكثر حقايق الديانة الاساسية وقاومها . ومن هولاء الابيكوريون والاكاديميون. اما الابيكوريون فاعتقدوا ان النفس غير خالدة وان الآلهة ان كان لها وجود لامخالطة لها بامور البشر . والاكاديميون اعتقدوا عدم امكان الوقوف على حقيقةٍ ما وانهُ لايمكن البتة تحقق وجود الآلهة ولا عدم وجودها ولا خلود النفس ولا عدم خلودها ولا تفضيل الفضيلة على الرذيلة ولاتفضيل الرذيلة على الفضيلة . فهاتان الطائفتان التي احداها تنكر وجود الله سبحانهُ والاخرى مرتابة في كل شيء كانتا اكثر عددًا من الجميع في عصر الرسل وكان يشجعهما على ذلك كرم الاغنياء وحماية الاقوياء

فمن كثرة شيوع هذه الفلسفة الفاسدة امتاز ذلك العصر في البحث في مسائل غريبة والعلماء كانوا في كل مكان مثل اهل اثينا لا يتفرغون لشيءٍ آخر الاّ لان يتكلموا او يسمعوا شيئًا حديثًا . وكان لاجل هذا السبب ايضًا عصر الازدراء الخصوصي بكل ما يستدعي التسليم بانهُ معجزة او فايق الطبيعة . وكانت كل مدينة متوغلة بجملتها في عبادة الاوثان . هذا من جهة ما يختص بجمهور الشعب واما مدارس الفاسفة وعقول العلماء فقد امتلأت من الريب في كل ما يختص بالديانة . وزد على ما تقدم ما يرافق ذلك بالضرورة وهو تغلُّب الرفاهة العمومية التي لم يسبق لها مثيل والعيشة المتراخية والفجور. فلنا من كل ما تقدم رسم حقيقي لسجية ذلك العصر الذي عزم فيهِ الرسل ان يهدموا بجهالة الكرازة حكمة الحكماء غير عارفين شيئًا بين الناس الاّ يسوع المسيح واياهُ مصلوبًا ويهدوا جميع الامم الى الديانة المسيحية

فيظهر جليًّا ان ذلك العصر كان على نوعٍ خصوصي غير مناسب بالكلية لهذا العمل . وانهُ حسب ما يرى الانسان ان رفض الانجيل فيهِ والازدراء ببساطتهِ وروحانيتهِ وقداستهِ من آكد ما يكون ولاسيما الازدراء بقضيتين اصليتين فيهِ وهما التوبة الوضيعة والايمان الخشوعي

٨ فلنلتفت الآن الى الذين فُوّض اليهم نشر الانجيل . فمن هم الذين أُرسلوا ليكرزوا بالانجيل لكل الخليقة ويتلمذوا كل الامم . هم نفر قليل بدون ادنى اهلية لهذا العمل العظيم بل ليظهروا في ضعفهم ان نجاحهم كان من الله . لانهم لم يكونوا فلاسفة ولاخطباء ولا معلمين بل من قبيلةٍ من البشر مدعوة عند اكثر الامم بربرية ويزدري بها كل العالم ازدراء خصوصيًّا ومن الفيئة الاقل اعتبارًا في تلك القبيلة وكانوا فقراء ومهانين وضعفاء . ولم يعرفوا من المصالح الاّ جباية العشور وصيد

السمك ولا من اللغات سوى لغة الجليل . وطُلِب منهم والحالة هذه ان يكرزوا لجميع الشعوب من كل لغة وان يقتحموا اسوار ديانة اليهود الشامخة ويسحقوا قوة الوثنية المحاطة بمتاريس رذائل الشعب والمحصنة بحذاقة الكهنة والمصانة بقوة جميع الشعوب والمتينة بتقاليد الاعصار القديمة . وان يدخلوا مدارس الفلسفة المتشامخة ليروا اولئك الفلاسفة ان حكمتهم جهالة ويعلموا معلميهم ويأتوا باسرى للايمان بيسوع الناصري المصلوب ويعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس . ولايمكننا ان نستثني منهم غير بولس رسول الامم العظيم الذي هو الشخص الوحيد بينهم الذي تعلم في مدرسة

٩ فلنتامل في ظروف واحوال الذل وخيبة الامل التي فيها شرعوا في هذا العمل . ومنها ان اعداء معلمهم في هذا الوقت كانوا قد نجحوا بتسميره على الصليب المعيب . وقولهم على سبيل الازدراء لفريسنهم المتالمة انزل عن الصليب ان كنت ابن الله يري ماهية التهلكة التي ظنوا انهم القوهُ فيها . وجميع تلاميذه كانوا قد تركوهُ ومضوا والحجر الذي كان على باب القبر لم يكن اثقل من الحمل الذي كان على قلوبهم حين نظروهُ ميتًا ومدفونًا . وبعد بضع ايام اجتمعوا معًا ايضًا في اورشليم ولم يملأوا اكثر من علية واحدة فظن الناس ان عملهم قد مات مع معلمهم وقد أُعتبرت عند الجمهور في كل مكان عدم نجاته بقوة الله من عار الصليب جوابًا سديدًا على كل ما ادَّعى به . فهكذا ابتدا الانجيل وهذه هي الاحوال المملوَّة من الياس التي كان على الرسل العديمي الاحباب والصيانة والمهانين ان يرفعوا رايتهم فيها . فماذا كان يُنتظَر منهم من العمل والحالة هذه

١٠ فلننظر الى المنهاج الذي نهجوهُ . انهم لم يطلبوا النفوذ بسطوة عالمية ولا رغبوا في الشهوات البشرية ولا انتظروا مدحًا من العالم ولا اكترثوا بالرتب السامية ولا بالغنى ولا بالعلوم البشرية ولا بالتربية الشريفة . ولكن تكلموا كمن لهم سلطان وكسفراء مرسلين من بلاط الملك ومؤيَّدين بقوة يحق لهم ان يطلبوا بها من الكهنة والفلاسفة والملوك الخضوع . ولم يطلبوا نفوذ عملهم بكلام الحكمة الانسانية المقنع بل بالاتكال البسيط على برهان الروح . وعوضًا عن ان يختاروا التعاليم التي بها يسالمون سامعيهم افضل مسالمة ويكتمون البقية انصبوا الى الكرازة بكل حرارة بما عرفوا انهُ الموضوع الخصوصي للتعيير والازدراء عند اليهود واليونانيين غير مفتخرين بشيء الاَّ بصليب المسيح . وعوضا عن ان يجعلوا مناداتهم موافقة على نوعٍ ما لسيرة الذين خاطبوهم الرذيلة وغطرستهم نادوا بان غضب الله مُعلَن من السماء على جميع فجور الناس واثمهم وطلبوا من كل من يتسمى باسم المسيح ان يتجنب الاثم ويصلب الجسد مع الاهواء والشهوات وان يرتضي ان يحسَب جاهلاً ومضطهدًا حتى الموت لاجل المسيح . فهذا هو المنهاج الذي اختارهُ هولاء الجليليون الضعفاء المغلبة على عنافة مقاومة اليهود المتغطرسين الابرار في عيون انفسهم ويصيّرون مسيحيين من اليونانيين والرومانيين

المتوغلين في الرذائل المحطّة بشان الانسان والمنتخبين بسمو حكمتهم

١١ فلننظر الآن الى كيفية قبول اجتهادهم في نشر الديانة المسيحية. فانهُ قد قوبل في كل مكانٍ باشد مقاومة واعنف اضطهاد . ومنذ الفي الرسل اول خطاب الى السنة الخامسة بعد الثلاث مئة من التاريخ المسيحي لم يسكن الاضطهاد بل كانت هجومات اعم ومتواصلة تلمُّ بالكنيسة حتى قبل ان تمتلك فرصة لدفن موتاها يُطلَب منها الوف غيرهم دفعةً واحدةً لعذابات الاستشهاد وامجادهِ . ففي اورشليم ابتدا الاضطهاد وشرع شاول يصطاد المسيحيين في فخاخهِ فكان استفانوس الفريسة الاولى وحالاً تشتت الاخوة في كل صقعٍ من العالم طولاً وعرضًا من لظى نارهِ وقُتِل يعقوب بالسيف وقُبِض على بطرس للذبح وجُلِد بولس ورُجم وتتبعوهُ تتبعًا متداركًا حتى ان القيود والضيقات كانت مُعدَّة لهُ في كل مدينةٍ . وكل ما قدر اليهود الملووون من العداوة والمتهيجون من غيرة الكهنة على فعلهِ استعملوهُ ليلاشوا هذا العمل

وقد اتحد كل ما استطاع عليهِ الولاة الرومانيين من الحيل مع خرافات وغيظ الشعوب الوثنية الكثيرة العدد على هذا العمل الوحيد اي منع تقدم انجيل المسيح. فقُذِف تلاميذهُ بانهم ينكرون الله واعداء البشر وقتلة وآكلو بنيهم ومجرمون باشنع وافظع القبائح واُعمِلت فيهم ادوات التعذيب. وبذل اليهود والامم والجنود والعبيد والولاة والملوك ما عندهم من الحذاقة والدهاء لايجاد طرق جديدة لرد المسيحيين عن ايمانهم وكانوا متى راوا ثباتهم يجتهدون في ان يزيدوا آلامهم بدون تعجيل موتهم . وكانت كل ولاية ومدينة وقرية معرضًا للاستشهاد . ومبدا الحكام الجوهري هو ان الديانة المسيحية التي سموها خرافةً لابد من ملاشاتها. وفي وقت قصير جدًّا كثر عدد الذين أُستشهدوا حتى اخبر مؤرّخو ذلك العصران الجوع او الوبا او الحرب لم يهلك في عصرٍ ما اكثر منهم. ففرَمان تراجانوس امبرطور رومية الذي بهِ يامر وكلاء الدولة بقتل كل من لا يرتد عن الديانة المسيحية لم يَلغَ في كل مدة تسلط الديانة الوثنية في رومية. والاضطهاد الذي نشأ في قلب المملكة الرومانية انتشر ايضًا في افريقيا وبلاد فارس وبلاد العرب وكبدوكية وما بين النهرين ونيكوميديا وفريجية وفي نحو كل مكان عُرِف فيهِ الاسم مسيحي . والذين تالموا لاجل المسيح من رجالٍ ونساء شيوخًا واحداثًا كانوا كثيرين جدًّا حتى كانوا يُحسَبون اجمالاً لا افرادًا . قال كبريانوس وكانوا وهم في العذابات اشد واقوى من معذبيهم . وكانت اعضاؤُهم المرضّضة والمهشمة قاسية على الآلات التي تسحقها وتقطع لحومها والجلدات المتواصلة لم تقوَ على ايمانهم المنيع مع انها كانت تقطع لحومهم اربًا اربًا وتمزق ايضًا امعاءهم انتهى . هذا ما قررَّهُ احد الذين استمرّوا يكابدون ذلك الى نهاية الحياة . ويطابق ذلك مطابقة كلية قول الرسول بولس وآخرون عُذّبوا ولم يقبلوا النجاة لكي ينالوا قيامةً افضل .

وآخرون تجرَّبوا في هزءٍ وجلدٍ ثم في قيودٍ ايضًا وحبسٍ . رُجموا نُشِروا جُرِّبوا ماتوا قتلاً بالسيف طافوا في جلودِ غنمٍ وجلود معزى معتازين مكروبين مُذلّين . تائهين في براري وجبال ومغائر وشقوق الارض عب ١١: ٣٥-٣٨

وكثيرًا ما كان المسيحيون فريسةً لغيظ الجمهور كما كانوا فريسةً للفرمانات العمومية والاوامر القيصرية . فكانوا يقذفونهم بكل نوعٍ من الثالب ليستنشيطوا حنق الجمهور عليهم . وكانوا يكتفون بشهادة اوباش العبيد او المغتصبين بالعذابات ليشهدوا حسب مرغوب الجماعة المتهيجة لكي يظهروا براءتهم في سكب جامات بغضهم المريعة على اصحاب هذه الديانة وجعلوهم مثلاً فاذا حدث قحلٌ وقيظ يقولون منع الله المطر بسبب المسيحيين واذا لم يفض النيل حسب عادتهِ اوطفا نهر تيبر على ضفتيهِ او حدثت زلازل او مجاعة اوضربة عامة اية كانت هيجت عقول الجمهور صرخ كل فمٍ ان العلة هي غضب الآلهة بسبب نموّ الديانة المسيحية . وبادروا حالاً الى الذبيحة لاجل ارضاء الآلهة المغتاظة وذبحوا المسيحيين

هذه هي الموانع والصعوبات التي قامت في طريق انتشار الانجيل . فالا يتضح جليًّا من نجاحهِ رغمًا عن جميعها انهُ من الله وقد تاصّل بمساعدتهِ تعالى العجيبة الخصوصية وانهُ لو كان من البشر لانقض حالاً لا محالة

وقبل ان نتقدم الى الكلام عن نجاح التلاميذ نستخرج مما اوردناهُ من المقدمات برهانًا قاطعًا على القوة التي ساعدتهم على العمل

انهُ لامر محقق انهم عرفوا صعوبات عملهم ومافيهِ من الاخطار. لانهم كانوا عقلاء وقد عرفوا قبلاً نبوات المسيح التي انذرتهم بما سيكابدونهُ من الموانع والاخطار وما كانوا هم عليهِ ايضًا من الضعف الكلي ومع هذا باشروا والحالة هذه نشر الانجيل بين كل الامم . فماذا كان يغريهم بالتعيير والتسوُّل وآلات العذاب والسجون وبالوحوش الضارية ولهيب النار . ألم يكن بالضرورة عملهم مخلصًا لوجه الله وهل كان يمكن ان يحركهم لهذا العمل ما هو دون اليقين التام بقيامة المسيح ووعدهُ بان يكون معهم في كل اتعابهم . فلا يمكن ان نرتاب في خلوصهم مالم نفرض المحال . ولكن هل هذا برهان قاطع على ان المسيح قام وانهُ كان معهم بقوتهِ الالهية كلا لاننا لا نزعم ان اقتناع اصحاب شيعة بصدق دعواهم يكون في الغالب برهانًا قاطعًا على صدقها ولكن من جهة الرسل يجب ان يُعتبَر هكذا . لانهُ لايمكن ان يكونوا قد انخدعوا ولا بد انهم عرفوا هل صنع المسيح معجزات صحيحة اولا وهل ظهر لهم بطرق كثيرة متنوعة بعد دفنهِ وهل اكل وتكلم معهم وتردَّد بينهم في مدة اربعين يومًا بعد موتهِ وهل راوهُ في آخر تلك المدة وسمعوهُ يامرهم ان ينشروا الانجيل في العالم ويعدهم بان يكون معهم ويمدهم

بالقوة حيثما يذهبون . فذهابهم ولهم هذه المعرفة التي لا يمكن انكارها وبهذا الخلوص الذي لا يقبل الريب الى جميع العالم ليكرزوا بيسوع والقيامة غير مخدوعين ولا قاصدين ان يخدعوا احدًا برهان راهن على انهم قد خدموا الحق وان ايمانهم لم يكن بحكمة الناس بل بقوة الله

٣ . فلنتامل الآن بنجاح الرسل في اتمام وصية معلمهم

فانهم ابتدأوا بالتبشير في يوم الخمسين بعد موت المخلص ومن اورشليم اتون الاضطهاد وبين اولئك الذين شرعوا امام الجميع في صلبهِ وهم في عزّ فرحهم من ظفرهم في تلك الواقعة . ولا يمكن ان يتصور الانسان جمهورًا اشد مقاومةً لمشروع الرسل من ذلك الجمهور الذي خاطبوهُ اولاً . اما جوهر الخطاب الذي القاهُ بطرس على مسامعهم فهو ان يسوع الناصري هذا اخذتموهُ مسلمًا بمشورة الله المحتومة وعلمِهِ السابق وبايدي اثمةٍ صلبتموهُ وقتلتموهُ . الذي اقامهُ الله ناقضًا اوجاع الموت اذ لم يكن ممكنًا ان يُمسَك منهُ . فليعلم يقينًا جميع بيت اسرائيل ان الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموهُ انتم ربًا ومسيحًا . ومن المنتظر طبعًا ان النتيجة تكون ان الايادي التي تلطخت بدم الرب ترشق سهام عدوانها على هذا الرسول الجسور غير انهُ انضمّ ثلاثة آلاف نفس في ذلك اليوم الى الكنيسة وبعد بضع ايام ازداد هذا العدد حتى بلغ خمسة آلاف نفسٍ . ومع ان الانجيل لم يُكرَز بهِ اولاً الاّ في اورشليم وما يجاورها قبل بعد ذلك بنحو سنةٍ ونصف وكان مؤمنون ينضمون الى الرب اكثر . جماهير من رجالٍ ونساء . وايضًا وكانت كلمة الله تنمو وعدد التلاميذ يتكاثر جدًا في اورشليم وجمهور كثير من الكهنة يطيعون الايمان

ولما تشتت المومنون من اورشليم من شدة الاضطهاد جالوا مبشرين بالكلمة وفي اقل من ثلاث سنوات نُظِمت كنائس كثيرة في كل اليهودية والجليل والسامرة . وغب ذلك بسنتين او بعد ابتداء العمل بسبع سنين كُرِز بالانجيل اولاً في ما بين الامم . وهكذا اخذ العمل يتقدم فلم يمضِ ثلاثون سنة من موت المسيح حتى انتشرت كنيسةٌ في اليهودية والجليل والسامرة وفي نحو كل مقاطعات اسيا الصغرى العديدة وفي بلاد اليونان وجزائر بحر الروم وسواحل افريقيا وفي ايطاليا ورومية ايضًا . وكان عدد المؤمنين في كل مدينة يُذكَر بهذه العبارات وهي عددٌ عظيم . جماهير كثيرة . جمع كثير

ويظهر عظم امتداد عمل الرب وشدة تاثيرهِ من صراخ المقاومين في تسالونيكي وقولهم ان هولاء الذين فتنوا المسكونة حضروا الى ههنا ايضًا . وديمتريوس العدو تشكى من بولس قائلاً انهُ ليس من افسس فقط بل من جميع اسيا تقريبًا استمال وازاغ بولس هذا جمعًا كثيرًا . واما اورشليم مركز حقد وحنق اليهود فكانت ام مدن الانجيل اذ كان فيها ربوات من المؤمنين . واكثر هذه الاخبار قد

اخذ ناها من سفر اعمال الرسل الذي بما انهُ يكاد ينحصر في اتعاب بولس ورفقائهِ الملازمين لهُ لا يُذكَر فيهِ الاَّ قليلٌ جدًّا عن الرسل الآخرين لذلك لا بدَّ ان يكون ما اوردناهُ عن انتشار الانجيل في مدة الثلثين سنة الاولى غير مستوفٍ البتة

وفي السنة الثلاثين من الشروع في هذا العمل الالهي اضطرمت لهب نار اضطهاد نيرون المهولة فازداد حينئذٍ عدد المسيحيين في رومية كثيرًا جدًّا حتى قُبِض على جمعٍ عظيم حسب قول تاشيتوس . وبعد اربعين سنةً قال افلينيوس الحاكم الروماني على بنطس وبيثينية في مكتوب ان الديانة المسيحية كانت قد تاسست من زمانٍ طويل في هاتين الولايتين مع انهما بعيدتان جدًّا عن اورشليم وان كثيرين من كل عمرٍ ودرجةٍ ذكورًا واناثى أُشتكي عليهم امامهُ بكونهم مسيحيين . وما يسميهِ افلينيوس عدوى هذه الخرافة (مبينًا بذلك امتداد الديانة المسيحية السريع رغمًا عن كل المقاومات) لم يستولِ فقط على المدن الكبيرة بل على البلدان الصغيرة ايضًا ودساكر العراء حتى كادت هياكل الوثنيين تُهجَر واستولى الكساد على ما يُقدَّم للذبائح وأُهمِلت الاحتفالات المقدسة زمانًا طويلاً

ويوستينوس الشهيد الذي كتب بعد افلينيوس بنحو ثلثين سنة وبعد الشروع في الكرازة بالانجيل للامم بنحو مئة سنة وصف امتداد الديانة المسيحية في عصرهِ بقولهِ لا توجد امة يونانية او بربرية او امة تُدعَى باسم آخر حتى بين قبائل البادية ساكني الخيام لا تُقام بينها الصلوات والتسابيح للآب وخالق الكون باسم يسوع المصلوب . واكليمنضوس الاسكندري كتب بعدهُ ببضع سنوات قائلاً ان الفلاسفة انحصروا في بلاد اليونان وانحصر قبولهم بين اتباعهم الخصوصيين اما تعليم رب الديانة المسيحية فلم يلبث في اليهودية بل انتشر في كل العالم بين كل امةٍ وفي كل مدينةٍ وقريةٍ هاديًا عيالاً وافرادًا الى الحق . وقد هدى من الفلاسفة انفسهم عددًا ليس بقليل . واما الفلسفة اليونانية فلو حُجِزت لكانت تتلاشى حالاً واما تعليمنا فمنذ الشروع في التبشير بهِ اجتهد الملوك واهل الظلم والحكام والمامورون مع كل تابعيهم والرعايا بكل قوتهم في ان يلاشوهُ لكنهُ لا يزال ينمو اكثر فاكثر انتهى

ولا ريب في ان هذا التقدم السريع للانجيل عجيب جدًّا . ولا صحة لفرض البعض ان كل هذا الرجوع الى الحق او اعظمهُ انما كان على سبيل تغيير المعتقد والاسم او استبدال هيكلٍ وثني بكنيسة مسيحية اي مجرَّد انتقال من نظام دبني طقسي الى آخر . وهذا الفرض الباطل لا يجعل الامر اقل اعتبارًا مما هو لانهُ في وقت الاضطهاد العنيف كانت تُمتحَن حقيقة الرجوع كما بالنار . ولم يكن في اثناء الثلاث مئة سنة الاولى للديانة المسيحية ما يحمل احدًا على الاقرار بايمانها سوى تاثير تعاليمها في قلبهِ

ورغبتهِ في تكريس نفسهِ لواجباتها المقدسة القائمة بانكار الذات واحتمال خسارة كل شيء لاجلها . لان مجرَّد التسليم الفاتر وحفظ الطقوس الميت لا يُحتمَل انهما يجعلان الانسان يعرّض نفسهُ لتمزيق الوحوش الضارية ولا للخسارة العظيمة والآلام المبرّحة. كلاَّ ومن ذلك نحقق ان التغيير الذي كان يحصل بالراجعين الى الله كان معروفًا بانهُ تغيير القلب والسيرة كما كان تغيير الفكر . وقد شهد لسلطانهِ الالهي شهادة راهنة الفلاسفة الذين اشتكوا من عدم اكتساب الناس من تعليمهم سوى قليل من الجودة والصلاح . واما بولس فكان قادرًا ان يقول لمسيحيي كورنثوس المدينة الشهيرة بفواحش سكانها وهكذا كان اناس منكم لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبرَّرتم باسم الرب يسوع وبروح الهنا

وقال احد المؤلفين في ذلك العصر ان تعليم المسيح قد رجَّع اردا الناس عن كل فواحشهم الى ممارسة جميع الفضائل . وكان الفرق بين المسيحيين والذين كانوا قبلاً يشابهونهم عجيبًا جدًّا حتى ان اوريجانوس وهو يدافع هجومات كلسوس على ايمانهِ طلبهُ المقابلة بين سيرتهم الادبية وسيرة الشيع الاخرى في العالم . ويشترك في هذه الشهادة كبن المرتاب الذي قال وهو يتكلم عن المؤمنين الاولين انهم عند ما خرجوا من الخطية والخرافة الى رجاء الخلود المجيد عزموا على تكريس نفوسهم لحياةٍ بالتقوى والندامة ايضًا. وصار جلُّ مقصودهم بلوغ درجة الكمال وحبانهم باجتناب عوائد العالم وغير الجانحة الى تراخي عصرهم الباطل افضت بهم الى العفة والاعتدال في المعيشة وحسن السياسة وجميع الفضائل الحسنة. وكلما اشتد الاضطهاد عليهم زاد التصاقهم بعضهم ببعض وقد لاحظ الكفرة مؤاساتهم بعضهم لبعض المتبادلة وثقتهم الوطيدة وكثيرًا ما غدرهم بها الاصحاب الخائنون . حتى ان نقائصهم او بالحري غلطهم قد نتجت من زيادة فضائلهم انتهى . فيتضح من جميع هذه النصوص ان انتشار الانجيل لم يكن فقط بسرعة كلية بل ايضًا بقوة عظيمة في تغيير شكل قلوب وحياة الجماهير الذين اعتنقوهُ

وفضلاً عمَّا تقدم من الكلام عن امتداد هذا العمل وقوتهِ الادبية نقول انهُ كان بين الذين دخلوا الى طاعة المسيح اناس من كل درجة من الاحقر والاجهل والاشرف والاعلم . فنقرأُ في العهد الجديد عن رجوع مشير شريف وقائد وجمهور كثير من الكهنة وقائدَي مئة من الجيش الروماني وعن والي قبرس وعن عضوٍ اريوباغي من اثينا وعن البعض من بيت القيصر نيرون الى الايمان المسيحي. وكان كثيرون من الراجعين الى هذا الايمان معتبرين جدًّا لاجل مواهبهم ومعارفهم كيوستينوس الشهيد الذي اذ كان وثنيًّا كان لهُ معرفة بجميع مدارس الفلسفة وبنتينوس الذي قبل رجوعهِ الى الايمان كان فيلسوفًا في مدرسة الرواقيين وبعد ان صار مسيحيًّا قصدهُ كثيرٌ من

التلاميذ المختلفي الانواع ليتعلموا منهُ في الاسكندرية . واوريجانوس الذي ذاع صيتهُ الى الاقطار في العلوم حتى اتى المسيحيون والفلاسفة ايضًا مزدحمين افواجًا لسماع خطبهِ في التعليميات والفلسفة . حتى ان فورفيريون الكافر لم يأبَ من تلقيب علوم اوريجانوس بالقاب الشرف . ومما يساعدنا على فهم شهرة المسيحيين الاولين وعلومهم واتعابهم مراجعة جداول المؤلفين المسيحيين الذين نبغوا في تلك العصور. فان قائمة ايرونيموس تحتوي على مئة وعشرين مؤلفًا قبل السنة الثلاث مئة والستين من موت المسيح وهي مفتتحة بهذا القول فليعتبر الذين يقولون انهُ لم يقم في الكنيسة فلاسفة ولا فصحاء ولا علماء من هم الذين اسَّسوها وشيدوها وزينوها انتهى. وافلينيوس قال صريحًا في مكتوبهِ الشهير لترا جانوس الذي كتبهُ بعد الشروع في الكرازة بالانجيل بنحو ستين سنة انهُ في ولايات بنطس وبيثينية أُشتكي اليهِ على كثيرين من كل رتبةٍ بانهم مجرمون بكونهم مسيحيين

وها قد اوردنا الآن عدة حقائق تتالف منها قضايا برهاننا. منها وقائع تاريخية لا يرتاب في صحتها عن انتشار الديانة المسيحية السريع المتسع في كل المملكة الرومانية في برهة اقل من سبعين سنة منذ الشروع في التبشير بها . فهل سُمِع عن مثل هذا في العالم . وهل عمل الفلاسفة الشهيرون الذين ساعدهم العظماء وروح العصر اقوى مساعدةٍ ما يشابه ادنى مشابهة نجاح الرسل . أليس انهُ امر شهير انهُ لم يتجرا سوى واحدٍ منهم وهو سقراط على اقتحام دين امتهِ الدنيء وذكر صفات افضل مما ذُكِر فيهِ عن الله مع ان فسادهُ كان ظاهرًا لكثيرين منهم . وهذه الجراءة كلفتهُ خسارة حياتهِ ولم يجسر احد غيرهُ ان يحتذي مثالهُ. فما اعظم المباينة بين اولئك الفلاسفة ورسل المسيح الذين اقتحموا كل شرٍ وخرافةٍ وضلالٍ تحت كل نوع من المخاطر وفي كل مكانٍ غير خاشين من شيءٍ ولا حاسبين انفسهم ثمينة عندهم ليشهدوا ببشارة نعمة الله . فاين نجد شبيهًا لهذا العمل واي مشروع غير الانجيل نجح هكذا في تجديد جميع القبائل الكثيرة الخرافات والسيئة الآداب

فهذه المعجزة التي اوردناها الآن للقارىء لا يمكن ان تخفى بينتها عن ذي عقلٍ سليمٍ اي انتشار الديانة المسيحية في كل العالم بدون قوة ارضية سوى قوة الرسل. لان ذلك مضاد لنواميس الطبيعة وللاختبار العام كما لو كان انسان بكلمتهِ يجعل الصحاري تزهر وتثمر كجنة مخصبة او يجعل القبر يخرج موتاهُ. وما زال انتشار الديانة المسيحية متقدمًا يكون الانجيل مؤيدًا بعمود بينة راسخ لا يقدر الكفرة ان يزعزعهُ مطلقًا

ولننظر في خاتمة كلامنا عن هذا الموضوع الى ما يجب على غير المؤمن ان يصدقهُ موافقةً لاعتقادهِ. فانهُ لا بد لهُ ان يعتقد اما ان الرسل كانوا بلداء جدًا حتى توهموا ان معلمهم المصلوب ظهر لهم من وقت الى آخر في مدة اربعين يومًا بعد قيامتهِ وتكلم واكل معهم وكان عندهم كل دليل

حسيٌّ على قيامتهِ وهو في الواقع لم يدنُ منهم بل بقي في قبرهِ واما انهم كانوا اشرارًا جدًّا وخدَّاعين حتى انهم طافوا كل العالم ونادوا بانهُ قد قام من الاموات وهم يعلمون ان ذلك اختلاق فظيع

فاذا اختار ثاني هذين المعتقدين فلا يعتقد فقط ان اولئك القوم كانوا مغرمين على نوع غريب جدًّا بهذا البطل حتى عرَّضوا انفسهم لكل نوع من العار والاضطهاد والمشقة ليجعلوا العالم يصدقونهُ مع علمهم ان هلاكهم هو النتيجة الوحيدة. بل ايضًا ما هو اغرب من ذلك وهو ان نجاحهم في اول شروعهم في عملهم كان بين جمهور عظيم من الملوثين حنقًا وبغضًا لهم الذين قد صلبوا حديثًا المخلص وايضًا بدون علم ولا فصاحة ولا قوة ولا سند آخر. فكيف اذ ذاك جعلوا ثلاثة الاف نفس منهم يومنون ايمانًا وطيدًا تامًّا ان الذي قد راوهُ بعيونهم على الصليب قد قام وهو حيٌّ ايضًا حتى ان ايمانهم هذا جعلهم يرفضون كل شيءٍ ويحتملون كل ما ياتي عليهم لاجلهِ وذلك في نفس المكان الذي فيهِ حرَّاس القبر واذ كان ممكنًا لهم ان يحققوا منهم ماذا صار بجسد يسوع

ويجب على غير المؤمن ان يعتقد ما ياتي وهو انهم في اجتهادهم في نشر ديانة جديدة لابادة كل ما سواها من الاديان كانوا شارعين في عمل ما هو جديد في الكلية ومضادٌ لآراء جميع الامم وان التعاليم التي بشروا بها كانت تقاومها قوة الكهنة على اختلاف انواعهم وقوة الاحكام المتنوعة وكل اهواء وعوائد واغراض الشعوب وكل دهاء وغطرسة وافتخار فلاسفة جميع الامم . وان العصر كان عصر فحص وتفتيش وهم بسطاء وغير كفوء لمقاومة عظيمة كهذه وشرعوا في هذا العمل وهم محاطون باحوال تخوّر عزائمهم وباخصام يبتغون هلاكهم. وانهم استعملوا من الطرق ما كان يعرّضهم على نوع خصوصي لاظهار ضعفهم ويثير عليهم العداوة والازدراء من مقاوميهم ومكابدة الاهوال والاضطرابات المريعة في كل مكان حتى صار العذاب والموت والاسم مسيحي كلمات مترادفة. وانهُ لم يكن عندهم ما يقدمونهُ لليهودي او للوثني من جهة امر الدين الَّا ما تستخفُّ وتزدري بهِ حكمة البشر ويمقتهُ شر العالم ويعتصب جميع البشر على رفضهِ والازدراء بهِ . وانهُ لم يكن عندهم من الامور العالمية ما يمكنهم ان يغروا واحدًا بقبول ما اختلقوهُ بل بشروا الناس بوجوب تغيير كل خصالهم واميالهم تغييرًا كليًّا واكدوا لهم ان نصيبهم سيكون الضيق والاضطهاد . ثم ينبغي ان يسلّم مع كل هذه الاعتقادات ان هولاء الجليليين المجهولين قد حصلوا على نفوذ عظيم في كل المملكة الرومانية وخاصة في اكثر المدن المتقدمة في المعارف حتى انهم في برهة ثلاثين سنة جعلوا مئات الوف من كل الرتب من الفلاسفة واعضاء المجالس والحكام والكهنة والجنود ورعاع الناس يومنون بالمسيح ويثبتون حتى الموت . وهذا الامر يفوق عقول جميع البشر . فانهم قد عمقوا اساس هذا التعليم الذي اختلقوهُ حتى ان جميع الاضطهادات في مدة ثلاث مئة سنة لم تستطع اقتلاعهُ وشيدوا اركان الانجيل حتى

صار في مدة ثلاث مئة سنة ديانة مملكة تعم جميع العالم المعروف في ذلك العصر ولا يزال الى الآن ديانة جميع الشعوب المتمدنة

ولعل غير المؤمن يقول انهم فعلوا كل ذلك بجذقهم واجتهادهم فنجيب انهُ لا يخفى ان المبشرين بالانجيل في عصرنا الحاضر اعلم منهم ونظيرهم في الكد والاجتهاد واكثر منهم عددًا ووسائط وانسب احوالاً وقد شرعوا في هذا العمل بين الامم الوثنيين منذ زمانٍ طويلٍ ولم يصلوا بعدُ الى ذلك النجاح . ان غير المؤمن لكي لا يعترف بان الرسل قد استمدوا مساعدة عجيبة يزعم انهُ كان فيهم قوة غريزيّة عجيبة . فلكي يتخلص من عجيبة واحدة في هذا العمل يُثبت اثنتي عشرة عجيبة للاثني عشر عاملاً من فعلتهِ . اما المسيحي فياخذ سبيلاً غير هذا ويقول بولس غرس وابلوس سقى لكن الله انمى . وان اسلحة محاربتهم ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم حصونٍ

والبرهان المبني على امتداد الديانة المسيحية لم يتم بعد . نعم انهُ الآن مقنع لكنهُ سيكتسب بعد قوةً عظيمة وذلك حين تبتهج البرّية والقفر واراضي الامم والوثنيين الخربة الوسيعة ببركات الانجيل وتفرح الارض اليابسة وتزهر كالنرجس وتُستأسَر كل امة وقبيلة الى طاعة المسيح . لان الكلمة خرجت من فم الرب اعطيك الامم ميراثًا لك واقاصي الارض ملكًا لك . فيجب على كل قلبٍ ان يجيب آمين ويطلب لياتِ ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض

حادي عشر . يتبرهن صدق الكتاب المقدس من نتائجهِ الروحيّة وتاريخهِ نظير كتابٍ دينيٍّ

ليس احد ممن لهُ إلمامٌ في التاريخ يرتاب في ان الكتاب المقدس قد احدث تاثيرًا عظيمًا في العالم نظير كتابٍ دينيٍّ وان ذلك التاثير هو في نفسهِ صالح الى الغاية . لانهُ حيث تغلَّب وقبِل باكرامٍ وحُفظَت تعاليمهُ وامتُثِلت اوامرهُ افاد الهيئة الاجتماعية ورفع شانها وجعل احوال البشر وامورهم افضل جدًّا مما كانت عليهِ قبل دخولهِ بينهم . وكلٌّ من قبلهُ من الامم والشعوب وجعلهُ اساسًا لشرائعهِ ومرشدًا لآرائهِ في كل ما يختصُّ بالادب والدين ارتقى الى اسمى درجةٍ في التمدن والقدوة في فضائل الطبيعة البشرية . ولايضاح هذه القضية المعتبرة نقتصر على ايراد بعض الامور مما يختص بهذا الشان فنقول

انهُ لا يخفى ما احدث الانجيل من النتائج الكثيرة الباهرة في القرن الاول بعد المسيح ما

ذُكِر صريحًا في الرسائل . فان بولس الرسول ذكر ما حدث في كورنثوس وافسس (١ كو ٦: ١١ واف ٤: ١٩ و٢: ١) وبطرس الصفا ذكر ما حدث في بنطس وغلاطية (١ بط ٤: ٢) مما يدل على ان المسيحيين وهم عائشون بين جيلٍ شريرٍ وخاضعون لاردا الحكام واحوالهم قبل ان اعتنقوا هذا الكتاب كاحوال غيرهم من الامم الذين حولهم ارتقوا الى مرتبةٍ جليلة من الفضائل لم يتوصل اليها احد قبلهم . ولنا بينات مثل هذه في احتجاجات الآباء القدماء عن الديانة المسيحية . فان اكليمنضوس الروماني الذي عاش في آخر القرن الاول بعد المسيح مدح فضائل اهل كورنثوس في رسالته التي كتبها اليهم اذ قال من سكن بينكم ولم يستحسن تقواكم ووقاركم وعفتكم واضافتكم للغرباء . انكم متواضعون غير متكبرين وتكتفون بقوتكم اليومي الذي يمنحكم الله اياهُ وانتم تسمعون كلامهُ بكل اصغاءٍ وتزدادون مواساةً . ويوستينوس الشهيد الذي مات سنة ١٦٦ ب . م وقد كان قبل ان تنصر من الفلاسفة الافلاطونيين قال نحن الذين كنا قبلاً نلتذُّ بالزنا نحافظ الآن على اصرم قوانين الطهارة كنا نستعمل السحر والآن كرسنا انفسنا للاله الحقيقي كنا نعتبر المال والمكسب فوق كل شيءٍ والآن جعلنا كل مالنا مشتركًا لكي نوزّع على كل انسان بحسب احتياجهِ انتهى . وقال مينوسيوس فيلكس لاحد الوثنيين انتم تحكمون على الشر عند ما يُعمَل واما نحن فنعتبر الميل نحو الخطية خطيةً . السجون مملوَّة منكم وليس فيها احد من المسيحيين الاَّ من سجنتموهم لاجل ايمانهم بالمسيح . وطرطوليانوس الذي كان سنة ٢٢٠ ب م وهو اول من كتب من اللاتينيين ووصلت كتبهُ الينا ذكر مثل هذه الحجج وقال ان جمهورًا عظيمًا من البلاد الرومانية حصلوا على نفس التغيير المذكور . وذكر مثل ذلك ايضًا اوريجانوس في كتابهِ ضد كلسوس (سنة ٢٤٦) ولكتنتيوس معلم قسطنطين الملك الذي مات سنة ٣٢٥ ب م ويوليانوس الامبراطور ايضًا احب ان يكون المسيحيون قدوةً للوثنيين في محبتهم للغرباء وللاعداء وفي طهارة سيرتهم

وتاثير الانجيل هذا ظهر حالاً في الامم القديمة . اما في بلاد اليونان فكان ليكورغوس وصولون قد اباحا قبل ذلك الوقت اشنع الرذائل . وكانت الرذائل في رومية لاتُخجَل بها بل تُمدَح جهارًا . وكان قتل الانسان نفسهُ شائعًا وممدوحًا بين كل الامم القديمة الاَّ قليلاً . وممن مدح هذا الفعل سنيكا وفلوطرخس وافلينيوس وكونتليانوس . وقال كبن المورخ الانكليزي الكافر ان الامم لم يكونوا ليضادُّوا ذلك . وقد أُبيحت بينهم ايضًا الذبائح البشرية وتقديم الاطفال محرقات بل كان عندهم اوامر بهذا الشان . ولكن حينما دخل الانجيل ضادَّ هذه العوائد ولاشاها اخيرًا . والامر واضح ان ملاشاة تلك العوائد القبيحة لم تكن لتنسب الى التمدن لانها كانت دارجة بين امم فاقت المسيحيين في التهذيب وانما كان اضمحلالها من تقدم الحق الالهي لا من تقدم التنوير العالمي

ومن خصوصيات المسيحيين انقاذ المصابين والاعتناء بالفقراء . فلم يكن في القسطنطينية قبل دخول الديانة المسيحية اليها بناء واحد لعمل الخير ولم يكن شيء من مثل ذلك في رومية وهي وثنية واما بعد دخول النصرانية الى الاولى فاقيم فيها اكثر من ثلاثين محلاً برسم عمل الخير لليتامى والمرضى والغرباء والعاجزين والفقراء . واما رومية فاقيم فيها خمسة وعشرون بناء كبيرًا مختصًا بالمقاصد الخيرية المشار اليها . ولايخفى ان الانجيل حيثما دخل لاشى العوائد القبيحة مثل تكثير النساء وتسلط اصحاب المناصب والعبودية وصاحبته بركات عظيمة مثل تلطيف اهوال الحرب وفداء الاسرى وتحسين شرائع الامم البربرية . قال كبن الكافر المشار اليه آنفًا ان كل محب للحق والاستقامة لاينكر ان تنصُّر هذه الامم كان مصحوبًا ببركات كثيرة مادية للعالم القديم والجديد فزال منه الجهل وتلطفت القساوة ووجد مأوى للمساكين المتروكين بلا ملجإ وصار السلام والنظام في الهيئة الاجتماعية (انظر تاريخ كبن فصل ٥٥)

ويمكننا ان نختبر الديانة المسيحية على محك يستعمله الجميع لسلامته ويصادقون على صحته وهو ان الشجرة تُعرَف من اثمارها . فان ديانة الانجيل دخلت العالم في عصر كثرت فيه كلّ انواع الشر والفساد وعمّ فيه افظع نوع من الديانة الوثنية بين الامم المتمدنة بطقوسه الفاحشة التي هي ضد الانسانية . وكان من اخص صفات ذلك العصر ان معارض التنزه الجمهورية قامت بالقتل والذبح وانواع التعذيب . وان الوالدين بدون محبة طبيعية والاولاد اسرى والديهم وتحت رحمة اخلاقهم السريعة الهياج والنساء كنّ في درجة الارقاء فكان ذلك العصر عصر قتل وفواحش حتى ان اصحاب الرتب السامية والمعتبرين في اعين الجمهور ارتكبوا افظع الرذائل البهيمية وافتخروا بها . ومما يخجل منه الآن رعاع الناس تباهى به معلمو الادبيات بدون حياء . لان الفكر الدارج الذي هو قياس درجة الفضائل بين العامة لم يشمئز من الخصال التي تضادّ السعادة العائلية وراحة الهيئة الاجتماعية بل اجاز كل ما تقتضيه الطبيعة البشرية الفاسدة . ولم يكن بين جمهور الامم الوثنية من هو ذو عزم وقوة على اصلاح العالم الغرقان في الشقاوة والمكبّل بقيود الاثم

حقًا كان ذلك العصر عصر حكمة العالم التي لم يعرف العالم بها الله لان الحكماء حسب الجسد استمرّوا قرونًا متوالية يعلّمون ويؤلّفون ويفتخرون ومع ذلك يزداد الويل والاضطراب ولم يُرجَ الاصلاح البتة من مصدر بشري. ثم ظهرت والحالة هذه حكمة الله اي الديانة المسيحية متطفّلةً غير مُترحَّب بها ومرفوضة ومضادّة ومضطهدة كانها متعدية . وكانت مهانة كانها جهالة ومزدرى بها كانها ضعف وفي وسط هذا الاضطراب تجاسرت على الشروع في تجديد العالم وحيثما فازت بالقبول تجدد شكل الجهور. وكل ما امتد نفوذها نما الترتيب والنقاوة والاحسان والعدل والرحمة

وكل فضيلةٍ شخصية وعائلية وجهورية . وانتظم تحت رايتها جمعيات عظيمة من رجالٍ ونساء واشتهروا في العالم لاجل محبتهم الشديدة للاحسان المجرَّدة من محبة الذات ورغبتهم في القداسة . ولما اعترف رؤساء المملكة الرومانية بالديانة المسيحية أُلغيت حالاً الديانة الوثنية وانسخت جميع الفظائع والاعمال الوحشية التي ينفر منها الطبع السليم . وبقدر امتداد هذه الديانة في اي عصر كان او بلاد ما كانت تزداد ازديادًا يومًا جميع بركات التمدن والاعمال السلمية والفضائل الشخصية . والاخبار في عصرنا الحاضر في نشر هذه الديانة المقدسة بين الوثنيين يبرهن على ان قوتها لم تضعف وسلطانها لم يتغير وان ما فعلته بين الوثنيين الاولين تفعلهُ بين وثني القرن التاسع عشر وان كان تقدمها الآن بينهم على خطوات بطيئة

فهذا ما كان ثمر الديانة المسيحية في ابتدائها وهذا هو ثمرها الآن وسيبقى هكذا الى الابد . ومن هذا الثمر تُعرَف حقيقتها وبهِ يُحكَم بصدقها وبان اصلها من الله . وكل عقلٍ منصف يقدر على ادراك هذا البرهان وعلى امتحانها بموجب هذا القانون . واما الفلسفة ونور الطبيعة فلا يحتملان الامتحان لانهُ يُظهِر بطلها حالاً لا محالة . والكفر قد أُمتحن في اثناء الانقلاب العظيم في فرانسا المسمى غالبًا ملك الخوف وقُضِي عليهِ . فيجب بالضرورة اما ان نحكم للبركات التي ذكرناها بموجب هذا القياس بانها ناتجة من انجيل المسيح واما ان نقول بانها مسبَّبات بدون سببٍ . ومتى قلنا ان الانجيل وحدهُ اتى بهذه البركات ووحدهُ يقدر ان ياتي بها نتكلم بلسان كل ذي ضميرٍ حيٍّ وكل ذي عقل سليم . واذا اتى مذهب آخر بمثل هذه البركات فلا يخفى ان ذلك يكون بالنسبة الى مشابهتهِ بالديانة المسيحية وعلى موجب مبادئ أُقتبست فيهِ منها . ولو امتثل جميع العالم امتثالاً كاملاً للانجيل لتجدد ادبيًا وتلاشت منهُ جميع الشرور الطبيعية الناتجة من رداءة البشر

اذًا ما هي الديانة المسيحية . قال المخلص لهُ المجد هل يجمعون من الشوك عنبًا او من الحسك تينًا . وهل تقدر شجرة ردية ان تثمر ثمرًا صالحًا . فهذه الديانة اما حقيقية واما خرافة . اما وحي الله واما اختراع شرير وتجديفي من الانسان . فان كانت عمل اختراع بشري فلا بد ان تكون مغيظة لله جدًّا لانها تنسب جميع تعاليمها صريحًا الى الله اي انها تعليمهُ تعالى وترفع منشئها الى رتبة الالهية بتسميتها اياهُ بابن الله ومساواتهِ بالآب في القوة والمجد . فلا يمكن ان تكون حالة متوسطة بين صدقها الكلي كاعلان الهي وبين وقاحتها وتجديفها اللذين لا نظير لهما في اعمال البشر . فغير المؤمن في رفضهِ الاول يلتزم بان يسلم بالثاني . فلننظر اذًا الى ما يلتزم ان يصدّق بهِ لكي يبقى حافظًا مركزهُ . فلا بد لهُ ان يصدّق ان الحق بما انهُ حسب زعمهِ ليس لهُ مقرٌّ في الديانة المسيحية لهُ مقرٌّ في احدى الاديان او الفلسفات او الكفر التي جميعها مضادة للديانة المسيحية . فيكون

ايمانهُ جوهراً كما ياتي

أُومنُ ان العالم بما انهُ كان دائمًا مسلَّمًا لمفاعيل النظامات المضادة للديانة المسيحية التي لا بد من وجود الحق فيها (اي في تلك النظامات) كان دائمًا يتقدم في الفساد الادبي اذ ليس فيها روح الاصلاح ولا قوتهُ كما هو ظاهر من تاريخ الجنس البشري . وأُومنُ ايضًا ان الديانة المسيحية التي يجب ان تُعتبر فقط اختراعًا بشريًّا من افظع التجديف والنفاق قد تسلطت على قلوب الناس وسيرتهم حتى تجدد العالم بها ادبيًّا وتهذبت الهيئة الاجتماعية وتثقفت ونما الاحسان وامتدت السعادة الشخصية والجمهورية وتطهَّرت . وبالتالي أُومنُ ان الهًا غير محدود في حكمتهِ وقداستهِ وحقهِ قد رتب الجنس البشري هكذا حتى لاجل اصلاح وخير الهيئة الاجتماعية جعلنا تحت ضرورية التصديق بما ليس هو فقط زورٌ وكاذب بل مغيظ لعزتهِ تعالى جدًّا ووجوب ترقيتهِ ونشرهِ . فيجب كتم الحق (وهو على مذهبهِ غير الديانة الانجيلية) لاننا نعلم من الاختبار ان نشرهُ لا بد ان يُصحَب باعظم الاضرار للآداب والسلام وجميع مصالح الجنس البشري ويجب ان نعتمد على معلمي الضلال والظلمة كآلات لترقية الجنس البشري . وان نتنحى عن معلمي الحق لانهم لا يقدرون الاَّ على نقض بناء الخير الشخصي والجمهوري . فهذه هي قواعد ايمان الملحد المتضمنة رفض الديانة المسيحية سواء اعترف بها ام لا

وللديانة المسيحية او الكتاب المقدس ما خلا نتائجهُ الجمهورية المنظورة المذكورة في التواريخ نتائج عظيمة وعجيبة الى الغاية غير ظاهرة وغير معروفة عند العالم وهي تاثيرهُ في القلب البشري وفي الاختبارات الشخصيَّة الخصوصيَّة لان لتاثيراتهِ في القلوب المسيحيَّة في المخدع مكان الانفراد للتامل في تعاليمهِ تاريخًا عجيبًا لا يمكن ان يُكتَب بل كل مسيحي يكتشفهُ من اختبارهِ الخاص . فان الذين وجدوا التعزية في اوقات البلايا والرجاء في وقت الخوف والارشاد في حين الارتباك والقوة في وقت التجربة والنور في وقت الظلمة من قراءتهِ لا يُحصَى عددهم . وكثيرون ممَّن قبلوهُ بوقارٍ ومحبةٍ واحبوا لغتهُ الخاصة حتى صارت لغة قلوبهم يقولون كما قال المرنم كم احببت شريعتك . اليوم كلهُ هي لهجي . شريعة فمك خيرٌ لي من الوف ذهب وفضة مز ١١٩: ٩٧ و٧٢

ثاني عشر . يتبرهن صدق الكتاب المقدس من الصعوبات الكلية في نسبتهِ الى التزوير

ان كانت الديانة المسيحية حكاية محضة فلا بد ان تكون ملفَّقة بحذاقة كلية من ذوي عقولٍ

غريبة وحذاقةٍ لا نظير لها . وذلك لما في نظامها من صفة الاتفاق التام ولما تتضمنهُ ايضًا من الامور الكثيرة الادبية العظيمة ما يجعلها فاقدة النظير في نوعها بين كل ما نعرفهُ من تآليف البشر . ويلزم عن ذلك ان مخترعيها كانوا على درجةٍ سامية من العقل والحذاقة لانها من اعجب ما ألّفهُ العالم وانهم ايضًا كما كانوا احكم الناس كانوا اردا الناس لانهم اخترعوا من انفسهم كل ذلك النظام وهم يعرفون يقينًا انهُ ليس من الله . واستمرّوا طول حياتهم يدّعون بعمل العجائب لاثباتها اي لكي يخدعوا العالم بان تلك الديانة الملفقة هي من الله وهم يعلمون انهم لم يعملوا حقيقةً واحدةً منها وادّعوا ايضًا بان الله يشهد لصدقهم ولقّبوا رئيسهم في هذا الخداع الهًا وقدموا لهُ الاكرام الالهي وطلبوا من جميع الناس ان يفعلوا مثلهم وعاشوا وماتوا وذهبوا الى الدينونة وهم متمسكون بهذا النفاق . ولم يكتفوا باضلالهم اهل عصرهم وتوريطهم اياهم في الكذب والعبادة الباطلة بل كتبوا اباطيلهم ونظامهم لكي يخدعوا الناس بها في كل القرون . وقد فعلوا كل ذلك ولهم مقدار عظيم من النور الديني وهم يضادون كل من يحب الكذب ويتكلم بهِ ويحكمون عليهِ بالدينونة . اما كونهم فعلوا كل ذلك فمبرهن من التواريخ ومن العهد الجديد الذي كتبوهُ . فان كانوا كاذبين لا يمكن للغات البشر ان تستوفي ذمهم لانهم كانوا مرائين جسورين عديمي الحياء قد صرفوا حياتهم بالكذب والنفاق والاقسام الكاذبة ماكرين لا يخافون الله . وكانت حياتهم وموتهم كذبًا وتجديفًا مريعين . فلا غرو ان كانت الديانة المسيحية حكاية محضة من ان يُحسَب ملفقوها ليس من اعظم اصحاب الحيل فقط بل من اردا البشر ايضًا

ولنسال هنا عن حقيقة النظام الديني الذي يُحتمَل ان يخترعهُ اناس هذه صفاتهم . فلا بدّ انهم لما اجمعوا على تزوير ديانةٍ اجتمعوا لكي يتفقوا على ما يجب ان تكون صورة تزويرهم والنظام الخصوصي الذي يشهرونهُ للعالم ويدّعون انهُ من الله . ولا يخفى انهم كانوا يستطيعون ان يتصوروا مئاتٍ من النظامات المتنوعة . فيا ترى على ايٍّ منها يحتمل انهم يعتمدون لاتمام غاياتهم الردية . (على الفرض انهم ماكرون واردياء وحاذقون جدًّا) . فهل ينتخبون نظامًا مضادًّا لمباديهم كل المضادة وضد اهوائهم ووبالاً عليهم وقلما يؤمل نجاحهُ او ان نجح لا ينتج لهم منهُ خيرٌ البتة

اما هذا السوال فيجاب عليهِ على البديه سلبيًّا . لان اختيارهم ذلك ضد نواميس الطبيعة ومن العجائب كما لو تركنا حجرًا في الهواء وصعد الى فوق عوضًا عن ان يتجه الى اسفل . ولا ريب في انهم يختارون عكسهُ اي نظامًا يوافق اهواءهم وآراءهم ليس فيهِ شيءٌ من الخطر عليهم يؤملون النجاح فيهِ والحصول على ما يوافق غاياتهم . وقد قام مزورون دينيون كثيرون وليس بينهم من اتخذ نظامًا اكثر مضادة لاهوائهِ ومصالحهِ من كل ما سواهُ بل بالعكس جميعهم اختاروا نظاماتٍ موافقة

لاهوائهم ومقاصدهم

وعلى ما تقدم نبني للقارئ برهانًا راهنًا على صحة الديانة المسيحية فنقول

انهُ لا يقبل التصديق ان اناسًا حاذقين اردياء غب اجتماعهم لتلفيق ديانةٍ وامعان النظر في عددٍ وافرٍ من النظامات الدينية يختارون ديانة العهد الجديد. لان ذلك ضد الطبع البشري اذ يظهر لهم على الفوران هذا النظام هو اقل مما سواهُ مناسبةً لمرغوبهم واهوائهم واكثر خطرًا عليهم ولا يُؤمَّل نجاحهُ اوان نجح لا يطمعون ان يكون لهم منهُ خيرٌ. ولايضاح ذلك نقول

١ لا بد انهُ قد ظهر لهم على الفوران انهُ لا يمكن وضع نظام ديني آخر اثقل من الديانة المسيحية على طبيعتهم لان هذه الديانة لا تسمح لاحدٍ على وجهٍ ما بارتكاب خطيةٍ مهما كانت احوالهُ وظروفهُ بل تحكم بالقصاص الابدي على كل ذوي الاهواء الفاسدة ومرتكبي المعاصي وتضع قوانين نقية للحياة الطاهرة وهذا مما لا يسع احد انكارهُ. ومن اللازم ان مخترعي هذه الديانة يجعلون سيرتهم موافقة لها ويجعلون انفسهم امثلة للتصرف الطاهر السامي بموجب تعليمها والاَّ لا يصدقهم الناس لانهم يرون اعمالهم غير موافقة لتعاليمهم واذ ذاك يلتزمون ان يسلكوا كل حياتهم بسيرةٍ خارجية طاهرة لان عيون الناس تكون عليهم وان يتظاهروا بالطهارة والعفة والدعة وعدم المحاباة والخلو من حب الانتقام وطلب التقدم ومن الطمع وبالتقوى اي يجب ان يتظاهروا بانهم كما قال يسوع وتلاميذهُ عن انفسهم وسيرتهم. والسلوك بحسب هذه الصفات ليس فيهِ شيءٌ من الثقل على طبيعة الانقياء الحقيقيين المؤسَّسة في قلوبهم مبادي القداسة والطهارة بخلاف الاشرار الاردياء نظير مؤسسي الديانة المسيحية (على الفرض انهم مزورون) فان سلوكهم بموجب هذه الصفات يكون لهم عذابًا دائمًا ويلزم لهم لذلك سهرٌ مستمرٌّ ومقاومة دائمة لما يميلون اليهِ والحث الدائم على بذل الجهد في ممارسة ما يكرهونهُ. ولا بد انهم عرفوا كل ذلك من الاول وانهُ ليس نظام آخر يلقيهم في قيود مؤلمة هكذا في كل مدة حياتهم مثل الديانة المسيحية. فلو اخترعوا نظامًا مشابهًا للاديان الوثنية حولهم لامكنهم ان يصرفوا حياتهم بحسب اميال قلوبهم الشريرة. او مثل بعض الاديان المعروفة في العالم لقدروا ان يسلكوا حسب اهوائهم ومرغوباتهم في حرية تامة او مثل تقليدات حاخامي اليهود عن موسى لامكنهم اظهار كبريائهم وعظمتهم وطمعهم وحبهم للانتقام بخلاف الديانة المسيحية الصارمة التي لا تسمح لهم بارتكاب خطيةٍ ما والتي لا يمكنهم نشرها بدون ان يمتنعوا عن كل امر رديء وان يعيشوا عيشة القديسين

٢ لا بد انهم عرفوا من الاول ان الديانة المسيحية اكثر خطرًا عليهم من كل ما يمكن اختراعهُ من النظامات

ان اليهود كانوا في كل قرنٍ ينتظرون مجيء المسيح ملكًا ارضيًا. وفي عصر قيام الديانة المسيحية

كانت آمالهم ان المسيح المنبأ عنهُ يملك عليهم بمجدٍ ويغلب اعداءهم ويجعلهم فوق الامم ويوصلهم الى عظمةٍ لم يصلوا اليها في افضل ازمنتهم القديمة. وكانوا متمسكين بتفاليد تضاد اسفار موسى. اما الديانة المسيحية فقامت ضد كل هذه الاعتقادات والتعصبات ولم تترك محلاً للتقاليد المضادة للكتاب المقدس وعلّمت بان المسيح يخلص نفوس البشر من نتائج الخطية بواسطة آلامهِ وموتهِ. ونادت بالبركات للامم مثل اليهود وجعلت نسل ابرهيم يقرُّون بان لا فرق بين الختان والغرلة امام الله. ولا يخفى ان مثل هذا النظام يهيج مقاومة اليهود وعلى الخصوص لان ليس فيهِ شيءٌ مما انتظروهُ من البركات العالمية

اما من جهة الامم فلم تكن الديانة المسيحية مناسبة لهم اكثر مما كانت مناسبة لليهود لانهم كانوا منقسمين الى احزابٍ وكان اصحاب السلطان والغنى والكرامة بينهم ينفرون طبعًا من تعليمها بان كل البشر اخوة. وجميعهم قد تعودوا الشهوات والانتقام والنهب والحروب ولذلك لابد انهم كرهوا تعاليمها عن التواضع والقناعة والبر والسلام. وكانوا يعبدون الاوثان والديانة المسيحية تامر بتحطيم كل اصنامهم بدون استثناء وبملاشاة كل خرافاتهم التي اخذوها عن آبائهم وغنَّى بها شعراؤُهم وبُني عليها كهنوتهم وفاحت لها الروائح من مذابحهم وزُيّنت لها هياكلهم بالمرمر والذهب وقدّمت لكلٍ منهم الهًا موافقًا لاميالهِ. وكانوا يحبون الامور الخارجية والطقوس مستعبدين للاشياء الظاهرة مثل الاحتفالات والبدلات والذبائح والاصنام والديانة المسيحية على غايةٍ من البساطة وعبادتها روحية عارية من الزخارف وتنهى عن الاتكال على الامور المنظورة. وكانوا متوغلين في كل نوعٍ من الشر ويتمرغون مثل الخنازير في ادنى انواع الفساد والشراهة والديانة المسيحية هي موبخ لشرورهم وضد شراهتهم ومهددة لهم على قبائحهم كما وصفهم الرسول بولس بقولهِ مملوئين من كل اثمٍ وزنًا وشر وطمع وخبث مشحونين حسدًا وقتلاً وخصامًا ومكرًا وسوءًا نمامين مفترين مبغضين لله ثالبين متعظمين مدّعين مبتدعين شرورًا غير طائعين للوالدين بلا فهمٍ ولا عهدٍ ولا حنوٍّ ولا رضًى ولا رحمة. وبما ان الديانة المسيحية ضد لهم في كل شيءٍ لابدّ انهم نظروا اليها بعين الكراهة والمقت

وبالاختصار كان هذا المذهب مضادًا لروح ذلك العصر واميال اهلهِ وعواطفهم اكثر من كل ما يمكن اختراعهُ والاقدام على وضعهِ انما هو الاقدام على هدم كل ما تمسك بهِ الناس من التعاليم والنظامات في ذلك العصر. وكان امرًا معروفًا جيدًا ان اقدامًا مثل هذا يهيج الاعداء الى اثارة اشد عواصف الاضطهادات ضدهُ. وبدون تامل كثير يسهل على واضعيهِ ان يعرفوا ان ليس امامهم سوى النفي والجلد والاهانات والصلب. وكان ممكنًا لكل عاقل ان يتصوَّر سابقًا ما حدث فعلاً من اليهود والامم اي صراخ اليهود اصلبهُ اصلبهُ واضطهادات الامم العشر العامة التي اثاروها

على المسيحيين في القرون الاولى. ولا يمكن اختراع مذهب اكثر عرضةً لغضب الجميع او يكره الجميع امتدادهُ مثل الديانة المسيحية الصارمة. وقد علم ذلك كلهُ اولئك المزورون الحاذقون وعلموا بوجود نظامات اخرى كثيرة تناسب ذلك العصر ومصالحهم الذاتية. فهل يقبل العقل انهم يعوّلون عليهِ والحالة هذه دون غيرهِ

٣ لا بد ان اولئك المخترعين علموا من الاول ان الامل بنجاح الديانة المسيحية وتأصُّلها اقل من الامل بنجاح اي نظامٍ آخر

وذلك لانهُ لم يكن فيها من الامور العالمية ما يغري الناس بقبولها. وكانت كما راينا الدّ خصمٍ لما كان شائعًا في ذلك العصر من الاميال والاراء والاعمال وكانت على الخصوص مكروهةً عند اصحاب المراتب السامية لان مصالحهم وامتيازاتهم مرتبطة اشد ارتباطٍ بادياتهم والذلك لا بد ان يخسروها بتغيير تلك الاديان. وكان الفساد العام موافقًا لتقدم الاغنياء والشرفاء الذين سموُّهم يتوقف على انحطاط الشعب. والخلاصة ان كل اهواء الناس ونظاماتهم المالكة والمتسلطة في ذلك العصر هي ضد الديانة المسيحية على خطٍّ مستقيم. والذين تبعوا اولئك المزورين لا بد انهم حسبوا ان امامهم اهانات وعذابات من كل نوع والحريق والسيف كما كان امام المزورين انفسهم

واذ لم يكن لتلك الديانة عجائب لتثبيتها (بموجب راي المعترض) ولا سيف يلزم الناس باعتناقها بل كان ضدها الطبع البشري وكل نظامات الهيئة الاجتماعية ومصالح الناس وعلومهم واميالهم لم يكن للمزورين ادنى املٍ بالنجاح. فكيف يؤمّل نجاحها ولا يمكن ان تكون ديانة اقل املاً بالنجاح منها. وهذا الامر قد علمهُ مخترعوها لا محالة عندما اجتمعوا للتفكر باختراع دينٍ جديدٍ

٤ لا بد انهُ ظهر لمؤسسي الديانة المسيحية انها ولو نجحت تكون اقل فائدة لهم من جميع الاديان التي يمكنهم تلفيقها

فيا ترى هل يروم مثلهم ظفر الحق وعمل الصلاح او بالعكس الغايات النفسانية والتمتع بالاهواء الشريرة (حسب راي المعترض). وهل يُطمَع بنوال تلك الآمال بواسطة امتداد الديانة المسيحية وهل تسوّغ لهم هذه الديانة التمتع باللذات الردية وتكفي اطماعهم من الفضة والذهب وتبلّغهم العظمة الخارجية والقوة السياسية. كلاَّ بل لا يُرتجَى شيءٌ من جميع ما تقدم من نجاحها

ولعلّ معترضًا يقول انهم امّلوا الشهرة والاعتبار والسلطان الديني وغير ذلك مما يرغبهُ الاردياءُ فنجيب ان الحصول على ذلك يسيرٌ في اية ديانة اخرى غيرها. وما يرغبهُ الاردياءُ على الغالب ليس الشهرة والسلطان مجرد بن بل اذا اتيا بمنافع شخصية لهم. والديانة المسيحية ولو نجحت تكون لمخترعيها ان كانوا اردياءَ ضدًّا ووبالاً عليهم اكثر من سائر الاديان. لانهم يلتزمون فيها ان يستعملوا

مواهبهم وقوتهم ظاهرًا لغاياتٍ حميدة والا فيتبرهن من تعاليمهم انهم مزورون. ولا شك انهم عرفوا ذلك سابقًا لانهم كانوا حكماء حاذقين واذ كانوا عالميين نفسانيين ارديا ء (حسب الفرض) لا بد انهم عرفوا على البديه انهُ ليس ديانة اقل مناسبة لاهوائهم وغاياتهم مثل الديانة المسيحية التي افتكروا بها

فمما تقدم ظهران واضعي الديانة المسيحية ان كانوا مزوّرين لا بدَّ انهم كانوا ارديا ء جدًّا وعلى غاية الحذاقة . وقد بينّا انهُ ليس لمثل هولاء ديانة اشد ثقلاً على طبيعتهم واقل املاً بنجاحها واقل فائدةً لهم اذا نجحت من الديانة المسيحية . وكونهم قد عرفوا ذلك من البداية امر واضح . فهل فعلوا ما فعلوهُ بدون غايةٍ البتة وهل وضعوا للعالم نظامًا عرفوا انهُ كذب وان البشر يضادونهُ ويقاومونهُ اكثر من كل ما كان يمكنهم وضعهُ . وهل يمكن ان يصدّق هذا عاقل . ألا ترى انهُ ابعد امر عن التصديق . والصحيح انهُ لو تُرِكت الديانة المسيحية للمزوّرين لكي ينادوا بها ويثبتوها لما صار في الارض مسيحي واحد لانهم لا يقدرون ان يحتملوا ما احتملهُ معلموها الاولون من التعب . فلو كانوا مزوّرين لرفضوا النظام المسيحي واختاروا غيرهُ مما يناسبهم اكثر منهُ . اذًا الديانة المسيحية ليست من اختراع البشر ولا حكايات ملفقة بل الهها اله حقيقي وهي حقًّا من الله وهو سبحانهُ رتّبها ونظّمها وثبّتها والانجيل الذي نحملهُ قد أُنشئَ في السماء واتت بهِ الينا ايادٍ سماوية

ان هذا البرهان لا يمكن دحضهُ الاَّ بافتراض وقوع عجيبة هي اعظم المعجزات . اي اذا لم يكن المسيح وديانتهُ من الله يلزم القول بان انسانًا عاميًّا جليليًّا فلسف اديان العالم وجعل كل النبوات القديمة تتمُّ في تاريخ حياتهِ وصرف عمرهُ بسيرةٍ ظاهرةٍ ادبية خالفت التعاليم التقليدية الشائعة بين اهل بلادهِ وفاقت على كل مبادىء فلاسفة الامم واحتمل بصبرٍ عجيبٍ آلامًا شديدة واقنع تابعيهِ وجعلهم يرضون احتمال ما احتملهُ من الاهانات والموت وذلك ليس لكي يثبتوا التعاليم بل امرًا وهميًّا اي قيامتهُ العجيبة المزعومة . ثم يلزم القول بان تلاميذهُ خرجوا وهم عاميون ونادوا بمواضيع سامية عويصة واقنعوا سكان المدن الرومانية واليونانية بان يطرحوا اصنامهم ويرفضوا ديانة آبائهم ويزدروا بتعاليم فلسفتهم ويتخذوا عوضًا عن كل ذلك يهوديًّا من الرتب الدنيا قد مات شرَّ ميتةٍ معلمًا مرسلاً من السماء . فهل من شيءٍ اعجب من هذا . وهل يمكن لعاقل ان يعلّل وجود الديانة المسيحية على هذه الكيفية ولا يعتبر ذلك من اغرب الغرائب واعجب العجائب

ان البراهين على صدق الوحي الالهي لا تزال تزداد عددًا وقوةً . فلو كان في الكتاب المقدس كذب لكُشِف اذ ليس كتاب آخر عرضةً لكشف ما فيهِ من الكذب والاغلاط مثلهُ لان صفحاتهِ قد طُرِحت بدون خوف لفحص الفلاسفة والمدققين من الاعداء والاحباء منذ ثلاثة الاف سنة

وخرج من ايدي الجميع ظافرًا . ولم تضعف البراهين على صدقهِ بتوالي الزمان بل كانت تزداد على الدوام ولم تزل . وتفتيش المدققين في الآثار القديمة والبحث في العلوم الحديثة والاكتشافات غير المنتظرة من وقتٍ الى آخر والفحص المتواصل المدقق قد ابطلت وافسدت تخمينات الكافرين ايَّ افسادٍ واثبتت البراهين على صدق الكتاب وايَّدتها وجعلت الآيات المبهمة واضحة مفهومة والمتناقضة حسب الظاهر متوافقة والاعتراضات الموردة من الكفار والملحدين باطلة مردودة بل تحوَّلت الى براهين على اثباتهِ واجتهاد المضادين قد رجع وبالاً عليهم وتدميرًا لمشورتهم . وما كان معدودًا من المشاكل منذ نحو مئتي سنة ليس كذلك الآن . ومن تلك الاكتشافات الآثار الاشورية والبابلية والمصرية والاكتشافات الجيولوجية وغيرها

وبالاختصار ليس الآن زمان خوف المسيحيين على انهدام صدق ديانتهم . فليستريحوا مطمئنين من هذا القبيل عالمين انهُ لا اساس ولا سبب للخوف من ذلك . نعم ان الديانة المسيحية لا تزال عرضةً لهجوم الاعداء عليها لكنها ستتخلَّص من كل ما يجد عليها في المستقبل كما تخلصت منهُ في الماضي لان براهينها لم تضعف ولن تضعف وقد غلبت وستغلب ايضًا

واخيرًا نقول اذا كانت الديانة المسيحية صحيحة حقيقية فهي اعظم واسمى ما في طاقة البشر معرفتهُ وهي اذ ذاك حقيقية باجمعها اي كل اجزائها كتعاليمها واوامرها ومواعيدها ووعيدها ومناهيها وتحليلاتها . وهي تستحق اعظم الانتباه والاعتبار لانها حق صريح واكثر فائدةً للناس من كل ما سواها . وهي تخبرنا مَنْ نحن وماذا يجب ان نكون وماذا عمل الله لاجل خلاصنا وماذا يجب ان نعمل نحن لاجل انفسنا لكي نخلص . وتصرّح لنا بوجود الخطية والدينونة الرهيبة وتبشّرنا بفادٍ يخلص جميع الذين يقبلونهُ ويتبعونهُ ويقاصُّ الذين يرفضونهُ قصاصًا ابديًّا . وتظهر لنا العرش الابيض العظيم والديان جالسًا عليهِ الذي من وجههِ هربت السماء والارض . وتخبرنا عن قيامة الاموات واجتماع الشعوب وانفتاح الاسفار والحكم الاخير . وترينا السماء وجهنم وتدلنا على ما يجب ان نعمل وكيف يقتضي ان نكون لكي ننجو من الواحدة ونحصل على الاخرى . فاذا كان الكتاب المقدس صحيحًا فهذه جميعها حقائق جليلة لا ريب فيها وهي تسمو على جميع الحقائق وقارًا وجلالاً وفائدةً للبشر . وعلى هذه الحقائق السامية يقف المسيحي وينظر من اعاليها الشامخة الى اسفل اي الى امور العالم والمسائل العلمية كما ينظر الرجل الكامل السن الى امور الاطفال او كما تنظر الملائكة الى اعمال الناس

الطفيفة

الفصل السادس

شهادة النبوة

(وهي حسب ترتيبنا البرهان الثالث عشر على صدق الكتاب المقدس)

انهُ يتبرهن صدق الكتاب المقدس من شهادة النبوة . والمراد بالنبوة فيهِ وفي كلامنا الآن تصريح بحوادث مستقبلة لا تقدر عليهِ حكمة البشر ولا معرفتهم السابقة يقتضي الهُ معرفة تامّة بامورهم ومتعلقاتها لا يلهما الاّ الله وحدهُ . ولذلك لا بد ان تكون وحيًا الهيًا لانهُ كما قال الرسول لم تات نبوةٌ قطُّ بمشيئة انسان بل تكلم اناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس

ان النبوة نفسها بقطع النظر عن اتمامها ليست برهانًا على الوحي ولكن متى تمّت تصير برهانًا راهنًا عليهِ . لان الحوادث المستقبلة كالمختصة بقيام ممالك وسقوطها او باشخاص قبل ان يولدوا انما هي اسرارٌ لا يقدر ان يدركها انسانٌ ولا ملاكٌ لان اسبابها مبهمة ونسبتها الى غيرها مجهولة وقابلة التغيُّر . فالنبوة عن حوادث مرتبة على غيرها كهذه لا يمكن صدورها الاّ من الله وحدهُ . وايضًا بما ان الله لا يقدر ان يعضد الشر والخداع بدون مناقضة قداستهِ واستقامتهِ الكاملتين ينتج بالضرورة ان اتمام النبوات التي نطق بها الذين نسبوا الى انفسهم السلطان الالهي برهان راهن على امتلاكهم ذلك السلطان الذي ادّعوا بهِ

ولنا ملاحظات على هذا المصدر الخصوصي للبينة على صحة الكتاب المقدس تجعلها مادّةً وذات قيمةٍ عظيمةٍ . وهي ان قوة الدليل المبني على النبوة تزداد على الدوام . وهذا قد ابتدا عند اتمام اول نبوةٍ وازداد قوةً اكثر فاكثر كلما ازدادت النبوات واتمامها . وكان في عصر الرسل سلاحًا قويًا معوّلاً عليهِ لاثبات الانجيل . وبما انهُ انتشرت في ذلك العصر نبوات عديدة حديثة وبقيت نبوات كثيرة قديمة بدون اتمام لم يبلغ هذا الدليل كما لهُ ولكن بتمادي الاجيال تمّ كثيرٌ منها وثبت ما تمّ سابقًا فازداد قوةً . لذلك يرى اهل زماننا الحاضر اتمامًا لنبوات الكتاب المقدس اعظم قوةً واكثر عددًا مما راهُ بولس وسوف يزداد قوةً مع تمادي الايام على الدوام . فلا نمضي

سنون كثيرة حتى يزداد قوةً ويكتسب بهاءً ومجدًا ويصير بالنسبة الى ما هو عليهِ الآن كنسبة شمس الظهيرة الى تباشير الصباح ولكنهُ لا يبلغ درجتهُ القصوى في الكمال الاَّ في نهاية العالم

ولنا ملاحظة اخرى ايضًا على بينة النبوة تجعلها ذات قيمة عظيمة على نوع خصوصي . وهي انها بينة تراها العين وتدركها الحواس ويمكن التعبير عنها على طريقةٍ مختصرة يفهمها السذَّج ويقتنع بها منكرو صدق التواريخ فليس عليهم الآن ان يقراوا ما ذكرهُ الكتاب المقدس من النبوات عن بعض البلدان والمدن كبابل وصور ومصر ثم يلتفتوا اليها في الزمان الحاضر ويروا ما حلَّ بها . او ان يقراوا ما انبأَ بهِ موسى عن شعب اليهود قبل الآن بثلاثة الاف وثلاث مئة سنة ثم يلتفتوا الى حال هذا الشعب في هذه الايام فيرون اتمام النبوات على نوعٍ لا يمكن لحكمة البشر ان تعلمهُ قبل اوانهِ ولا لفونهم ان تجربهُ . فلا بد ان الذين نطقوا بتلك النبوات أُلهموا من الله وعلِّموا بكلمتهِ تعالى

واذا امعنا النظر في كثرة النبوات الموجودة في الكتاب المقدس وطول الزمان الذي تشير اليهِ نرى في ذلك دليلاً قاطعًا على صدق الوحي ورسالة المسيح لانها تبتدئ من الاصحاح الثالث من سفر التكوين وتمتدُّ الى الاصحاح الاخير من سفر الرؤْيا اي من سقوط الانسان في عدن الى رجوعهِ الكامل ودخولهِ السماء . وقد استمرَّت تزداد مدةً تنوف عن اربعة الاف سنة وكانت كلما اقتربت من الغاية المقصودة منها ازدادت وضوحًا . واول صوتٍ نطقت بهِ كان في جنة عدن قبلما طُرِد منها ابوانا الاولان ثم سمع قايين صوتها يؤَنبهُ على ذنبهِ وكان اخنوخ حلقةً من سلسلة اعلاناتها ونادى بها نوح وارتشد بها ابرهيم وولد بواسطتها اسحق وانبأَ بها يعقوب اولادهُ بمستقبلهم وبمجيء شيلون . ثم اخذت لسان الصمت كل مدة بقاء بني اسرائيل في ارض مصر على ما نعلم ولكن حالما خرجوا من هناك انحل قيد لسانها فتكلمت بواسطة موسى الكليم عن مجيء النبي العظيم ورسمت تاريخًا مدقَّقًا عن اليهود من ذلك الوقت الى زماننا الحاضر وهو يمتدُّ ايضًا الى مستقبلٍ بعيد . وبعد موسى قام صموئيل النبي ثم تكاثر عدد الانبياء حتى دُعي ذلك العصر عصر النبوة وكان افتتاحهُ بداود الملك ثم تلاهُ ايليا الغيور ولبث الى ان عرجَ الى السماء فانزل رداءَهُ على اليشع ثم قام هوشع وعاموس وميخا واشعياء الذي كان مملوءًا من روح الانجيل كما كان مملوءًا من روح النبوة . ثم ارميا الذي رثى وبلات بني شعبهِ ثم سبق فبشرهم بتعزيات الرب واحساناتهِ . ثم قام حزقيال ولهُ نبوات يفوق عددها عدد العيون الكثيرة التي رآها في المركبات وفي وقتهِ قام دانيال وفسر الكتابة التي انذرت بخراب بابل وانبأَ بقيام اربع ممالك متعاقبة وسقوطها ثم بقيام مملكة خامسة وثبوتها . ثم قام حجي وزكريا بعد السبي وانتهت سلسلة انبياء العهد القديم بملاخي الذي ختم نبوة الكتاب بانبائهِ عن مجيء شخصٍ بروح ايليا وقوتهِ ليعد طريق الرب . ثم صمت لسان النبوة كما

صمت سابقًا في ارض مصر الى ان جاء ذلك النبي الذي هو اعظم من موسى اعني بهِ يسوع المسيح موضوع النبوة وروحها وانبأ بموتهِ وقيامتهِ وبخراب اورشليم وابادة سلطان اليهود . ثم قام بولس واقتفى خطوات معلمهِ في النبوة والشهادة وحذَّر الكنيسة من انسان الخطية ابن الهلاك الذي مجيئهُ بعمل الشيطان بكل قوةٍ وآياتٍ وعجائب كاذبة . واخيرًا قام يوحنا البشير وختم النبوات والكتاب بانبائهِ عن امورٍ تُشغِل باتمامها كل الزمان المستقبل

فهذه سلسلة من رجال الله الاطهار ممتدة من ايام آدم الى نهاية زمان يوحنا اللاهوتي اي اكثر من اربعة الاف سنة ونبواتهم تمتدُّ الى نهاية العالم ونرى بينهم تفاوتًا كليًا في الاحوال والاخلاق والصفات والرتب والوظائف فكان بعضهم ملوكًا وبعضهم بطاركة وبعضهم كهنة وبعضهم مشترعين وبعضهم رعاة وبعضهم صيادين وكان بينهم تفاوت ايضًا في المعرفة والعوائد وكلٌّ منهم كتب بنفَسٍ خاص كما ساقهُ الروح القدس . واذا اعتبرنا مع ما تقدم ما كان ايضًا بينهم من التفاوت الكلي فيما انباوا بهِ عن اليهود والممالك المحيطة بهم والبعيدة عنهم كمصر واشور وبلاد الكلدانيين والفرس ومكدونية ورومية وايضًا التدقيق الكلي في ما اوردوهُ عنها من النبوات التي تمت فيها حرفيًا وتفاوت ازمنتهم واختلاف المواضيع التي كتبوا عنها راينا هنالك اتفاقًا عجيبًا في الآراء والمقاصد لان غاية النبوة من اولها الى آخرها الشهادة ليسوع كما قال يوحنا في سفر الرؤيا . واذا التفتنا الى ميدان النبوة الواسع الذي يمتد من آدم الى نهاية العالم والى ما فيهِ من التدقيق حتى انهُ يخبر عن حوادث ساعة من الزمان والشمول حتى انهُ في اسطرٍ قليلة ينبئ عن تاريخ اربع ممالك وثنية عظيمة والخصوص حتى انهُ يشرح تاريخ شخصٍ واحدٍ في اصحاحاتٍ والى تاليفهِ من اناسٍ كثيرين مختلفي الاحوال والاوصاف والازمنة راينا فيهِ من الاتفاق ووحدة الروح وسمو المقصد المتسربلة بفصاحة النظم وسمو البلاغة وقوة الحزم والمعرفة الواسعة بالامور المستقبلة ما يؤَكد لنا نسبتهُ الى ذلك الكائن والذي كان والآتي اخيرًا

فمَن يتجاسر ان ينبئ عن امورٍ يقتضي لاتمامها عجائب قرونًا متوالية ما لم يكن ملهمًا من القادر على كل شيء . واذا اعتبرنا نفس النظام الالهي والعقول المتنوعة التي اوردت نبواتهِ العديدة المتتابعة المؤلفة من رجالٍ قديسين من قبل الطوفان الى العصر الرسولي نرى انهم اتفقوا جميعهم في الروح والمقصد وفي الشهادة ليسوع مع اختلافهم في الرتب والاحوال والظروف حتى قال واحد منهم وهو يوحنا الحبيب ان شهادة يسوع هي روح النبوة . ولا يمكن ان ينجح التزوير في مدة طويلة بهذا المقدار بل لابد ان يظهر ولا يمكنهُ ان ينتخب فعلة في مدة اربعين قرنًا في احوالٍ متنوعة ويجعلهم يتنباون عن امورٍ كثيرة جدًا من غير اختلافٍ ولا مناقضةٍ ولا ادنى شبهةٍ في وجود فكرٍ واحدٍ وقصدٍ واحدٍ

في كل ذلك . ويمكننا ان نثبت لكل منكر انهُ لم يقع خلل في نبوة واحدة في النظام النبوي او ناقضتها الدهور او الحوادث التي اشارت اليها ولئن يكن كثيرٌ من النبوات باقيًا بدون اتمام لان الاوقات التي أُشير اليها لم تات بعد فلا بد ان يكون كثير منها قد تمَّ ولا يقدر كافر ان يشير الى جزءٍ من التاريخ يناقض صدق شيءٍ من النبوات

ولنتقدم الآن الى امر الاتمام فنقول ان تاريخ العالم يوافق نبوات الكتاب المقدس موافقةً عجيبةً ويثبت ان رجال الله الذين نطقوا بها تكلموا مسوقين من الروح القدس . وقد اخترنا نبذًا قليلة من الكلام النبوي لكي نبين التدقيق في النبوة وغرابة اتمامها وهي

اولًا . نبوات عن صدقيا ملك يهوذا واتمامها قابل ار٢٤: ٢و٣ مع حز ١٢: ١٣

فان ارميا تنبأ بان صدقيا ملك يهوذا يُدفَع ليد ملك بابل وان عينيهِ تريان عيني ملك بابل ويكلمهُ فمًا لفم ويذهب الى بابل . وحزقيال تنبأ ان صدقيا لا يرى بابل مع انهُ يموت هناك . فالمناقضة بينهما في ذلك واضحة . لانهُ كيف يمكن ان يؤخذ صدقيا الى بابل ويرى ملكها ويموت هناك ومع هذا لا يرى المدينة . اما هذه الصعوبة فتنجلي من تاريخ ملوك يهوذا وذلك بدون قصد بيان اثبات النبوة حيث قيل ان صدقيا دُفع ليد ملك بابل ورأى عينيهِ وكلمهُ فمًا لفم لكن ليس في بابل بل في ربلة حيث قُلِعَت عيناهُ بامر مستاسرهِ ونُقِل والحالة هذه الى بابل ومات فيها بدون ان يراها

ثانيًا . نبوات عن صور وبابل

فانهُ لامر مقرر ان اشعيا كتب قبل خراب صور الاول بنحو مئَة سنة وقبل خراب بابل بنحو مئَة وستين سنة وقبل المسيح بنحو سبع مئَة سنة وان حزقيال وعاموس وزكريا كتبوا قبل سقوط صور الثاني بنحو ثلاث مئَة سنة وملاخي آخر الانبياء قبل المسيح بنحو اربع مئَة سنة . وبما انهُ امرٌ مقرر ان اشعياء كتب سفرهُ قبل خراب صور الاول بنحو مئَة سنة وان حزقيال وعاموس وزكريا كتبوا اسفارهم

قبل سقوط تلك المدينة الثاني بنحو ثلاث مئة سنة فلنبحث نبوانهم عن هاتين الحادثتين المذكور اكثرها في اش ص ٢٣ وحز ص ٢٦ وعا ص ١ وزك ص ٩ وهذا ملخصها

ان الكلدانيين يهدمون صور واكثر اهل تلك المدينة ينجون ولكن لا يرتاحون في اماكن غربتهم. ثم تعود تُبنى المدينة بعد مضي مدة من السنين عددها بقدر عدد ايام الملك الذي يخربها اي سبعون سنة. ثم بعد برهة تُخرَب المدينة ثانيةً بعد ان تحرَق ويُلقَى ردمها الى البحر ولا تعود ايضًا الى رونقها الاصلي ولكن يأتي وقت فيهِ تتكرس لعبادة الاله الحقيقي. ثم تصير ضح صخرٍ للصيادين. هذا ملخص النبوات

واما اتمامها فهو عجيب جدًّا فان الكلدانيين بعد ما كتب اشعيا بنحو مئة سنة اخربوا صور واما اهلها فنجا اكثرهم ورحلوا من هناك بحرًا واخذوا امتعتهم معهم كما تتعلم من التاريخ قبل دخول نبوخذ نصَّر الى المدينة ولكنهم لم يرتاحوا في اماكن غربتهم. لانهُ كما قيل في التاريخ ذهب الفاتح سريعًا لافتتاح مصر والقى رعب اسمهِ على جميع اساكل بحر الروم وجزائرهِ حيث التجأُوا فغشيهم الرعب الدائم ثم بُنيت المدينة بعد سبعين سنة حسب عدد السنين التي عاشها نبوخذ نصر كما تتعلم من التاريخ حيث قيل انهُ ملك مدة اربع واربعين سنة وانهُ كان حين جلوسه على تخت الملك قادرًا على قيادة الجنود بنفسهِ. وبعد ان أُعيد بناؤُها اخربها اسكندر الكبير الذي طرح ردم المدينة القديمة الى البحر ليكون معبرًا لجنودهِ لكي يقتحموا المدينة الجديدة ويخربوها. ومن ذلك الوقت لم تعد قط الى رونقها غير انها كانت مدةً ما مقرًّا للكنائس المسيحية واما الآن فقد انحطت حتى صارت مقرًّا للصيادين كما يرى جميع الذين يمرُّون بها في وقتنا الحاضر من شباكهم المنشورة على اطلالها. وقد صارت فيها على تمادي السنين المستطيلة رقارق قليلة الماء لا يدخلها الا القوارب كما هو الحال الآن. وليس فيها طائل ولا اثر يدلُّ على مكان عظمتها القديمة كما قيل في الكتاب المقدس وتُطلَبين فلا تُوجَدين الى الابد

وقد كانت صور حين كتب اشعياء نبوانهِ على غايةٍ من العظمة والمجد ومنذ تاسيسها الى ذلك الوقت وذلك نحو الف سنة لم تخضع قط لامةٍ اجنبيةٍ. واما الكلدانيون فكانوا ضعفاء وقتئذٍ وغير معروفين ولا يكاد يخطر على بال انسانٍ اجراء الاحكام التي أُنبئ بها عليهم. فما اجلى هذه النبوات وما اكثر دقائقها فهل يُصدَّق ان اتفاقها كان بالعرَض. أَلا ترى انهُ ليس بين المئات من المُدن الخربة مدينة غير صور تصدق عليها جميع دقائق تلك النبوات كالقاهر الكلداني ونجاة اكثر سكانها واعادة بنائها بعد سبعين سنة اي بقدر عدد سني عمر القاهر وسقوطها ثانيةً واحراقها وطرح كل ردمها في البحر ورجوعها وقتيًا ودخول الديانة المسيحية اليها وانحطاطها الابدي حتى ان ما انفردت

بهِ من محو آثارها الغريب لم يتحقق وقوعهُ في مدينةٍ اخرى من مدن العالم. فان تدمر وبعلبك وبابل وثيبة ونينوى لم تزل تلال خربها واعمدتها المتردمة واسمها المحفورة موجودة اما صور القديمة فليس لها رسم دارس. وما في جوار موقعها من البيوت الحقيرة القليلة العدد ليس فيهِ حجر واحد من حجارة المدينة الشهيرة. وشرذمة الصياد ين الذين يبسطون الآن شباكهم على ضخ صخر صور الحديثة مع العرب الذين ينصبون خيامهم للمبيت ليلةً واحدة على الرمال المجاورة للمدينة القديمة لايرون البتة ما يذكرهم بانهُ قام في قديم الزمان على تلك الرمال مدينة كانت ملكة تجارة العالم

ولا نظن ان الناس في ما يخص امورهم الاعتيادية ينسبون وقوع حوادث كهذه الى الاتفاق والصدفة غير انهُ قيل ان بعض المعترضين يزعمون ان النبوة احيانًا تعدُّ الطريق لاتمام نفسها. فعلى هذا نسال هل تهيج اعداء صور حين سمعوا بالنبوة الصريحة عليها الى اقتحامها وترتيب الوقائع طبقًا لصورة النبوة. او هل سمح نبوخذنصر بعد حصارهِ المدينة ثلث عشرة سنة لاهلها بان يهربوا بما لهم وذلك لكي يثبت صدق نبوة يهودية. او لهذا السبب عاش الى ان بلغ السبعين سنة من العمر. او هل استاصل الماديون والفرس مملكة بابل في غاية السبعين سنة لتكون فرصة لاهل صور ليجددوا بناءها اتمامًا لنبوة اشعياء. او هل بنى اسكندر الكبير معبرهُ اتمامًا لنبوة حزقيال يضعون حجارتكِ وخشبكِ وترابكِ في وسط المياه ونُطلّيين فلا تُوجَدين بعدُ الى الابد. فالامر واضح ان ليس لذلك الاَّ تفسير واحد وهو ان اولئك اليهود كانوا انبياء بالحق وتكلموا بوحي مَنْ يخبر منذ البدء بالاخير ومنذ القديم بما لم يُفعَل

ومن الامور المحققة ايضًا ان اشعياء كتب سفرهُ قبل خراب بابل بنحو مئة وستين سنة وارميا بنحو ستين سنة وذلك على الاقل. واما ملخص نبواتهما عنها المذكورة في اش ص ١٣ وص١٤ وص ٤٤ وفي ار ص ٥٠ وص ٥١ فهي ان الماديين والفرس يحاصرون بابل وان قائدهم يُدعَى باسم كورش وان نهر الفرات يُنشَّف وتبقى الابواب مفتوحة وان المدينة تُؤخَذ في وليمةٍ فيها يكون الرؤساء والعظماء سكارى والملك وآلهُ يُقتلَون. والمدينة المحاصَرة تُخلَى اخيرًا من السكان ولا يربض فيها بعدُ راعٍ ولا يخيم اعرابي وتصير آجام مياهٍ وميراثًا للقنفذ ومغارة لوحوش القفر وللتنانين ولكل حيوانٍ نجسٍ. هذا ملخّص النبوات فلننظر الآن الى اتمامها

فانهُ في الوقت المعيَّن جاء الماديون والفرس وحاصروا بابل. ومن المستغرب ان اسم قائدهم كان كورش. وبعد ان دام الحصار سنتين حوَّل مجرى النهر الذي كان يمرُّ في وسط المدينة ودخل فيهِ جافًا في قتام الليل ووجد الابواب على جانبي النهر مفتوحةً ومتروكةً بدون حرسٍ. وذلك بسبب طيش الناس من الوليمة. وتوجه بالاستقامة الى القصر حيث وجد جميع الرؤساء

سكارى فسقطت بابل غيرانها بقيت مدةً قائمة وليس كصورا التي زالت حالاً
وبعد وقتٍ وجيز بُنيَت سلوكية ومدن اخرى في اقاليم متنوعة فترك اهل المدينة مساكنهم القديمة بالتدريج واتوا الى هذه المدن الحديثة ولاسيما الى سلوكية . اما الفرات فانسد مجراهُ بالردم وطفا على المدينة وجعل اجاماً في وسط الشوارع والاسواق المهجورة وأُهملت فلاحة السهول والشمس الحادة لفحت نباتاتها واشجارها وحولت ارضها قفراً حتى لم يعد يرعى راعٍ غنمهُ هناك ولا اعرابيٌ نوقهُ . ثم جعل ذلك المكان ملك فارسيٌ مقنصاً ووضع فيهِ وحوشاً برّية فصارت اسود تزأر لاسود في الهياكل المهجورة وتنانين تفح اتنانين في القصور الفارغة والقنافذ تنعق من آجامها للبوم والنعام في البيوت المكلسة فلا يرى الى هذا اليوم الاَّ الخراب ومنظر وسيع لخراب مربع حيث جلست مدة الفي سنة سيدة الممالك وزينة فخر الكلدانيين

فلننظر ايضاً هنا ما ادق النبوات في تحديدها ووصفها . نعم انهُ يمكن لانسان ان يتنبأ عن سقوط مدينةٍ ما في وقت مستقبل ولا يخشى حدوث ما يكذب كلامهُ ولكنهُ لا يمكنهُ ان يخبر باية امةٍ وعن يد اي ملك يتم ذلك . او هل يكون في النهار ام في الليل بالهجوم ام بالحيلة في وقت الصحو والسكينة ام في وقت السكر والطيش . وبالاختصار لا يمكنهُ ان يعيّن خمسة عشر او عشرين امرًا خصوصيًا من الاحوال والظروف التي ليس لها تعلق بسقوط تلك المدينة

ولا ريب في ان سقوط بابل وحالتها بعد السقوط هما تذكار لصحة الوحي الالهي لا يحتمل المواربة . فاذا قابلنا ما ورد من الكتاب المقدس من هذا القبيل مع الحال الواقع واشعيا وارميا مع اكزنيفون وهيرودوتس وسيكولوس وسترابون وافلينيوس فالعقل يشهد بصحة ذلك لجميع الامم والاجيال المتمدنة الذين عرفوا يقينًا هذه الحقائق وكانهم بصوتٍ واحدٍ يقولون تكلم اناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس

ثالثًا . نبوات عن اليهود

وهذه تستحق جدًّا التفات قارئ الكتاب المقدس . وهي منتشرة فيهِ من اولهِ الى آخرهِ واتمامها العجيب ظاهر لكل انسانٍ غير انهُ لا يمكننا الآن ان ننظر الاَّ الى القليل مما تتضمنهُ من الخصائص . ومن ذلك ما كتبهُ موسى النبي منذ ثلاثة الاف ومئتي سنة وهو قولهُ ويبددك الرب في جميع الشعوب من اقصاء الارض الى اقصائها ... وفي تلك الامم لا تطمئنُّ ولا يكون قرار

لقدمك بل يعطيك الرب هناك قلبًا مرتجفًا . وقوله ايضًا وتكون دهشًا ومثلاً وهزأةً في جميع الشعوب الذين يسوقك الرب اليهم . وايضًا لاتكون الاّ مظلومًا مغصوبًا . وايضًا يجعل الرب ضرباتك وضربات نسلك عجيبةً ضربات عظيمة راسخة وامراضًا رديئة ثابتة انظر تث ص٢٨ . غيرانهُ مع كل ذلك لانبيد امة اليهود بالكلية ولاتكون بدون رجاء بالرجوع الى الله . وعدا ذلك قوله تعالى ولكن مع ذلك ايضًا متى كانوا في ارض اعدائهم ما أبيتهم ولا كرهتهم حتى ابيدهم لا ٢٦: ٤٤. وايضًا لاني افني كل الامم الذين بددتك اليهم . اما انت فلاافنيك ار٤٦: ٢٨. وايضًا لان بني اسرائيل سيقعدون اياما كثيرة بلا ملك وبلا رئيس وبلا ذبيحة وبلا تمثال وبلا افود وترافيم . بعد ذلك يعود بنواسرائيل ويطلبون الرب الهم وداود ملكهم ويفزعون الى الرب والى جوده في آخر الايام هو ٣: ٤و٥

وليس في تاريخ الامم ما يصعب تعليلهُ بموجب المبادي البشرية مثل تدميراليهود وحفظهم. فانهم متفرقون بين جميع الامم حتى لا يوجد مكان خالٍ منهم. نعم انهم ساكنون في العالم ولكن ليس لهم بلاد في العالم. فلا يوجد مكان من العالم المسكون لا يعرف فيهِ اليهودي لانهم تاهوا ولا يزالون تائهين ومتغربين في كل مكانٍ . وهذا الجنس الغريب قد امتاز في امور كثيرة منذ تشتتهِ الى الآن ومنها

انهم لم يطمئنوا بين الامم ولم يكن لهم قرار قدم وكانوا دائمًا يُنفَون من مدينةٍ الى مدينة ومن بلادٍ الى اخرى. ولم تكن لهم امنية البتة في مساكنهم وكانوا دائمًا عرضةً للطرد منها ولاسيما عند تعصب الحكام اوطمعهم اواظهار قساوتهم. ولم يكن لهم قط ثقة بالسماح بالمكث في مكانٍ ما. فصار من خواص هذا الشعب ان يسكنوا مستعدين للترحّ. فما اغرب هذا الامران اليهود محسوبون في حال ضيقتهم العمومية هذه عند جميع الشعوب دهشًا ومثلاً وهزأةً وليس في العالم شعب اخر نظيرهم في هذه الامور. وقد ضرِب المثل بحيلهم وطمعهم وغناهم بين المسيحيين والمسلمين والامم من اقصى الارض الى اقصاها. وما اشد ضرباتهم واعجبها فان القلب يتفتت من قراءة تاريخ اضطهادهم وتذبيحهم وسجنهم واستئسارهم. وقد اتفق جميع الامم على مضايقتهم واستُعملت جميع الوسائط لانقراضهم وغُنِمت اموالهم وأُعدِموا الاولاد وأُفنوا في سجون ديوان التفتيش وأُحرقوا على الاوتاد بالتعصب المبيد. ولم يحتمل قطّ شعب آخر جزءًا من مئة مما كابدوهُ من المصائب ومع ذلك لايزالون موجودين

وقد تنبي انهم نظيرامةٍ يرجعون. فلا يبقون موجودين فقط بل يبقون ممتازين عن الامم ايضًا كما هو حالهم الآن . فانهم في كل مكانٍ يوجدون فيهِ الآن يمكن انتخابهم وجمعهم منهُ اذا صار اقتضاء لذلك. فاتمام هذه النبوة هو الركن الاعجب في كل النبوات. وقد مرَّ عليهم الآن نحو الف وثمان

مئة سنة وهم متشتتون ومختلطون بين كل الشعوب بدون هيكل ولا ذبيحة ولا ملك ولا جداول انساب . وغير مستقرين في اوطان ثابتة ولا مسموح لهم ان يُسَاسوا بموجب شرائعهم ولا ان ينتخبوا حكامهم . وقد فقدت من بينهم كل رُبُط الاتحاد وحرموا من جميع الوسايط الضرورية لحفظ وحدة الامة كحب الوطن واللغة والعوائد والحكومة . وجميع ما يحل على الشعوب من الذل في الداخل والقهر من الخارج مما يفرض امتهم عن وجه الارض قد حلّ عليهم بقوةٍ على نوعٍ لم يسبق لهُ مثيل مدة ثمانية عشر قرنًا. غير انهم لم يزالوا شعبًا ممتازًا كثير العدد غير متجنّس بامةٍ ما مع انهُ متشتت بين امم العالم اجمع حتى انهُ يمكن جمعهم بسهولةٍ

نعم انهم انسحقوا غبارًا بسواحق لا تُحصَى لكنهم قاوموا كل نوعٍ من الالتحام والالتصاق بالغير ولذلك تراهم مُميَّزين بين جميع اخلاط الجنس البشري حتى كأنَّ نواميس الطبيعة توقَّفت عن الفعل بهم. فاين الامم الذين تبدَّد بينهم اليهود ألم يفنهم الرب حسب كلمتهِ في ار ٤٦: ٢٨ اما اسرائيل فلم يزل موجودًا مع انهُ في الاتون الناري . واين الشعوب الذين اضرموا نيران هذا الاتون كالاشوريين والبابليين الايكاد اسمهم يُنسَى ويمحى من التاريخ .اين المصريون القدماء . قد قرضهم المكدونيون حتى لا يُعرَف رجل واحد من نسلهم القديم بين الغرباء الذين امتلكوا ارضهم من ذلك الحين . واين المكدونيون انفسهم. قد قهرهم السيف الروماني واخضع مملكتهم ونسلهم امتزج امتزاجًا تامًّا مع اخلاط اليونان والاتراك.اين الرومانيون القدماء القاهرون الاخيرون لليهود ومخربو اورشليم المتجبرفون. قد طما عليهم الغوثيون كامواج البحر واغرقوا كبرياءهم وتبوأَّ تخت المدينة القديمة امةٌ اخرى حتى ان لغة سكانها الاصليين أُغيبت. واين هم الغوثيون الآن. قد اصابهم ما اصاب غيرهم من الانقراض الابدي. واما اليهود فاي مكانٍ خالٍ منهم الآن. فانهم قد شاهدوا فخر مصر وبابل ونينوى ولما نشأت مكدونية ورومية كانوا قد بلغوا اشدهم . وقد قامت ممالك قوية وسقطت منذ تبدُّدهم واسرهم الى الآن واما هم فلم يزالوا يخوضون في خرائب الجميع كما كانوا حين تركوا اليهودية حافظين في انفسهم تذكار عصر موسى والفراعنة غير متغيرين كاهرام ممفيس التي ينسب البعض بناءها اليهم .اما تلك الامم القوية القديمة التي تعاقبت في اضطهاد هذا الشعب فالتفتيش عن شاهدٍ حيٍّ منها عبث وباطل .ولكن متى أُسمع الصوت المزمع ان يجمع ذلك الشعب من جميع البلدان الى حظيرة الديانة المسيحية داعيًا بني ابرهيم يجيب حالاً اكثر من اربعة ملايين بهذا الاسم وكل واحدٍ منهم عندهُ براهين كافية على انهُ من هذا النسل الشريف

رابعًا. نبوات عن الرب يسوع المسيح

وهي منتشرة في كل اجزاء الكتاب المقدس النبوية اذ يشهد لهُ جميع الانبياء فلم يستطع احد منهم ان يلقي قلم الوحي بدون ان يكتب شيئًا عنهُ اما صريحًا او تلميحًا. وقد قسمنا الكلام عن هذا الموضوع من النبوات الى قسمين

١ ما يشير الى ظروف واحوال مجيئهِ. فان دانيال عيَّن سنة مجيئهِ بعد ٤٩٠ سنة من خروج الامر بتجديد اورشليم وبنائها. ويعقوب الذي كان قبل دانيال باكثر من الف سنة عين مجيئهُ بعد زوال القضيب من يهوذا والمشترع من بين رجليهِ . واشعياء وحجي صرَّحا بانهُ يكون قبل خراب اورشليم في مدة قيام الهيكل الثاني. وميخا نصَّ على ان مولدهُ يكون بيت لحم افراتة. ونبوات كثيرة صرَّحت انهُ ياتي من سبط يهوذا ومن جذع يسى . واشعياء وملاخي انبأَا عن الملاك الذي يسبقهُ بروح وقوة ايليا ليعدَّ طريقهُ

٢ ما يشير الى حياتهِ وآلامهِ وموتهِ وقيامتهِ وامتداد ملكوتهِ . وبما ان نبوات هذا القسم كثيرة العدد ودقيقة ومعروفة عند اكثر قارئي الكتاب المقدس نكتفي بايراد خلاصتها. فانهُ يتبين منها ان المسيح اومسيا يُولَد من عذراء ويدخل اورشليم راكبًا على جحش اتان وانهُ من جهة تعليمهِ يمتاز بالدعة والحنو والحكمة حتى يعرف ان يغيث المعيي بكلمةٍ وانهُ يعمي عيون المتكبرين والحكماء في اعين انفسهم ويبشر المساكين والبائسين. وانهُ يجعل العرج يمشون والصم يسمعون والعمي يبصرون والخرس يتكلمون والاسرى يُطلَقون والموتى يقومون . وانهُ يعلّم الطريق الكامل ويكون مهذبًا للامم وذبيحةً للخطية ومرفوضًا من اليهود الذين بسبب رفضهم اياهُ يُرفَضون من الله . وان ملوك الارض وجميع الشعوب تتعبد لهُ . وان الشعب الذي يرفضهُ يبقى ممتازًا كشعبٍ غير انهُ يتبدد بين جميع الامم ويتيه ايامًا كثيرة بلا ملكٍ ولا رئيسٍ ولا ذبيحةٍ ولا مذبحٍ ولا انبياء زمانًا طويلاً طالبًا الرجوع الى حالتهِ الاولى ولا يجدهُ

فمقابلة الامور الخصوصية العديدة في البشائر المختصة بموت المسيح مع النبوات المتفرقة في كل الكتاب المقدس امر مدهش جدًّا لان البشيرين ليسوا من هذا القبيل الاصدى الانبياء. فلا يمكننا الآن ايراد هذه النبوات واتمامها الا بغاية الاختصار

ومن ذلك خيانة يهوذا وعاقبتهُ المخيفة وكمية الفضة التي اسلم معلمهُ بها وما أُستعمِلت لهُ. فانهم لم يعينوا فقط آلام المسيح بل الواسطة التي تمَّ بها ايضًا وذلك بقولهم انهُ يعطي ظهرهُ للضاربين ووجههُ للخزي والبصق وانهُ يُقتَل مثقوب اليدين والرجلين ويُجرَح ويُسحَق ويُجلَد ويُحصَى في موتهِ مع الاثمة وفي آلامهِ يسقى مرارةً وخلاًّ ويهزأُ بهِ مضطهدوهُ صافقين ايديهم مسخرين بهِ وقائلين اتكل على الرب حتى ينجيهِ فلينجهِ . ومع انهُ قد جرت العادة ان يكسروا عظام المصلوبين وقد كسروا عظام اللصين

اللذين صُلِبا معهُ قد تنبي انهُ لا يُكسَر منهُ عظمٌ واحد. وايضاً ان ثيابهُ تُقسَم وقميصهُ تُلقَى عليها قرعة وانهُ ولئن جُعِل مع الاشرار قبرهُ كما حدث اذ دُفِن مثل رفيقيهِ الشريرين ورُخِّص بانزال اجسادهم عن الصليب قد جُعِل ايضاً مع غنيٍّ عند موتهِ كما تمَّ ذلك بدفنهِ في قبر يوسف الذي من الرامة . ويمكننا ان نورد كثيراً من النبوات عن حياة المسيح وموتهِ غير ان ما ذُكِر كافٍ لموضوعنا الآن ولئن يكن بغاية الاختصار . ولا اظن ان جميع قارئي الكتاب المقدس يجهلون تاريخ المسيح حتى لا يمكنهم ان يميزوا بسهولةٍ جميع ما أُنبئ عن حياتهِ وموتهِ مما قد تمَّ بالتدقيق على نوعٍ عجيب

ولا يخفى انهُ لم يرتَبْ احد في ان هذه النبوات قد كُتِبت ونُشِرت قبل ميلادِ المسيح بقرونٍ عديدة . وان اعداء المسيح والذين صلبوهُ هم حفظة تلك النبوات وان هولاء اي اليهود قد حفظوها لنا باعتناء خصوصي مئاتٍ من السنين وقد تُرجِمت من العبرانية الى اليونانية قبل المسيح بنحو ثلاث مئة سنة. وان اليهود انفسهم قد علموا انها تشير الى مسيا كما نعلم نحن ذلك الآن . وعند ظهورهِ كان قد انتشر بينهم انتظار سرعة مجيئهِ من معرفة بعض هذه النبوات

ولا حاجة الى بيان كون جميع هذه الامور الخصوصية قد وُجِدت تماماً على نوعٍ عجيب في شخص الرب يسوع وسيرتهِ واعمالهِ وآلامهِ وموتهِ ودفنهِ

لكن ربما يقال ان من هذه النبوات ما يمكن احداثهُ من البشر عمداً

فنجيب انهُ اذا فرضنا ان جمهوراً من الناس ممن عندهم هذه النبوات اتخذوا رجلاً وُلِد في بيت لحم من نسل داود بقصد التزوير واحضروهُ في الوقت الذي عينتهُ النبوة لا يمكنهم البتة اختراع تزوير اتمام النبوات عن هذا الشخص الذي من الجهة الواحدة تنبي عنهُ انهُ سامٍ في الحكمة وعمل الاحسان ومن الجهة الاخرى انهُ غاية في احتمال الخزي والآلام . فلا يمكن والحالة هذه اتمام جميع هذه النبوات التي تشير الى آلام الصليب . فهل يرغب المزوِّر في ان يُصلَب لاجل اتمام النبوة وكيف جرى ان انساناً يسلّمهُ ثم من شدة تبكيت ضميرهِ يشنق نفسهُ . وكيف اتفق ان اعداءهُ يزنون ثمن دمهِ بقدر ما أُنبي عنهُ ثم ان المسلِّم المُشترَى بالمال يرجّع الثمن ويُشترَى بهِ حقل الفخّاريّ المنبأ عنهُ . وكيف امكن المزورون ان يجمعوا لاجل غايتهم بحذاقةٍ كهذه كل مضطهدي المسيح حتى انهم بدون قصد اتمام هذه النبوات استعملوا تماماً كيفية الاتمام المشار اليها وعبارات الاستهزاء وآلات التعذيب وشريكي آلامهِ وذلك المزيج لشربهِ وتلك القساوة لجسدهِ حين كان حياً والاستنكاف منها بعد موتهِ. وغير ذلك من الامور التي لو قصدوا ان يبرهنوا بها انهُ هو مسيا الحقيقي الذي انبأت عنهُ الكتب لما وجدوا افضل منها. فالامر واضح ان نفس اعداء الديانة المسيحية الالداء برهنوا ان يسوع هو الذي شهد لهُ جميع الانبياء

فهل من مفرٍّ من الاقرار بان روح الله كان في كتبة الاسفار المقدسة وان هذا الروح قد شهد ليسوع. وهل يخطر على بال احدٍ ان هذه الموافقة المذكورة كانت بطريق العرض

خامسًا . فلنتفت الآن الى نبوات العهد الجديد

فان ربنا المبارك كان نبيًّا كما كان هو موضوع النبوة الاعظم . وهو لم يكن فقط قادرًا على كل شيء في اقامتهِ الموتى من القبور بل ايضًا عالمًا بكل شيء حتى يقدر ان يخرج من ظلمة المستقبل ما هو غامض عند الذين ليس لهم الوحي مثل اسرار الموت . وقد اثبت الهية خدمتهِ بالنبوات كما اثبتها بالمعجزات . اما المعجزات فقد طرحها امام الناظرين كما قال الاعمال التي اعملها تشهد لي. واما النبوات فقد تركها لشهادة التاريخ اللاحق كما قال اقول لكم الآن قبل ان يكون حتى متى كان تومنون اني انا هو. وهو لم ينبئ فقط عن آلامهِ وموتهِ وقيامتهِ بل ايضًا عن الكيفية والاحوال المتعلقة بها كخيانة يهوذا وجحد بطرس وعن الامور الخصوصية في معاملتهِ المعيبة في ديوان اليهود وتحت ايدي بيلاطس وجندهِ. وقد انبأ ايضًا عن انتشار الانجيل السريع واضطهاد تلاميذهِ وكيفية استشهاد بطرس بالتدقيق وطول حياة يوحنا الى ما بعد خراب اورشليم ورفض اليهود والاتيان بالامم الى كنيسة الله المقدسة

وليس بين نبوات مخلصنا ما هو اشد تاثيرًا من النبوات على خراب اورشليم المذكورة في انجيلي مرقس ولوقا ولاسيما ما ورد بالاستيفاء في انجيل متى ص ٢٤ . وهذه قد اخترناها الآن موضوعًا لتاملنا واثقين بانفسنا باننا قادرون ان نبين جليًّا ان الرب يسوع كان لهُ روح النبوة وانهُ لهذا أُرسِل من الله لبنيان ايمان الانجيل . وقبل الشروع في هذا البحث يجب ان نجيب على سوالٍ واحدٍ استفتاحيٍّ وهو هل الامر محقق ان هذه النبوات نُشِرت قبل خراب اورشليم . اما الجواب على ذلك فقد تقرَّر تمامًا في كلامنا عن صدق انتساب الاسفار المقدسة وبهِ تبيَّن ان اسفار العهد الجديد كُتِبَت في العصر المنسوبة اليهِ وان الذين كتبوها هم الاشخاص الملقبة باسمائهم . ويكفينا ان نقول هنا ان موت متى ومرقس من الانجيليين الثلثة الذين ذكروا هذه النبوات محقق انهُ كان قبل خراب اورشليم ولنا سبب كافٍ للاعتقاد ان لوقا ايضًا مات قبل خرابها

ان انجيل متى المتضمن هذه النبوات بالاستيفاء قد اجمع الراي على انهُ كُتِب اولًا وذلك في نحو السنة الثامنة بعد موت المسيح . واما خراب اورشليم فحدث في السنة السبعين من التاريخ المسيحي

والنبوات على ذلك نشرها متى قبل اتمامها بنحو ثلثين سنة ومخلصنا بنحو سبع وثلاثين سنة . ومضى ايضًا سنون عديدة بين نشر مرقس ولوقا لهذه النبوات واتمام الحوادث التي تشير اليها . اما يوحنا فهو الانجيلي الوحيد من الاربعة الذي عاش الى ما بعد خراب المدينة المقدسة وكتب انجيلهُ بعد ذلك ايضًا ولهذا السبب اهمل ذكر النبوات عنها

ولنا تاريخ عن خراب اورشليم لو أُلّف تاريخ بقصد الشهادة لاتمام نبوات ربنا على افضل منوال لا يكاد يمكن ان يكون انسب منهُ لغايتنا الحاضرة. وهذا التاريخ كتبهُ شاهد الحادثة نفسهُ وكان عالمًا وكان اولاً من اركان قواد جند اليهودية ثم أُخِذ اسيرًا الى القائد الروماني وكان دائمًا قريبًا منهُ لممارسة اشغالهِ فلا يمكن ان يُتهَم بانهُ كتب بدون دراية . وهو كتب تاريخهُ في رومية وقدمهُ الى الامبراطور فسباسيانوس ولابنهِ تيطس الذي كانت قيادة الجيوش في يدهِ في حصار اورشليم. اما تيطس فلم يكتفِ بطلب نشرهِ بل نسخهُ بيدهِ تثبيتًا لصحتهِ. ثم قُدِم ايضًا الى كثيرين من اليهود الذين شاهدوا الحوادث المذكورة. فلا نبتغي شهادة لصحة اتمام نبوات مخلصنا اثبت من شهادة هذا التاريخ. واما المؤلف فبقي يهوديًا الى يوم موتهِ وبالنتيجة بقي عدوًّا للديانة المسيحية وهو يوسيفوس المورخ الشهير الذي لا يمكن انهُ كان لهُ قصد حسن من جهة ايضاح اتمام نبواتها . فيا لهُ من امر عجيب ان احد اعداء الديانة المسيحية يكتب ادق تاريخ يتبيَّن منهُ اتمام ادق نبواتها. ولم تُذكَر حادثة عظيمة في تواريخ العالم بالاعتناء الكلي بكل الامور الدقيقة المتعلقة بها كما ذكر هذا المؤلف اليهودي خراب اورشليم

فمتى تاملنا في هذه الامور وتذكرنا وقاية يوسيفوس من الموت مرارًا عديدة على نوعٍ عجيب نرى يد العناية الحكيمة في اعداد طريق الانجيل باختيار الله شاهدًا موافقًا وحفظهِ ليدوّن شرح القضاء الالهي على اورشليم لا يقدر يهودي ولا امي ان يجحد شهادتهُ او يشتبه بصدقها

والان فلنتقدم لمقابلة ما كتبهُ مع النبوات التي نحن في صددها مبتدئين بذكر ما انبأ عنهُ المخلص على انهُ علامةٌ للخراب الآتي

١ قال لهُ المجد انظروا لا يضلكم احد. فان كثيرين سياتون باسمي قائلين انا هو المسيح ويضلون كثيرين مت ٢٤ :٤و٥

وفي هذا القول نبوتان ممتازتان وهما كثرة الذين يدّعون بان فيهم صفات المسيح ونجاحهم في اضلال كثيرين. وكان كلما اقترب الوقت الذي تم فيهِ هذه النبوة تظهر اكثر هذه العلامة الخصوصية اذ يقوم مسحاء كذبة وانبياء كذبة كثيرون ويعطون آيات عظيمة وعجائب . وفي هذا القول ايضًا تلميح الى انهُ عند حلول هذه الداهية العظيمة يكثر هولاء المضلون ويدّعون بالايات والعجائب.

وهو يشير الى الاماكن التي يظهرون فيها والمواضع التي يقودون تابعيهم اليها بقوله فان قالوا لكم ها هو في البرية فلا تخرجوا. ها هو في المخادع فلا تصدقوا

ومما يستحق الذكر انهُ لم يُذكر في التاريخ اليهودي قبل ان نُطق بهذه النبوات حوادث تطابق على نوعٍ ما هذه الحوادث. وقبل مضي سنتين ابتدأ الاتمام. فان سيمون الساحر بعد الصلب بقليل سمع انهُ ادَّعى بانهُ ابن الله واضلَّ اهل السامرة بالسحر وكان الجميع يتبعونهُ قائلين هذا هو قوة الله العظيمة. وآخر اسمهُ دوسيثيوس وهو سامريٌّ ايضاً ادَّعى بانهُ هو مسيّا الذي تنبأ عنهُ موسى. وفي نحو السنة العاشرة بعد موت المسيح ظهر انسان اسمهُ ثوداس وقرَّر الناس انهُ نبيٌّ ووعدهم بان يريهم آيةً بقسم مياه الاردن. وبكلامٍ كهذا اضلَّ كثيرين حسب قول يوسيفوس مستعملاً نفس عبارة النبوة هذه. وفي سنة ٥٥ م عند اقتراب الحادثة الاخيرة كثر هؤلاء المضلون وامتلأت البلاد من معلمي الزور الذين اضلوا الشعب واقنعوهم بان يتبعوهم الى البريَّة لكي يروهم آيات وعجائب ظاهرة كما قال ايضاً يوسيفوس انهُ كان في ذلك الوقت عدد عظيم من الانبياء الكذبة

وهكذا تمت جميع الامور الخصوصية من النبوة التي اوردناها اي قام مسحاء وانبياء كذبة كثيرون اضلوا كثيرين وادعوا بعمل الآيات والعجائب وقادوا تابعيهم الى البراري والمخادع وكانوا يكثرون كلما اقترب وقت الخراب

٢ قولهُ وسوف تسمعون بحروب واخبار حروب. انظروا لا ترتاعوا. لانهُ لا بد ان تكون هذه كلها. ولكن ليس المنتهى بعد. لانهُ تقوم امة على امة ومملكة على مملكة مت ٢٤: ٦ و٧

ان اليهود كانوا حين نطق المخلص بهذه النبوة في سلامٍ بعضهم مع بعض ومع جميع الامم. وحسب معرفة البشر لم يكن سبب موجب لوقوع الحرب وقتئذٍ ولكن بعد ذلك بقليل فشت فجأةً اخبار حربٍ فتُرِكَت الحقول بلا فلاحةٍ لسبب اضطراب الجمهور وامتلات البلاد حالاً من السلب والاغتصاب واشتدَّ النزاع والقتل المريع في الاسكندرية وقيصرية ودمشق وعكا وصور وفي كل مدينة تقريباً كان فيها كثيرون من اليهود والامم معاً وحسب كلام يوسيفوس كانت الفتن في كل سورية مريعةً لان كل مدينة انشقَّت الى احزاب بعضها ضد بعض وامنية الحزب الواحد توقَّفت على هلاك الحزب الآخر. فكانوا يصرفون النهار بالقتل والليل بالاهوال (تاريخ الحروب ك ٢ ف ١٨ ر ١ و٢). وفوق هذه المصائب جميعها عصت امة اليهود على الرومانيين وكانت ايطاليا مملوَّة من النزاع على الملك. ومن جرى اضطراب احوال تلك المدة والهيجان للحرب قُتِل في رومية في اثناء سنتين اربعة من الامبراطورين

٣ ومن العلامات التي انبا عنها المخلص انهُ تكون مجاعات واوبئة وزلازل في اماكن مت ٢٤: ٧

فهذه مع العلامات المذكورة آنفاً قال له المجد انها تكون مبتدأ الاوجاع. وقد حدث مجاعة قُبيل ذلك وامتدت في كل بلاد اليهود ودامت بشدة اياماً كثيرة اع ١١: ٢٨ الخ. وبعد هذه وقبلها حدث مجاعات في ايطاليا وهي مذكورة في تاريخ ذلك العصر واضطرمت نيران الاوبئة في اماكن شتى عند دنو الزمان لشرب اورشليم كاس مصائبها. وقد ذكر يوسيفوس وباء حدث في بابل. وقبل خراب المدينة المقدسة بخمس سنوات حدث موت ذريع في رومية وفي اماكن شتّى من المملكة. ومن علامات تلك الازمنة التي ذكر كثيراً منها مؤرّخو الامم تاشيتوس وغيرهُ الزلازل. فان كريت واسيا الصغرى واليهودية قد أصيبت بالزلازل في اوقات شتّى وبعضها اصيب بذلك مراراً متوالية. وقد ذكر يوسيفوس زلزلة حدثت في اليهودية بانها كانت غريبة في اهوالها حتى يقول ان الانسان يقدر ان يخمن بسهولة ان هذه الآيات تدلُّ على مصائب عظيمة عتيدة (تاريخ الحروب ك ٤ ف ٤ ر ٥)

٤ ان لوقا وهو يذكر هذه النبوات اضاف الى ما تقدم ذكرهُ قول المخلص وتكون مخاوف وعلامات عظيمة من السماء لو ٢١: ١١

وذكر يوسيفوس تلك المناظر والعلامات بالتدقيق الكليّ كانهُ انصبَّ على نوعٍ خصوصيّ على تثبيت قول مخلصنا له المجد. وهو يقول انهُ قرب وقوع الحرب المهلكة ظهر فوق المدينة كوكب يشبه السيف ونجم ذي ذنب ومكث سنة كاملة. وفي عيد الفطير في الساعة التاسعة من الليل سطع نور عظيم جداً حول المذبح والهيكل كانهُ نور الشمس في رابعة النهار واستمرّ على هذا الحال نصف ساعة وباب دار الهيكل الداخلي الشرقي الذي كان من نحاس وثقيلاً جداً وكان يقتضي لهُ على الاقل عشرون رجلاً لكي يغلقوهُ وكانوا يتركونهُ مغلقاً بالعوارض المنيعة انفتح من تلقاء نفسهِ نحو الساعة السادسة من الليل. وهذا الامر قد فهمهُ علماء اورشليم على انهُ علامة الخراب العتيد. وايضاً راوا قبل غروب الشمس مركباتٍ وجيوشاً باسلحتهم يركضون بين الغيوم والمدن المحيطة. وفي عيد الخمسين فيما كان الكهنة مارّين ليلاً الى دار الهيكل الداخليّ شعروا بزلزلة وسمعوا صوتاً عظيماً ثم سمعوا صوتاً كصوت جمع قائلين لنذهب من ههنا

اما العلامة التي حسبها يوسيفوس اشد تاثيراً من الكل فهي انسان فلاح اتى قبل الحرب باربع سنوات في وقت السلم التام الى عيد المظال وابتدأ يصرخ بغتةً بصوت عالٍ صوتٌ من المشرق وصوت من المغرب وصوت من الرياح الاربع صوت ضد اورشليم والبيت المقدس صوت ضد العُرُس والعرائس وصوت ضد جميع الشعب. وكان يجول صارخاً هكذا في كل المدينة نهاراً وليلاً ولم يستطع تسكيت هذا الصوت عنف القصاص ولا اللين واللطف. ولم يتكلم لاحدٍ بخيرٍ او

شرٍّ سواء قد موالهُ الاكل اوجلدوهُ واستمرَّ على صراخهِ هذا سبع سنين وخمسة اشهر ولما انتهت مدة انذارهِ وذلك قبل ان أُخِذَت المدينة بقليل وهو يدور على سورها صرخ باعلى صوتهِ الويل الويل للمدينة وللشعب وللقدس والويل لي ايضًا وحالما نطق بالعبارة الاخيرة اصابهُ بغتةً حجر من احدى الآلات الحربية فوقع قتيلاً (تاريخ الحروب ك٦ ف٥ ر٣)

ومما يؤيّد ما رُوي عن هذه العلامات قول ناشيتوس المورخ الروماني وهو يتكلم عن نفس الوقت والمكان المشار اليهما انهُ حدث غرائب كثيرة انذرت بهلاك ذلك الشعب لم يمكن ازالتها بالذبائح والنذور فظهر جيوش تحارب في الجو باسلحتهم البرّاقة وسقط من السُحب نار على الهيكل وفُتِحت بغتةً ابواب الهيكل عند طلوع صوت عالٍ يعلن ان الآلهة راحلة مصحوبًا بصوت جماهير خارجين فجميع هذه الامور ظنها البعض تشير الى مصائب عظيمة. فسواء حدثت هذه كلها حقيقةً او بعضها او كان كلها او بعضها اوهام العقول الخرافيّة المتهيجة نترك البحث عن ذلك الآن لان هذه المسالة غير ضرورية لغايتنا الحاضرة. غير ان الامر موكّد انها أُعتُبرت حقيقيّة في وقتها ولذلك كانت حقيقةً مخاوف وعلامات عظيمة من السماء لليهود. ومهما كانت علتها الحقيقية فالتنبي بان اليهود يصدقون بحدوث امور كهذه يقتضي لهُ روح النبوة كالتنبي عن امر آخر ما قد تأكّد الجميع حدوثهُ فعلاً. فلهذا مهما راينا من الغرابة في شهادة مورّخي اليهود والرومانيين فنبوة المخلص قد تمت بغاية التدقيق لو ٢١: ١٢—١٧

٥ ان المخلص قد اردف نبوتهُ عن مصائب الامة والمدينة المقدسة بالنبوة عن مصائب تابعيهِ. وذلك بقولهِ وقبل هذا كلهِ يلقون ايديهم عليكم ويطردونكم ويسلمونكم الى مجامع وسجون وتساقون امام ملوك وولاة لاجل اسمي. وتكونون مبغضين من جميع الامم من اجل اسمي. فضعوا في قلوبكم ان لا تهتموا من قبل لكي تحتجوا. لاني انا اعطيكم فمًا وحكمةً لا يقدر جميع معانديكم ان يقاوموها او ينا قضوها لو ٢١: ١٢—١٧

والبرهان على اتمام هذا كلهِ في سفر الاعمال الذي يقدم لنا ادلّة كافية لذلك كما يتضح مما قيل عن شاول من انهُ كان يسطو على الكنيسة ويدخل البيوت ويعاقب المسيحيين في كل الجامع ويطردهم الى المدن التي في الخارج. وكذلك يوحنا وبطرس أُسلما للجمع وسُجِنا ايضًا وبولس سيق امام الملوك وقد سُجِن هو وسيلا وجُلِدا. فحقًا ان جميع هولاء اعطوا حكمةً لم يقدر معاندوهم ان يقاوموها او ينا قضوها. لان خطاب بطرس الذي اثار عليهِ الاضطهاد اخضع الوفًا لطاعة ايمان المسيح وقاتلي استفانوس لم يقدروا ان يقاوموا الحكمة التي كان يتكلم بها والسجان الذي سجن بولس وسيلا في المساء اهتدى بواسطتهما قبل الصباح. وفيلكس ارتعد واغريباس كاد يصير مسيحيًا عند خطاب بولس.

واستفانوس ويعقوب استُشهِدا. وعندنا سند للاعتقاد انهُ لم ينجُ احد من الرسل الاصليين من القتل سوى يوحنا الانجيلي الذي مات موتًا طبيعيًا . وقبل خراب اورشليم بست سنوات ثار الاضطهاد المهول تحت حكم نيرون الذي فيهِ كان مجرد اسم مسيحي كافيًا ليسوق المسمَّى بهِ الى العذاب . وشهد تاشيتوس ليس لآلامهم الغريبة فقط بل ايضًا لحقيقة كونهم مبغضين من الجميع لاجل ديانتهم واسمهم

٦ قولهُ وحينئذٍ يعثر كثيرون ويسلمون بعضهم بعضًا ويبغضون بعضهم بعضًا. ولكثرة الاثم تبرد محبة الكثيرين مت ٢٤: ١٠ و١٢

ان رسول الامم بولس يتشكى في رسائلهِ من ديماس وفيجلس وهرموجانوس وآخرين كثيرين في اسيا ممَّن ارتدوا عنهُ وانهُ في احتجاجهِ الاول في ديوان نيرون لم يحضر معهُ احد بل الجميع تركوهُ . وتاشيتوس وهو يتكلم عن اضطهاد نيرون قال ان الذين أُلقِي عليهم القبض كانوا اولاً من الذين اقروا بمذهبهم ثم قُضي على جمعٍ غفير بمجرد خبر مضاديهم

٧ ان المخلص بعد ان انبأ بالاضطهادات الخارجية التي كان تلاميذهُ عتيدين ان يكابدوها والنقائص الداخلية التي ستعتريهم نطق بهذه النبوة الغريبة وهي ويكرَز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادةً لجميع الامم . ثم ياتي المنتهى مت ٢٤: ١٤

اما المنتهى المشار اليهِ فهو منتهى السياسة اليهودية التي بطلت جميعها عند خراب القصبة اليهودية والهيكل فان يسوع تنبا انهُ قبل هذا المنتهى اي بعد نطقهِ بهذه الكلمات باربعين سنة يكرَز بالانجيل في جميع المسكونة .ولم يكن حينئذٍ ما وقوعهُ ابعد احتمالاً اوحسب نظر الانسان اكثر محالاً من هذا. لان الانجيل لم يقبلهُ حينئذٍ الاقليل من اليهود البسطاء وبعد ذلك ببضع ايامٍ صُلِب ربهُ كمذنب وتبدد تلاميذهُ وفشلوا وتغلب اعداؤهُ وظهر ان الانجيل انتهى امرهُ . ولما اجتمعت الكنيسة معًا في طفوليتها في اورشليم بعد صعود راسها بقليل كان عدد التلاميذ الممكن اجتماعهم مئة وعشرين. فمَنْ غير الله العالم بكل شيء يقدر ان يرى سابقًا انهُ في اقل من اربعين سنة تنتشر تلك الكنيسة في جميع بلدان العالم المعروف حينئذٍ كما حدث حقيقةً حسبما يتضح من تاريخ الكنيسة. لانهُ قبل خراب اورشليم لم يُكرَز بالانجيل فقط في اسيا الصغرى وبلاد اليونان وايطاليا التي كانت اهم مراكز العالم حينئذٍ بل ايضًا امتد ذلك الى الشمال الى سكيثيا والى الجنوب الى الحبشة والى الشرق الى پارثيا والهند والى الغرب الى اسبانيا وبريطانيا. ورسائل بولس في العهد الجديد معنونة باسم الكنائس التي كانت حينئذٍ نامية في رومية وكورنثوس وغلاطية وافسس وفيلبي وكولوسي وتسالونيكية . وهو صرَّح في رسالتهِ الى اهل رومية ان الايمان المسيحي كان حينئذٍ (اي قبل المنتهى بعشر سنين) يُنادَى بهِ في كل العالم. وبعد ذلك بنحو ثلاث سنوات صرَّح ان الانجيل كان حينئذٍ

قد كُرِز بهِ في كل الخليقة التي تحت السماء اي بُشّر بهِ جميع الامم بدون تمييز بينهم (كو ١: ٢٣)

وشهد تاشيتوس انهُ في السنة السادسة قبل خراب اورشليم (في زمان اضطهاد نيرون) لم تنتشر بانة المسيح في كل اليهودية فقط بل في رومية ايضاً. وان تابعي المسيح كانوا حينئذٍ كثيري العدد حتي ان جمعاً غفيراً منهم أُلقي عليهم القبض وحُكِم عليهم بالاستشهاد. وهكذا مهما ظهر حين النطق بهذه النبوة من ان وقوع هذه الحادثة محال لم يات المنتهى بعد حتى كُرِز بالانجيل في كل العالم. ولا نعلم ما الذي يجب ان يُعتبَر البرهان الاعظم تاثيراً على ان الله كان مع الانجيل اهذا الامر العجيب الذي حدث بوسائط كهذه وبمقاومات عمومية ومهلكة جداً ام العين النبوية التي بها رأى المخلص ما سيحدث وانبا بحدوثهِ تحت احوال تعارض نجاحهُ وتوقفهُ الى غاية ما يكون

٨ ان العلامة الثانية النبوية تكاد توصلنا الى البلية المريعة وهي فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمةً في المكان المقدس. ليفهم القارئ. فحينئذٍ ليهرب الذين في اليهودية الى الجبال. والذي على السطح فلا ينزل لياخذ من بيتهِ شيئاً. والذي في الحقل فلا يرجع الى ورائهِ لياخذ ثيابهُ لو ٢١: ٢٠ ومت ٢٤: ١٥ الى ١٨

ان متى عنى بقولهِ رجسة الخراب قائمة في المكان المقدس ذات ما عناهُ لوقا وهو يتكلم عن اورشليم بقولهِ محاطة بجيوشٍ. وبما ان رايات الجيوش الرومانية كان عليها تماثيل يقدمون لها عبادة وثنية كانت عند اليهود رجسة ولهذا نقرأ ان رؤساء اليهود طلبوا من القائد الروماني وهو مجتاز بجيشهِ في اليهودية الى بلاد العرب ان يمرَّ بهِ من طريق آخر. قال يوحنا فم الذهب ان كل صنمٍ وتمثالٍ كان يُسمَّى عند اليهود رجسة انتهى. وهذه الالوية الوثنية بما انها كانت مع جيش مخرّب سمّوها رجسة الخراب وحين نصب الجيش الروماني الويتهُ حول المدينة المقدسة قامت حرفياً رجسة الخراب في المكان المقدس او الارض المقدسة. وهذا انبأ عنهُ المخلص بانهُ يكون علامةً للمسيحيين على انهُ قد اقترب خراب اورشليم. فحينئذٍ يجب ان يهربوا مسرعين الى الجبال وهذا التحذير يتضمن انهُ بعد احاطة المدينة بالجيوش يكون لهم فرصة للهرب غير انها تكون وجيزةً جداً. وهذا كلّهُ قد تمَّ

اما الانسان فيظنُّ ان المسيحيين في تأخُّرهم الى احاطة المدينة بالجيوش المحاصرة ينقطع كل الرجا بنجاتهم لكن العناية العجيبة جعلتهم ينتظرون العلامة ومع هذا يقبلون النصيحة ويهربون. فان كستيوس غالوس القائد الروماني في ابتداء الحرب حاصر المدينة واستولى على جوارها وعَسكَرَ قبالة القصر الملكي. قال يوسيفوس وكان يمكنهُ ان يدخل الى داخل الاسوار بسهولةٍ ويستولي على المدينة ولا سيما لان كثيرين من الاعيان همّوا على ان يفتحوا لهُ الابواب ولكن مع ان رجسة الخراب

كانت قائمة في المكان المقدس كان تابعوا المسيح هناك ايضاً . فالمنتهى لم يات بعد لانهُ كان يقتضى ان تكون لهم فرصة للهرب يدبّرها لهم الرب. فبينما كانت المدينة مزمعة ان تفتح ابوابها للقائد الروماني ردّ جيشهُ عن المكان بدون ان يصادف ادنى اهانة ورجع عن المدينة بدون سبب ظاهر . اما المورّخ اليهودي فنسب ذلك الى توسط العناية الالهية الخصوصية مع انهُ لم يعلم القصد بهِ لان ذلك لا يجري على طرق الحرب ولا طريق الحكمة والفطنة البشرية. وهو يقول ان كثيرين من اعيان اورشليم اغتنموا فرصة الهرب من المدينة كما يهرب القوم من مركبٍ مشرفٍ على الغرق . وبعد ذلك بقليل رجع الجيش الروماني برجسة الخراب الى المكان المقدس قال هذا المؤرّخ ان جمّاً غفيراً هرب الى الجبال (تاريخ الحروب ك ٤ ف ٨ ر ٢) . ونعلم بالتاكيد من المورّخين المسيحيين الاولين انهُ في تلك الفترة التجأَ كل تابعي المسيح الى الجبال الواقعة عبر الاردن وهكذا اطاعوا امر ربهم . ولا يُذكَر في مكانٍ ما ان مسيحياً واحداً هلك في حصار اورشليم وخرابها لانهم قد فعلوا كما امرهم المخلص بان ما كان عليهم ان يعملوهُ يجب ان يعملوهُ سريعاً لانهُ حالما عادت الجيوش الى اورشليم احاطوها من كل مكانٍ كسور حتى انهُ حسبما روى المؤرّخ انقطع كل رجاء اليهود بالخلاص

وقد انبأ المخلص عمّن يكون هذا العدو وعن قوتهِ وسخطهِ وامتداد خرابهِ بهذه العبارة الاستعاريّة وهي لانهُ حيثما تكن الجثة فهناك تجتمع النسور مت ٢٤: ٢٨ . وهي تتضمن معنىً كثيراً في كلماتٍ قليلة . فالجثة هي امة اليهود التي أُسلِمت كفاسدة بكليتها ومتروكة من الله لتبتلعها الطيور الجارحة . وشهد يوسيفوس على ان كل انحاء البلاد اشتركت في خراب اورشليم . فجيوش رومية كانت مثل زرادق الطيور الجوارح يطيرون من مدينة الى اخرى مكثرين الدمار والقتل حيثما اقاموا راياتهم وانقضّوا على السكان غير المستعدين بقوة النسور ومزقوهم ارباً وابتلعوهم غير مشفقين على انثى ولا طفلٍ ومستاسرين القلائل الذين نجوا من فم السيف بدون رجاء بالنجاة . والخبر المحزن عن يوتاباطا (وهي مدينة في الجليل) هو ان جميع سكانها قُتِلوا الاّ الاطفال والنساء أُخِذوا اسرى وكان عدد الذين قُتِلوا بحد السيف اربعين الفاً (تاريخ الحروب ك ٣ ف ٧) . ويافا دُمّرَت والقرى المجاورة لها خربت وعمّ الخراب كل الارض . ولم ينجُ من كل سكان غمالا (وهي في شرقي بحر طبرية) الاّ امراتان ولم يستبقِ السيف من اهل هذا المكان احداً من الكبار ولا من الصغار (تاريخ الحروب ك ٤ ف ١) . وهكذا كان القتل مريعاً حتى ان كثيرين من اليهود فضّلوا ان يلقوا اولادهم وزوجاتهم وانفسهم من على التل الذي كانت القلعة مبنية عليهِ الى الخندق العميق الذي تحتها وحُسِب عدد الذين شربوا المنون بهذه الكاس نحو خمسة الاف نفسٍ . وهذه واحدة فقط من الحوادث الكثيرة التي

تدل على اتمام النبوة التي نحن في صدد ها الآن على اتم منوال

٩ ان الرب لم ينبئ فقط عن العدو الذي يخرب اورشليم بل ايضاً عن الوسائط التي يتم ذلك بها. فانهُ قال فانهُ ستاتي ايام ويحيط بكِ اعداؤُكِ بمتراسٍ ويحدقون بكِ ويحاصرونكِ من كل جهة . ويهدمونكِ وبنيكِ فيكِ ولا يتركون فيكِ حجرًا على حجرٍ لو ١٩ :٤٣ و٤٤

فانهم في الاعمال الحربية يقرنون المتراس بالسور وكلاهما مقصودان هنا. ولكنهُ لا تحتمل ابدًا المبادرة الى عمل كهذا في حصار اورشليم لان موقع الارض وسعة فسحة المدينة يجعلان الامر صعبًا جدًّا وذلك لم يُصنَع في محاصرتها قبلاً لانهُ لم يكن ضروريًا لانهُ لو شاء القائد الروماني ان يصبر قليلاً لكان الجوع والنزاع داخل المدينة اوقعاها حالاً في قبضة يدهِ . وفضلاً عن هذا كلهِ كان ذلك مغايرًا لراي قوادهِ . وانما باشروهُ لئلاَّ يكون الظفر اقل فخرًا اذا طال الحصار اكثر والسبب الاعظم هو انهُ كان آلة الله في اتمام قول المسيح وهو لم يدرِ . فعمل تيطس هذا يؤيّد بالضرورة صفة المسيح النبوية لانهُ ببناء سورٍ حول اورشليم بنى حصنًا للانجيل فأُحيطت حرفيًا المدينة وسكانها من كل جهةٍ بسورٍ ومتراسٍ اقامها جيش تيطس محيطها نحو خمسة اميالٍ . وقد وصف يوسيفوس رسم السور من كل ناحية بالتدقيق (تاريخ الحروب ك٥ ف ١٢ ر٢)

١٠ قول المخلص لان هذه ايام انتقام . لانهُ يكون حينئذٍ ضيق عظيم لم يكن مثلهُ منذ ابتداء العالم الى الآن ولن يكون لو ٢١ :٢٢

فحقًا انها كانت ايام انتقام حين تم كل ما كتبهُ وتهدد بهِ موسى والانبياء . ويوسيفوس قد كتب وكانت امامهُ اقوال المخلص شاهدًا انهُ بموجب زعمهِ لم تكن قط مدينة اخرى قد الم بها بلايا بهذا المقدار ولم يكن قط جيل منذ ابتدا العالم اكثر نموًّا في الشرّ من ذلك الجيل . ويقول ايضًا ويلوح لي ان مصائب جميع البشر منذ ابتداء العالم اذا قوبلت مع مصائب اليهود لا توازيها لانهُ بالحقيقة الله هو الذي دان جميع الامة وحوّل الى هلاكهم كل واسطةٍ استعملوها لخلاصهم. وقال ايضًا ان جمهور الذين هلكوا فاق جدًّا جميع ما انزلهُ الله او الانسان من الخراب على العالم لانهُ في ابتداء الحرب صعدت جموع كثيرة جدًّا من كل نواحي البلاد الى اورشليم لتعيِّد الفصح . فازدحمت الامة في اورشليم حتى زعم البعض انهُ وُجِد في المدينة اكثر من مليونين وسبع كرات نسمة . وقد ذكر يوسيفوس بالتفصيل ما كابدوهُ من الشقاء وهم محبوسون هناك في تاريخ الحصار حيث قال ابتدات المجاعة ونشبت مخالبها بالالوف الذين تُرِكوا فريسةً لها بلا دفنٍ وتعاظم غيظ المهلك حتى اكل الناس احذيتهم وحزاماتهم والجيوش اكلوا الاديم الذي كان على اتراسهم وصار قصل التبن العتيق طعامًا وما كانوا يستنكفون من النظر اليهِ صاروا يرتضون باكلهِ

وزد على هذه المهالك مظالم الاحزاب المتنازعين المريعة فكانت المدينة مأوىً من اللصوص الذين شقّوا سكانها الى احزابٍ كانت لهم اضرّ من جميع الجيوش التي تحاصرهم. فابوا وهم ممتلئون من الحنق ومهيَّجون من الجوع ان يتسالموا بعضهم مع بعض او يسلّموا للعدو فنهبوا الهيكل وقتلوا الكهنة على المذبح ونجسوا المقدس ببحرٍ من الدم واحرقوا مخازن الذخائر المعدَّة لحصار سنين كثيرة حتى حرموا بعضهم بعضاً الطعام ومتى ظهر قمح كان يخطفهُ جماعة اللصوص . وكانوا يفتشون كل بيت يظنون ان فيهِ طعاماً. وكان الوالدون يخطفون من ايدي اولادهم والاولاد من افواه والديهم. وكانت سيدة ذات نسب شريف وغنى جزيل قد اتت الى اورشليم واضطرت ان تبقى هناك بسبب الحصار فاخذ كل مالها وكل ما خزنتهُ من الطعام لها ولاولادها اللصوص الزائرون كالاسود الذين كانوا دائماً يطوفون الشوارع ملتمسين الفريسة فاجتهدت ان تسخطهم وتهيجهم بالتعييرات لكي يعدموها الحياة لما اعدموها الخبز لكن ذلك ذهب عبثاً. واخيراً اعدَّت لنفسها وليمة على خروفٍ قدَّمهُ لها الجوع الكافر فذبحتهُ تلك الام القانطة وطبختهُ واكلت جزءاً منهُ وخبات ما بقي منهُ فرائحة الطعام جلبت عليها ذئاب اللصوص فتهددوها بالموت السريع ان لم تظهر لهم ما عندها فاكّدت لهم بتهكمٍ مرٍّ انها خبات لهم حصةً جيدة من ذلك الخروف ثم كشفت لهم عمَّا بقي منهُ فاذا هو جثة طفلها التي كانت قد اكلت نصفها فبهتوا مندهشين ولم ياكلوا منهُ . ثم بكّتتهم مدّعية بانها من الطف النساء واحنّ الامهات . فامتلات المدينة وجميع العسكر الروماني دهشةً من هذا الدليل المريع على شدة الشقاوة وغبطوا الموتى على تخلصهم من نظر هذه البلايا

اما الوبل فاستمرَّ لان الاسرى وهم هاربون من المدينة امسكهم الجيش الروماني وسمّروهم على صلبان على طرق متنوعةً حول الاسوار من خارج على سبيل الاستهزاء وقد تكاثر عددهم حتى لم يبقَ صلبان للاجساد ولا مكان للصلبان . فهكذا قبل ذلك باربعين سنة صلب اليهود رب المجد بالسخرية القاسية والتعيير المر خارج الاسوار والذين لبثوا في المدينة التجاوا الى المغر والقنوات والبواليع والى مختبآتٍ اخرى ليتخلص بعضهم من الآخر . اما تيطس فلما نظر جثث الموتى تُطرَح من على الاسوار الى الوديان رفع يديهِ نحو السماء واشهد الله على ان هذا ليس فعلهُ . وقد حسب يوسيفوس عدد الذين هلكوا في مدة ايام الانتقام هذه اكثر من مليون وثلاث كرات منهم مليون ومئة وخمسون الفاً من اورشليم ما عدا سبعة وتسعين الفاً أُخِذوا اسرى وجموعاً كثيرة العدد هلكت بدون حسابٍ في اماكن شتى بالجوع والنفي وبلايا اخرى . وفوق هذا الفناء المريع خربت خراباً تاماً مدينتهم المقدسة وهيكلهم الجميل اللذين كانا عندهم اعز من الحياة فضلاً عن الخراب العمومي. وأُخليت اليهودية من السكان

وهذا يفسر لنا معنى قول المخلص ضيق عظيم لم يكن مثلهُ منذ ابتداء العالم. فان هذه جميعها كانت امام عيني فادينا الحنون اذ نظر الى المدينة عن جبل الزيتون وبكى عليها قائلاً انكِ لو علمتِ انتِ ايضاً حتى في يومكِ هذا ما هو لسلامكِ ولكن الآن قد أُخفِي عن عينيكِ . فيا لعظم تأثرهِ من كل هذه الشقاوة حين التفت وهو ذاهب للصلب الى النساء اللواتي كنَّ يبكينَ وينحنَ عليهِ وقال يا بنات اورشليم لا تبكينَ عليَّ بل ابكينَ على انفسكنَّ وعلى اولادكنَّ لانهُ هوذا ايام تاتي يقولون فيها طوبى للعواقر والبطون التي لم تلد والثدي التي لم ترضع حينئذٍ يبتدئُون يقولون للجبال اسقطي علينا وللآكام غطينا لو ٢٣: ٢٨—٣٠ . فمن يستطيع ان يتغاضى عن التامل في نهاية الذين لا يطيعون انجيل الله

١١ قد وصلنا الآن الى خراب المدينة والهيكل الذي هو الامر الاغرب في هذه النبوة المدهشة . فان مخلصنا لهُ المجد قد انبا عن خراب المدينة بقولهِ ويهدمونكِ وبنيكِ فيكِ ولا يتركون فيكِ حجرًا على حجرٍ. وعن خراب الهيكل كما ياتي فتقدم تلاميذهُ لكي يروهُ ابنية الهيكل . فقال لهم يسوع اما تنظرون جميع هذه . الحق اقول لكم انهُ لا يُترَك ههنا حجر على حجر لا يُنقَض

اما روح النبوة فيظهر في هذا القول على نوعٍ عجيبٍ جدًّا لان الاحوال كانت تدل على عدم امكانية وقوع هذه الحوادث. لان اورشليم كانت محاطة بثلاثة اسوارٍ منيعة وحصينة تمنع المهاجمين عن الوصول الى المدافعين ما لم يتوسط ذلك جوع اووبا او نزاع داخلي. ولم يكن قطُّ قوم يحافظون على صيانة مدينتهم كل المحافظة مثل سكان اورشليم الذين لم يكن منهم من يبالي بحياتهِ لاجل سلامتها فلاجل ذلك وبما ان المدافعين كانوا ايضاً عشرة اضعاف المهاجمين كان دخول الرومانيين الى المدينة بعيد الاحتمال . وقد شهد بذلك تيطس لما راى قلاعها بقولهِ حقًّا ان الله ساعدنا في هذه الحرب وهو الذي طرد اليهود من هذه الحصون لانهُ ماذا تقدران تصنع ايادي البشر او الآلات الحربية في هدم حصونٍ متينة بقدر هذه . وكذلك لو أُخذت المدينة لكان حدوث خراب تام كما جرى وفيها كل تلك الجموع بعيد الاحتمال كما يتايَّد ذلك من اعتبار الصعوبة في نقض ثلاثة اسوار عظيمة جدًّا محيطة بها وما فيها من الابنية الكثيرة والمتينة . وايضاً من اعتبار عظمة الهيكل الذي هدموهُ لان اسوارهُ كانت تحيط بفسحة مساحتها نحو مئَة الف ذراع مربع والسور الشرقي كان ارتفاعهُ نحو ثمانماية قدم من قرارهِ في قاع الوادي وكانت حجارتهُ وحجارة باقي الاسوار كبيرة جدًّا طول اعظمها خمس وستون قدمًا وعلوهُ ثماني اقدام وعرضهُ عشر اقدام . فما كان اعظم الصعوبة في نقض هذا البنا العظيم الى الحضيض ولو كان لذلك اعظم داعٍ

فما هي الاسباب التي حملت الرومانيين على هذا الخراب المريع لهذه الابنية الجميلة والمتينة

وهم يفتخرون باعتبارهم للصنائع واعتنائهم الكلي في كل غلباتهم بحفظ الابنية التذكارية المحكمة البناء. ولا يخفى ان الهيكل كان من هذا النوع لغرابة عظم اسوارهِ وبهاء ابوابهِ وجمال عمدهِ الرخامية ومجد قدس الاقداس الذهبي وبهاء كل منظرهِ وقدميتهِ وغير ذلك من الاوصاف الباهرة التي جعلتهُ عند الرومانيين مستحقًا ان يُحفَظ بكل اعتناء. وكان من داب البرابرة ايضًا المحافظة على تحف كهذه في غزواتهم. فان جنسريك ملك الفندال في اسبانيا الذي كان في نحو منتصف الجيل الخامس لما غزا مدينة رومية مع المور والفنداليين سلب مالها واخذ تحف هياكلها وقصورها ولكنهُ استبقى ابنيتها الشريفة التي لم تزل الى يومنا هذا مع كل ما تهددها من اهوال الحروب التي نشبت في اسواقها تشهد بقدمية مجد سيدة مدن العالم كعمود تراجانوس وقنطرة النصر لتيطس والهيكل المسمى بانثيوم الذي لم يزل قائمًا والكولوسيوم (اسم مرسح) الفاخر وابنية اخرى عظيمة تدلُّ على جودة الاحكام والاتقان في الصنائع. وكم مرَّةً ملأَت الجيوش المحاربة شوارع اثينا وتبوَّأَ هياكلها قبائل الغوثيين البرابرة ومع ذلك لم يزل هيكل تيسيوس الجميل باقيًا غير منثلم مثالاً حسنًا لصناعة البناء والبارثينون (هيكل شهير) مع انهُ غُزِي وتردَّم لا يزال عبرةً لسمو ذوق الاثينويين ونفاوتهِ في عصر فيدياس وبركليس

فاذًا كم كان مستحيلاً عند الذين راوا الهيكل في ايام مخلصنا ان الرومانيين يهدمونهُ الى الحضيض ولاسيما لو عرفوا ذوق تيطس قائدهم الانيق واخلاقهُ الانيسة الرقيقة المحبة وكم بالحري متى عرفوا انهُ كان شديد الانصباب على انقاذ المدينة والهيكل من الخراب والوسائط الكثيرة الممكنة التي استعملها لاغراء اليهود بالتسليم قبل ان يصلوا الى مثل هذه العواقب وتاثرهِ الشديد حين وصل الى الهيكل ونظر ما يحيط بهِ من الخطر والدمار الذي يتهدَّدهُ بسبب عناد المدافعين فيهِ وغيظ جنودهِ واشهد الالهة وجنودهُ واليهود انهُ لم يضطرهم الى تدنيس البيت الاقدس. وقال لليهود اذا نقلتم من الموضع الذي تحاربون فيهِ لا يقترب روماني من مقدسكم ولا يُهان بادنى اهانةٍ وساجتهد في حفظهِ سواءٌ اردتم ام لم تريدوا (تاريخ اليهود ك ٦ ف ٢ ر ٤). اما رب الهيكل فكان قد قال هوذا بيتكم يُترَك لكم خرابًا والله سبحانهُ لا يدع كلمات ابنهِ النبوية ترجع اليهِ فارغة ولذلك لم توثر سطوة تيطس في جنودهِ حتى تمَّ كل ما كُتِب. فعند اول وصول النار الى الهيكل ارسل القائد فرقةً من الجيش لاطفائها ولما شبَّت ثانيةً امرهم باطفائها وانقاذ البناء غير ان جنديًا خالف ارادة قائدهِ ورمي نارًا من نافذة في حائط قدس الاقداس فلما راى ذلك تيطس بادر هو ورؤَساؤهُ تتبعهُ من وراء الى المكان الذي شبَّت فيهِ النار باذلاً جهدهُ بالصراخ والهزل والرقة وغير ذلك في جعل جنودهِ يعفون عن البناء وامر احد قواد المئة ان يعاقب المخالفين ولكن تهديدانهُ

وتمليقاتهٔ لم تطفئ نار غيظهم ولاانثنت عزمهم. واخيرًا اغتنم احد الجنود فرصة غيابهِ عند خروجهِ من القدس ليمنع الآخرين عن الدنو منهُ ورمي النار في العتمة على الباب الذهبيّ فالتهب ونفذ لهيبهُ حالاً الى داخل البيت فابتلعتهُ النار. وحينئذٍ صدرت الاوامر بنقض الهيكل وكل المدينة الى الاساس ولم يغادروا منها الاثلاث قلع ومسافةً من السور كافية لتبوءِ المهاجمين عليهِ وكل ما بقي من محيط المدينة انهار الى الحضيض. فلم يبقَ منهُ طللٌ يستدلُّ منهُ على انهُ كان مسكونًا (تاريخ الحروب ك٧ ف ١ ر ١). والجيوش قلبوا ارض المدينة والهيكل في طلب الامتعة وكانوا يفتشون في كل مكانٍ حتى في البواليع والاقنية. وروى التلمود اليهودي واحد موءلّفيهم ميمونيديس ان ضابطًا من جيش تيطس حرث اخيرًا اسس الهيكل بالمحراث. وقال كبن قد جرَّ محراث على الارض المقدسة علامةً للعنة الدائمة. فتمت بذلك نبوة ميخا لذلك بسببكم تُفلَح صهيون كحقلٍ وتصير اورشليم خربًا وجبل البيت شوامخ وعر مي ٣: ١٢

فما اعجب اتمام نبوة مخلصنا بغاية الكمال والتدقيق. وقد بيَّن ذلك اليعازر وهو احد قواد اليهود في محاربة الرومانيين في خطابهِ لبقايا اليهود في حصن مسَدا الواقع على شاطي بحر لوط الغربي بقولهِ ابن تلك المدينة العظيمة المحصنة بالاسوار العديدة والقلع والابراج التي لاتكاد تسع الآلات المعدّة للحرب وكان فيها الوف وربوات من الرجال المدافعة عنها. قد انهارت الى الاساس ولم يبقَ فيها الاجيش المدمّر قائمًا بين خرابها. وايضًا بعض الشيوخ المنكودي الحظ الذين يضطجعون على رماد الهيكل ونفر قليل من النساءِ ابقاهنَّ العدو في الحياة لخزينا المرّ وعارنا المعيب انتهى (تاريخ الحروب ك ٧ ف ٨ ر ٧)

١٢ ان نبوة ربنا لم تنتهِ بنقض المدينة وابطال السلطان اليهودي الديني والمدني بل عينهُ التي ترى كل شيء تتبعت هذا الجنس التعيس في تشتتهِ ومصائبهِ التابعة فقال لهُ المجد ويقعون بفم السيف ويُسبَون الى جميع الامم لو ٢١: ٢٤

ولاحاجة الى ذكر عدد الذين وقعوا بفم السيف اتمامًا لهذا القول. فان الدم جرى نهرًا في اسواق اورشليم وكثيرون ممن نجوا من السيف أُسِروا وسُبوا الى انحاء الارض المتنوعة. وقبل ان أُخِذت المدينة قبل ان كثيرين من الهاربين وقعوا في يدي العدو وبيعوا هم ونساوءهم واولادهم ما عدا سبعة وتسعين الفًا خرجوا اسرى من اورشليم وحدها. وأُرسِل الى نيرون ستة الاف شابٍّ مختارٍ وبيع ثلاثون الفًا وكذلك سُبي جماهير كثيرة من المدن الاخرى الخَرِبة. اما اسرى اورشليم فأُخِذ منهم طوال القامة وحسان الصورة الى رومية للاحتفال بدخول تيطس ظافرًا والباقون أُخِذ كثيرون منهم الى مصر لكي تشغلهم الحكومة في الاشغال الشاقة. واما اكثرهم فوزِّعوا في الولايات

الرومانية والى جميع الامم اما ليُقتَلوا بالمصارعة اولِيُعرَّضوا للوحوش الضارية في مراسح التنزه

وتاريخ جميع شعوب اوروبا واسيا وافريقية من ذلك الوقت الى الآن مملوء من الشهادات لصدق الروح النبوي لذلك الذي انبأ بما سيحلُّ على اورشليم وبنيها من المصائب وهي آمنة وذات سطوة. ففي اية بلادٍ من العالم الذي كان معروفًا في ذلك الوقت لم يُضطَهدوا ويُسبَوا حسب هذه النبوات

ومما انبأ به الرب ايضًا قوله وتكون اورشليم مدوسة من الامم حتى تكمل ازمنة الامم

والامر مقرر من مقابلة آيات الكتاب المقدس ان مراد المخلص بقوله تكمل ازمنة الامم دخول الامم العمومي في الايمان بالمسيح وهذا لم يأتِ بعد. فلم تزل اورشليم مدوسة من الامم كما كانت منذ جرَّ محراث الخراب الروماني على خرِب هيكلها. ويد العناية الالهية في اتمام هذه النبوة المتواترة ظاهرة على نوع عجيب الى وقتنا الحاضر

ومما يجب الالتفات اليه في هذه النبوة على الخصوص امران . الاول ان اليهود لا يعودون يسكنون اورشليم الى ان تكمل ازمنة الامم . والثاني ان اورشليم تكون تحت تسلط الامم بل مدوسة منهم حتى تكمل ازمنة الامم . وقد بذل اليهود غاية جهدهم في الرجوع الى اورشليم واستيطانها واستعملوا جل ما امكنهم من الوسائط لمساعدتهم على ذلك ولم ينجحوا. لانهُ بعد طردهم من اليهودية حين تغلب تيطس عليهم بنحو اربع وستين سنة جدَّد القيصر ادريانوس بناء اورشليم على نوعٍ ما وجعلها كولونية او مستعمرة رومانية ومنع جميع اليهود عن الدخول اليها تحت قصاص الموت حتى ومن النظر اليها عن بعدٍ . فحنق اليهود من ذلك جدًا وثاروا بغيظ كلي وبهمة لا مزيد عليها على استرجاع مدينتهم من يد الامم وابوا الخضوع الاَّ بخسارة عظيمة من الرومانيين ومذبحة عظيمة فيما بينهم

ثم ثاروا ثانيةً في ملك قسطنطين الكبير فاصابهم كما في المرة الاولى وقُتل كثيرون منهم ووقعوا في ذلٍّ لا يوصَف. وفي عهد ابن اخت قسطنطين غاروا على تجديد بناء هيكلهم وساعدهم على ذلك عزم الملك يوليانوس الوطيد على فرض الديانة المسيحية . فاشتركت قوة قيصرٍ روماني جيوشه المظفَّرة عند قدميه وحماسة جميع بقايا الشعب اليهودي في بناء الهيكل وارجاع طقوسه القديمة اليه وجعل اورشليم كولونية او مستعمرة يهودية كثيرة السكان حول الهيكل . فمَن من الناس راى هذا العزم ولم يحكم حكمًا قاطعًا بنجاحهِ . وكان معظم قصد يوليانوس تحويل نجاح عمله الى دليلٍ جليٍّ ضد صدق النبوة وصحة الوحي فاصدر امرًا الى صديقهِ اليبيوس بترجيع هيكل اورشليم الى رونقهِ القديم وضمَّ الى همتهِ مساعدة حاكم فلسطين وبموجب طلب الامبراطور اجتمع

حالاً اليهود من جميع ولايات المملكة بابتهاج الظافر على تلال صهيون وكرّسوا مالهم وقوتهم ووقتهم حتى النساء اللطيفات المترفهات بينهم كرّسنَ انفسهنّ بحماسةٍ وغيرةٍ لا تُحدُّ لاستحضار الارض التي كانت حينئذٍ مغطاة بالاوساخ والردم. ولكن هل انجزوا ما شرعوا فيهِ كلا . بل ان الاسس لم تُكمَل. ولماذا. هل كان والحالة هذه يعوزهم بعدُ قوة او غيرة او مال او جَلَد كلا. قال كبن ومع ذلك لم ينجح اتحاد القوة والحماسة ولا تزال ارض الهيكل اليهودي باقيةً تدلُّ على خراب ودمار ذلك البناء لانهُ كانت يدٌ في ذلك غير منظورة لا تقهرها اليهود ولا القياصرة

اما وصف خيبة الامل باتمام هذا القصد التجاسريّ الكفريّ فذكرهُ مورّخ وثني نبغ في ذلك العصر كان في الخدمة العسكرية وفيلسوفًا في مبادىء يوليانوس واسمهُ مارسلينوس. قال واذ كان اليپيوس بمساعدة حاكم فلسطين يلحُّ بكل همةٍ وحماسةٍ على انجاز العمل كانت تخرج كرات نارية مريعة قرب الاساس على دفعاتٍ متواترة وتمنع من وقتٍ الى آخر الفعلة الملفوحين المشوَّهين من الاقتراب الى ذلك المكان. واذ استمرَّ هذا العنصر الظافر المهلك بردعهم على هذا الاسلوب عدلوا عن العمل انتهى . وقد اقرَّ كبن الملحد ان شهادة كهذه تقنع العقل المؤْمن وتدهش الكافر ولم يقدر ان ينكر ان زوبعةً وزلزلةً وانفجارًا ناريًا قلبت وبدَّدت اسس الهيكل الحديثة كما قد قرَّر ذلك وشهد بهِ مع فرق زهيد افاضل المعاصرين لهُ . قال كبن ان مؤَلفًا ذكر هذه الحادثة الغريبة في سنة حدوثها فقال بجراءةٍ ان هذا امرٌ يفوق الطبيعة لم ينكرهُ احد حتى كفرة العصر. ويوحنا فم الذهب وصفهُ على هذا الاسلوب قائلاً نحن شهود لانهُ حدث في عصرنا من برهة وجيزة وان ذهبتم الآن الى اورشليم ترون الاسس مفتوحة وان سالتم عن السبب لا تسمعون الاَّ ما ذكرناهُ الآن

ولكن ان كان يوليانوس قد فشل وخاب سعيهُ بواسطة قوةٍ عجيبة ام لا فتلك قضية لا يعنينا اثباتها . بل المحقق لدى الجميع امران الاول اتحاد قوة الامم وغناهم مع حماسة وحمية اليهود على دحض نبوة المسيح على تجديد بناء الهيكل واعادة طقوسهِ اليهِ ونظم اليهود امةً ايضًا حتى يستولوا على اورشليم. والثاني ان العمل ضد كل انتظار اذ لم يكن يعوزهُ شيءٌ بعد ولا يقاومهُ احد من الناس تُرِك فجاةً بسبب كثرة المناظر المريعة الغريبة التي كانت تخرج من موضع الهيكل الاصلي التي بها اضمحلت حماسة اليهود وفشلت عداوة يوليانوس للانجيل فهذه الدلايل التي لا تقبل الانكار برهان قاطع على ان يد الله القدير اجرت كل ما انبا بهِ ربنا . فاذا اعتبرنا الرغبة العظيمة بين جميع اليهود في كل قرنٍ في التمتع بالسكنى والموت في اورشليم وبذلهم بكل سخاء الحياة والاموال لاجل تجديد اقامة ابواب ومذابح المدينة المقدسة بل لاجل نوال الرخصة بالتمتع بنظر تلالها وكون عدد الامة الآن بقدر ما كان عليهِ في اي وقت كان من سطوتها ومجدها القديم وذهاب كل اجتهادهم

سدى وبقاءهم محرومين منذ خرابها الى وقتنا الحاضر السكنى على اسمها وكونهم لم يزالوا الى عصرنا الحاضر يُبلَصون ويظلَمون ظلمًا عنيفًا لاجل مشيهم في شوارعها والنظر من بعدٍ الى جبل المريّا الا نعترف ان نبوة مخلصنا على طردهم من اورشليم قد تمّت ليس فقط على اسلوبٍ مدهش بل رغمًا عن جميع الوسائط القوية الفعالة التي استُعملت لنقضها

وقد تنبي على اورشليم انهُ فضلاً عن استيلاء الامم عليها تكون مدوسة منهم حتى تكمل ازمنتهم ويتضح مما قيل سابقًا عما فعلهُ جند تيطس ومما حدث من ذلك الوقت الى الآن ان خراب الحرب واقدام الجيوش المتحاربة قد داست تلالها المنكودة الحظ . واورشليم المقدسة المذكورة في التاريخ مفقودة الان وليس اثر لقصبة داود وسليمان ولا تذكار منصوب للعصور اليهودية القديمة وقد تغيرت ايضًا هيئة وضع الاسوار وصارت حدود المدينة القديمة تحت الريب . فقد شهد اسر الشعب اليهودي مرارًا وتشتتهم في اقطار العالم وظلمهم ودوسهم من ذلك الزمن الى عصرنا الحاضر لصدق نبوة مخلصنا على نوعٍ عجيب

والامر الوحيد الذي بقي علينا ان نبينهُ من الامور الخصوصية في هذه النبوة المدهشة هو ان المخلص لهُ المجد قد عين زمان هذه الوقائع التي انباعنها بالتدقيق بقولهِ لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كلهُ . ولم يمضِ اربعون سنة من تاريخ هذه النبوة حتى تمّت الامور المشار اليها

وفي خاتمة كلامنا الآن نقول هل يمكن ان يُعترض على النبوة التي اوردناها بخفاء او التباس عباراتها . كلا . لان الامر واضح ان عباراتها بسيطة لا تحتمل غير تفسيرٍ واحدٍ . ولا يمكن ان يقال ما يخفض شان انتسابها الى الوحي من جهة كونها غير مقيدة في الفاظها لانها بغاية التدقيق والاستيفاء . ولا يمكن انكار ما بينها وبين تاريخ الازمنة والامكنة التي تشير اليها من الموافقة . وجميع ما اوردناهُ من الادلة هو من مصادر لا يمكن ان تُتهَم بالغرض او الميل الى صفات يسوع النبوية لانهُ من كتاب يوسيفوس اليهودي في حروب اليهود ومن سجل اخبار الايام لتاشيتوس الروماني ومن تاريخ انحطاط وسقوط المملكة الرومانية لكبن الانكليزي

فلا بد لقارىء هذه النبوات اما ان يعترف بانهُ كان ليسوع المسيح روح النبوة بالحقيقة او انهُ كان حاذقًا جدًا حتى قدر ان يخبر سابقًا عن كل هذه الامور الخصوصية التي لا يقدر غيرهُ ان يرى ما يدلُّ على حدوثها او ان الاناجيل الحاوية هذه النبوات قد كُتِبت بعد وقوع الحوادث . اما الاول فينكرهُ الكافر على كل حالٍ والثاني محال والاخير يعجز عن اثباتهِ ولذلك يجب عليهِ التسليم بان يسوع كان نبيًا بالحقيقة لا كما فعل فورفيريون الاميّ الذي اذ لم يسعهُ انكار المطابقة الدقيقة بين نبوات دانيال وتاريخ مصر وسور بافضّل تكذيب كل اصول شهادة التاريخ على الاعتراف بان

دانيال نبي بالحقيقة وذلك لاثبات زعمهِ ان دانيال كتب بعد وقوع الامور التي انبأ عنها . وقد نهج منهاجهُ حديثاً فورفيريون كثيرون واعتقدوا ان البشيرين كتبوا ما اوردوهُ من نبوة المسيح على اورشليم بعد خرابها . والسبب الوحيد المورد لسند هذا الاعتقاد هو ذات ما اجتهدنا في تبيينهِ اي الاتفاق المدقق بين النبوة والحادثة وقياسهم هو بمثابة قولهم اذا كانت هذه الامور قد كُتِبت قبل خراب اورشليم فيسوع نبي بالحقيقة ولكننا لا نعتقد انهُ نبي بالحقيقة اذاً هذه الامور لم تُكتَب قبل خراب اورشليم . اما فساد هذه النتيجة ووقاحة منتجيها وخلوها من المعنى ومخالفتها للتواريخ الصادقة ومناقضتها لكل مبادىء المناظرة المحكمة الراهنة ولراي العلماء في جميع العصور فلا تحتاج الى بيان . وهذا البرهان يتثبت ما في رفضهِ من العناد والوقاحة كما يتثبت من اتمام النبوة

ولا يخفى ان خراب اورشليم مع كل ما يتعلق بهِ من العلامات والضيقات مرموز بهِ في الكتاب المقدس الى حادثةٍ اعظم وارهب منهُ بما لا يوصف وهي انقضاء العالم . فانهُ سوف ياتي يوم فيهِ تظلم الشمس والقمر لا يعطي ضوءهُ والنجوم تسقط من السماء وقوات السموات تتزعزع . وحينئذٍ تظهر علامة ابن الانسان في السماء . آتياً على سحاب السماء بقوةٍ ومجدٍ كثيرٍ . فيرسل ملائكتهُ ببوقٍ عظيم الصوت فيجمعون مختاريهِ من الاربع الرياح من اقصاء الارض الى اقصائها مت ٢٤: ٢٩–٣١.
اما وقت مجيء ذلك اليوم فلا يعرفهُ احد . وما نعرفهُ عنهُ انما هو انهُ يوافينا كالموت . ولذلك يجب ان نستعدَّ لهُ كما نستعدُّ للموت الذي هو بالحقيقة لكلٍّ منا بمثابة مجيء ابن الانسان لانهُ

يختم على حالتنا الابدية . فألا ترفع الحكمة صوتها وتنادي يا بني البشر

استعدوا للقاء الهكم . لانهُ في ساعةٍ لا تظنون ياتي ابن الانسان .

اسهروا . اسلكوا كابناء النور . اتكلوا على مواعيد الانجيل

وعيشوا بالايمان بالمسيح يسوع ربنا . طوبى لذلك

العبد الذي اذا جاء سيدهُ يجدهُ

يفعل هكذا

م

الفصل السابع

شهادة العجائب

(وهي حسب ترتيبنا البرهان الرابع عشر على صدق الكتاب المقدس)

اولاً. كون العجائب ممكنة

قد قام قوم من الكفرة في كل قرنٍ وانكروا امكانية وقوع العجائب بانين ذلك على اسباب مختلفة ولكن اصل جميعها فساد تصورهم طبيعة الله ونسبتهُ الى الكون او ضلال في مذهبهم بخصوص نواميس الطبيعة او ترتيب نظام الكون . وربما في بعض الاحوال نتجت عداوتهم ومقاومتهم لاعتقاد العجائب من تاكيدهم انهُ اذا لم يمكن دحضها لا يمكن نقض صحة الديانة المسيحية. وقد بذلوا الجهد في الاعصار الحديثة هم والعقليون في مناقضة صدق عجائب الكتاب المقدس . فان هيوم في رسالتهِ على موضوع العجائب اخذ في بيان عدم امكانيتها ومناقضتها لشرائع الطبيعة وكون شهادة ضعيفة من قايلين على صدقها لا تقوى على الاختبار العمومي الذي يشهد بان نواميس الطبيعة لا يمكن نقضها

وقبل هيوم قصد سپينوزا ان يدحض صدق العجائب واسند ذلك الى عدم امكانية تغيير نواميس الطبيعة . ومن جملة ما قالهُ ان نواميس الطبيعة هي الامر الوحيد الذي منهُ نعلم ارادة الله بالتاكيد فلو احدث في الطبيعة ما يضاد تلك القوانين لناقض نفسهُ بذلك انتهى

ونرى في عصرنا هذا في مؤلفات العقليين وعلماء الطبيعة روح الميل الى تتبع خطوات سپينوزا وهيوم في انكار امكان العجائب ولزومها وتعليل كل حوادث الطبيعة والتاريخ التي يدعوها الكتاب المقدس عجائب بوسائط طبيعية وبيان كونها محصورة ضمن مجرى الطبيعة الاعتيادي . نعم قد حصل تقدم عظيم في علوم الطبيعة وتوضحت اسرار كثيرة كانت غامضةً وغير مفهومةٍ وسطع نور

عظيم على النواميس العمومية واعمال الطبيعة الغامضة غير ان كل ذلك لم يكن كافيًا لتعليل العجائب او ادخالها تحت قدرة البشر او ضمن دائرة الظواهر الطبيعية

ان آخرين يرفضون تصديق العجائب خيفةً من ان يُحسَبوا اصحاب خرافاتٍ ويظنون انهم اذا قبلوا عجائب الكتاب المقدس يلزمهم تصديق كثيرٍ من العجائب التي يدّعي بها المزوّرون بل كل ما يدعيهِ المشعوذون والسحرة. فهم في ذلك يتغاضون عن التمييز الدقيق في الكتاب المقدس بين الايمان والخرافة وبين قوة عمل العجائب والسحر. فسحَرَة الامم يدّعون ان قوة عمل العجائب خاضعة لهم واما الانبياء والرسل فلما صنعوا عجائب حسبوا انفسهم مجرّد آلاتٍ بيد الله فان بطرس بعدما شفى الاعرج قال لليهود لماذا تشخصون الينا كاننا بقوتنا او تقوانا قد جعلنا هذا يمشي. باسم يسوع المسيح الناصري وقف هذا امامكم صحيحًا اع ٣: ١٢ و٤: ١٠. والسحرة والعرافون يقصدون بصناعتهم تعظيم انفسهم (اع ٨: ٩) واما صانعو العجائب المذكورة في الكتاب المقدس فنسبوا كل المجد الى الله لانهم لم يعملوها بصناعتهم او بسلطانهم بل الله قد صنعها بواسطتهم. والابن نفسهُ لم يطالب بما عملهُ مجد نفسهِ بل مجد الآب (يو ٨: ٥٠ و٥٤). ولذلك لم يستطع اولئك المرسلون من الله ان يستعملوا السلطان الالهي بحسب ارادتهم بل بما انهم متحدون معهُ تعالى استعملوا ذلك بحسب تعاليمهِ ومقاصد مشيئتهِ

وكلُّ مَن لاحظ ما اتصف بهِ الروح الذي صُنِعت فيهِ عجائب الكتاب المقدس من الدعة والوقار وتوبيخ المخلص بعنفٍ للذين طلبوا منهُ صنع امورٍ غريبةٍ لغايات دنيةٍ ونهيهُ عن اشهار عجائبهِ مرارًا كثيرة (مت ١٦: ١-٤ و١٢: ٣٨ و٣٩ ومر ٨: ١١-١٣ ومت ٩: ٣٠ و١٢: ١٦ او١٦: ٢٠ ومر ١: ٤٤ و٣: ١٢) ثم قابل ذلك مع العجائب الافتخارية في بعض الكنائس النصرانية يرى ويقرُّ ان مثل تلك الشعبذات التي تُصنَع بخفة اليد والحيل والخزعبلات مع كل ما فيها من الرونق الخارجي ليست من الله على الاطلاق. ومن اول نظرة الى الادلة الداخلية على صدق العجائب والى ما تتضمنهُ من الصفات الدينية والادبية التي تدلُّ على سلطان الله وعلى طهارتهِ وحقهِ ايضًا وتبرهن انها منهُ يظهر انهُ ليس امرًا صعبًا على معتقد العجائب ان يبرّر نفسهُ من تهمة الخرافة

واذا تتبعنا امر انكار العجائب بين الكفرة الحديثين نصل الى اصلين رئيسين وهما (١) فساد رأيهم عن طبيعة الله و(٢) فساد مذهبهم من جهة الكون. فالى الاصل الاول مرجع مذهب الحلوليين. لان الانسان متى انكر استقلال وجود الله عن مادة الكون يعتقد بالضرورة ارتباطهُ بنواميس الطبيعة وعدم استطاعتهِ نقضها. والى الاصل الثاني مرجع مذاهب العقليين والكفرة الذين ينكرون مداخلة الله في امور الكون وعلة عللاً ما منها ويقولون ان الكون مستقل عن الله لانهُ

تُرِك بعد الخلق الى نفسهِ وهو يستمرُّ على حالهِ على طريقةٍ ميكانيكية اي انهُ يشتغل كما نشتغل آلةٌ ميكانيكية ولا يحتاج الى عناية الله الخصوصية لان شرائعهُ ونظاماتهِ مناسبة تمامًا لبقائهِ على حالهِ. وهذان الضلالان احدهما مناقض للآخر لان الله بحسب الاول مستغرق في الطبيعة وبحسب الثاني مستقل عنها استقلالاً تامًّا حتى لا يتداخل في امورها على الاطلاق . ولكن كليهما يتفقان في ان العالم على حالتهِ الحاضرة لا يقتضي لهُ بعد تداخل الهي خصوصي لاجل تتميم المقاصد الالهية وانهُ لا بد ان يبقى من نفسهِ على حالهِ بدون مداخلة خارجية طبقًا لنواميسهِ الثابتة

وقد زعم البعض ايضًا ان نواميس الكون تامة وحالة العالم الحاضرة كاملة ولذلك كل تداخل خارجي من اي اصل كان لا ينتج عنهُ الاَّ تشويش النظام

وفي هذه الآراء ثلاث ضلالات اساسية . الاولى فساد وبطل ما يُفترَض فيها من نسبة الله الى العالم . فان الله ليس مستغرقًا في الطبيعة ولا مستقلاً عنها تمامًا بل هو يفعل حسب مشيئتهِ في العالم مع كون جوهرهِ مستقلاً عنهُ وهو حاضر في العالم على كيفية فعلية محيية مع كونهِ في شخصيتهِ ليس مرتبطًا بهِ . فبناء على الاعتقاد بهذين المبدأين وهما الاول شخصية الله وانفصالهُ عن الطبيعة والثاني كونهُ هو العامل في العالم نسلم بمبدإ امكانية العجائب

واما الضلالة الثانية فمصدرها اعتبار العالم اعتبارًا فاسدًا اي انهُ كامل الاحوال لا يحتاج الى مداخلة الهية . على اننا نراهُ بالعكس اي انهُ في امورٍ كثيرةٍ غير كامل بل مشوش وانهُ بسبب التشويش الذي دخل من الخطية صار من اللازم مداخلة الله للاصلاح والترجيع الى الحالة الاصلية

واما الضلالة الثالثة الاساسية فهي الزعم ان مداخلة الله الفائقة الطبيعة يلزم عنها انقلاب وخراب امور الطبيعة المرتَّبة . اما نحن فنعتقد العكس اي ان تداخل الله هو للبنيان ليس للخراب وهو واسطة الشفاء والاصلاح وترجيع الاحوال التي خُربت بسبب الخطية والموت

ان اعتقاد امكانية العجائب هو نتيجة ضرورية من العلم الصحيح بالله اي متى عُلِم ان الله هو كائن مستقلٌ حرٌّ قادرٌ على كل شيء وفاعل على الدوام في العالم ينتج بالضرورة من ذلك امكانية حدوث العجائب . فقولنا هل العجائب ممكنة هو مثل قولنا هل يوجد اله خالق العالم ويحفظهُ . وكل من يعتقد وجود الاله الحي يلزمهُ اعتقاد العجائب لان وجودهُ تعالى اعجب العجائب . واما الاعتراض بكون العجائب فوق قوة الله فيسقط من عين اصلهِ اذا راجعنا ما فعلهُ تعالى في خلقهِ العالم . لانهُ اذا استطاع ان يعمل عجيبةً بعد اخرى عند خلقهِ العالم لماذا لا يستطيع ذلك بعدئذٍ . وفي تسليم طائفة العقليين بعجيبة الخلق وانكار امكان حدوث عجائب اخرى تناقضٌ عظيم . لان ما فعلهُ الله مرةً لا بد ان يكون في كل حين قادرًا على فعلهِ والاَّ فلا يبقى الهًا

واذا أُعترض بان العجائب مناقضة للترتيب الثابت الذي عدم تغيُّرهِ هو الضامن الوحيد لدوام وجود العالم المتعلق بعضهُ ببعضٍ تعلقًا تامًّا حتى ان اقل خللٍ فيهِ يحدث تشويشًا كليًّا اي كما قال ستراوس ان العجيبة انما هي خرق في العالم او نقض اتفاق الطبيعة . نجيب

١ لا يمكن التسليم بوجود سلسلة متصلة من العلل والمعلولات في الخليقة منذ الازل الى الآن . والأَّ فما هو اصل وجود الحياة الآلية . لان من حقائق العلم المثبتة حديثًا ان الحياة لم توجد منذ الازل على الارض . وذلك يوافق مذاهب اليوكيوفيا مي من مدة طويلة من انهُ يمكن التحقيق بسهولة عن زمان ابتداء الحياة واثبت ذلك لِيبِيغ بقولهِ ان بعض الفلاسفة اعتقدوا وجود الحياة منذ الازل على انهُ يتبرهن من العلوم الطبيعية ان الارض كانت وقتًا ما في حالةٍ لا يمكن وجود الحياة الآلية فيها ومن ثم ينتج انهُ لابد ان يكون لها بداية انتهى

وقد ثبت ايضًا حديثًا من العلم الطبيعي انهُ لا يمكن التسليم بصدور الحياة الآلية ولو مهما كانت دنية من المادة غير الآلية . قال مُولَرولم يفنّدهُ احدٌ بعدُ انهُ لا يمكن صدور حياة آلية من المادة العديمة الحياة الأَّ بتوقيف النواميس الطبيعية على نوع عجيب انتهى . فنتج من ذلك وجود بداية لا يمكن تعليلها الأَّ بافتراض الخلق وذلك هو في نفسهِ عجيبة . ثم كيف وُجدت الحياة الروحية في العالم وكيف وُجد في الانسان ناموس الضمير الذي يسمو في نفسهِ على كل نواميس الطبيعة . فيتبين من هذا ان السلسلة المزعومة تنقطع هنا ايضًا . اذًا في الطبيعة المزعوم كمالها خروقًا كثيرة متسعة لا يمكن رفعها ولا تعليلها الأَّ باعتقاد قوة الله العجيبة . وهذه الحقائق لا تضادُّ الطبيعة نفسها بل الاعتقاد الفاسد عنها الذي هو اصل انكار العجائب

اما نظام الخليقة فلا يتعطل بالعجائب لا طبيعةً ولا ترتيبًا بل يبقى اعتبارهُ مقدسًا كما يتبين مثلاً من عجيبة تجسُّد المسيح الذي أُعتبرت فيهِ جميع نواميس الحوادث التاريخية كما قال الرسول لما جاء ملءُ الزمان ارسل الله ابنهُ غل ٤:٤ . وايضًا نظام الطبيعة . فلا نقرا ان المسيح نزل من السماء بهيئة ابن ثلاثين سنةً ولا ان هيئتهُ كانت مجرَّد خيال بل خضع جسدهُ من اللحظة التي تكوَّن فيها بامر الله لشروط الولادة الطبيعية والحياة الشخصية بتقدمٍ تدريجيٍّ . ثم حفظ ايضًا الناموس الادبي وناموس امة اليهود الشعبي فصار تحت الناموس وتمم كلَّ برٍّ وكان خاضعًا لابويهِ . وظهرت آداب سيرتهِ في حياتهِ تحت تجاريب وامتحانات مستمرّة وفي طاعتهِ لابيهِ السماوي حتى الموت . فهل يمكن ان مجد الله يخضع للطبيعة والتاريخ البشريين باكثر مما جرى في حياة وموت المسيح

واما العجائب التي اجرى فيها الله نتائج فوق الطبيعة بواسطة توسيع فعل الطبيعة القانوني (مثل الطوفان وكثير من عجائب موسى) ففيها حُفِظ الترتيب الطبيعي على حالهِ . ففي هذه الامور

فعل الله نفسهُ ما يفعلهُ الانسان ولكن في دائرةٍ اسمى واعظم بما لا يقاس . لان الانسان بواسطة تدبيرو وتوسيع قوات الطبيعة في الصنائع يخرج نتائج لا يمكن للطبيعة لو تُركت لنفسها ان تخرجها . ولكن ما يستطيع الانسان عملهُ يستطيع الله عملهُ ايضاً الى غير قياس . فالذي خلق الطبيعة ورتب مجاريها وهي لديهِ واضحة وجلية في كل اجزائها لا بد انهُ يعلم جيداً كيف يديرها اكثر من البشر

واذا أُعترِض بان العجائب وان لم تناقض قوة الله تضادُّ علمهُ بكل شيءٍ الامر الذي ينتج عنهُ انهُ راى سابقاً كل الاشياء ورتبها تماماً ولذلك لا يكون داعٍ الى مداخلتهِ على كيفية غير اعتيادية . (وعند اصحاب هذا الاعتراض تلك المداخلة لا تكون الاَّ عند وجود نقصٍ في الترتيب الاصلي وذلك على قولهم لا يحتمل وجودهُ في الكون الكامل الذي خلقهُ الله)

اما الجواب القاطع لهذا الاعتراض فهو ان ترتيب الله لا يحتاج الى مساعدة واصلاح بل نحن البشر الجنس الساقط نحتاج الى مساعدة الهية في كل امورنا الشخصية والجمهورية وغاية العجيبة ليست تصليح الترتيب الاصلي ولا لها تعلق بهِ بل تثبيت وتوضيح الاعلانات الالهية . فهذا الاعتراض مبني بالكلية على عدم ادراك اولئك الكفرة الغاية الادبية في العجائب

ثانياً . كون العجائب مرجحةً ايضاً

لا ريب في انهُ ليس فقط من الممكن بل من المرجح ان الله يعمل عجائب تثبيتاً لاعلانهِ مشيئتهُ للبشر . فاذا نظرنا الى الغاية المقصودة عنهُ نقول ان عملهُ العجائب قريب للعقل وهو من المحتمل ان الله الماسك نواميس الطبيعة بيديهِ متى شاء يوقفها لغاية مناسبة او يتسلط عليها او يقرن بها نواميس اخرى لكي ينتج من ذلك عجيبة محسوسة يقتنع ادنى العقول باصلها الالهي . وما يستحق الاعتبار هنا هو السوال ألا يقتضي عمل عجائب لاثبات ما اعلنهُ الكتاب المقدس من التعاليم الدينية . وليس السوال هل لنا دليل قاطع ما عدا العجائب يجعلنا نصدق الكتاب المقدس ونطيعهُ بل هل كان البشر كما هم الآن يؤْمنون بالكتاب المقدس ويقبلونهُ كما من الله بدون عجائب

فهاتان المسالتان متباينتان . لانهُ كيف كان ممكناً ان المسيح يبرهن ارساليتهُ لليهود بدون عمل العجائب وكيف كان ممكناً ان الديانة المسيحية تتقدم اولاً وتنهض ضد مقاومات العالم وكفرهِ بدون عجائب . ثم ما يرجح ايضاً حدوث العجائب ان الكتاب المقدس يتردد الذين يرفضونهُ ولا يقبلون من قلوبهم رئيس الايمان المسيحي العظيم باشد القصاصات . فكل هذه التهديدات

الصارمة لم يكن لها محل لولم تُقدَّم براهين قاطعة ومهمة على تلك الحقائق مثل العجائب

ثم ان المسيح قد بنى على عجائبهِ صحة مدعاهُ بانهُ ابن الله . فقد قال علانيةً ما يفيد ان البشر لم يكونوا ملزومين بتصديقهِ اولم يعمل اعمالاً هي فوق طاقة البشر والملائكة لا يستطيع عملها الاّ الله المدبر وحدهُ نواميس الطبيعة ويقدران يوقف مجراها العام . فاذا تاملنا عظم الغاية المقصودة وان نفس وجود الديانة المسيحية كان متوقفًا على العجائب نرى انهُ من المرجح ان الله يعملها . واذا نظرنا الى مناسبة الكتاب المقدس لاحتياجاتنا نرى من المناسب ان يكون لهُ ختم الهي دالٌّ على ان اصلهُ من الله . فهو كساعة محكمة الصناعة كلُّ دولابٍ منها موضوع في مكانهِ وكل جزءٍ مناسب لوظيفتهِ المخصوصة افليس من المناسب والمرجح ان تجعل لها عقارب للدلالة على الدقائق والساعات اي ان تصنع العجائب لبيان غايتهِ العظيمة

ثم ان في الكتاب المقدس اعلانًا عن عمل الفداء العظيم المناسب لجميع احتياجاتنا غير انهُ يلزم اثبات كون هذا الكتاب من الله والاّ فملايين ممن يقبلونهُ يرفضونهُ لهلاك نفوسهم فهل لا يرجح جدًّا ان الله غير المحدود في حكمتهِ وجودتهِ وقدرتهِ يجعل لهُ هذه الاثباتات . وهو سبحانهُ حكيم ويعرف كيف يجعل الفداء موكدًا ومكفولاً فمن قبيل حكمتهِ عمل العجائب مرجح جدًّا . وهو جواد ورحيم كما هو قادر وحكيم فمن قبيل رحمتهِ ايضًا يكون عمل العجائب مرجحًا

ثم بما ان المسيح ادَّعى انهُ من الله وانهُ هو الله ظهر بالجسد وذكر تكرارًا ارساليتهُ الالهية ونسب الى نفسهِ غاية فداء النفوس وخلاص العالم كان من الواجب ان يبني على العجائب برهانهُ العظيم على مجيئهِ الفائق الطبيعة الى الارض . فقد قال جهارًا انهُ لولم يعمل ما لا يستطيع احد عملهُ لما وجب على احدٍ الايمان بهِ ونطق باعظم التهديدات على الذين لا يؤْمنون بهِ لانهم ابوا تصديق ما لا ينكرهُ العقل . فمن النظر الى ارسالية المسيح باجمالها والعصر الذي ظهر فيهِ والاعداء الذين قاوموهم وجميع الموانع الصعبة نرى شدة لزوم العجائب لنجاح الديانة المسيحية . فهل لا يحق لنا والحالة هذه ان ننتظر ان الله الحكيم الرحيم القادر على كل شيءٍ يمنح العالم هذه العلامات والاثباتات

واما السبب العظيم لرفض كثيرين للعجائب فمصدرهُ ضلالاتان

الاولى عدم اعتبارهم وجود الهٍ مستقل غير محدودٍ في الحرية والسلطان مخضع لنفسهِ ولارادتهِ تمامًا كل الشرائع هو الاصل المطلق لكل موجود ولكل النواميس المادية وغير المادية

والثانية عدم تسليمهم بقوة غير نواميس الطبيعة واعتقادهم ابدية دوامها وعموميتها . ولا حاجة الى بيان فساد هذين المبدابن لانهُ ظاهر

ثالثًا . حقيقة العجيبة الصحيحة وشروطها

العجيبة الصحيحة هي اجراء القوة الالهية راسًا لاتمام نتيجة خارقة العادة وفوق مجرى الطبيعة المعروف لغايةٍ حكيمة ومناسبة ولذلك يجب ان تتم فيها الشروط الآتية

١ . ان تُصنع بقوة الهية

٢ . ان تكون تلك القوة فوق الطبيعة وليس فوق قدرة البشر فقط . لذلك لا يستطيع البشر ولا الملائكة ان يصنعوا عجيبةً صحيحة بمجرد قوتهم

٣ . ان تُصنَع بدون وسائط . ولكن اذا اراد الله او استحسن لسببٍ ما ان يستعمل وسائط على كيفيةٍ عجيبة وخارقة العادة تبقى تلك الحادثة عجيبة

٤ . ان يكون اجراء القوة الالهية في دائرة الماديات ويمكن ادراكها بالحواس

٥ . ان يكون للعجيبة الصحيحة غاية حكيمة ولائقة

رابعًا . علامات العجيبة الصحيحة

ليس كل ما يُدَّعى بانهُ عجيبة هو عجيبة صحيحة . لانهُ يمكن ان تحدث اعمال غريبة جدًا بواسطة حذاقة البشر ومهارتهم وعلى الخصوص بواسطة استخدام تاثيرات وقوات الطبيعة . وقد ادَّعى كثيرون بالعجائب ولم يكن ذلك الاَّ من باب الخداع او المهارة فلذلك يلزم وضع علامات كافية للتمييز بين صحيحها وكاذبها . وهاك بعض الاقيسة التي لايمكن ان نُقبَل عجيبة ما لم تطابقها تمامًا

(١) يجب ان يكون القصد بالعجيبة لايقًا ومناسبًا . لانهُ من قبيل الاهانة لشانهِ تعالى ان ننتظر انهُ سبحانهُ يتداخل هكذا لسبب غير لائقٍ او غير مهمٍ

(ب) ان تكون العجيبة بالنظر الى ماهيتها قابلة الامتحان اي ان تكون مما يُدرَك ببعض الحواس الخمس او كلها لكي يستطيع البشر ادراكها ويحكمون بصحتها

(ج) ان تكون ظروفها واحوالها ايضًا موافقة لاظهار ماهيتها اي ان تُعمَل علانيةً امام عددٍ كافٍ من الشهود الذين يعتمد عليهم . والاَّ فتكون تحت الشك ولا تستحق التصديق

(د) ان يكون لها شهادة واضحة وكافية ممن يعتمد عليهم من الشهود الذين صُنِعَت امامهم

خامسًا. كيفيّة التمييز بين صحيح العجائب وكاذبها

١ ان بعض العجائب تظهر فيها جليًا قوة الله بحيث لا يشك احد ان الله فاعلها وانها لذلك عجائب صحيحة

٢ ان غيرها يجب اختبار صحتهِ بعرضهِ على مقياس العجائب الصحيحة وهو ما ذكرناهُ آنفًا من العلامات لذلك . ومما يمكننا ان نزيدهُ على ما تقدم انهُ لا يمكن عمل عجيبة صحيحة بقصد الغش اولعضد الكذب اواثبات الخداع اوتقدم الضلال . ومثل هذه العجائب تُدعَى كاذبةً لان اصلها كاذب اذ ليست من الله الصادق بل من ابليس وجنودهِ اومن اناس اردياء خداعين . وايضًا بالنظر الى غايتها التي هي اما اسناد الكذب او اثبات الخداع ولذلك تدعى في الكتاب المقدس عجائب كاذبة

سادسًا . امكان وقوع العجائب والآيات الكاذبة في تاريخ الجنس البشري

ان الكتاب المقدس قد انبأ صريحًا بحدوث عجائب وآيات بقوة غير قوة الله ولذلك تُدعَى كاذبةً . فانهُ يمكن ان تفوق حادثة ما قوة الانسان وتكون ضمن دائرة قوة الملائكة . وقد تُوسّع باستعمال كلمتي آيات وعجائب في الكتاب المقدس المختصتين بالتعبير عن اعمال الله حتى أُطلقتا على اعمال الملائكة الاشرار ايضًا . على ان العجيبة الصحيحة على موجب التعريف السابق هي اجراءُ قوة الهية فلذلك لا تكون العجائب الكاذبة التي هي اجراءُ قوةٍ فوق طاقة البشر فقط عجائب صحيحة ولئن كانت تلك العجائب تحت تسلط الله وقد اخذ الملائكة القوة لصنعها اصلاً من الله خالقهم . ولكن ليس الله بسبب ذلك مسئولاً عن اعمال الملائكة الاشرار

والصعوبة في تمييز العجائب الصحيحة عن الكاذبة اي بين اعمال الله واعمال الشيطان قد عرفها الكتبة الاطهار وتكلموا عنها . قال موسى في تث ١٣: ١-٣ اذا قام في وسطك نبيٌّ اوحالم حلمًا واعطاك آيةً اواعجوبة ولو حدثت الآية او الاعجوبة التي كلمك عنها قائلاً لنذهب وراء آلهةٍ اخرى لم تعرفها ونعبدها فلا تسمع لكلام ذلك النبي . وقال مخلصنا في مت ٧: ٢٢ و٢٣ كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يارب يارب اليس باسمك تنبأنا وباسمك اخرجنا شياطين وباسمك

صنعنا قوات كثيرة . فحينئذٍ اصرّح لهم اني لم اعرفكم قط اذهبوا عني يا فاعلي الاثم

وفي مت ٢٤ : ٢٤ لانهُ سيقوم مسحاء كذبة وانبياء كذبة ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا اوامكن المختارين ايضاً . وفي ٢ تس ٢ : ٩ علم الرسول ان مجيء انسان الخطية يكون بعمل الشيطان بقوات وآيات وعجائب كاذبة . فمن هذه الآيات نتعلم ان الحوادث الفائقة الطبيعة وقدرة البشر يمكن ان تحدث بفعل كائنات عاقلة سامية ولكنها والحالة هذه لا يسوغ ان تُحسب من باب العجائب الصحيحة اذا كان فاعلها شريراً او قد عُملت لقصد ردي . وعلى هذا البناء اجاب مخلصنا الفريسيين عند ما قالوا انهُ يخرج الشياطين ببعلزبول رئيس الشياطين جاعلاً القصد الذي لاجلهِ عمل آياتهِ برهاناً على انهُ لا يمكن نسبتها الى قوة شيطانية . لان الشيطان لا يعمل شيئاً بقصد اثبات الحق اولاجل الخير والله لا يعمل شيئاً بقصد اثبات الكذب اولاجل الضرر . وعلى ذلك صفة فاعل العجيبة والقصد المراد بها هما دليلان على كونها حقيقية اوكاذبة . فاذ ذاك اذا صُنعت عجيبة لعضد الصلاح فهي من الله اولعضد الشر فهي من الشيطان

وهذا من جملة اسباب عدم اعتبار المسيحيين العجائب التي تدعيها بعض الكنائس النصرانية . لان لا واحدة من الف منها تحتمل الفحص واكثرها خداع من اهل الوقاحة يعملونها بصورة التقوى لعضد نظامٍ ضد نظام المسيح ولذلك يُستغنَى عن دحضها بواسطة الفحص المدقق عن ماهيتها اوعن الظروف والاحوال التي صُنعت فيها اوعن البرهان على اثباتها

سابعاً . امكان اثبات العجائب من الشهادة البشرية

قد قيل ان هذا لا يمكن ومن اشهر الذين حاولوا اثبات هذا القول هيوم الكافر الانكليزي وهذا ملخص كلامهِ بهذا الشان

ان تصديقنا بحقيقةٍ ما بناء على شهادة المعاينين مبني على اختبارنا بثبوت الشهادة البشرية . فاذا كانت الحقيقة المشهود لها عجيبة فقد وقع الاختلاف بين اختبارين متناقضين اي قد قام برهان ضد برهان فالعجيبة هي نقض نواميس الطبيعة وبما ان الاختبار الثابت الراسخ قد اثبت هذه النواميس فالبرهان ضد العجائب المبني على هذا الاختبار الثابت هو كامل بقدر ما يمكن من هذا القبيل واذ ذاك لا يمكن دحضهُ ببرهانٍ ما مبني على شهادة عدد قليل من البشر شهادتهم تحت الشك لان قوتها المبنية على اختبارنا صدق شهادة البشر لا يمكن ان تفوق قوة اختبارنا ثبوت الشرائع الطبيعية انتهى

والامر واضح ان هذا البرهان مبني على مقدمات فاسدة وهي (١) قولهُ ان العجائب نقض نواميس الطبيعة. فهذا فاسد لان العجائب زيادة على كونها لا تنقض تلك النواميس يُراد بها ان تثبت ثانيةً نظام العالم الادبي المخرب ولا تضر بنواميس الطبيعة . (٢) قولهُ ولكننا نعلم من الاختبار ان نواميس الطبيعة لا تقبل النقض . وهذا فاسد لاننا نحن كثيرًا ما نتداخل بحسب ارادتنا السامية في نواميس الطبيعة ونوقفها بدون ان ننقضها . (٣) قولهُ ليس لنا عن العجائب الّا شهادة اشخاص قلائل وشهاداتهم تحت الشك . وهذا فاسد ايضًا لان الكتاب المقدس مملوء من ذكر عجائب والشهادات عليها ليست تحت الشك . ثم قال ولنا ضدها شهادة الاختبار العامة وهذه الشهادة القوية تبطل ما هو اضعف منها وتحت الشك

فالمحور الذي يدور عليهِ اعتراض هيوم هو ان تصديقنا الشهادة مبني على مبدا واحد فقط وهو اختبارنا ثبوت الشهادة البشرية على الغالب . ولذلك بما ان العجيبة مضادة على رايهِ للاختبار فهي تضاد نفس اساس البرهان على صدقها واذ ذاك تكون هادمة نفسها. فلنسال المعترض على فرض مضادة العجائب للاختبار ايُّ اختبار تضادهُ العجائب . لانهُ لا يكفي القول انها مضادة لنوع من الاختبار بدون تعيين ذلك النوع . فاعتراض هيوم يلزم عنهُ بالضرورة ان العجيبة تضادُّ اختبارنا بثبوت شهادة البشر لانها مثبتة بهذا النوع من الاختبار. وهذا باطل لان العجائب ليست مناقضة لاختبارنا بثبوت شهادة البشر بل بالعكس انكارنا حدوث العجائب يضادُّ صريحًا على الاطلاق كل اختبارنا بصدق الشهادة البشرية

وايضًا لا نسلم بان تصديقنا الشهادة مبني على مجرَّد اختبارنا بصدقها كما قال المعترض . وبرهان ذلك سهل . فانهُ لا يعتمد احد على الشهادة مثل الذين ليس لهم شيء من الاختبار كالاولاد مثلاً الذين هم اكثر الناس تصديقًا بصحة الشهادة الذين لو توقَّف قبولهم العلم والفوائد واجتنابهم الاضرار على اختبارهم صدق آبائهم او مرضعاتهم او معلميهم اولاً لكان ذلك مستحيلاً عليهم. والحق هو ان الاختبار مدرسة نتعلم فيها الشك في صدق الشهادة وليس هو اساس تصديقنا بها. فلذلك نرفض كل الرفض ببرهان عقلي اساس الاعتراض الذي نحن في صدد الرد عليهِ

ولهذا الاعتراض سند آخر ايضًا وهو ان العجيبة مضادة للاختبار لانها نقض نواميس الطبيعة

فنجيب ان العجائب ليست نقض نواميس الطبيعة بل هي العدول عن تلك النواميس او عن كيفية العمل الاعتيادية التي رتبها الله . ولكن لندع ذلك ونسال ما هو المراد بمناقضة العجيبة للاختبار . فهل اختبرنا نحن او احد غيرنا ما يضاد عجائب المسيح . اما هذا فلا يمكن تصورهُ الّا اذا

كنا حاضرين حيث قبل ان العجيبة قد حدثت كما في قيامة لعازر مثلاً ورايناانهُ بقي ميتاً ولم يقم .
وهذه هي الطريقة الوحيدة التي بها نستطيع ان نتصور المناقضة بين العجائب والاختبار . لان قيامة لعازر لا تضاد اختباري اكثر مما يضادهُ وجود البركان مثلاً . وكل ما يمكنني ان اقولهُ عن كلا الامرين بهذا الخصوص هو انني لم اختبرهما فهما فوق اختباري وليسا مضادين له

فما هو مراد المعترض بالاختبار هنا هل يريد بهِ الاختبار الشخصي لكل واحد او اختبار كل الجنس البشري فاذا كان الاول ينتج عنهُ ان الشهادة لا تؤكد لنا شيئاً لم نختبرهُ شخصياً وهذا يفضي بنا الى اعمق دركات الكفر. لانهُ جعل اختبارهُ المحدود بالزمان والمكان مقياساً لكل ظواهر الطبيعة منذ وجودها. فكل ما اختبرهُ من تلك الظواهر صحيح وما لم يختبرهُ لا يمكن ان يكون صحيحاً. حُكِي ان ملك صيام اندهش الى الغاية عند ما اخبرهُ سفير هولاندا ان المياه في بلادهِ تتجمد احياناً لانهُ اذ كان في الاقاليم الاستوائية لم يحصل على اختبار مثل هذا الامر الغريب عندهُ فلو جعل اختبارهُ مقياساً لصدق الخبر لانكرهُ ولو فعل ذلك لفعل بحسب مبدا المعلم هيوم وكل من يجاريهِ في جعل اختبارهِ الشخصي مقياساً لكل امرٍ

واذا كان مرادهُ بالاختبار اختبار العالم في كل الاجيال فبرهانهُ فاسد لانهُ موَّسس على الفساد . لان ما دعاهُ جهلاً اختباراً ليس من باب الاختبار بل من باب الشهادة التي قصد انكار قوتها . لان الاختبار لا يكون الاَّ شخصياً. فاختبار المعلم هيوم هو اختبارهُ وحدهُ المحدود بزمان حياته الشخصية ومكانها . فلم يكن ولا كان ممكناً ان يكون لهُ شيء من الاختبار الاَّ اختبار شخصهِ . واختبار الآخرين انما هو اختبارهم وحدهم لا اختبارهُ وانما يحصل على العلم باختبار الآخرين من شهادتهم لا غير . فلذلك يكون تصديقهُ بثبوت الطبيعة مبنياً ليس على الاختبار بل على الشهادة . واذا تركنا اختبارهُ الشخصي الجزئيّ في مدة سنين قليلة فاساس تصديقهُ كلهُ هو الشهادة كما انها هي اساس تصديق المسيحيين لعجائب الكتاب المقدس

ثم ما هي شهادة البشر بخصوص ثبوت الطبيعة. قد زعم المعلم المذكور ان هذه الشهادة واحدة. ولكن زعمهُ فاسد. نعم ان الناس يشهدون بثبوت الطبيعة ان نواميسها ثابتة واكيدة في عملها المتعارف وان ثبوتها اكيد يعتمد عليهِ الاشخاص والجماهير في كل اعمال هذه الحياة وان الارض تبقى بلا شك زرعاً وحصاداً وبرداً وحرًّا وصيفاً وشتاءً نهاراً وليلاً لا تزال . على ان الناس يوكدون بنفس هذا الوضوح عكس ذلك اي انهُ في بعض الاحيان والامكنة جرت عدولات عن مجرى الطبيعة وظواهر فوق العادة وخضع ما هو ماديّ لما هو ادبي وروحي وجرت حوادث هي ضمن دائرة قوة الله فقط . والقصد بحدوثها تبيان رحمتهِ ومحبتهِ . فهذه شهادة الناس من جهة الامور الطبيعيَّة اي انها ثابتة في

اعتبارٍ واحدٍ وغير ثابتة في اعتبار آخر . وهي ليست فقط قابلة التصديق في كلا هذين الاعتبارين من حيث صدورها من معاينين برّكن اليهم بل بحسب مقتضى العقل ايضًا اذا صح وجود عالم الارواح وعالم المادّة معًا

فاذا صحّ برهان هيوم يتبيّن منهُ ليس فقط عدم امكان اثبات العجائب بالشهادة بل ان العجائب لا يمكن اثباتها على الاطلاق . ولكن لا احد ينكر امكان عمل الله عجيبة وبالنتيجة امكان صحة العجائب المذكورة في العهد الجديد . واذ ذاك كيف يمكن برهان صحتها اذا كان لا يمكن اثباتها من الشهادة حسب قول المعترض وليس لنا بعدُ برهان آخر اعتيادي البتة لان البرهان التعلقي الباقي لنا المبني على الحواس هو من قبيل الشهادة ايضًا . اذًا نحتاج لاثبات العجيبة الى برهانٍ غير اعتياديّ وهو عجيبة . فنتج انهُ يقتضي لاثبات صدق عجائب العهد الجديد عجائب متواصلة قرنًا بعد قرنٍ وهذا لا يقبلهُ العقل السليم اذ ينتج منهُ ان المسيح القادر ان يفتح عيون العمي ويقيم الاموات عاجزٌ عن اثبات صدق هذه الاعمال للاجيال التابعة بدون تكرارها بنفسها على الدوام امام عيني كل شخصٍ بمفردهِ . ولا يمكن التخلُّص من هذه النتيجة الفاسدة الاَّ على طريقةٍ واحدة وهي الانكار المطلق لامكان صنع العجيبة ونفي حدوث تلك العجائب

ولا يخفى عظم الجهالة المتضمنة في انكار امكان حدوث العجائب بناء على عدم وجود مثلها في مجرى الطبيعة لان العجيبة طبعًا خارجة عن مجرى الطبيعة غير ان انكارها يتضمن ايضًا ما هو اعظم من ذلك وهو انكار قدرة الله على كل شيء . لانهُ اذا لم يكن ما يقنعنا بان الله يستطيع عمل امرٍ يخالف مجرى الطبيعة ويفوقهُ ليس ما يقنعنا بانهُ قادر على كل شيء او انهُ متسلط على الطبيعة او انهُ خالق وحافظ ومتسلط على كل شيء . فنتج ان هذا البرهان يتضمّن انكار صفات الله الكاملة وهذا هو عين الكفر . وليس محلٌّ للتوفيق بين المبدإ الجوهريّ في برهان هيوم والدرجة الاخيرة من الكفر المحض التي هي انكار الله . وبموجب ذلك لم يكن هيوم يعتقد وجود الله . نعم انهُ لم ينكر ذلك صريحًا الاَّ انهُ لم يستطع القول انهُ يؤمن بهِ . فكان انسانًا بلا الهٍ ولا رجاء مشتغلاً في مسائل ومباحثات الكلام برفض اعتقاد الحياة والخلود لسبب طفيف الامر الذي يخجل منهُ كل ذي ذوقٍ سليم

ثامنًا . الادلة على صدق عجائب الكتاب المقدّس

١ كمال علامات العجيبة الصحيحة فيها وهي . (١) مناسبة القصد فيها ولياقتهُ . فانهُ يليق بالله ان

يعطي جنسنا الساقط اعلانًا فائق الطبيعة ويثبتهُ ببراهين فائقة الطبيعة ايضًا. (ب) قابليتها امتحان الحواس وشهادتها لصدقها. لان عجائب الكتاب ضمن دائرة ملاحظة البشر وفحصهم المدقق. (ج) عملها علانيةً امام شهودٍ كثيرين قادرين ان يميزوا صحتها. فلم تُعمَل واحدة منها سرًّا بحيث لاتقع تحت فحص الناظرين ولا بعد سبق ترتيب الزمان او المكان او الاحوال او الوسائط بل علانيةً امام اعين الناس ظاهرًا بحسب اقتضاء الحال او سنوح الفرصة. وامام كثيرين من اعداء صانعيها الذين قصدوا اظهار كل ما يمكنهم ان يروهُ من الغش فيها. (د) شهادة جماهير لها يركن اليهم ممَّن صُنِعَت امامهم

فان عجائب المسيح مثلاً قد شهد لها جليًا اولاً احبابهُ وتلاميذهُ وليس سبب يحملنا على انكار شهادة هولاء او عدم الاعتماد عليها لانهم من العقلاء الامناء الصادقين الذين برهنوا على امانتهم بسيرتهم وتمسكهم الشديد بالمسيح وكثيرون منهم ختموا شهادتهم بدمائهم. وقد ادَّوها جهارًا ولم يقاومها احد وذلك في الوقت والمكان اللذين صُنِعَت فيهما وبين الشعب الذي صُنِعَت امامهُ. قال بطرس للالوف المجتمعين في اورشليم يوم الخمسين كما انتم تعلمون اع ٢: ٢٢. وبولس بعد ان اوضح اعظم حقائق الديانة المسيحية امام فستوس واغريباس والقواد ووجوه المدينة في قيصرية صرخ بلا خوفٍ قائلاً من جهة هذه الامور عالم الملك الذي اكلمهُ جهارًا اذ انا لست اصدق ان يخفى عليهِ شيءٌ من ذلك لان هذا لم يُفعَل في زاويةٍ اع ٢٦: ٢٦. وهكذا فعل كل التلاميذ فانهم نادوا في كل مكان بكلام يسوع المسيح واعمالهِ العجيبة

وقد شهد لها ايضًا ثانيًا اعداؤهُ. ومنهم الفريسيون. وهولاء هم الدُّ اعداء المسيح وكانوا دائمًا يطلبون حياتهُ فلو استطاعوا لانكروا البرهان على صدق العجيبة لان ذلك موافق لغايتهم. ولكنهم لم يستطيعوا لان اعمال المسيح العجيبة صُنِعَت امامهم وامام كل الشعب ولذلك قصدوا ان ينفوا ما فيها من القوة على البرهان بنسبتهم اياها الى قوة شيطانية. قال واحد من الامناء منهم يا معلم نعلم انك قد اتيت من الله معلمًا لانهُ ليس احد يقدر ان يعمل هذه الآيات التي انت تعمل ان لم يكن الله معهُ يو ٣: ٢. واما قوم منهم فقالوا ببعلزبول رئيس الشياطين يخرج الشياطين لو ١١: ١٥. وقولهم هذا ولئن ارادوا بهِ هدم صفتها العجيبة ونقض كونها شهادة الهية هو شهادة اضطرارية لصحتها

وايضًا يهوذا الاسخريوطي. وهذا قد عرف الحق جيدًا وكان كسائر التلاميذ يسمع مخاطبات المسيح اليومية ومكالماتهِ. وقد رأَت عيناهُ الرديئتان تصرُّف المسيح الجهاري واعمالهُ الانفرادية وكانت لهُ اسباب عظيمة ايضًا تحملهُ على تعييب سيرة المسيح او امكنهُ. فلو استطاع ان ينسب اليهِ الخداع لما تأخَّر عن ذلك لاجل رفع اللوم عن عملهِ المعيب الدنيء. ولمَّا بكَّتهُ ضميرهُ على شرهِ قتل

نفسهُ ولم يقل شيئًا على يسوع ولا اظهر شيئًا من الريب والشك فيهِ ولا ذكر ان فيهِ شيئًا ملومًا . بل بالعكس شهد لهُ شهادة معتبرة جدًّا وهو معذَّب من صراخ ضميرهِ بقولهِ قد اخطأتُ اذ سلمت دمًا بريًّا مت ٢٧ : ٣ — ٤

وايضًا بيلاطس البنطي. وهو الحاكم الروماني على اليهودية في ذلك الزمان . وكان في كرسي القضاء الذي وقف امامهُ يسوع المسيح وسمع كل الشكاوي التي تقدمت عليهِ وفحص كل الادلة التي أُتي بها لاثباتها. واخيرًا قال اني لا اجد علةً في هذا الانسان لو ٢٣: ٤. ولما راى ان حكمهُ هذا لم ينفع شيئًا بل زاد هياج الجمهور طلب ماء وغسل يديهِ قدام الجمع قائلاً اني بريءٌ من دم هذا البارّ. ابصروا انتم مت ٢٧ : ٢٤ . قال طرطوليانوس في محاماتهِ ان بيلاطس ارسل تاريخ حياة المسيح وموتهِ بدون ذنبٍ الى امبراطور العالم الروماني وقتئذٍ انتهى

وايضًا كلسوس وهيروكليس وفورفيريون ويوليانوس وهم اقدم واعلم المشاهير بين اعداء الديانة المسيحية وتاشيتوس المورخ الروماني. وجميعهم على اختلاف اماكنهم واحوالهم رشقوا الديانة المسيحية بسهام اعتراضاتهم وبراهينهم وهزئهم واهاجوا عليها تعصبات الجمهور واميالهم واستنهضوا لمحاربتها السلطان المدني. على انهم مع ذلك لم ينكروا حوادثها لانهم لم يستطيعوا فعوَّلوا على تعليلها باسبابٍ اخرى كالفريسيين . قال الفريسيون ان بعلزبول صنع تلك الاعمال العجيبة وقال هولاء الفلاسفة لم تُعمَل بواسطة بعلزبول بل بواسطة السحر. فما دام العالم لا يرى ان السحر يشفي المرضى وينهض المقعدين ويفتح اذان الصم ويحل السنة الخرس ويفتح اعين العميان ويقيم الموتى ويسكّن امواج البحر المزبدة لا يكون لاعتراضهم اعتبار البتة

وقد قدم المعلم لسلاي السؤَالات الآتية لمعرفة العجيبة الصحيحة . وهي

(١) هل صُنِعت على كيفية يمكن فيها للحواس ان تحكم على صحتها

(٢) هل صُنِعت جهارًا

(٣) هل بقي لها آثار ظاهرة اي اعمال صُنِعت تذكارًا لها

(٤) هل من بينةٍ على ان تلك الآثار صُنِعت في نفس وقت حدوث تلك العجائب واستمرَّت من ذلك الوقت الى الآن بلا انقطاع

اما عجائب الكتاب المقدس فالامر واضح انها تحتمل فحص كل هذه السؤَالات وان نفس الانجيل اثر تذكاري لحياة المسيح وعجائبهِ

٢ نجاح جميع العجائب التي عملها المسيح وتلاميذهُ . فليس لنا دليل على ان المسيح وتلاميذهُ قصدوا ان يصنعوا عجيبةً ولم يقدروا غير انهُ قيل مرةً واحدةً فقط ان التلاميذ عجزوا عن عمل

عجيبة مت ١٧:٤ و٢١ ولكن قيل ايضاً ان السبب هو عدم ايمانهم وان المسيح نفسهُ عاد فعمل تلك العجيبة التي عجزوا عنها اما ما قصد المسيح ان يعملهُ فقد اكملهُ تماماً حسب قصدهِ . فشفى المرضى وجعل الصم يسمعون والعمي يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون واقام الموتى واعاد لهم الحياة والصحة والقوة ايضاً وكل ذلك عملهُ تماماً وحالاً . فلما قال ليكن نور كان نوراو لتكن صحة كان كذلك ولم يترك شيئاً لعمل الاسباب الثانوية او للوسائط البشرية . هو قال فكانت امر فخلقت

٣ ومن الادلة ايضاً على صدق عجائب الكتاب المقدس ما لنا من البينة على صدق الانجيل . اي ان البراهين على صدق الانجيل تبرهن لنا ايضاً صدق العجائب المتضمنة فيهِ وذلك لانها متعلقة بهِ كل التعلق وممتزجة بهِ حتى انها ان لم تكن صحيحة لا يمكن ان يكون التاريخ الانجيلي ايضاً صحيحاً وبالعكس

٤ ما يفضي بنا اليهِ رفض عجائب الكتاب المقدس من المحال والمناقضات التي لا يمكن قبولها . فان جعلنا مبدأنا ان كل عجائب المسيح وتلاميذهِ اوهام وحكايات وان الذين صنعوها خداعون فماذا تكون نتيجة هذا الراي وماذا يجب ان يعتقد اصحابهُ

نجيب انهُ يجب ان يعتقدوا ان المسيح وتلاميذهُ البسطاء غير المتعلمين الذين ليسوا في احوالٍ وظروف تجعلهم معتبرين كانوا جهلاء ايضاً حتى زعموا انهم يستطيعون ان يقيموا نظاماً دينياً مضاداً لعوائد كل العالم واميالهِ وتعصباتهِ ونظاماتهِ ينجح ويقلب اديان الامم المتمدنة ونظاماتها . وايضاً انهم مع ما هم عليهِ من الجهالة كانوا حكماء جداً حتى جعلوا كل العجائب التي ادَّعوا عملها تثبيتاً لنظامهم متفقة اتفاقاً كلياً مع شرف الوظيفة التي اتخذوها وعظمة الاله الذي ادعوا انهم اتوا باسمهِ ومع قداستهِ وصلاحهِ ايضاً

ويجب ان يعتقدوا ايضاً ان المسيح وتلاميذهُ كانوا اشراراً جداً حتى باشروا خداعاً يتضمن النفاق الدائم بل التجديف الفظيع وذلك من مجرد طمعهم وحبهم للرياسة ومع ذلك اظهروا في مدة سبعين سنة صلاحاً واستقامةً سامبين خلوّاً من محبة الذات او القصد الرديء وبرهاناً مقنعاً على انكار الذات والتواضع والطهارة والقداسة واللطف والمحبة الفائقة حتى ان نفس اعدائهم لم يستطيعوا ان يتهموهم بمضادة سيرتهم لتعاليمهم

وايضاً ان الرسل من محبتهم الغريبة للغنى والكرامة والسلطة وما اشبه طمعوا مع كل جهالتهم وضعفهم في الحصول على ذلك بواسطة ضعيفة اي بواسطة الديانة المسيحية . وانهم مع ذلك عند ما نقدم لهم الاكرام رفضوهُ كل الرفض وعند ما رأوا غلبة اعدائهم في صلب المسيح ولم يبقَ امام تابعيهِ الاَّ العار والفقر والاضطهاد ثبتوا وبقوا يحامون عن رئيسهم الساقط . وانهم عند ما اظلمت انواع

الاضطهاد وراوا ان نتائج ثباتهم انما هي الخراب والموت وانهم يستطيعون ان ينجوا من ذلك بكلمة فقط ينكرونهُ بها بقول والحالة هذه مصرّين جهلاً على خداعهم وطمعوا جدًّا في المجد والشرف والغنى والقوة وما اشبه حتى وهم عالمون انهم سينالون عقابًا اليمًا على كل اعمالهم احتملوا آلامًا على آلامٍ وعارًا على عارٍ الى ان افضى بهم ذلك الى اشر الميتات

وايضًا ان الرسل خالون من الحكمة حتى انهم اتفقوا على نوع ديانة يصعب تزويرها وعوضًا عن ان يفعلوا عجائبهم مثل الخداعين اي سرًّا او على خلوةٍ فعلوها علانيةً وامام الجمهور وتركوها عرضةً لفحص الحواس. وانهم كانوا بدون حزمٍ حتى انهم عوضًا عن اختيار شهود لهم من اصدقائهم او من جهلاء الناس اختاروهم من الاعداء ذوي العلم والقوة . ولم يكونوا اصحاب حيل ولا خداع حتى انهم عوضًا عن ان يحصروا اعمالهم في امكنة قليلة عملوها في كل مكان ومع الجميع وعوضًا عن ان يتوقفوا عن عملها عند ما نجحوا في عمل القليل بقوا سنين كثيرة يخاطرون في عمل الكثير منها في احوال لا تحصى وهم متفرقون بعضهم عن بعض

وايضًا ان المسيح وتلاميذهُ مع كل هذه الادلة على جهالتهم كانوا فائقين في الحذاقة والنباهة والحكمة والحيل وعالمين جيدًا طبيعة الانسان والعالم واكفاء لما تجمع ضدهم من قوات الحكماء واصحاب السلطة والمجتهدين من اليهود واليونانيين والرومانيين وجعلوا ترتيبهم عميقًا ووفقوا اعمالهم بحكمة وحفظوا اسرارهم واجروا مؤامراتهم باتفاق سنين كثيرة حتى انهم مع ما كان عليهم من المراقبة وهم مجتمعون او متفرقون والفحص الدائم من الشهود والاعداء لم يستطع احدٌ اكتشاف ادنى نقص في مدعاهم او ادنى عيبٍ فيهم بان برهن مثلاً ان الاعمى لم يبصر والاعرج لم يمشِ والميت لم يقم . بل بالعكس خدعوا اهل بيت عنيا حتى جعلوهم يوقنون انهم يشاهدون كلّ يوم واحدًا منهم اسمهُ لعازر حيًّا ياكل ويمشي بينهم بعد ان علموا انهُ قد مات . وخدعوا اهل اورشليم حتى جعلوهم يصدقون انهم نظروا رجلاً يمشي يوميًّا بينهم صحيحًا وهم عالمون انهُ اعرج منذ ولادتهِ . وخدعوا خمسة الاف واقنعوهم انهم اكلوا وشبعوا من قليل من الارغفة والسمك . وخدعوا اهل الجليل وجعلوهم يقتنعون بان جمهورهم المصاب بامراض واوجاع مختلفة عاد صحيحًا من احضارهم اياهُ الى يسوع . نعم وان اولئك اليهود البسطاء الجهلاء المحتقرين المضطهدين خدعوا كل العالم يهودًا واممًا وجعلوهم يقرون بصحة عجائبهم . والفلاسفة والحاخامون مع انهم قاوموا الديانة المسيحية لم ينكروها وكثيرون منهم اقروا بها في كتبهم ومئات الالوف في عصر الرسل من معتبري المدن المشهورة أُسِرُوا وسُبوا بواسطة سحر اولئك الضعفاء حتى انهم رفضوا كلّ شيءٍ وتركوا مصالحهم بكل سرور وسلموا انفسهم للنار والسيف والوحوش الضارية وفضّلوا كل ذلك على انكار المسيح وتركهِ

فكل من ينكر صدق عجائب الديانة المسيحية يلتزم بالتسليم بهذه الامور الغريبة المضادة لنواميس الطبيعة والعقل والمتناقضة اشد التناقض . فيا ترى اي الوجهين ارجح . وما هو سبب خوف الكفرة الحديثين من الوقوف على شهادة الانجيل وصرفهم حذاقتهم في التهكم على شرف الكتاب المقدس او في التفتيش عما يزعمون انهُ من المناقضات فيهِ عوضاً عن مكافحتها وجهاً لوجهٍ . وما هو سبب اختراع الكفرة الحديثون مبدأ طالما تاقت اليهِ سابقاً فلاسفة الكفر وهو انهُ لا يمكن لشهادةٍ ان تثبت صحة عجيبة . الجواب هو كون الشهادة على صدق عجائب الديانة المسيحية كاملة وشاملة واذا تُركت لنفسها تقنع كل ذي عقل سليم يطلع عليها ولذلك حاولوا نقضها بكل قوتهم

ويا لهُ من امر يصعب تصورهُ ان مثل هذه الاعمال التي صُنعت جهاراً مراراً كثيرة وفيها علامات ظاهرة على وجود يد الله في عملها لم تجلب الى الديانة المسيحية عدداً اوفر وان جميع الذين شاهدوها لم يخضعوا حالاً للمعلم العظيم الذي اخبر وهُ وعرفوا صدق تعليمهِ

ومما يستحق الملاحظة هول الدينونة التي يهدد بها المسيح الذين لا يومنون بهِ بناء على كونهِ عمل اعمالاً لا يستطيع احد غيرهُ ان يعملها وعلى كون رسالتهِ قد تأكدت انها من الله من تلك الاعمال العجيبة ولذلك لم يبقَ عذر للذين يرفضونهُ ولا يومنون بهِ . والاَّ لكان ذلك باطل وفي غير محلهِ . فلو كان المسيح مغشوشاً ولم يعمل عجيبة حقيقية تثبت ما ادَّعاهُ لما اتَّبعهُ تلاميذهُ واقرُّوا بهِ امام العالم واجتهدوا في اقناع اعدائهِ بصحة رسالتهِ . فلا يمكن ان يكون خداعاً والاَّ لما كان مثالاً وقدوة في القداسة ولا انهُ كان مغشوشاً والاَّ لما استطاع ان يقنع احداً في اتباعهِ ولما احتمل تلاميذهُ الآلام والموت لاجل اسمهِ . وفضلاً عن ذلك ان المسيح جاء لكي يدخل النظام المسيحي ويكون مخلص العالم ولولا العجائب لما امكنهُ الحصول على ثقة اصحابهِ ولا ابكام السنة اعدائهِ

وفي ذلك الجيل الذي كانت فيهِ العجائب لازمة جداً لاثبات كلام المسيح كان عدم وجودها برهاناً لا يرد على عدم صدق رسالتهِ . وينبغي ان يلاحظ ايضاً ان المسيح لم يشاء ان يتبعهُ احد ممن ليس لهم ايمان بهِ ولا محبة لهُ ولم يقبل تلميذاً لا يرغب ان يحمل صليبهُ ويتبعهُ . وقد اظهر لتلاميذهِ مراتٍ كثيرة انهُ ليس امل بالنجاح العالمي في قبولهم اياهُ ولم يكن لهُ شيء من العالم ليقدمهُ لهم ولذلك صنع تلك الاعمال العظيمة التي لم يستطع احد غيرهُ ان يصنعها والتي عند ما صُنعت تبيَّن منها برهان لا يُناقض على كونها صحيحة ومن الله

قد اكملنا الآن ما شرعنا فيهِ في الفصل الخامس من ايراد البراهين على صدق الكتاب المقدس . فنطلب الى القارئ ان يراجع ما اوردناهُ مستمداً المساعدة من روح الله القدوس لكي يوضح لهُ جلياً صدق كتابهِ وسمو البراهين عليهِ وكفاءتها . مقدمين الشكر لعزتهِ الالهية على ما لنا من

الادلة على ذلك الكثيرة العدد الراهنة حتى يمكننا ان نقول بكل ثقة ان الله لم يترك نفسهُ بدون شهودٍ . نعم انهُ قد ثار في عصرنا الحاضر روح الاعتراض على كتابنا الثمين بقوةٍ عظيمة واهاج جماهير على الحمل عليهِ بعنفٍ. ولكن مهما اشتدت المقاومة لهُ لا نخشى لان لنا من الادلة الراسخة ما نثق بكفاءتهِ لتثبيت كل ذي عقل سليم في اليقين بصدقهِ . فنسال الله ان يبارك ما اوردناهُ من ذلك ويجعلهُ واسطةً لتوطيد ايمان المسيحيين واقناع المرتابين وحفظ الجميع من السقوط في أوهدة الكفر والضلال لانهُ على كل شيء قدير وبالاجابة جدير

م

الفصل الثامن

الوحي بالكتاب المقدّس

ان الله سبحانهُ اعلن حقّهُ وارادتهُ للجنس البشري على طريقةٍ عجيبةٍ بواسطة عبيدهِ الذين اختارهم لذلك وتلك الاعلانات متضمنة في الكتاب المقدس

ومعنى الوحي بالكتاب المقدس هو ان الله سبحانهُ حرَّك بواسطة روحهِ القدوس على نوعٍ عجيب عبيدهُ الذين اختارهم لكتابتهِ والهمهم الى كتابة كلّ ما اراد ان يعلنهُ للبشر على الكيفيّة التي اختارها هو نفسهُ وعضدهم وصانهم من الغلط والضلال في ذلك فجاء كتابًا الهيًّا منزلاً من الله كاملاً ومعصومًا من الغلط

فالوحي الى الكاتبين الاطهار يتضمن . اولاً ان الله سبحانهُ حرَّك عزائمهم الى تلك الكتابة . ثانيًا انهُ تعالى قد ساعدهم بالهامٍ خاص في معرفة ما لم يعرفوهُ قبلاً . ثالثًا انهُ قد ارشدهم الى استحضار الالفاظ الموافقة الدالّة على الحقيقة في كل امر . رابعًا انهُ قد هداهم في جميع الامور الى ان يكتبوا بحسب مشيئتهِ تعالى . خامسًا انهُ عصمهم من الخطإِ في كل ما كتبوهُ من حوادث وامور تاريخية

فيتضح مما تقدَّم ان الوحي بالكتاب المقدس موضوع قائم في نفسهِ غير انهُ لهُ علاقة شديدة بمواضيع اخرى ممتازة عنهُ ويجب ابقاؤُها ممتازة كما هي لان مزجها بهِ يؤُول الى تعقيد السوال عن حقيقتهِ على انهُ ولو اثبتنا بالادلة الراهنة قانونية الكتاب وصحة نسبتهِ وصحتهِ واقتنعنا في انفسنا بانهُ كتاب حق متضمن اعلانات الله يبقى ذلك السوال على حالهِ. نعم ان هذا الكتاب قد كُتب بايدي البشر وبنَفَسهم ولغتهم ولكنهُ ليس والحالة هذه بشريًّا محضًا لان الله سبحانهُ لم يترك كتبتهُ لمعرفتهم القاصرة بل ارشدهم وصانهم ولاحظهم وساعدهم حتى قدَّرهم ان يكتبوا لنا قانونًا معصومًا لتعليمنا ما يجب ان نعتقدهُ والواجبات المطلوبة منا بدون ان يمسّ قواهم الطبيعيّة

انهُ كثيرًا ما وقع تشويش في هذا الموضوع في اوقات مختلفة لعدم التمييز بين معنى الوحي والاعلان. فان الاعلان هو كشف حقٍّ الهيٍّ لعقل النبي مما لا تمكنهُ معرفتهُ على طريقةٍ اخرى . والوحي او الالهام هو ما وقع في القلب من علمٍ او ما أُلقي الى الانبياء من عند الله او مساعدة الله لانسانٍ

على النطق بحقهِ او كتابتهِ وهذا هو مرادنا بهِ هنا . وبناء على ذلك نقول انهُ ليس كل الكتاب معلنًا من الله بل كلهُ مكتوب بوحيٍ الهيّ وبالتالي هو كتاب معصوم متضمن كل ما شاء الله ان يكتبهُ لاجل التأديب الذي في البرّ. لانهُ لا يخفى ان في الكتاب المقدس عبارات غير صحيحةٍ البتة وهي ليست اعلان حق الهي كالعبارات الماخوذة من كتب الوثنيين وكلام الشيطان واحاديث الناس الاشرار بل بعض الابرار ايضًا. ومن ذلك كلام الحية مع امنا حواء وكلام ربشاقى لليهود في ايام حزقيا ورسالة سنبلط الخداعيَّة لنحميا وشكوى ترتلُّس على بولس وتفنيد اصحاب ايوب الثلاثة لهُ وما قالهُ هو واياهم مما لا يليق بالله. فان جميع هذه وان لم تكن من الله قد كُتِبت بالهامهِ تعالى وارشادهِ ليكون بعضها تحقيقًا للحوادث التاريخية وبعضها لاظهار خبث الشياطين والناس الاشرار وضعف الابرار وسقوطهم وكل ذلك لتحذيرنا وتهذيبنا . فلنا والحالة هذه في الكتاب المقدس نصوص صحيحة وموحًى بها على اقوالٍ واعمالٍ كاذبة في ذاتها

فينتج مما تقدم ان الاسفار المقدسة قد اشترك في كتابتها البشر والله. اما البشر فبممارسة قواهم بتعبير كلٍّ منهم عن افكارهِ بموجب نفَسَهِ الطبيعي الخاصّ بهِ وهو يكتب حقّ الله وارادتهُ تحت ارشاد الروح القدس ومساعدتهِ وعصمتهِ اياهُ من الغلط. وقد ارتاب البعض في امكانية هذا الاتحاد بين الله والانسان في عمل الوحي ولكن لنا برهان على امكانيتهِ وايضًا على صحتهِ وموافقتهِ التامَّة لطريقة الله الاعتيادية في اجراء اعمالٍ اخرى. فاننا بهِ نحيا ونتحرَّك ونوجد ولكنهُ ولئن اعطانا الحياة والحركة والوجود لا ينقض عمل قوانا الطبيعية الاعتيادي بل بالاحرى يحفظها على حالها. وكذلك امر ترجيع النفس وتقديسها هو عمل الله ولكنهُ بدون مداخلة في افعال قوى الانسان الاصلية حسب قول الرسول بولس لان الله هو العامل فيكم ان تريدوا وان تعملوا من اجل المسرة. وذلك بعد ان امرنا قائلاً تمّموا خلاصكم بخوفٍ ورعدةٍ . وهكذا الحال ايضًا في امر الوحي فان الرب نفسهُ يلاحظ ويدبّر ويساعد ويعصم من الغلط ويلهم ويفعل كل ما هو ضروريٌّ لجعل القول او الكتابة مطابقًا لارادتهِ تعالى على ان الانسان المُلهَم لا بد لهُ من ان يمارس قواهُ العقلية ويتكلم او يكتب حسب نفَسَهِ الطبيعي الخاصّ بهِ

ولنكتفِ بما تقدم من الايضاح ونتقدّم الى ايراد ما لنا من الادلة على الوحي بالاسفار المقدسة بالمعنى المذكور آنفًا وهي

اولاً موافقة هذا الفرض للعقل. لانهُ اذا قصد الله اعلان ارادتهِ للبشر لا يمكن ان يفوّض كتابة ذلك تفويضًا كاملاً الى البشر الناقصين الضعفاء العاجزين الذين تحت طائلة الغلط والضلال بل ننتظر طبعًا انهُ يوحي الى عبيدهِ بذلك ويساعدهم حتى يمكّنهم من النطق بكلامهِ وكتابتهِ على

الكيفية الموافقة لارادتهِ تعالى. ولا ريب في ان هذا الفرض مما يقبلهُ العقل

ثانيًا نفسَها الخاص . نعم ان نَفَس اسفارنا المقدسة بشري كما تقدَّم اي انهُ يظهر جليًّا انهُ نَفَس بشرٍ قد استعمل كلٌّ منهم قواهُ ومواهبهُ الخصوصية الطبيعية والناتجة من تربيتهِ ولكنهُ كثيرًا ما يتضمَّن من حكمة الله وقوتهِ ما يكاد لا يُوصَف مما يدلُّ على انهُ ليس نَفَسًا بشريًّا محضًا . ومن ذلك السهولة والتاكيد اللذين حكم بهما اولئك الكتبة الاطهار على اعمق واصعب المواضيع الابعد ما يكون عن استقصاء البشر وافكارهم. وايضًا ما في معاني هذه الاسفار وتاثيرها من الاتساع غير المحدود وما في قراءتها من اللذة والافادة غير المتناهيتين فلو قرأناها الف مرة لا نملُّ منها ولا يفرغ معناها ولا تتلاشى فاعليتها بل لا تزال تنبع امورًا جديدة تدلُّ على عمق معناها الذي لا يُستقصَى نظير الذي الهم بها

ومن خواص نَفَس الاسفار المقدسة ما انفرد بهِ الكتبة الاطهار من الطريقة الخصوصية التي بها تكلم احدهم عن ذنوب الآخر او وصف اعمال البشر الشريرة. فانهم تجنَّبوا في ذلك المبالغة والاخفاء وقرَّروا الامور تقريرًا بسيطًا حقيقيًّا . ففي ذكر خبر انكار بطرس لمعلمهِ مثلاً لم يلوموهُ بصرامةٍ على هذا العمل ولا لحُّوا على جبانتهِ وكنودهِ باحتدامٍ بل مسُّوهُ في الكلام مسًّا خفيفًا كتلك اللحظة التي وقعت من عين معلمهِ على وجههِ وتجاوزوهُ. وكذلك فعلوا في ذكر آلام المسيح وموتهِ. فاننا لا نجد عبارة قويَّة تدلُّ على التشفُّق عليهِ والاحساس معهُ في النص على كآبة جثسيماني والمحاكمة العنيفة الجائرة امام بيلاطس وعلى آلام الصليب . ولا احساسات الحزن على نزول جسدهِ الى القبر ولا الترحاب بقيامتهِ. فمن لا يسلِّم بان لهذه الطريقة في ايراد اخبارهم نَفَسًا خاصًّا وتاثيرًا عظيمًا

ومما يدل على سموّ نفَس الكتبة الاطهار وطريقتهم الخصوصية المقابلة مع تآليف غيرهم. كما يظهر ذلك للقارئ اللبيب الامين اذا انتقل من قراءة فصلٍ من الانجيل الى قراءة كتابٍ آخر من تآليف ذلك العصر كاسفار العهد القديم الابوكريفيَّة مثلاً او تآليف فيلو او يوسيفوس او الآباء المسيحيين اذ يتبين لهُ مرادنا بقولنا ان في نَفَس الكتبة الاطهار وطريقتهم الخاصَّة ما لا يُوصَف مما يدلُّ على ما فيهِ من الحكمة التي من فوق

ثالثًا القسم المعتبر منهُ الذي يقتضي طبعًا ان يكون اما مُوحًى بهِ او غشًّا ظاهرًا. فاننا نرى مثلاً في قسمٍ عظيم من العهد القديم ان الله نفسهُ هو المتكلم وذلك من استعمال ضمير التكلُّم وما يدلُّ على ان ذلك القول هو كلامهُ تعالى. فاذا كان الكتاب المقدس صادقًا لا بد ان يكون ذلك القول قولهُ وان الكتبة الاطهار قد تلقَّنوهُ منهُ وأُلهِموا بكتابتهِ. وكذلك في الاناجيل اصحاحات كاملة تدل على انها كلام المسيح. ثم انهُ لا ريب عندنا في ان الكتبة الاطهار كانوا امناء الى الغاية ولكن أَما كانت ذاكرتهم تحت طائلة النسيان فكيف تحققوا بعد مرور سنين كثيرة انهم يوردون نفس كلام المسيح لو لم يكونوا

مُرشدين ومُساعَدين من فوق . فأَلا ترى من ذلك قيمة وعد المخلص لرسلهِ واما المعزّي الروح القدس الذي سيرسلهُ الآب باسمي فهو يعلّمكم كلّ شيء ويذكّركم بكل ما قلتهُ لكم يو ١٤: ٢٦

وفي الكتاب المقدس اجزاء اخرى اذا كانت صحيحة لابد ان تكون قد كُتِبت بالوحي . ومن ذلك الخبر عن خلق العالم

رابعًا تفويض الله جل شانهُ الى الكتبة الاطهار النطق بكلامهِ ووعدهُ لهم اما صريحًا او تضمّنًا بان يمنحهم كل ما يحتاجون اليهِ من المساعدة في هذا العمل . ومن ذلك قولهُ لموسى فالآن اذهب وانا اكون مع فمك وأُعلّمك ما تتكلم بهِ خر ٤: ١٢ وهو يتضمن التفويض والوعد الصريحين بالالهام التام . وهذا يصدق على كل الانبياء لان الله ارسلهم جميعًا وفوّضهم ووعدهم اما صريحًا او تلميحًا بان يكون معهم. ومن ذلك ايضًا قولهُ تعالى لارميا اما انت فنطِّق حقويك وقم وكلّمهم بكل ما آمرك بهِ. لاترتَعْ من وجوههم لئلّا أُريعك امامهم. فيحاربونك ولايقدرون عليك لاني انا معك يقول الرب لانقذك ار ١: ١٧ و١٩ . وبمثل هذا الكلام فوّض حزقيال وارسلهُ وهو قولهُ وقال لي يا ابن آدم انا مرسلك الى بني اسرائيل الى امةٍ متمرّدة قد تمرّدت عليّ . . . انا مرسلك اليهم . فتقول لهم هكذا قال السيد الربّ . . . فلا تخف منهم ومن كلامهم لا تخف لانهم قريسٌ وسلاء لديك وانت ساكن بين العقارب . . . وتتكلم معهم بكلامي ان سمعوا وان امتنعوا حز ٢: ٣—٧ . وقد فوّض الله الى ارميا مرتين صريحًا ليس فقط ان يحذّرهم ويوبخهم بكلامهِ بل ايضًا ان يكتب ذلك الكلام في سفرٍ بقولهِ خذ لنفسك دَرْجَ سفرٍ واكتب فيهِ كلّ الكلام الذي كلمتك بهِ على اسرائيل وعلى يهوذا وعلى كل الشعوب من اليوم الذي كلمتك فيهِ من ايام يوشيّا الى هذا اليوم . ففعل ارميا كما أُمِر ولما احرق السفر يهوياقيم ملك يهوذا الجاهل امرهُ الله ثانيةً بان يكتب ذلك الكلام ايضًا بقولهِ عُدْ فخذ لنفسك دَرْجًا آخر واكتب فيهِ كل الكلام الاوّل الذي كان في الدرج الاوّل الذي احرقهُ يهوياقيم ملك يهوذا ار ٣٦: ٢ و٢٨

وقد فُوِّض الى يوحنا الرسول بان يكتب سفر الرؤْيا وكُرِّر ذلك بالنظر الى اقسامٍ متنوّعة فيهِ ليس اقل من اثنتي عشرة مرة . وفي المرتين الاخيرتين على نوعٍ خصوصي ما يوافق ما نحن في صددهِ الآن وهو قولهُ وقال لي . اكتب طوبى للمدعوين الى عشاء عرس الخروف . وقال هذه هي اقوال الله الصادقة . وقال الجالس على العرش ها انا اصنع كل شيء جديدًا. وقال لي اكتب فانّ هذه الاقوال صادقة وامينة رؤْ ١٩: ٩ و٢١: ٥ . فمَنْ يرتاب في ان يوحنا البشير كتب سفر الرؤْيا بامر الله والهامهِ

اما من جهة الرسل فلا ريب في انهم خرجوا الى العالم ونشروا بشارة الحق حسب امر المسيح

وتفويضهِ ذلك اليهم ويؤيّد هذا الامر الاسماء التي دُعوا بها مثل رسل ومبشرين وسفراء الخ . والامر معلوم انهم قد تاكدوا من كلام المسيح ان كلّ ما يحتاجون اليهِ من المساعدة يكون لهم حتى ان ذلك يدلُّ على الوعد لهم بالوحي التام . ومن ذلك قولهُ ها انا معكم كل الايام الى انقضاء الدهر . وايضًا لاني انا اعطيكم فمًا وحكمةً لا يقدر جميع معانديكم ان يقاوموها او يناقضوها . واما المعزي الروح القدس الذي سيرسلهُ الآب باسمي فهو يعلمكم كلّ شيء ويذكّركم بكلّ ما قلتهُ لكم . ومتى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق . . . ذاك يمجّدني لانهُ ياخذ ممَّا لي ويخبركم . وايضًا فمتى اسلموكم فلا تهتموا كيف او بما تتكلمون . لانكم تُعطَون في تلك الساعة ما تتكلمون بهِ . لان لستم انتم المتكلمين بل روح ابيكم الذي يتكلم فيكم . فان هذه الاقوال صريحة لا تحتمل الغلط في تفسيرها وهي تتضمن وعدًا على وعدٍ بان المسيح يرشد عبيدهُ عند النطق بكلامهِ ويؤيّدهم بقوةٍ من فوق وذلك بواسطة الروح الذي يسكبهُ عليهم وهو يرشدهم الى كل الحق ويذكّرهم بكل الامور بغاية الضبط

واذا اعترض احد بان هذه المواعيد التي اوردناها تختصُّ بالتعليم لا بالكتابة نجيب . ان هذا الاعتراض لا يصدق على جميعها البتة . لانهُ قد فُوّض الى الملهمين كتابة بعض الامور فقط لكن حيث يشير الوعد على نوعٍ اصرح الى التعليم لا يجب ان نعتبرهُ محصورًا فيهِ بل ان القصد بهِ ان يمتدَّ الى الكتابة ايضًا كما نستنتج ذلك من عدة ادلة . ومنها اذا كان الملهمون محتاجين الى مساعدة الهية ليبشروا الذين حولهم بكلام الله الحي فكم بالحري كانوا محتاجين الى ذلك لاجل كتابتهِ لخير الكنيسة في الاجيال الآتية . واذا كان ذلك المحسن قد اعتنى بهم جدًّا ووهبهم ما يحتاجون اليهِ لا ريب في انهُ لا يتركهم البتة في امر الكتابة

خامسًا ادعاء كَتَبَة العهد القديم والجديد بالوحي . كما يدلُّ قول موسى والانبياء دائمًا للشعب هكذا قال الرب . وهم يصرّحون في اصحاحاتٍ كثيرة بانهم يتكلمون بنفس كلمات الله العليّ الامر الذي لا يمكنهم ان يفعلوهُ لو لم يلهَموا بالكلمات في حينها . ومن ذلك قول داود عن نفسهِ روح الرب تكلَّم بي وكلمتهُ على لساني ٢ صم ٢٣ : ٢ وقول حزقيال فدخل فيَّ روحٌ لما تكلَّم معي واقامني على قدميَّ فسمعتُ المتكلّم معي حز ٢ : ٢

وكتبة العهد الجديد كثيرًا ما قالوا عن تعاليمهم انها كلمة الله وهذا بمثابة الادعاء بالوحي الالهي . ومن ذلك قولهم كان يجب ان تُكلَّموا انتم اولاً بكلمة الله . وكانوا يتكلمون بكلام الله بمجاهرة . وقال بولس واعرّفكم ايها الاخوة الانجيل الذي بشَّرت بهِ انهُ ليس بحسب انسان . لاني لم اقبلهُ من عند انسانٍ ولا عُلّمتهُ . بل باعلان يسوع المسيح غل ١ : ١١ . وقولهُ التي نتكلم بها ايضًا لا باقوالٍ تعلّمها حكمة انسانية بل بما يعلّمهُ الروح القدس . وايضًا فليعلم ان ما اكتبهُ اليكم انهُ وصايا الرب . فاذا

كانت هذه الاقوال حقًّا فاولئك الكتبة مُلهَمون لامحالة

سادسًا اثبات الكتبة الاطهار الوحي احدهم للآخر وللكتاب المقدس . فان الكتبة المومأ اليهم لم يقتصروا على الادعاء بالوحي لانفسهم فقط بل كثيرًا ما يثبتهُ احدٌ للآخر ولكتاب الله . والالقاب التي لقَّبوا بها الاسفار المقدسة كافية في ذاتها لتبرهن صدق الوحي اليهم بها ومنها قولهم الكتب والكتب المقدسة واقوال الله

ان اكثر انبياء العهد القديم عاشوا وكتبوا اسفارهم اما في غضون مدة السبي او قبلهُ واذا فحصنا اقوال الانبياء الذين قاموا بعد السبي نرى انهم ينسبون جليًّا الوحي الى الذين نبغوا قبلهم . فان عزرا يقول لاننا قد تركنا وصاياك التي اوصيت بها عن يد عبيدك الانبياء عز ٩ : ١٠ . وقال نحميا فاحتملتهم سنين كثيرة واشهدت عليهم بروحك عن يد انبيائك نح ٩ : ٣٠ . وقال زكريا بل جعلوا قلبهم ماسًا لئلا يسمعوا الشريعة والكلام الذي ارسلهُ رب الجنود بروحهِ عن يد الانبياء الاولين زك ٧ : ١٢ . فجميع هذه الآيات وغيرها كثيرٌ مما يتضمن نفس هذا المعنى تثبت صريحًا الوحي للانبياء الاولين . ومخلصنا لهُ المجد قد تكلم بهذا النفس عن اسفار العهد القديم بانها كلمة الله وموحًى بها . ومن ذلك قولهُ في خطابهِ للصدوقيين أَفما قراتم ما قيل لكم من قِبَل الله القائل انا اله ابرهيم واله اسحق واله يعقوب . ان قال آلهة لاولئك الذين صارت اليهم كلمة الله. ولا يمكن ان يُنقَض المكتوب يو ١٠ : ٣٥ . مبطلين كلام الله بتقليدكم الذي سلمتموهُ مر ٧ : ١٢ . وكذلك قول بطرس كان ينبغي ان يتمَّ هذا المكتوب الذي سبق الروح القدس فقالهُ بفم داود اع ١ : ١٦ . وايضًا لانهُ لم تاتِ قط نبوة بمشيئة انسانٍ بل تكلم اناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس ٢ بط ١ : ٢١ . وقول بولس حسنًا كلم الروح القدس آباءنا باشعياء النبي اع ٢٨ : ٢٥ . كل الكتاب هو موحًى بهِ من الله الخ ٢ تي ٣ : ١٦ . الله بعد ما كلم الآباء بالانبياء قديمًا بانواعٍ وطرقٍ كثيرة كلَّمنا في هذه الايام الاخيرة في ابنهِ عب ١ : ١ و ٢ . فلا يمكن ان يكون اقوى من هذه النصوص القاطعة. فان كانت غير كافية لاثبات الوحي بالاسفار المقدسة فلا يمكننا ان ننتظر اقوى منها

سابعًا تعليم الكنيسة المسيحية بالوحي بالكتاب المقدس في جميع قرون تاريخها . ولا حاجة الى بيان كون الكتبة الاطهار قبل المسيح وبعدهُ قد تمسكوا بهذا التعليم . وقد راينا مما تقدم انهُ كان لهم الوعد بالوحي وانهم ادَّعوا بهِ واثبتوهُ جميعهم للاسفار المقدسة واحدهم للآخر . وقد تمسَّك علماء اليهود بهذا التعليم في العصر المتوسط بين ختام العهد القديم وافتتاح الجديد وكذلك الآباء المسيحيون الاولون . فاذا نظرنا الى كتب الابوكريفا في العهد القديم نجد في باروخ هذه الصلاة يا رب الهنا ... كما تكلمت لعبدك موسى في اليوم الذي امرتهُ ان يكتب شريعتك . وفي سفر آخر

يقال عن شريعة موسى انها عهد الله العليّ العهد الابدي الذي نورهُ لا يطفأُ وقضاؤهُ ابديٌّ

اما آراء فيلو عن الوحي فكانت متجاوزة حدود الاعتدال حتى قرر ان المُوحَى اليهِ كان عديم الشعور بهِ وان روحهُ كانت تحت سلطان روح الله الساكن فيهِ . وقال ان النبي كان في وقت الوحي مثل آلةٍ تحركهُ قوة الله خفيةً وان كل كلامهِ صدر من ارشادهِ تعالى . وانهُ لما غلب على قواهُ العقلية الفرح النبوي امتلكهُ روح الله امتلاكًا كاملاً وسكن فيهِ وحرّك كل اعضاء النطق للتكلم بكل ما انبأهُ بهِ

هذه هي آراء فيلو عن الوحي للانبياء وآراء يوسيفوس تكاد تكون مثلها تمامًا . فانهُ وصف الكتاب المقدس بانهُ كتابٌ الهيٌّ . وقال انهُ كان مطبوعًا على قلب كل يهوديٍّ منذ ولادتهِ ان يعتبر الاسفار المقدسة بانها اقوال الله وان يتمسك بها ويدافع عنها الى الموت اذا اقتضى

اما ايمان المسيحيين الاولين بهذا الموضوع فليس لنا عليهِ بينة افضل من قواعد ايمانهم التي كتبوها . فان قواعد ايمان ايريناوس تبتدئ هكذا ان الكنيسة ولئن تكن متشتتة على كل وجه الارض قد قبلت من الرسل الايمان بالله الوحيد الآب وبالمسيح الوحيد ابن الله وبالروح القدس الذي تكلم بالانبياء . وقيل في القانون النيقاوي الذي كمّلهُ مجمع القسطنطينية نومن بالروح القدس الرب والواهب الحياة المنبثق من الآب المسجود لهُ والممجد مع الآب والابن والذي تكلم بالانبياء

وقال اكليمنضوس الروماني في رسالتهِ الاولى الى اهل كورنثوس ف ٤٥ اصغوا جدًا الى الاسفار المقدسة اقوال الروح القدس الصادقة . وقال يوستينوس الشهيد لا تظنوا ان النبي ينطق من نفسهِ بما تسمعونهُ يقولهُ بل من الكلمة الالهية التي تحركهُ لانهُ ممتلئٌ من الروح . وقال اوريجانوس ايضًا ان الاسفار المقدسة تنطق بملء الروح وليس في الناموس ولا في البشائر ولا في الرسائل ما لم ينزل من ملء العظمة الالهية . وقال غريغوريوس الكبير فلا حاجة الى البحث عمّن كتب سفر ايوب ونحن موقنون ان الروح القدس هو الملهم بهِ . وقال ثيودوروس ما الفائدة من معرفتنا هل كتب داود كل المزامير ام لا لان الامر واضح ان كلها كُتِب بارشاد الروح القدس

ولا حاجة الى ايراد بينات اكثر مما تقدم من اقوال الآباء المسيحيين الاولين لان جميعهم اجمعوا على الوحي بالكتاب المقدس براي واحد وتكلموا عنهُ على انهُ ناموس الله وكلمة الله وصوت الله واقوال السماء والروح القدس وعلى انهُ كُتِب بارشاد الروح القدس وعلى انهُ ايضًا تعليم الروح القدس . وكثيرًا ما شبّهوا نفس النبي وهي تحت ارشاد الوحي الالهي بآلةٍ موسيقية ينفخ فيها الروح القدس ويضرب اوتارها مقتبسين هذه الاستعارة من كلام فيلو . حتى انهم حسبوا الذين لا يعتقدون

ان الروح القدس نطق بالاسفار المقدسة مجد بن (ايسابيوس ك٥ ف ٢٨)

على ان هذا التعليم المبارك بخصوص الوحي بالاسفار المقدسة الذي كان عزيزًا جدًّا عند الكنيسة في ازمنتها الاقدم والانقى يرتاب فيهِ الكفرة في عصرنا الحاضر ويناقضونهُ. وقد تقدمت عليهِ اعتراضات شتى فينبغي ان نتكلم عنها بالاختصار قبل ان نختم كلامنا عن هذا الموضوع فنقول

اولاً قد اعترض البعض على الوحي للرسل بكونهم غير كاملين اي انهم كانوا جهلاء حسود بن يحكمون بدون تروٍّ واحيانًا يقع الاختلاف بينهم

فنجيب نعم ان الرسل لم يكونوا كما ينبغي ولا سيما في اول مدة خدمتهم وانهم كانوا غير كاملين وهكذا كان جميع الكتبة الاطهار على ان ذلك ليس حجةً راهنةً على انهُ ما أُوحي اليهم . وما من احدٍ يظنُّ انهُ كان يُوحَى اليهم في كل الاوقات على حدٍّ سوى وفي كلامهم الاعتيادي بعضهم مع بعض او مع غيرهم بل انما كان ذلك عند ما علَّموا الحق ونطقوا بكلام الله وكتبوهُ . وعلى هذه الكيفية قد أُوحي اليهم بقطع النظر عن وجود نقصٍ او خللٍ في سجاياهم

ثانيًا قد اعترض آخرون على اعتقاد الوحي التام بان بين اسفار الكتاب المقدس واجزائهِ المتنوعة فرقًا عظيمًا في النَّفَس . اي ان كلَّ واحدٍ من الكتبة قد كتب وتكلم بموجب نفسهِ الخصوصي الطبيعيّ . فنجيب ان هذا ما يُنتظَر ايرادهُ بناءً على تعريف الوحي الذي عوَّلنا عليهِ . فلو كان الكتبة الاطهار كما زعم البعض وهم تحت ارشاد الروح القدس غير قادرين ان يستعملوا قواهم حسب العادة وصاروا نظير ادواتٍ صامتة في يدي الله الحي لكان ذلك سببًا لوجود علاقةٍ بين الوحي وموافقة النَّفَس في الملهمين . ولكن اذا صحَّ راينا بان المُوحَى اليهم قد تُرِكوا لاستعمال قواهم الشخصيَّة على كيفية طبيعية تحت ارشاد وتعليم الروح القدس وقِيدُوا منهُ الى كتابة ما كان موافقًا لارادتهِ فقط لما صحَّ ان يُتَّخذ ما يظهر بينهم من الفرق في النفس في كتبهم اعتراضًا على صحة اعتقاد الوحي اليهم . فبالحقيقة انهم كانوا طبق ما يُنتظَر ان يكونوا

اما كون هذه الاختلافات الواقعة في النفس موافقةً للتكلم بالوحي فظاهرٌ من نَفَس الكتاب المقدس . فاننا قد راينا سابقًا في اقسامٍ كثيرة منهُ ان الله قد تكلم بنفسهِ وكثيرًا ما نرى ان كلامهُ تعالى يملأُ اصحاحاتٍ كاملة في اسفار الانبياء فلا بد ان تلك الاصحاحات قد أُوحي بها صريحًا وان الكلمات نفسها قد جُعِلَت في عقل الكاتب ومع ذلك نجد فيها ذات الفرق في النفس الذي نجدهُ في غير تلك الاصحاحات من الكتاب المقدس . فان الله سبحانهُ لما تكلم بنفسهِ بفم هوشع او عاموس استعمل نفَسها الدارج ولما تكلم بفم اشعياء ويوئيل استعمل نفسها الاعلى الشعريّ

ثالثًا قد راينا في ما تقدَّم ان البرهان على الوحي مُسنَد على نوعٍ خصوصي على شهادة الكتبة

الاطهار. غير انهُ قد اعترض البعض بان اولئك الكتبة ربما لم يعلموا بحضور الروح القدس معهم وهم تحت ارشادهِ وبالنتيجة لم يكونوا مستعدين للشهادة الراهنة في القضية التي كانت موضوعهم. على انهُ يظهر من الكتاب المقدس ان اولئك الكتبة علموا يقينًا بحضور الروح القدس معهم وهم تحت ارشاد الوحي لانهم لم يكونوا كذلك دائمًا ولذلك لا بدَّ انهم شعروا لما حلَّ عليهم الروح وتكلم الله بهم. ألم يعلم موسى لما لاقاهُ الرب وارسلهُ الى فرعون بحقيقة الامر وألم يعلم وهو يكتب الشريعة انهُ يكتب كلام الله لا كلام نفسهِ. ولما قال الانبياء تكرارًا كان اليَّ كلام الرب اما تحققوا معنى ما قرَّروهُ

اما من جهة حالة عقول الانبياء في وقت وحي الروح القدس اليهم لا يمكن تصوُّرها تمامًا بدون اختبارها او معرفتها. فمن الممكن انهم لم يتأثَّروا جميعًا على كيفيَّةٍ واحدة ولكن لا ريب في ان حالتهم حين الوحي التي علموا بها جيدًا وجعلتهم قادرين ان يوردوا شهادة جازمة وراهنة بصحة ما قرَّروهُ كانت خصوصية. قال النبي ميخا لكنني انا ملآن قوة روح الرب وحقًّا وبأسًا لاخبر يعقوب بذنبهِ واسرائيل بخطيتهِ مي ٣: ٨. وارميا النبي عزم مرةً لداعٍ ما على عدم ذكر الرب ثانيةً او التكلُّم باسمهِ بقولهِ فقلت لا اذكرهُ ولا انطق بعدُ باسمهِ. فكان في قلبي كنار محرقة محصورة في عظامي فمللت من الامساك ولم استطع. وايضًا قال لداعٍ آخر فامتلأْت من غيظ الرب. مللت الطاقة. اسكبهُ على الاطفال في الخارج وعلى محل الشبَّان ار ٢٠: ٩ و٦: ١١. وقال حزقيال ايضًا فحملني الروح واخذني فذهبت مرًّا في حرارة روحي ويد الرب كانت شديدةً عليَّ حز٣: ١٤. فنرى مما تقدَّم ضعف السند للاعتراض على عدم شعورهم حين الوحي اليهم

رابعًا قد ذهب البعض الى ان قضية الوحي قليلة الاهميَّة نظرًا الى فقد النسخ الاصليَّة التي كُتبت بالوحي من زمان طويل لان ليس بيدنا سوى النسخ والترجمات عنها. على ان عندنا للاصل الموحى بهِ والمعصوم اهميَّة كلية لان جميع النسخ والترجمات التي وُجِدَت في العالم أُخِذَت عنهُ. ومع ان ذلك الاصل الاول ليس عندنا الآن لكي نقابلها عليهِ يمكننا مقابلتها بعضها مع بعض والحكم على ما نجد بينها من الاختلاف ومعرفة اصل ذلك وبهذهِ الواسطة نقترب من الاصل الحقيقي ان لم نتوصل اليهِ تمامًا (راجع الفصل الرابع من هذا الكتاب)

خامسًا قد اعترض آخرون على قول الرسول كلُّ الكتاب هو مُوحًى بهِ من الله بان في الكتاب امورًا كثيرة قليلة الاهمية لا تستحق الوحي بها. فنجيب اننا نحن لسنا دائمًا قضاةً مناسبين للحكم على اهمية الامور او عدم اهميتها وكبرها وصغرها بالنسبة بعضها الى بعض لانهُ ربما تتراءى لنا امور زهيدة في نفسها ولها في مكانها اهمية عظيمة لانهُ كثيرًا ما تنتج نتائج عظيمة من اسبابٍ صغيرة. فان شرارة نارٍ شيء صغير جدًّا غير انها قد تسبّب حريقةً عظيمة. وقول بولس الرسول الرداء

الذي تركتهُ في ترواس مع كاربس احضرهُ متى جئتَ والكتب ايضًا ولاسيما الرقوق لا يقدر احد ان يعرف عظم اهميتهِ عند الرسول في ذلك الوقت وهو اسير في رومية ومحتاج الى الغاية الى ذلك الرداء وتلك الكتب والرقوق

نعم ان في الكتاب المقدس امورًا زهيدة ولكن ألا نجد نظيرها في الطبيعة. فمن يستنتج من وجود الهوام والحُيَيْوينات في الطبيعة ان الله ليس هو خالقها . فالمشابهة بين الكتاب المقدس والطبيعة في هذا الامر تدلُّ بالاحرى على كون كلا الامرين منبثقين من مصدرٍ واحدٍ

سادسًا زعم البعض ان في الكتاب المقدس عبارات غير لائقة وعاميَّة تدلُّ على انهُ لم يكتب كلهُ بالوحي. فنجيب هل نحن كفوءٌ للحكم في هذا الامر. وهل يصحُّ ان نجعل ذوقنا معيارًا او مقياسًا لذوق كل الشعوب في كل القرون حال كون اميال البشر تختلف في ذلك جدًّا كما في غيرهِ في كل مكانٍ وزمانٍ لان ما كان لائقًا جدًّا عند اسلافنا منذ ثلثة قرون ربما نشمئزُّ منهُ في عصرنا الحاضر. ولا يخفى ان كلمات وعبارات كثيرة قد تصير عاميَّة وتخسر لياقتها فيقتضي استبدالها بعباراتٍ اقل عامية منها ولكن كلمات الكتاب المقدس وعباراتهِ يجب ان تبقى مدى القرون كما أُنزِلَت اصلاً بدون ادنى تغيير. ولا ريب في ان هذا من الاسباب الرئيسية لنفور ذوق اهل العصور المتأخّرة من بعض عباراتها واعتبارها خشنةً وغير لائقةٍ

سابعًا قد اعترض البعض ايضًا بان في الكتاب المقدس فلسفةً كاذبة . ومن ذلك ما ورد فيهِ عن شروق الشمس وغروبها ووقوفها والتعبير عن الجَلَد بقبةٍ نيرة فوق رؤُوسنا وعن القمر المظلم كاحد انوار السماء. فيكفي جوابًا لذلك ان نقول انهُ ليس القصد بالكتاب المقدس تعليمنا الفلسفة ولا هو كتاب علمٍ طبيعيّ ولذلك قد ارشد الروح كتبتهُ وهم يصفون الاشباح الطبيعية والمواد المنظورة الى ان يتكلموا عنها حسب ظواهرها ويستعملوا عبارات تلك الازمنة ويكتبوا ذلك حسب الظواهر غير المتغيرة بدون اعتبار رايٍ فلسفيٍّ مطلقًا . وكما انهُ لا يصح ان ننسب الكذب او الغلط الى من يتكلم او يكتب في عصرنا الحاضر عن شروق الشمس وغيابها وعن القمر على انهُ احد انوار السماء لا يجوز ان ننسب ذلك الى موسى ونصرَّ على الزعم بانهُ لم يتكلم بالوحي بناءً على ورود عباراتٍ مثل هذه في اسفارهِ

ثامنًا اعتُرِض ايضًا بان في الكتاب المقدس تناقضًا اي فيهِ اقوال تقتضي ابطال غيرها فيهِ . فنجيب اننا لا ننكر ان فيهِ بعض العبارات التي لا يوافق بعضها بعضًا حسب الظاهر مما لا يمكننا ولا يجب معرفتنا بيان وجود موافقتهِ تمامًا . ولكن الزعم بان فيهِ كما خرج من يد الله اصلاً تناقضًا بالحقيقة ما لا يسلّم بهِ احد ممَّن يؤْمن بالوحي الالهي ولا يقدر ملحد ان يبين وجود ذلك

بالحقيقة . قال واحد ممّن فحص بالتدقيق جميع القضايا التي وقع عليها شبهة التناقض ان البعض منها نتج من الغلط في النسخ او الترجمة او التفسير وغيرها من جهلنا الظروف والاحوال التي وقعت فيها وكان يمكن توفيقها بسهولة لو عرفنا تلك الظروف والاحوال تماماً . وقال بوسنيوس في محاورته مع تربفو انني لا اتجاسر ان اتصوّر او اثبت ان في الكتاب المقدس اقوالاً يناقض بعضها بعضاً ولكن اذا أتى بعبارةٍ تناقض حسب الظاهر غيرها افضّل بناء على اقتناعي بعدم وجود هذه المناقضة ان اقرّ بانني لا افهمها انتهى

تاسعاً أُعترِض على الوحي بالعهد الجديد بان كَتَبَتهُ اقتبسوا من العهد القديم بعض اقتباساتٍ غير صحيحةٍ واستعملوها استعمالاً في غير محلهِ . فنجيب انهم لم يقتبسوا اقتباساتهم دائماً حرفياً بالتدقيق ولا ادّعوا بذلك . على اننا لا نرى كيف يسوغ الاصرار على عدم الوحي اليهم او على عدم صدقهم بناء على هذا ونحن وغيرنا كثيراً ما نقتبس من الكتاب المقدس وغيرهِ على هذا المنوال بدون اعتراضٍ من احد علينا . ثم ان كتبة العهد الجديد لم يستعملوا دائماً ما اقتبسوهُ من العهد القديم بمعناهُ الاصلي الحرفي . وفي بعض الاحيان استعملوا ما اقتبسوهُ كعبارةٍ مالوفةٍ عندهم للتعبير عن افكارهم وتقريرها كما يقتبس احياناً المؤلّفون ما يوافق ذوقهم من الكتب بدون نظر الى موافقة استعمالهم ما اقتبسوهُ بغاية الضبط للمقصود الاصليّ بهِ فيستعملونهُ لغاياتهم بدون التفاتٍ الى ذلك . وكذلك العهد القديم كان الكتاب الوحيد للرسل ولغتهُ توافق ذوقهم ومالوفة عندهم فكانوا بالحقيقة جميعهم اهل كتابٍ واحدٍ معزوزٍ ومحبوبٍ عندهم يقتبسون منهُ حين الاقتضاء بعض الجمل والاعداد لايضاح امور حسب الموافقة لغرضهم بدون ادّعاء بانهم استعملوها حسب الاصل تماماً . فلا نرى في هذا البتة ما يدل على عدم الموافقة لسجاياهم الحميدة وموهبة الوحي اليهم . ومن المعلوم ان ما اقتبسوهُ صار في المعنى الذي استعملوهُ بهِ لغة الوحي المستعملة بسلطانٍ الهي . والامر ظاهر لكل من يقرأ الكتاب المقدس ان هذا الاعتراض لا يمس الاّ قليلاً جدّاً من الاقتباسات الكثيرة من العهد القديم التي هي على الغالب في محلها تماماً ومستعملة بغاية الضبط

عاشراً ومن الاسباب التي حملت البعض على الاعتراض على تعليم الوحي ادعية داود على اعدائهِ . غير ان اعتقاد الوحي يساعدنا على تفسير هذه الادعية . فلو تكلم من نفسهِ وحسب احساسات قلبهِ ومزج ادعيتهُ كما نرى احياناً باقوال التقوى لكان ذلك امراً غريباً لا يمكن تعليلهُ . ولكن متى اعتبرناهُ نبيّ الله ورئيس شعب الله ومعلناً بالوحي الالهي احكام الله على اعداء كنيستهِ وشعبهِ يظهر لنا الامر على هيئةٍ اخرى . والوحي الى ذلك الكاتب يزيل صعوبةً عوضاً عن توليد صعوبةٍ

حادي عشر واخيراً قيل ان بولس يصرّح في بعض اقوالهِ انهُ لم ينطق بها بالوحي الالهي . ومن

ذلك ما ورد في رسالتهِ الاولى الى اهل كورنثوس حيث يقول واما الباقون فاقول لهم انا لا الرب ان كان اخ لهُ امراة غير مومنة وهي ترتضي ان تسكن معهُ فلا يتركها. واما العذارى فليس عندي امر فيهنَّ ولكنني أُعطي رأيًا كمن رحمهُ الرب ١كو ٧: ١٢ و٢٥ . فنجيب ان الرسول لا ينكر في هذا القول الوحي الالهي اليهِ بل الامر الصريح الالهي لهُ بهذا الشان . اي لم يوحَ اليهِ بان يجعل اوامر على اهل كورنثوس بشان هذه الامور كانها من الرب بل اراد ان يقدم رايهُ ونصيحتهُ كما قال اعطي رايًا الخ. وقال في موضع آخر ايضًا واظن اني انا ايضًا عندي روح الله ١كو ٧: ٤٠. فاذا قال بولس ان عندهُ روح الله من يقدر ان ينكر ذلك عليهِ

وفي اقوال بولس آيةٌ اخرى اوردها البعض بينةً على بطل دعوى الوحي اليهِ وهي قولهُ الذي اتكلم بهِ لست اتكلم بهِ حسب الرب بل كانهُ في غباوةٍ في جسارة الافتخار هذه ٢كو ١١: ١٧ . فنجيب ان مراد الرسول في هذه الآية انهُ لم يتكلم هذا الكلام حسب مثال الرب وطريقتهِ الاعتيادية وذلك لانهُ اضطرَّ ان يمدح نفسهُ ويبيّن للكورنثيين مواهبهُ واعمالهُ العظيمة ردًّا على اخصامهِ ومحاماةً عن نفسهِ في ما اتهموهُ بهِ. ومن المعلوم ان هذا ليس حسب طريقة الرب الاعتياديَّة . ولذلك صرَّح للكورنثيين انهُ يعتبر هذا الافتخار جهالةً لا حسب الرب وانهُ قد اضطرَّ اليهِ لبيان صدق رسوليتهِ. ولا يخفى ان قضية الوحي غير متضمنة في هذا الكلام ولا مشار اليها فيهِ وان مفادهُ هو بيان كون هذه الطريقة كانت غير اعتياديَّة عند الرسول في الكلام عن نفسهِ لانهُ كان دائمًا يتكلم على سبيل الاتضاع لا الافتخار

ان الوحي بالكتاب المقدس كما بيناهُ في ما تقدم وبرهنّا صحتهُ وفساد ما أُورِد عليهِ من الاعتراضات هو من التعاليم الجزيلة الاهمية . وقد بذل اعداء الحق كلَّ ما في طاقتهم من الوسائط لبيان فسادهِ في كل قرنٍ ولا سيما في عصرنا الحاضر. فلو كان هذا الكتاب غير موحىً بهِ بالمعنى الذي قرَّرناهُ او كان بعضهُ ليس بالوحي لما كان قانونًا معصومًا من الغلط لايماننا وواجباتنا. ربما كنا نحسبهُ كتابًا جيدًا ومعتبرًا تاليف اناس افاضل امناء لكنهُ يكون غير كاملٍ ويكون لقارئيهِ حق الحكم عليهِ . وربما نومن انهُ يتضمن اعلاناتٍ من الله ولكن من يقدر ان يجزم بما هو منهُ من الوحي وبما هو ليس من الوحي او بما يجب ان نقبلهُ ككلام الله وبما يجب ان ننسبهُ الى جهل البشر واختراعهم. وربما تتراءى للواحد آية غير موافقة للعقل ويرفضها على انها ليست عندهُ جزءًا من الاعلان الالهي ولآخر آيةٌ اخرى الخ فيرفض الواحد جزءًا من الكتاب وغيرهُ يرفض جزءًا آخر وبالتالي يصير الكتاب كلهُ مرفوضًا على هذا المنوال

فان كان الكتاب المقدس غير موحىً بهِ حتى بلغتهِ لا يسوغ لنا ان نقبلهُ على انهُ كتاب صحيح

متضمن كلام الله تعالى وشريعته . لانهُ في جميع الشرائع يجب ان نعرف نفس كلمات الذي سنَّها . فان القاضي اذا كان غير قادرٍ ان يورد نفس كلمات الشريعة حرفيًّا لا يقدر ان يفسّرها كذلك الشعب يجب ان يعرفوا الشريعة تمامًا والاَّ فلا يمكنهم ان يعرفوا ما تطلبهُ منهم . فاذا كنا نحتاج في قضايا عالمية مثل هذه الى معرفة نفس كلمات المشترع فكم بالحري نحتاج الى نفس كلمات الكتاب المقدس الذي قُصِد بهِ ان يكون دستورًا حاويًا الشرائع المنزلة من عند مشترع الكون العظيم ومتسلطًا على قلوبنا وضمائرنا . لانهُ لكي تكون تلك الشرائع مثبتة تمامًا وقانونًا لحياتنا في الدنيا والحكم علينا في الآخرة لابُدَّ لنا من معرفة نفس كلمات الله لانهُ لا يليق الخضوع التام لتاريخٍ بشري فقط لحنهِ تعالى وارادتهِ بل يجب ان يكون لنا كتاب مقدس موحًى بهِ كلهُ من الله لكي نتخذهُ دستورًا لايماننا واعمالنا ونتكل عليهِ وحدهُ

م

الفصل التاسع

الادلة على سلطان الكتاب المقدس الالهي

ان ما نقصد اثباتهُ في هذا الفصل هو ان للكتاب المقدس سلطانًا الهيًا لانهُ يتضمن ما اعلنهُ الله للبشر عن ارادتهِ وحقّهِ على كيفية فائقة العادة . ومن الادلة على ذلك

اولًا صدقهُ . فاذا كان صادقًا وحقيقةً من الله ومتضمنًا كلامهُ تعالى حسبما نصَّ كتبتهُ الاطهار من انهم قد نطقوا بكلام الله يلزم بالضرورة انهُ ذو سلطان الهي . اما تضمُّنهُ كلام الله فيُستدَلُّ عليهِ من قول موسى مثلاً لمَّا ذهب الى فرعون والى الاسرائيليين باسم الله لا باسمهِ وكان دائمًا يفتتح كلامهُ بقولهِ هكذا قال الرب وهكذا فعل ايضًا جميع الانبياء الملهمين والرسل ومخلصنا نفسهُ قال كلامي ليس لي بل للذي ارسلني وبولس قال لانكم اذ تسلمتم منا كلمة خبرٍ من الله قبلتموها ليس ككلمة اناسٍ بل كما هي بالحقيقة ككلمة الله ١ تس ٢: ١٣ . واما صدقهُ فقد تبرهن بالادلة القاطعة والبينات الراهنة في الفصول السابقة من هذا المؤلَّف ولذلك يمكننا ان نتخذهُ دليلاً شافيًا لسلطانهِ الالهي بدون اعادة الكلام عنهُ

ثانيًا العجائب التي صُنِعَت لاثبات تعاليمهِ . ان الكتاب المقدس يذكر عجائب كثيرة حقيقية صُنِعَت من وقت موسى الى نهاية العصر الرسولي يظهر صدقها من ظروفها ونتائجها . فانها لم تُصنَع في السرّ بل جهارًا وليس امام الاحباء فقط بل امام الدّ الاعداء ايضًا الذين التزموا رغمًا عن تعصبهم وعداوتهم ان يقرُّوا بصدقها . وكذلك نتائجها لم تكن الى لحظةٍ بل مستمرةً . فضربات مصر بقيت الى ان شعر المصريون كلهم بها وتالموا منها وتوسلوا الى موسى ان يصلّي لاجل ارتفاعها . والذين شفاهم مخلصنا ورسلهُ بقوا مشفيين . والذين اقاموهم من الموت عاشوا مدةً بعد ذلك . فالامر واضح ان تلك الحوادث لم تكن حيلاً ومهارة ايدٍ خُدِعَت بها عيون وآذان الذين شاهدوها بل حقيقيةً مثبتة قد اقرَّ بها عند ما صُنِعَت الاحباء والاعداء . ولم تكن فقط امورًا غريبة خارقة نواميس الطبيعة المعروفة لا يمكن تعليلها بل ايضًا مضادة جليًا لمجرى الطبيعة الاعتيادي . فكل من يعتقد صدق الكتاب المقدس لا بدَّ ان يعتقد صنع تلك الحوادث بالفعل كما ذُكِرَت بقوة الله الفائقة

وبناء على ما تقدم يهمنا ان نعرف ما هي الغاية العظمى بالعجائب لانهُ لا بدّ ان الله عزّ وجلّ قد صنعها لقصدٍ مهمٍ. نعم ان الامر واضح ان بعضها صُنع شفقةً على المرضى والمصابين والمتضايقين. وبعضها كان قضاء عادلاً على الاشرار وبعضها امتحانًا للذين تتعلق بهم. ولكن كل ذلك انما هو من المقاصد الثانويّة

اما الغاية العظمى بها فلا ريب في انها هي الشهادة على الهية رسالة الذين صنعوها وسلطان التعاليم التي علّموها كما صُرّح بذلك كثيرًا في الكتاب المقدس. فانهُ لما ذهب موسى برسالة من الله الى فرعون سالهُ مَنْ هو الرب فاسمع صوتهُ. لا اعرف الرب واسرائيل لا اطلق. فشرع سبحانهُ في صنع عجائب متتابعة مهلكة ليري فرعون من هو تعالى ويقنعهُ بانهُ ليس امام الهه اسرائيل الآكلاشيء وليشهد لصدق رسالة موسى وهرون الالهية ويؤيّد قولهما لهُ انهما قد اتيا من قبلهِ تعالى حتى اضطرهُ اخيرًا ان يرضخ لامرهِ الذي قاومهُ اولاً بكل غطرسةٍ. وكذلك لما شكّ الاسرائيليون وهم في البرية في رسالة قوّادهم الالهية (كما فعلوا ذلك كثيرًا) وفي سلطان اوامرهم الربّاني صُنِعَت العجائب حالاً شهادةً واثباتًا لذلك. فضُرِبت الصخرة وانفجرت منها المياه. وافرعت عصا هرون دون غيرها. وانفتحت الارض تحت اقدام العصاة المتمردين فانحدروا احياء الى الهاوية. وفي ايام ايليا لما كان الشعب يعرّج بين الفرقتين اي تارةً يعبد الله وطورًا البعل غير مميّز بين الانبياء الحقيقيين والانبياء الكذبة صُنِعت عجيبةً لتعليمهِ الحق واقناعهِ بهِ فسقطت نار الرب واكلت المحرقة والحطب والحجارة والتراب ولحست المياه التي في القناة

ثم ان مخلصنا كثيرًا ما ذكر عجائبهُ برهانًا على كونهِ المسيح واثباتًا لسلطان تعاليمهِ الالهي. ومن ذلك قولهُ لان الاعمال التي اعطاني الآب لاكمّلها هذه الاعمال بعينها التي انا اعملها هي تشهد لي ان الآب قد ارسلني. ان كنت لست اعمل اعمال ابي فلا تؤمنوا بي. ولكن ان كنت اعمل فان لم تؤمنوا بي فآمنوا بالاعمال لكي تعرفوا وتؤمنوا ان الآب فيّ وانا فيهِ

وهكذا كانت ايضًا الغاية العظمى بعجائب الرسل. ويؤيّد ذلك قول البشير واما هم فخرجوا وكرزوا في كل مكان والرب يعمل معهم ويثبت الكلام بالآيات التابعة. ولما ارتاب البعض في رسوليّة بولس اثبت صدقها من عجائبهِ بقولهِ ان علامات الرسول صُنِعت بينكم في كل صبرٍ بآيات وعجائب وقوات

ومما يؤيّد راينا عن الغاية العظمى بالعجائب النظر الى تاثيرها في الذين عاينوها. لانها كانت تحملهم على التسليم بصدق الهية رسالة وسلطان الذين صنعوها وكثيرًا ما اضطرتهم الى ذلك. فان عجائب موسى لم يقنع بها فرعون فقط بل العرّافون ايضًا الذين لما راوا ما صنع موسى قالوا لفرعون

هذا هو اصبع الله. وعجيبة ايليا في اقامة ابن الارملة اضطرتها الى ان تقول هذا الوقت علمت انك رجل الله وان كلام الرب في فيك حق ١ مل ١٧: ٢٤ . وكذلك عجائب المسيح هي ما جعل نيقوديموس يقتنع برسالتهِ الالهية كما يدلُّ قولهُ يا معلم نعلم انك قد اتيت من الله معلمًا لان ليس احد يقدر ان يعمل هذه الاعمال التي انت تعمل ان لم يكن الله معهُ يو ٣: ٢. وكذلك عجيبة بولس بضربهِ عليم الساحر بالعمى اقنعت الذين راوهُ بصدق كلامهِ كما يدل قول البشير فالوالي حينئذٍ لما راى ما جرى آمن مندهشًا من تعليم الرب اع ١٣: ١٢

وبالاختصار نقول انهُ لا ريب في ان غاية عجائب الكتاب المقدس العظمى هي كما تقدم اثبات صدق رسالة المعلمين الملهمين والهية سلطان تعاليمهم لتثبيت ايمان الذين عاينوها بتعاليمهم وايمان الذين سيُبشَّرون ايضًا بتلك التعاليم في ما بعد

ثم هل كانت العجائب ادلةً كافية على ذلك القصد اي بينةً راهنة على سلطان الكتاب المقدس الالهي

فنجيب ان مخلصنا كثيرًا ما اورد هذه البينة لتنبيه افكار اليهود وضمائرهم ولذلك لا يليق الريب في صدقها. وقد بحثنا سابقًا عن حقيقة العجيبة الصحيحة ورأينا انها هي عمل الله وانها مهما كانت الواسطة لاتمامها تتضمَّن بالضرورة تداخل القدرة الالهية وان الكتاب المقدس يتضمن سلسلة طويلة من العجائب كل واحدة منها صُنِعَت لاثبات الهية سلطان اعلاناتهِ التي منحها للعالم. فألا يجب تصديق شهادة الله والاعتماد عليها في هذا الامر المهمّ . وألا ينتج لنا من ذلك ان الكتاب المقدس منهُ تعالى وان لكل اسفارهِ سلطانًا الهيًّا وعليها ختم الله ويجب اعتبارها وكرامتها لكونها حاويةً الاعلانات الحقيقية لحقهِ تعالى وارادتهِ

وقد اطلنا الكلام عن البرهان على سلطان الكتاب المقدس الالهي من العجائب لانها كثيرًا ما جعلها الكفرة هدَفًا وصوَّبوا نحوها سهام كفرهم لانها ايضًا من اركان الادلة على الوحي الالهي بها. واما باقي الادلة على سلطانهِ الالهي فيكفي ان نتكلم عنها بالاختصار فنقول

ثالثًا تمام نبواتهِ العديدة بالفعل . لا ريب في ان معرفة المستقبل وكشف حوادثهِ الغامضة المتوقفة ليس على شرائع الطبيعة المتحققة بل على ما يظهر انهُ حدث بالصدفة او على اعمال البشر الحرة هما مما يختص بالله وحدهُ دون غيرهِ في الكون كما شهد لهُ المجد قائلاً لاني انا الله وليس آخر. الالهُ وليس مثلي. مخبر منذ البدء بالاخير ومنذ القديم بما لم يُفعَل اش ٤٦: ٩ و ١٠ . فالاخبار منذ البدء بالاخير ومنذ القديم بما لم يُفعَل اي الانباء عن المستقبل الغامض مخصَّص هنا بالله وحدهُ . وفي مكان آخر يدعو الله اصنام الوثنيين ليبرهنوا على ادّعائهم بالالوهية بواسطة الانباء عن المستقبل

بقولهِ اخبروا بالآتيات فيما بعد فنعرف انكم آلهة اش ٤١: ٢٣. وذلك يدلُّ على انهم لو قدروا ان يخبروا بالآتيات اثبت ادعاؤهم بالالوهية ويؤيّد ذلك ما ورد في الاصحاح الخامس من سفر الرؤيا حيث يُكنى عن المستقبل وحوادثهِ بسفر مختوم لم يستطع احدٌ في السماء ولا على الارض ولا تحت الارض ان يفتحهُ ولا ان ينظر اليهِ. فالمستقبل الغامض انما هو سفر مختوم عند جميع الخلائق لا يقدر على فكّهِ او كشفهِ الاّ الله وحدهُ

اذاً كل نبوة صادقة انما هي وحي من الله لان الخلائق يمكنها ان تخمّن وتظنّ ولكن الله وحدهُ يقدر ان يخبر بكل يقين. وتخمينات البشر كثيرًا ما تخطئ وتخيّب انتظاراتهم ولكن ما انبأ بهِ الله لابد من حدوثهِ في الظروف والاحوال التي يعيّنها تعالى

وفي سفر التثنية آيةٌ قد ظنّ البعض انها تناقض اعتقاد كون الله وحدهُ يقدر ان يخبر عن الحوادث المستقبلة وهي قولهُ اذا قام في وسطك نبيٌّ او حالم حلماً واعطاك آيةً او اعجوبةً ولو حدثت الآية او الاعجوبة التي كلّمك عنها قائلاً لنذهب وراء آلهة أُخرى لم تعرفها ونعبدها فلا تسمع لكلام ذلك النبي او الحالم ذلك الحلم لان الرب الهكم يمتحنكم لكي يعلم هل تحبون الرب الهكم من كل قلوبكم ومن كل انفسكم تث ١٣: ١-٣. فقالوا ان النبي او الحالم الغاش يمكنهما ان يعطيا آيةً او اعجوبةً تحدثان بالفعل اي يمكنهما ان ينطقا بنبوة صادقة. ولكن هذه الآية لا تتضمن هذا المعنى بل ان المشعبذ قد يصيب في تبصيرهِ في بعض الامور وكذلك الحاذق في اشغالهِ. ولكن لا يسوغ والحالة هذه للاسرائيليين ان يتبعوا احدهما وخصوصًا اذا قصد ان يقودهم الى عبادة الاصنام بل يجب عليهم ان يحسبوا ذلك امتحانًا لهم وان يلتصقوا بعبادة الرب الههم. او اذا فرضنا ان النبي الغاش نطق بنبوة صادقة يجب اعتبارها معطاةً من الله بواسطتهِ لامتحان شعبهِ. وعلى كل حال ليس في هذه الآية او غيرها من كتاب الله ما يناقض كون الانباء الصادق عن المستقبل انما هو وحيٌ منهُ تعالى

ولعلَّ احدًا يسال هل يحوي الكتاب المقدس نبوات صادقة

فنجيب ان ذلك واضح لكل ذي عقل سليم لان فيهِ سلسلة متصلة من النبوات ممتدّة من التكوين الى الرؤيا. وكثيرٌ منها قد تمّ على نوعٍ غريب لا يسع احد انكارهُ حتى التزم الكفرة ضدًّا لتواريخ وبينات اتمامهِ ان يدّعوا ان تلك النبوات انما كُتِبَت بعد جري الحوادث المنبإ عنها. اي انها تواريخ لا نبوات. ومن ذلك نبوات اشعياء عن سقوط بابل ورجوع اليهود ورؤيا دانيال الوحوش الاربعة ونبوة مخلصنا عن خراب اورشليم وانباء جميع الانبياء عن حالة اسرائيل الحاضرة في تبدّدهم وتشتّتهم وقد تقدم الكلام عن بعض هذه النبوات واتمامها في الفصل السادس من هذا الكتاب. فاذ تبيّن ان الكتاب المقدس يحوي نبوات صادقة ينتج بالضرورة انهُ يحوي اعلانات الله وانهُ ذو

سلطانٍ الهيّ

رابعًا ومن الادلة على سلطان الكتاب الالهي سرعة امتداد الديانة المسيحية اولاً . فمتى لاحظنا ما كان في طريق الانجيل من الموانع عند الشروع في نشرهِ وضعف الوسائط التي استُعملت لذلك ومضادة تعاليمهِ ومطاليبهِ لاميال البشر واخلاقهم الطبيعية يستحيل علينا تعليل انتشارهِ السريع المتسع الاّ بكون اصلهِ من الله وبان لهُ سلطانًا الهيًّا

نعم ان بعض الاديان الكاذبة قد امتدَّ حالاً ولكن ذلك انما كان اما لموافقتهِ اميال البشر وعوائدهم الفاسدة او بسبب السيف والاغتصاب. اما الديانة المسيحية فلم يساعدها شيءٌ من ذلك بل بالعكس لانها تضادُّ اميال البشر وعوائدهم والسيف قد سُلَّ لاستئصالها ومع كل ذلك وكراهة البشر الطبيعيَّة لها لانها موبخ لهم على اعمالهم واضطهادهم اياها ثبتت امام قوات الارض وجهنم وغلبت رغمًا عن كل مقاومةٍ الى ان صارت في اقل من اربعمائة سنة ديانة المملكة الرومانيَّة المتسعة والعالم المتمدن. وما ذلك الاّ بيّنة راهنة على سلطانها الالهي

خامسًا طبيعة تعاليمهِ وفضلها. فانهُ يتبين من نفس طبيعة تعاليمهِ انها انما هي معلنة من الله وحدهُ . لانهُ من يستطيع ان يعلمنا عن خلق العالم ودخول الخطية اليهِ وعن كيفية وجودهِ تعالى السرّي ولاهوت المسيح والروح القدس ووظيفة كل اقنومٍ من الثالوث الاقدس في عمل الفداء وعن قيامة الاجساد والدينونة العامة والمجازاة الابدية الاالله وحدهُ . فالكتاب الذي يعلمنا جميع هذه الحقائق وما اشبهها اذا كان تعليمهُ حقًّا لابد ان يكون من الله وذا سلطانٍ الهيٍّ

اما فضل تعليمهِ فيظهر من سمو طبيعتها وموافقتها للعقل وطهارتها ورصانة آدابها وسموها على جميع تآليف الفلاسفة وتأثيرها في البشر (ولا سيما اذا اعتبرنا ان الذين علموا بها اولاً كانوا يهودًا محتقرين فقراء عاميين) وترقيتها لاحوالهم الدينية والادبية والسياسية. الا يدل كل ذلك بالضرورة على ان للكتاب المقدس سلطانًا يفوق كلَّ سلطانٍ بشريّ

سادسًا نقاوة نواميسهِ الادبية وسموها . فانهُ من هذا القبيل اشهر تآليف القدماء الادبيَّة لا يحتمل المقابلة معهُ اذ ان البعد بينهما بقدر بعد السموات عن الارض. لان وصول اولئك الكتبة العاميّين الى ذلك النظام الادبي السامي الكامل مستحيل لو لم يكونوا قد تعلموهُ من الله على نوعٍ عجيب . وعلى اسلوبٍ آخر نقول ان الكتاب المقدس يدَّعي بانهُ وحي من الله فان لم يكن كذلك يكن غشًّا وتزويرًا فظيعًا والذين زوَّروهُ لا يمكن ان يكونوا اناسًا صالحين لان الصالحين يستنكفون من التزوير. ولكن لا يمكن ان يكونوا اشرارًا لان نقاوة نواميسهِ الادبية وسموها تناقضان هذا الفرض سابعًا غناهُ . ان التآليف البشرية بعد مطالعتها مراتٍ قليلة تمسي عديمة اللذة والطلاوة اذ

ندرك حالاً معنى الكاتب ونستوعب مقاصدهُ . ولكن ليس كذلك الكتاب المقدس بل كلما قُرِئ مرةً وأُمعِنَ النظر فيهِ زادت لذتهُ واكتشفنا اشياء جديدة فيهِ. وكثيرون ممن درسوهُ بكل اجتهادٍ طول حياتهم الطويلة اقرُّوا عند نهايتها انهم يرون انفسهم كانهم قد شرعوا حديثًا في الدخول في بحرهِ غير المحدود . فهذا الكتاب لا ينفد البتة مع انهُ يؤْخذ منهُ دائمًا مؤُونة للحياة والنمو الروحيين وذلك نظير كوز الارملة في صرفة صيدا وكوارها

ثامنًا موافقتهُ العجيبة لاحتياجات الانسان . ان البشر على اختلاف احوالهم ما داموا على هذه البسيطة يحتاجون الى امور كثيرة كالنور السماوي والتعاليم الالهي والتشجيع والخلاص والتقديس والحماية والسند والتنوير من جهة المستقبل والعالم الابدي غير المنظور ليعلموا ما هم وما يجب ان يكونوا وما عمل الله من اجلهم وما عليهم ان يعملوهُ لانفسهم للحصول على السعادة الابدية . فبدون دخول في البحث المدقَّق عن هذا الامر نقول اننا نستطيع ان نثبت كون الكتاب المقدس هو نفس ما نحتاج اليهِ بالنظر الى جميع هذه المواضيع المهمة. وذلك دليل قاطع على انهُ قد اتى من ذلك الذي يعرف احتياجاتنا وقد جعل اعلاناتهِ حسب حكمتهِ الفائقة موافقة لها . وبالتالي انهُ ذو سلطانٍ الهيّ

تاسعًا موافقة اجزائهِ بعضها لبعض ولتعاليم الطبيعة . فان بين اسفار كلٍّ من العهدين القديم والجديد موافقةً عجيبة في المقاصد والغاية والتعاليم والواجبات والرجاء والروح. وهذا من اغرب الحقائق لان تعاليم الكتاب المقدس واردة على الغالب في جملٍ مستقلّةٍ وليس في خطاباتٍ مرتَّبة . وبما ان الكتبة الاطهار قد عاشوا في اعصار واماكن بعيدة بعضها عن بعض لايمكن ان يكونوا قد تواطئوا على ما بينهم من الموافقات الظاهرة في اسفارهم ولا سيما ما كان منها بين الرمز والمرموز اليهِ وبين الاشارة والحقيقة مما هو جوهرًا نبوة ولايمكن ان يكون الاَّ من الله

ثم ان الاديان الأُخَر التي امتدَّت قديمًا في العالم والممتدَّة الآن كثيرًا ما نرى فيها مضادَّات لتعاليم الطبيعة مما يأْباهُ العلم والعقل وينفر منهُ الطبع السليم. بخلاف الكتاب المقدس الذي يظهر لكل متمعّنٍ فيهِ انهُ يعلّم نفس ما تعلّمنا اياهُ الطبيعة مع زيادات مفيدة بدون ادنى تناقض لان منشئ الكل واحد وهو الاله العظيم

عاشرًا اسلوب كتابتهِ. ونعني بذلك السهولة التي بها يعبّر كتبتهُ عن افكارهم ويحكمون حكمًا قاطعًا في اغمض المواضيع واعمقها سرًّا وابعدها جدًّا عن افكار البشر بدون غلطٍ ولا تأَخُّرٍ ولاتكلُّفٍ ولا تردُّد ولا ارتياب كما يُنتظَر منهم لو كانوا متروكين لقواهم الضعيفة. بل يتكلمون كمن لهُ سلطان وليس كالكتبة. وذلك لانهم قد أُرسلوا وأُوحي اليهم وأُعطوا سلطانًا من الله القدوس

حادي عشر القوة المرافقة لهُ والنتائج الجيدة التي احدثها في العالم . وتلك القوة والنتائج يمكن ملاحظتها في الافراد وفي الهيئة الجمهورية .١.١ نظرًا الى تاثيرهِ في الافراد فليس لغيرهِ من جميع النظامات الفلسفيَّة او الدينية ما لهُ من القدرة على اخضاع القلب وتصليح الحياة والسجايا تصليحًا كاملاً. وهو وحدهُ الكلمة الحيَّة والفعالة والامضى من كل سيفٍ ذي حدَّين والقادرة بالله على هدم حصونٍ وان تحكّم الانسان للخلاص. فكم صار بواسطتهِ المتكبر متواضعًا والنجس طاهرًا والماكر نصوحًا والظالم عادلاً والحاقد غفورًا والسكير صاحيًا والسفيه اديبًا والكذوب صادقًا وهلمَّ جرًّا. فلا نقدر ان نعلّل نتائجهُ هذه الخلاصية وتاثيراتهِ في عقول البشر وقلوبهم الاَّ بكونهِ كلمة الله ولهُ سلطان من الاعالي

واما نظرًا الى تاثيراتهِ الجيدة الصالحة في الهيئة الجمهورية فليس صعبًا ان يُكتَب على ذلك مجلداتٍ ولكن نقول بالاختصار ليقابل من شاء حالة العالم المسيحي (اي روح نواميسهِ وافكار الجمهور وآدابهُ وتقدمهُ في العلم والتمدن ومشروعاتهِ الخيرية) مع حالة الوثنين في الاعصار القديمة والحديثة فيرى تاثير الديانة المسيحية وقوتها. او ليقابل سجايا المسيحيين الصادقين وحياتهم الطاهرة التي يليق ان يُقتدى بها وموتهم السعيد مع حياة وموت الكفرة فيرى ما بينهما من البعد الشاسع . اما ضعف هذا البرهان في اعين غير المومنين فناتج من عدم خضوع اهل العالم للروح المسيحي . فلو قُبِل الانجيل عمومًا وأُطيعت اوامرهُ لبطلت الحروب والخاصمات والمظالم والظنون وكل انواع الرداءة وملك مكانها الفضل والسعادة ولراى جميع الناس واقرُّوا ان ديانةً ذات اثمارٍ جيدة ونتائج صالحة وعظيمة مثل نتائجهِ لابد ان يكون اصلها سماويًّا وانها ذات سلطانٍ الهيّ

ثاني عشر شهادة المؤمنين الداخلية . فان المسيحيين الحقيقيين يشعرون في قلوبهم بسلطانهِ من تاثير تعاليمهِ فيهم وموافقتها لعقولهم وشهادة ضمائرهم لصدقها وغلبتها العجيبة عليهم حتى لا يبقى عندهم محل المريب في ان اصلهُ من الله الذي يعرف قلوب بنيهِ تمامًا وقد رسم ذلك موضحًا في صفحات كتابهِ . وذلك يوافق قول المخلص ان شاء احد ان يعمل مشيئتهُ يعرف التعليم هل هو من الله ولهذا الدليل تاثيرٌ كليٌّ في المسيحيين لما يختبروهُ في حياتهم عن قوتهِ في ازالة الشكوك من عقولهم وترسيخ ايمانهم بصدقهِ واصلهِ الالهي

ثالث عشر بقاؤُهُ كما هو الى عصرنا الحاضر. ان هذا الدليل لا يلزم لهُ بيان لان الامر واضح ان الكتاب المقدس لو لم يكن من الله ولهُ سلطان الهي على البشر لما بقي منذ كتابتهِ الى عصرنا الحاضر كما أُعطي اصلاً بدون ان يطرأ عليهِ تغيير جوهري او يفقد منهُ جزءٌ مهمٌ مع كل ما صادف من المقاومات من اشهر الناس قوةً وعلمًا والدّهم عداوةً . وكذلك تاثيرهُ لم يضعف من قدميتهِ بل

كان ولم يزل يفعل في كل قرنٍ ودورٍ وفي كل جيلٍ من الناس واهل عصرٍ واحد على حدٍّ سوى . فالكتاب المقدس الذي بين ايدينا الان ونحن نقراهُ ونستفيد منهُ ونحكم للخلاص ونتعزّى بهِ ونتقدس بواسطة كلامهِ هو نفس الكتاب الذي كان في القرون الغابرة وكان لهُ نفس هذه التاثيرات في اهل تلك القرون . اليس ذلك دليلاً راهنًا على انهُ من الله وان لهُ سلطانًا الهيًّا

فيلزم عما تقدم ان الكتاب المقدس يستحق منا افضل اكرام واصغاءٍ ككلام الله بصوتٍ مسموع من السماء على ان الله بالحقيقة يتكلم معنا فيهِ بصوتٍ اقوى من صوت رعودٍ من السماء. فان الرسول بطرس وهو على جبل التجلي سمعهُ تعالى متكلمًا من السماء ولما اشار الى ذلك في آخر حياتهِ قال وعندنا الكلمة النبوية وهي اثبت التي تفعلون حسنًا ان انتبهتم اليها كما الى سراج منيرٍ في موضعٍ مظلمٍ ٢ بط ١: ١٩. ولا ريب في ان الكلمة النبوية هي اثبت ويجب ان تُلاحَظ ويُعوَّل عليها اكثر مما على صوت رعدٍ من الاعالي لان هذا ربما نُخدَع بهِ ونبقى في ريبٍ من جهة سببهِ واما الكلمة النبوية فلا يمكن ان نُخدَع بها وليس محلٌّ للريب في صدق من نطق بها.

فلنصغِ الى نصيحة الرسول بطرس ونتنبه الى الكلمة النبوية الثابتة
كما الى سراجٍ منيرٍ في موضعٍ مظلمٍ الى ان ينفجر
النهار ويطلع كوكب الصبح في
قلوبنا

م



وكان الفراغ من جمعهِ وتبييضهِ في ١١ ايلول سنة ١٨٧٧ في مدرسة اللاهوت الانجيلية في مدينة بيروت